كنز الدرر وجامع الغرر

الدرة المضية
في
أخبار الدولة الفاطمية

تأليف
أبي بكر بن عبد الله بن أيبك
الدواداري

المجلد السادس

الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية

مَصادِرِ تاريخ مِصر الإسلاميَّة

يُصدِرُها

قسم الدّراساتِ الإسلاميَّة

بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة

جزء ١ قسم ٦

كنز الدُّرَر وجامع الغُرَر

الجُزءُ السَّادِسُ

الدرة المضِيَّة في أخبار الدولة الفاطميَّة

تأليف

أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدَّوادارِي

تحقيق

صلاح الدّين المنجّد

القاهرة

١٣٨٠ هـ – ١٩٦١ م

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

تصدير

فى عام ١٩٥٨ اقترحت على الأستاذ هانس رومر — وكان يومئذ فى المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة — أن ينشر المعهد سلسلة من النصوص التاريخية المتعلّقة بمصر الإسلامية ، ودللته على كتاب كنز الدرر لابن الدوادارى ، وأبنتُ له أنه مصدر من الطراز الأوّل وخاصة فيما يتعلّق بعصره .

وقد استجاب الأستاذ رومر ، ثم المعهد إلى اقتراحى . واتفقنا أن نحقق الكتاب معاً .

وكان اهتمام الأستاذ رومر بالجزأين الثامن والتاسع ، المتعلقين بالعصر المماليكى ، وصرفتُ عنايتى إلى الجزأين السادس والسابع المتعلقين بالفاطميين والأيوبيّين .

إنى سعيد جداً أن ينهض المعهد الألمانى بالقاهرة بنشر النصوص التاريخية المتعلقة بمصر . فالواقع أن هذه النصوص والوثائق كثيرة جداً ، وإذا استثنينا بعض تواليف المقريزى ، فإن ما نشر منها قليل . ونعتقد أن كتابة تاريخ مصر الإسلامية لا يمكن أن تتم بوجه أكمل إلا بعد نشر هذه النصوص والوثائق . لذلك كان عمل المعهد مفيد جداً ، للعلماء والباحثين ، ولمصر نفسها .

وإنى أغتنم هذه الفرصة لأشكر الأستاذ م . شتوك مدير المعهد على إخراجه هذه السلسلة المفيدة ، وعلى تكليفى تحقيق هذا الجزء ، ومساعداته القيمة .

وإلى الأستاذ روس الذى استجاب لاقتراحى ، وأقبل على تحقيق الكتاب ، فكان أول نص ينشره بالعربية .

وإلى زملائى فى معهد المخطوطات : فؤاد سيد ، ورشاد عبد المطلب ، ومحمد مرسى الخولى ، ومحمد عبد القادر ، الذين أعانونى فى تصحيح تجارب الطبع وصنع الفهارس .

ص . م

مقدمة

كان القرن الثامن الهجرى من أخصب العصور الإسلامية فى المؤلفات التاريخية . فقد ظهر فيه عدد كبير من المؤرخين ، تركوا آثاراً تاريخيّة مهمّة . وكانت الكثرة من هؤلاء ، من رجال الحديث الذين جمعوا بين الحديث والفقه ونقد الرجال ، وبين التأريخ بمفهومه عند المسلمين . كالقطب اليونينى (٧٢٦ هـ — ١٣٢٦ م) ، والبرزالى (٧٣٩ هـ — ١٣٣٩ م) ، وابن الجزرى (٧٣٩ هـ — ١٣٣٩ م) ، والذهبى (٧٤٨ هـ — ١٣٤٨ م) ، والحسينى (٧٦٥ هـ — ١٣٦٤ م) ، والسبكى (٧٧١ هـ — ١٣٧٠ م) ، وابن كثير (٧٧٤ هـ — ١٣٧٣ م) وابن رافع (٧٧٤ هـ — ١٣٧٢ م) ، وابن رجب الحنبلى (٧٩٥ هـ — ١٣٩٢ م) . وعُرف فريق جمع بين الأدب والتأريخ كالصلاح الصفدى (٧٦٤ هـ — ١٣٦٣ م) . وفريق ثالث كان من الورّاقين ، كابن شاكر الكتبى (٧٦٤ هـ — ١٣٦٣ م) . وفريق رابع كان ممن يتّصلون بالدولة أو كانوا موظفين فيها أو أبناء موظفين ، مثل بيبرس الدوادارى (٧٢٥ هـ — ١٣٢٥ م) ، وأبى بكر ابن الدوادارى (بعد ٧٣٦ هـ — ١٣٣٥ م) . وقد امتازت كل فئة فى تآليفها التاريخية بميزة خاصة .

ومؤلف الجزء الذى ننشره هو من الفئة الأخيرة . وميزة هذه الفئة أنها كانت شهود عيان لـكثير من الحوادث التى عاصرتها ، وأتيح لها أن تطلع على خفايا أمور السياسة فى ذلك العصر ، كما أنها عبّرت عن وجهات النظر الحـكومية فى أحيان كثيرة . وعلى هـذا فإن ما يتعلّق ، من مؤلفاتها ، بالعصر الذى عاشـت فيـه ، هو على جانب كبير من الشأن . أما ماسبق عصرها فقيمته متعلقة بشأن المصادر التى استمدت منها ، وطريقة الأخذ عنها .

ونحن لا ندرى الـكثير عن مؤلّف هذا الجزء . ولولا كتبه التاريخية التى وصلت إلينا لما عرفنا عنه شيئاً . إذ سكت عنـه الذين ترجموا لعلماء القرن الثامن ورجاله ، فى حين ترجموا للـكثيرين غيره . وإذن فإن من الصعب أن نقدّم ترجمة واسعة له . ومن المؤسف أنه هو أيضاً لم يتحدّث عن نفسـه كثيراً فى تاريخه ، وما وجدناه فى تاريخه قد يقدم له ترجمة صغيرة ، ولـكنها على كل حال ناقصة .

يذكر المؤلف فى عنوان تاريخه اسمه . وهو « أبو بكر بن عبد الله ابن أيبك صاحب صرخد » . ولنحاول أن نبحث أولاً عن جدّه . لقد بحثنا كثيراً عن ولاة صَرْخَد ، وهى بليدة فى حوران لها قلعة مشهورة ، فوجدنا فيهم « أيبك صاحب صرخد ، الاستادار المعظمى » . وكان هذا

توفى سنة ٦٤٥ هـ . وهو بانى المدرسة العزيّة على الشرف الأعلى بدمشق . وتذكر المصادر أنه توفى بصرخد ، ثم نقل إلى مدرسته بدمشق . لكن مؤلفنا يذكر أن جدّه وجدّته مدفونان بأذرعات . فلعل جدّه أيبك آخر كان صاحب صرخد .

أما أبوه فيحدّثنا ابنه أنه سُمّى بالدوادارى لأنه انتسب إلى خدمة الأمير سيف الدين بَلَبَان الرومى الظاهرى . ويذكر ابن تغرى بردى أن بلبان هذا كان دواداراً عند الظاهر بيبرس الذى تولّى السلطنة سنة ٦٥٨ هـ وظلّ إلى سنة وفاته سنة ٦٧٦ هـ . وكان مقرّباً إليه مطلعاً على أسراره ، مدبّراً أمور القُصّاد والجواسيس والمكاتبات . وتوفى سنة ٦٨٠ هـ ، أى بعد موت الظاهر بأربع سنين .

على أننا لا ندرى متى انتسب إلى خدمة بلبان .

ويحدثنا أبو بكر أنهم كانوا يسكنون فى القاهرة بحارة الباطلية . وبهذه الحارة نشأ ورُبّى ، فقد كان لأبيه سكن فيها .

ويحدثنا أيضاً أنه فى سنة ٦٩٩ هـ ، وُلّى أبوه أعمال الشرقية وإمرة العربان . فبقى فيها إحدى عشرة سنة ، إلى سنة ٧١٠ هـ ، فاستعفى فأُعفى . وخيّره السلطان بين البقاء فى القاهرة أو الذهاب إلى الشام . فاختار الشام . فباع سكنه ، ولم يكن لديه سواه ، وتجهّز

بثمنه إلى الشام ، ومعه ابنه المؤلف . وفى دمشق عُيّن مهمنداراً ، والمهمندار هو الذى يستقبل الرسل والضيوف الواردين ويدبر أمورهم ويُعنى بهم . ثم أضيف إليه شدّ الدواوين . فقبل العمل الجديد على كره ، حتى واتت الفرصة فتخلّص منه . وبقى مهمنداراً إلى سنة ٧١٣ هـ ، عندما مات ، وهو يقوم بمهمة رسمية . فقد كان يفتش القلاع ، وفى جولته مرّ بوادى الزرقا ، من الأردن ، قاصداً قلعة عجلون . فوقع من فوق فرسه ، ومات . فحمل إلى أذرعات بحوران ، ودُفن قريباً من أبيه وأمّه .

وتدلّ اللهجة التى يتحدث المؤلف بها عن أبيه على أنه كان ذا شأن ، وأنه شارك فى أمور هامة سياسيّة ، تتعلّق بالناصر محمد بن قلاوون ، وأنه كان مُهاباً ، وكان أميناً ، فقيراً ، خلف بعد وفاته الكثير من الديون .

أما مؤلفنا فالغموض يحيط بحياته . لا ندرى متى وُلد ، وقد ذكر أنه نشأ ورُبى بحارة الباطلية بالقاهرة . ولما انتقل أبوه إلى دمشق ، ذهب معه ، وظل فيها إلى سنة وفاته (٧١٣ هـ) ، ولا ندرى إذا كان بقى بدمشق أم عاد إلى القاهرة ، وكذلك لا ندرى إن كان انتسب إلى خدمة الحكومة أم ظل بطّالاً منعزلاً ، لكننا نرجح أنه كان ذا صلة

حسنة بالناصر محمد ، فقد أشاد بذكره فى مقدمة تاريخه ، وفى مقدمة الجزء التاسع منه خاصة ، بل وضع تاريخه كله من أجله « فوضعت هذا التاريخ اللطيف مشرّفاً بالاسم السلطانى الناصرى الشريف » ، ونرجح أيضاً أنه انصرف عن أعمال الحكومة إلى تلقى الأدب والعلم « . . . استأنستُ بالخلاء عن الملاء ، ووليت وجهى شطر الأئمة الفضلاء ، وبسطتُ حجرى لالتقاط درر الشفاه ، وجعلتُ ذلك دواء لقلبى وشفاه . . . » .

على أنه كان فى حال حياة أبيه يرافقه دائماً ، وكان يحضر المحادثات التى كانت تجرى بين أبيه ورجال الدولة . وقد نقل الكثير منها فى الثامن والتاسع من تاريخه . وكان يستمع إلى آراء الكبار والقوّاد ، وكان يُساعد أباه على عمله ، وقد أنفذه مرّة إلى القاهرة ، وهو فى دمشق ، ليتخفى ويكتب له بما يجرى فيها من مؤآمرات .

ولكن العجيب أن لا يذكر أباه أحد من المؤرخين . إنّ من يقرأ الجزء التاسع والثامن من كنز الدرر يحسّ بأن الرجل كان ذا شأن . وأنه أسهم فى الأمور السياسية إلى حد بعيد . فلماذا أغفل المقريزى وابن تغرى بردى وابن حجر ذكره ، وقد ذكروا من هو أقل منه شأناً ؟

ونستطيع أن نخلص إلى القول إن أبا بكر ابن الدوادارى كان من أسرة أفرادها من رجال الدولة الكبار — أبوه وجدّه — ونرجح

أنها كانت من حوران ، أو تعيش فى حوران . فجدّه كان صاحب صرخد ، وصرخد فى حوران ، ودُفن هو وزوجته فى أذرعات ، وهى فى حوران وكان لأبيه قرية خسفين إقطاعاً له ، وهى فى حوران أيضاً .

* * *

ولنتحدث عن شخصية ابن الدوادارى العلمية . يخبرنا فى مقدمة تاريخه الكبير « أنه اشتغل بفن الأدب ، السامى القدر ، العالى الرتب » ، وأنه تردّد إلى العلماء « . . . ووليت وجهى شطر الأئمة الفضلاء ، وبسطت حجرى لالتقاط درر الشفاه . . . ورويت عن الفضلاء من مشارقها ومغاربها » .

على أننا لا نجد ذكراً فى تاريخه لهؤلاء العلماء والفضلاء الذين تردّد إليهم وروى عنهم . ونجده فى الجزء التاسع من تاريخه يتردّد على بعض المتصوّفة ويروى أخبارهم . كما نجده يزور الأديرة فى الوجه القبلى ويقرأ ما فى خزائنها . وهو يذكر من مصادر الجزء السادس « الكتاب القبطى الذى وجدتُه بالدير الأبيض بالوجه القبلى واستنسختُ منه » وما ندرى إن كان يعرف القبطية ، أو تُرْجِمَ له ما فى الكتاب . وكذلك نراه يلتقط أو يقع على كثير من الكتب النادرة ، مما يدل على شغفه بالعلم والقراءة .

هذا الشغف العلمىّ دفعه إلى التأليف . وهو يذكر فى الجزء التاسع بعض الكتب التى ألفّها . مثل :

١ — أعيان الأمثال وأمثال الأعيان .

٢ — حدائق الأحداق ، ودقائق الحذّاق .

٣ — عادات السادات ، سادات العادات . فى مناقب الشيخ أبى السعادات .

ولم تصل إلينا هذه المؤلفات .

٤ — تاريخ موجز اسمه درر التيجان .

٥ — تاريخ موسع اسمه كنز الدرر .

وقد وصلا إلينا .

٦ — ووعد فى الجزء السادس ، أن يؤلّف بعد تكملة التاريخ الكبير ، أى كنز الدرر ، كتاباً اسمه « الروضة الزاهرة فى خطط القاهرة » وما ندرى إن كان وضعه أم لا .

هذه التواليف تدلنا على أنه كان يُعنى بالأدب والأخبار والتاريخ ، ولم تصلنا كتبه الأدبية ، والأغلب أنها كانت تقوم على الجمع . على أننا نحسّ ، من ثنايا الجزء السادس ، أنه كان يتذوّق الشعر ، ويُحسن انتقاءه . فهو يعلّق أحياناً على بعض الأشعار بعبارات جيدة ، وهو ينتقى لبعض الشعراء مقطعات رائعة .

ولقد وصل إلينا التاريخان اللذان وضعهما . فلنتكلم عنه مؤرخاً ، بالاستناد إليهما ، وخاصة الجزء السادس والتاسع من تاريخه الكبير .

* * *

نلاحظ ، فى تتبع كنز الدرر ، أن ابن الدوادارى جمّاع فى الأجزاء التى سبقت عصره ، مؤلّف فى الحوادث التى عاصرها ورآها .

ويقول فى مقدمته عن تاريخه : « . . انتخبتُه وانتقيتُه ، وغربلتُه ونقّيتُه ، من تواريخ رئيسة ، وكتب نفيسة ، فعاد كالحديقة المشرقة ، ذات أشجار مورقة . . ونوادر ملهية ، ومضاحك هزلية ، وملح شهيّة ، ورقائق مبكية ، وأهاجى منكية ، ومدائح زكية ، وحكايات مليحة ، . . . فلما كملت مسوّداته ، ونجزت آياته ، ألفت كل واقعة فى زمانها ، وما جرية فى أوانها ، وأقمته تاريخاً غريب المثال ، كثير الحكم والأمثال . ولخّصتُ من تواريخ الجمع ما ينزّه الناظر ويشنف السمع ، يتضمّن من فوائد الجد ، ونوادر الهزل ، وفوائد النثر ، وقلائد النظم ما يملأ البصر نورا ، ، والقلب سرورا . . .

فنلاحظ أن ابن الدوادارى عمد بادئ بدء إلى « التقميش » أو « الجمع » ، وإلى « التلخيص » ، كما نلاحظ أن غايته فى تاريخه إرضاء القارئ

وتسليته ، لذلك حشد فيه النوادر والمضاحك والملح والرقائق والأهاجي والمدائح والحكايات .

أما في القسم الذي عاش فيه وأرّخه فنجده مؤرخاً من الطراز الأول ، كثير الملاحظة ، يسوق أكثر ما يمكن من تفصيلات ، وخاصة فيما رآه هو نفسه أو شارك فيه . وهو يقص ، بحرارة وصدق ، الحوادث التي رآها وأثرت في نفسه . ولا شك أنه في هذا القسم من أثمن المراجع التي يُرجع إليها لتأريخ المماليك . غير أن أسلوبه عامي فيما ينشئه هو بنفسه ، في أغلب الأحايين : يستعمل اللغة العامية ، وتراكيبها ، وألفاظها ، وقد يخلطها باللغة الفصحي ، المسجوعة ، مما حفظه من الكتب . فيأتي من ذلك أسلوب عجيب ، يفصح مرة ، ويسفل أخرى .

وقد ألّف تاريخين : الأوّل هو « كنز الدرر » ، والثاني « درر التيجان » . جعل الأول في تسع مجلّدات ، وهو يدخل في إطار التواريخ العامة ، منذ مبدإ الخليقة إلى عصر المؤلف . وقد جعل كل جزء يختص بدولة واختصّ كلّ جزء باسمين خاص وعام . ويعتقد أن عمله هذا لم يُسبق إليه . فالاسمان الفرعيان الأولّ يتعلّق بفلك من أفلاك السماء التسع ، والثاني يتعلّق بموضوع الكتاب . وإذ كان الاسم العام « كنز الدرر » فقد جعل عنوان الكتاب الفرعي الثاني درّة دائماً . لأن الكنز كله درر .

وها هي أسماء الأجزاء :

١ — نزهة البشر من قسمة فلك القمر وهو :

الدرّة العليا فى أخبار بدوّ الدنيا

٢ — غلّة الوارد من قسمة فلك عطارد وهو :

الدرة اليتيمة فى أخبار الأمم القديمة

٣ — المشرّف بالقدرة من قسمة فلك الزهرة وهو :

الدر الثمين فى أخبار سيد المرسلين

٤ — بغية النفس من قسمة فلك الشمس وهو :

الدرة المسميّة فى أخبار الدولة الأموية

٥ — الذى كلٌّ سمعٍ له مصيخ من قسمة المريخ وهو :

الدرة السنية فى أخبار الدولة العباسية

٦ — الفائق صحاح الجوهرى من قسمة فلك المشترى وهو :

الدرّة المضيّة فى أخبار الدولة الفاطمية

٧ — شهد النحل من قسمة فلك زُحل وهو :

الدر المطلوب فى أخبار دولة بنى أيوب

٨ — زهر المروج من قسمة فلك البروج وهو :

الدرة الزكية فى أخبار دولة الملوك التركية

٩ — الجوهر الأنفس من قسمة الفلك الأطلس وهو :

الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر

ويحدثنا أنه جمع مواده أولاً وسوّده ، ابتداه سنة ٧٠٩ هـ ، أى قبل أن ينتقل إلى دمشق مع أبيه . ثم أخذ ينسخه ويبيّضه ويعيد النظر فيه جزءاً جزءاً .

وقد وقف فى حوادث تاريخه عند سنة ٧٣٥ هـ . وفرغ من الجزء الآخر فى مستهل سنة ست وثلاثين . فيكون قضى فى جمعه وكتابته سبعاً وعشرين سنة .

والتاريخ الثانى الذى ألفه ابن أيبك هو درر التيجان وغرر تواريخ الزمان . وهو تاريخ عام مختصر فى مجلد واحد . بدأه من زمن آدم ، ثم تكلم على الأنبياء ، وعلى عصر الجاهلية ، وبدأ بذكر الحوادث منذ بدء الإسلام ، سنة فسنة ، وانتهى إلى سنة ٧١٠ هـ . وقد أضاف فيه إلى ذكر الحوادث تراجم الملوك والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء والأطباء . بخلاف الأوّل ، فقد جعله للحوادث والدول .

وقد وصل إلينا التاريخان ، والأول بخط المؤلّف .

ونعتقد أن كل جزء من أجزاء التاريخ الكبير ، يحتاج إلى دراسة خاصة ونقد داخلى .

لذلك سنقصر الكلام هنا على المجلد الذى نقدمه وهو الجزء السادس المتعلق بالدولة الفاطمية .

* * *

الدرّة المضيّة فى أخبار الدولة الفاطمية

هذا هو الجزء السادس من « كنز الدرر » . عنوانه الفرعى الأول : « الفائق صحاح الجوهرى من قسمة فلك المشترى » ، وعنوانه الثانى « الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية » .

وهو يختص بذكر الخلفاء الفاطميين بمصر ، والدول المنقطعة والمتصلة التى قامت أثناء دولتهم .

بدأ بحوادث سنة ٣٥٩ هـ (ص ١٢٠) ودخول جوهر القائد إلى مصر . وتابع ذكر الحوادث إلى سنة ٥٥٤ هـ .

وتكلم على الدعوة الفاطمية بالتفصيل ، وعلى القرامطة ، والأغالبة ، وبنى حمدان ، والسلاجقة ، وملوك البويهيين ، والسامانيين ، والصليحيين باليمن .

استمد موادّه من مصادر أغلبها مفقود . نذكرها فيما يلى :

١ — كتاب الشريف أبى الحسين أخى محسن فى أصل الفاطميين (ص ٦) .

٢ — تاريخ القيروان (ص ٤، ٢٩٩).

٣ — تحفة القصر فى عجائب مصر للعاضد الفاطمى (ص ٣٦٣)، ٣٥٢.

٤ — تاريخ القاضى ابن خلكان (ص ١٤٥)

٥ — تاريخ مصر لابن زولاق (ص ٤)

٦ — الروضة البهيّة فى خطط القاهرة المعزيّة لابن عبد الظاهر (ص ١٣٥)

٧ — أخبار الشام لعلى بن محمد بن يحيى السلمى السميساطى، أبو القاسم، إلى سنة ٣٩٥ هـ (ص ٢٧٢)

٨ — دمية القصر (ص ٢٨٣)

٩ — تاريخ ابن دحية (ص ٢٩٨)

١٠ — حلّ الرموز فى علم الكنوز (ص ٣٠١)

١١ — سيرة الحاكم لمجهول (ص ٣٠٢)

١٢ — رسائل أبى القاسم الوزير المغربى (ص ٣١٢)

١٣ — تاريخ بغداد، لم يذكر مؤلفه (ص ٣٢٨، ٣٣٦)

١٤ — كتاب قبطى وجده بالدير الأبيض بالوجه القبلى واستنسخ منه (ص ٣٥٣)

١٥ – خريدة القصر للعماد (ص ٤٠٩)

١٦ – السيل والذيل للعماد (ص ٤٢١)

١٧ – سيرة السلطان صلاح الدين لابن شدّاد (ص ٤٢٢)

١٨ – مفرج الكروب لابن واصل .

١٩ – كتاب جنى النحل [لابن سعيد] (ص ٤٣٧)

٢٠ – سير التاريخ لعلى بن منجب (ص ١١١)

٢١ – سيرة السلطان صلاح الدين لابن شدّاد (ص ٤٢٢)

والكثير الغالب من هذه المصادر مفقود (١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠) والباقى مطبوع أو مخطوط (٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١) . والمفقود منها ذو شأن كبير ، وما نجده من بعض نصوصها فى مصادر أخرى قليل .

ومن المفيد أن ننوه هنا بأحد هذه المصادر المفقودة التى نقلها ابن الدوادارى فى هذا الجزء السادس ، وهو « أخبار الشام » للسميساطى . فقد سرد منه حوادث دمشق فى زمن الفاطميين وكنا لا نعرف كتاباً يتعلّق بهذه الفترة فى تاريخ دمشق إلا تاريخ القلانسى : فكان المصدر الوحيد عن دمشق الفاطمية . أما كتاب السميساطى هذا فلم نعثر له من قبل على خبر . وما نقله منه يؤكد أو يعدّل الأخبار التى رواها القلانسى ،

وتوفى السميساطى سنة ٤٥٣ هـ ، وهو واقف الخانقاه السميساطية بدمشق ومن تلاميذ الخطيب البغدادى فيها .

وسيكون هذا الجزء من تاريخ ابن الدوادارى بعد اليوم من مصادر تاريخ دمشق أيضاً .

وواضح أن هذه المصادر المفقودة المهمّة ، هى التى تجعل لهذا الجزء شأنا وقيمة ، رغم العاميّة التى يتصف بها صاحبه .

* * *

ويعتمد المؤلف على التلخيص إلى حدّ كبير ، فهو يذكر فى كل سنة « ما لُخِّص من الحوادث » ، كما يذكر تلخيصه الأخبار عن المؤرّخين .

وقد أردنا أن نبيّن قيمة هذا التلخيص . فرجعنا إلى نصوص الكتب المطبوعة التى نقل منها ، وعارضناها بما جاء عن ابن الدوادارى ، وقد لفت نظرنا أنه يلخص تلخيصاً مخلاًّ ، أحياناً كثيرة ، ولا يتقيَّد بنص الأصل وألفاظه . وأنه يوجز حتى يُضيع بعض تفصيلات الحوادث . وقد أشرنا إلى بعض ذلك فى حواشينا ، وخاصة فيما نقله عن مفرج الكروب وابن خلِّكان .

ولاحظنا أيضاً أنه فى النصوص التى ينقلها كثيراً ما يخطئ فى أسماء الأعلام ، أو الأماكن ، مما يدلّ على أنه لم يكن على علم بها .

* * *

ولنر الآن نهجه فى كتابه :

يعنى ابن الدوادارى بذكر قياس ماء النيل كل سنة . ولا ندرى المصدر الذى أخذ عنه . وقد قايسناه بما جاء عند ابن تغرى بردى ، فوجدنا اتفاقاً كبيراً ، ووجدنا اختلافاً بعض الأحايين . ولعلهما أخذا عن مصدرين مختلفين . ولا نعتقد أن ابن تغرى بردى نقل عن ابن أيبك ، وهو المتقدم .

على أننا نلاحظ أن المؤلف سينقطع عن ذكر ارتفاع النيل فى الجزء التاسع . وقد ترك فى المخطوطة مكان مقدار الارتفاع بياضاً ، بانتظار مصدر ينقل عنه .

ثم يذكر ما لخص من الحوادث ، فيبدأ بذكر خليفة المسلمين فى بغداد ومدبرى الأمر حوله ، ثم خليفة مصر ومدبرى الأمر من حوله ، ثم ما وقع فى جميع الأقطار من حوادث .

وعندما يأتى ذكر دولة من الدول المنقطعة ، أو اسم صاحب من أصحاب الدعوات ، كالقرامطة وغيرهم ، فإنه يذكر الدولة أو الدعوة بالتفصيل حتى ولو تجاوزت سنو تاريخها السنة التى هو فيها . وذلك

حتى يكون عند القارئ فصلاً قائماً بنفسه كاملاً عن الدولة أو عن الدعوة .

على أن أسلوب كتابته التاريخ يدلنا على أنه كان متأدباً لكنه ضعيف الثقافة ، وخاصة بآلات اللغة العربية ، فهو يقتبس أحياناً كثيراً من الجمل الفصيحة الرائعة ، قد يكون حَفِظَها من قراءاته ، ثم ما تلبث أن نجد جملاً ركيكة جداً ، وألفاظاً وتراكيب عامية ، ونجده يخطىء فى النحو أخطاء كثيرة ، ويكثر من لغة « أكلونى البراغيث » ، وكذلك يخطئ فى رسم الكلمات لأن النسخة التى وصلت إلينا من التاريخ هى بخطّه .

وإذا قايسنا ابن الدوادارى بالمؤرخين المعاصرين له ، فى القرن الثامن كالبرزالى ، وابن كثير ، والذهبى ، والصفدى ، وابن الجزرى ، والقطب اليونينى ، وابن شاكر الكتبى ، والحسينى ، والسبكى ، وجدناه دونهم بمراحل ، من حيث أسلوبه وعبارته ، وتلخيصه . فتاريخ ابن أيبك ، على ما ظهر لنا من الجزء السادس الذى ننشره والتاسع المطبوع ، تاريخ أقرب إلى الأسلوب العامى أحياناً من الأسلوب الفصيح ، وقد يفيد أحياناً ، من هذه الناحية ، لمعرفة اللغة العامية العربية فى القرن الثامن فى دمشق والقاهرة ، حيث عاش المؤلف .

وصف المخطوطة

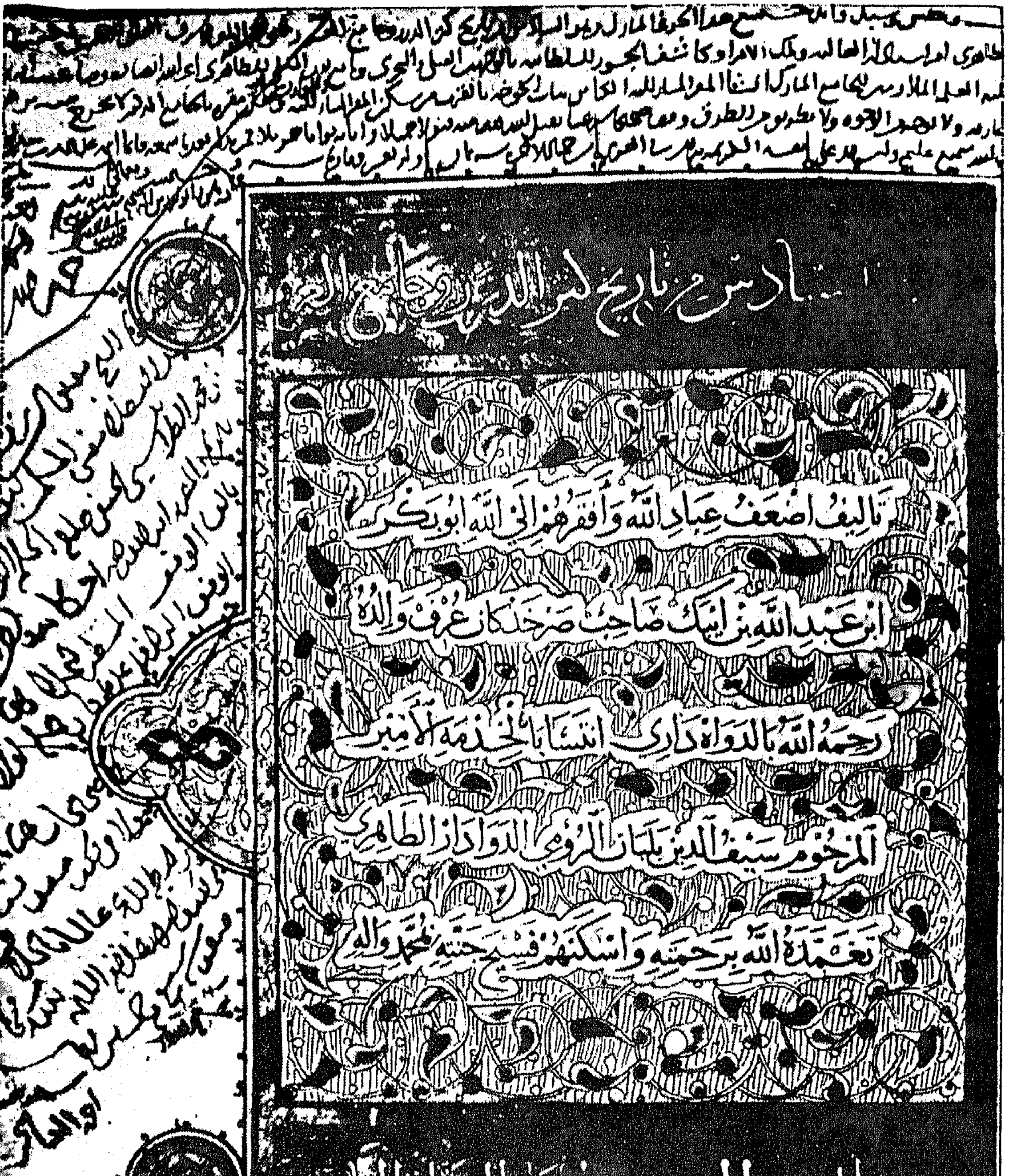
الجزء الذى ننشره مكتوب بخط المصنف ، كسائر أجزاء كنز الدرر ، ومحفوظ فى مكتبة أحمد الثالث باستنبول برقم 6/2922 .

صوّره معهد المخطوطات العربية على ميكروفلم ، وهو محفوظ لديه برقم ٤١٣ تاريخ .

أثبت على الورقة الأولى داخل إطار مزخرف ، فى الأعلى :

الجزء السادس فى تاريخ كنز الدرر وجامع الغرر
تأليف أضعف عباد الله وأفقرهم إلى الله أبو بكر (كذا)
ابن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد ، كان ، عرف والده
رحمه الله بالدوادارى ، انتساباً لخدمة الأمير
المرحوم سيف الدين بلبان الرومى ، الدوادارى الظاهرى
تغمّده الله برحمته ، وأسكنهم فسيحة جنته بمحمد وآله
وهو الدرّة المضيّة فى أخبار الدولة الفاطمية .

على هامش الإطار فى الأعلى والأيسر نصّ وقفيّة نسخة التاريخ هذه كلها على مسجد الزينى بالقاهرة وهذا نصها :


السادس من تاريخ كنز الدرر وجامع الغرر

تأليف أضعف عباد الله وأفقرهم إلى الله أبو بكر

ابن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد كان عُرف والده

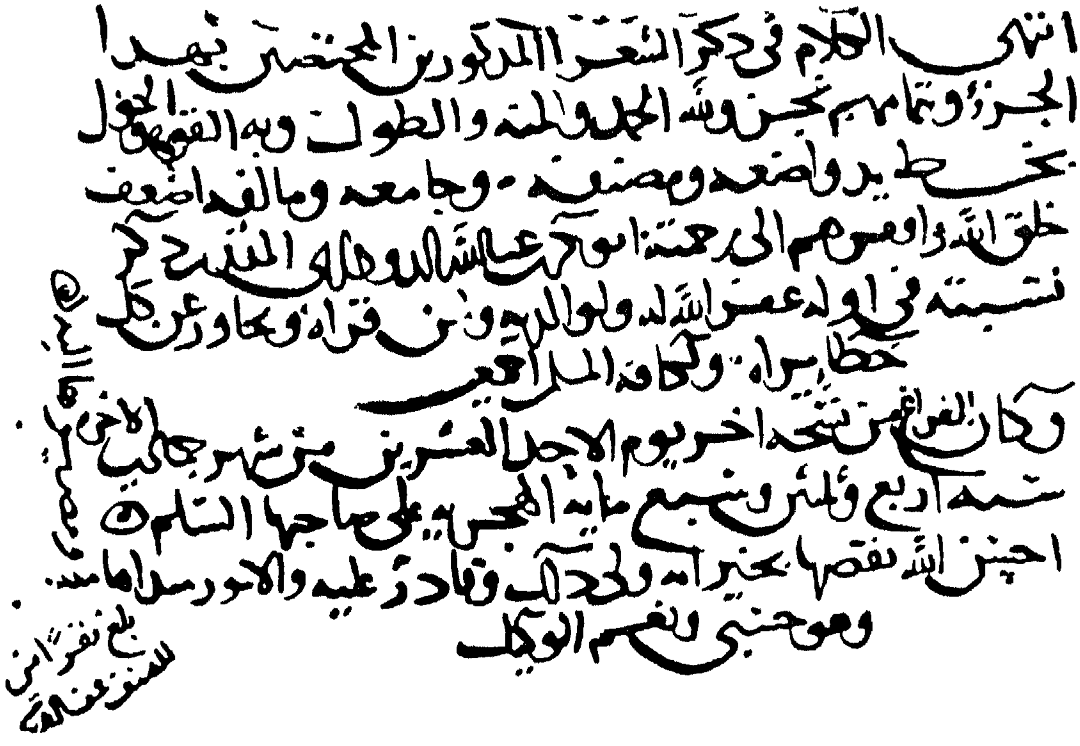
رحمه الله بالدواداري انتسابا لخدمة الأمير

المرحوم سيف الدين بلبان الرومي الدوادار الظاهري

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بمحمد وآله

وهو الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية

صورة الورقة الأولى من المخطوط



انتهى الكلام في ذكر الشعراء المذكورين المخضرمين بنهاية
الجزء وتمامه يجيء ولله الحمد والمنة والطول وبه القوة والحول
بخط يد واضعه ومصنفه وجامعه ومؤلفه اضعف
خلق الله واحوجهم الى رحمته ابو [illegible] عبد الله [illegible]
نسبته من اوله عفا الله له ولوالديه ولمن قراه وتجاوز عن كل
خطا يراه. وكافة المسلمين اجمعين
وكان الفراغ من نسخه اخر يوم الاحد العشرين من شهر جمادى الاخرة
سنة اربع وثلثين وسبعمائة الهجرية على صاحبها السلام
احسن الله تقضيها بخيراته [illegible] عليه والاخر [illegible]
وهو حسبي ونعم الوكيل

بلغ [illegible]

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

الحمد لله رب العالمين

وقف وحبس وسبّل وأبّد جميع هـذا الجزء المبارك وهو السادس من تاريخ كنز الدرر وجامع الغرر ... ... المقر الأشرف العالى ... ... يحيى الظاهرى آمر استاد الدار العالية وملك الأمراء وكاشف الجسـور السلطانية بالوجهين القبلى والبحرى ... ... الظاهرى أعزّ الله أنصاره وضاعف ... ... على طلبة العلم اللازمين للجامع المبارك إنشاء المقرّ المشار إليه الـكائن بباب الخوخة بالقرب من سكن المقرّ المشار إليـه . وجعل مقرّه بالجامع المذكور لا يخرج منه برهن ولا عاريةٍ ولا بوجه من الوجوه ولا بطريق من الطُّرُق . وقفاً صحيحاً شرعيًّا ، تقبل الله ذلك منه قبولاً جميلاً ، وأثابه ثواباً جزيلاً ، ﴿ فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه . إنّ الله سميع عليم ﴾ . وأشهد على نفسه الـكريمة بذلك فى العشرين من جمادى الآخرة سـنة ثمان وأربعين وثمانماية . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وتحت ذلك توقيع مَنْ شهد عليه .

وتحته تثبيت للوقف المذكور عند الحاكم الحنفى بمصر سنة ٨٥٧ هـ .

وواقف هذا الجزء ترجم له السخاوى فى الضوء (٢٣٣/١٠) وابن إياس (١١٤/٢) واسمه يحيى بن عبـد الرزاق الزينى القبطى الاستادار

المعروف بالأشقر . وقد ذكر السخاوى « أنه بنى مدرسة بجانب بيته الذى عمله بالقرب من المدرسة الفخرية بين السورين بالغ فى شأنها ووقف فيها كتباً هائلة » . وتوفى سنة ٨٧٤ هـ . وكان بناؤه المسجد سنة ٨٤٨ هـ .

وما تزال هـذه المدرسة (أو المسجد) قائمة . وقد وصفها حسن عبد الوهاب فى تاريخ المساجد الأثرية ص ٢٣٤ . ويكون إيقاف الكتاب كما تدل الوقفيّة فى سنة إتمام بناء المسجد .

وجاء فى آخر ورقة منه :

انتهى الكلام فى ذكر الشعراء المذكورين المختصين بهـذا الجزء وبتمامهم نجز ولله الحمد والمنة والطول ، وبه القوّة والحول ، بخط يد واضعه ومصنفه وجامعه ومألفه (كذا) أضعف خلق الله وأفقرهم إلى رحمته أبو (كذا) بكر بن عبد الله الدواداری المقدم ذكر نسبته فى أوّله ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن قرأه وتجاوز عن كل خطأ يراه ، ولكافة المسلمين أجمعين .

وكان الفراغ من نسخه آخر يوم الأحد العشرين من شهر جمادى الآخرى سنة أربع وثلاثين وسبع ماية الهجرية على صاحبها السلام . أحسن الله نقصها بخير إنه ولىّ ذلك وقادر عليه والأمور مبتدأها منه ومصيرها إليه وهو حسبى ونعم الوكيل . بلغ نظراً من المصنف
عفا الله عنه

يقع هذا الجزء فى ٣٢٩ صفحة .

فى الصفحة ٢١ سطراً .

كتب بخط نسخى ، تنقص من كلماته النقط أحياناً .

العنوانات (السنوات ، ما لخص من الحوادث ، الفصول) كتبت بخط أغلظ وبحبر أحمر .

أضاف المؤلف بخطه فى الحواشى إضافات كثيرة نقلها من بعض كتب التاريخ ، وهذه الحواشى واضحة فى القسم الأخير من الجزء ، إذ أضاف فيها ما أخذه عن ابن واصل .

رسم الكلمات جدير بأن ننوّه به . فقد ذكرنا أن فيه كثيراً من الخطأ . وقد جزمنا بأنه خطأ لأن هذا الرسم يخالف الرسم الذى نجده فى سائر مخطوطات القرن الثامن . لذلك لا فائدة من سرد أنموذجات منه تكون أساساً للدراسة ، لأنه ليس رسم العصر . وقد أشار الأستاذ رومر فى مقدمته إلى بعض مزايا الرسم عند المؤلف .

نهج التحقيق

المعروف فى قواعد تحقيق النصوص أن المخطوطة التى يُعثر عليها مكتوبة بخط المؤلف ينبغى أن تثبت كما وصلت إلينا دون تبديل فى نصّها أو تصحيح ، ذلك لأنها صورة عن ثقافة المؤلف وروحه . ويكون عمل المحقق أن ينبه إلى الخطأ ، أو يصحّح ما يحتاج إلى تصحيح فى الحواشى .

لذلك حاولنا أن نطبق النهج الصحيح الموضوع لمثل هذه الحالات . فاتبعنا ما يلى :

١ — أثبتنا النص كما ورد فى المخطوط بأخطائه اللغوية والنحوية ، على كثرتها . وأشرنا فى الحاشية إلى صحة كلّ لفظ ، أو اتبعنا اللفظ بكلمة (كذا) إذا كان الخطأ فيه واضحاً جداً أو غير مفهوم ، وبذلك يستطيع القارئ أن يقرأ المؤلِّف بتراكيبه وألفاظه ، كما كتبها .

٢ — أخطأ المؤلف فى رسم الكلمات فى بعض أحايين . ولما كان الرسم يتبدّل بتبدّل العصور ، وليس من فائدة من إثبات الرسم الخطأ لأنه مخالف لرسم أيامنا ، فقد صححنا الرسم ، على ما هو جارٍ اليوم . واكتفينا بالتنويه بذلك عند ما وصفنا المخطوطة ، حتى يكون لدى القارئ فكرة عن ثقافة المؤلف فى علم الخط والرسم .

٣ — تخفيف الهمز فى الكلمات أثبتناه كما ورد ، على أننا أحياناً

أثبتنا الهمز عندما لا يؤثر ذلك فى تبديل مفهوم اللفظ ، أو بعده عن العامية .

٤ — نقل المؤلّف نصوصاً كثيرة من كتب وصل بعضها إلينا وفُقد البعض الآخر . وقد عارضنا النصوص التى وصلت إلينا بما ذكره المؤلف . وقوّمنا هذه النصوص حسبما وردت فى مصادرها الأصلية ، إلاّ عندما يكون النقل جزئياً ، أو اختصاراً ، فعندئذ أحلنا على المصدر ونوّهنا أن نصّ المؤلف لا يوافق نصّ الأصل ، أو أن اختصاره مُخلٌّ ، وقد نضيف إلى نص المؤلف ألفاظًا من المصدر الذى نقل منه ، عندما يكون نص المؤلف مبهمًا ، وأحيانًا نثبت نص الأصل بلفظه فى الحاشية عندما يصعب تقديم نص المؤلف .

٥ — صححنا فى الحواشى أسماء الأعلام والأماكن التى أخطأ المؤلف فيها .

٦ — ورد فى الكتاب أشعار كثيرة ، وخاصة من مدائح الفاطميين . ولم نجد الكثير منها فى المصادر التى بين أيدينا ، وهذا من مزايا الكتاب . وقد عارضنا ما وجدناه منها بالدواوين أو كتب الأدب ، وأشرنا إلى اختلاف الروايات. ومن المؤسف أن المؤلف لم يذكر المصادر التى نقل منها هذه الأشعار . ولقد نقل فى آخر الكتاب كثيراً من المرقص والمطرب لابن سعيد لكنه لم يذكر اسمه . وقد رجعنا إلى

< مقدمة المؤلف >

بسم الله الرحمن الرحيم ربّ اختم بخير

الحمد لله الذى خصّنا بالإسلام ، وشرّفنا إذْ جعلنا من أمّةِ محمّدٍ البدرِ التّمام ، ومصباحِ الظلام ، ورسولِ الملكِ العلّام ، صلّى الله عليه كلّما خَطَبَ إمام ، ونَدَبَ حَمَام ، وعلى آله الكرام ، الأشراف الأحلام ، ما عَسْعَسَ ظلام ، وتنفّس صبحٌ بابتسام ، وعلى أصحابه الأعلام ، هُداةِ الإسلام ، ما هجس هاجسُ إنسانٍ بمنام ، وحَدَسَ حادسُ لسانٍ بكلام ، وسلّمْ وكرّم ، ومجّد وعظّم .

وبعدُ فإنّ الأعمالَ بالنيّات ، ولكلِّ امرئٍ ما نوى ، والنيّةُ أبلغُ من العمل إذا لم يُخامر النيّةَ هوى . وأوضحُ المسالك ، ونجاةُ الهالك ، فيما أتى به البشيرُ الصادق ، الذى بالحقّ عن الحقِّ ناطق ، فذلك أوضحُ السُّبُلِ إلى النجاه ، وأبينُ لذوى عَيْنَيْن من الصبح إذا فارق دُجاه .

اللهمّ هذا مذهبى واعتقادى ، وتنقيبى وانتقادى ، لعلى أكن[1] من المخصُوصين ، فى كتابه المبين ، بقوله :

﴿ الٓمٓ . ذلكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيه هُدًى للمتقين ، الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب ويُقِيمونَ الصّلاةَ ومما رَزَقْناهم يُنْفِقون ، والذين يُؤْمِنُون بما أُنْزِلَ إليكَ

(١) كذا ، والصواب « اكون »

وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وبالآخرةِ هم يُوْقِنُونْ ، أولئك على هُدًى مِنْ رَبِّهِم وأولئك هُمُ المفْلِحون ﴾[١] .

اللّهم إنّى أُشهدكَ أنّ هذه الآيات عقيدتى ، والخالصُ من سريرتى ونيّتى ، فأمِتْنى اللهمّ على هذه النيّة ، ولا تحُل بينى و بين هده الأمنية .

ثم إنّ هذا الجزء السّادس ، المشنّف المسامع بدُرَرِه النفايس ، الّذى إليه كلُّ قَلْبٍ يرتاح ، وكُلُّ سَمْعٍ إليه يأنَس (ص ٣) لمـا اشتمل عليه من جواهرِ الـكلام ، ونوادرِ تواريخ الأيّام ، مما دَثَر ونُسِىَ وَبَان ، وغَبَرَ عليه تصاريفُ الزمان ، فوفّقنى الله تعالى لأُحْيِى ذلك الداثرَ الدّارس ، ليشنّف بدرره آذان كلِّ قارئٍ ودارس ، حتى يعود كأنّه مشاهِدًا[٢] لتلك العصـور الخالية ، ومنادِمًا[٣] لتلك الرمم البالية ، وهذا الجزو فهو المختصّ بذكر العُبيديّين ، الخلفاء المصريّين ، وجميع ما قيل فيهم من الاختلاف ، ووقع عليهم من الائتلاف ، والعبدُ يُقَلِّد كلَّ إنسانٍ بدعواه ، ويذكرُ ما ذكره من غرضه وهواه ، إذ ليس لنـا بحمد الله تعالى هوًى نميلُ إليه ، ولا مذهباً فاسداً[٤] فنبنى قولنا عليه ، وإنّما نذكرُ كلّ طائفة وما تقلدوه من ذكرهم ، وما ذكروه من ذمّهم وشكرهم ، وإلى الله تعالى المصير ، وهو بكل شىء خبير ، وهو على كل شىء قدير . ونسأله اللّطف والتّدبير .

---

(١) سورة البقرة ، ٢ ، الآيات ١ — ٥
(٢) كذا ، والصواب « مشاهد »
(٣) كذا ، والصواب « منادِمٌ »
(٤) كذا ، والصواب « مذهب فاسد »

< ذكر أصل الخلفاء العبيديين >

قال صاحب « تاريخ القيروان » رحمه الله تعالى : إنّ المهدى هو : عُبَيْدُ الله ابن الحسن بن علىّ بن محمّد بن علىّ بن موسى بن إسماعيل بن جَعْفَر بن محمّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام .

وقال ابن زولاق صاحب « تاريخ مصر » رحمه الله تعالى : إنّ المهدىّ هو عُبَيْدُ الله بن محمد بن إسماعيل بن جَعْفَر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب عليه السّلام .

وقيل : هو عُبَيْدُ الله بن علىّ بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن ابن (ص ٤) محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام .

وقيل هو : عُبَيْدُ الله ابن التقىّ ابن الوفىّ ابن الرضىّ .

وهؤلآء الثلاث[1] يُقال لهم المستورون فى ذات الله . واسم الرضىّ عبد الله . وإنّما استتروا خوفاً على نفوسهم ، لأنهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء العباسيين . وعبدُ الله المذكور الملقّب بالرضىّ هو عبد الله بن محمد بن الحسين . والأصحُّ ابن إسماعيل بن جعفر المقدّم ذكره . واسمُ التقىّ الحسينُ . واسم الوفىّ أحمد . والرضىّ عبدُ الله . هـذا ما ذكره القاضى شمس الدين

---

(١) كذا ، والصواب « الثلاثة »

ابن خلّـكان فى « تاريخه » رحمه الله تعالى وجماعة علماء المسلمين مع كافة أمة محمد أجمعين .

هذا عند من يصحّحُ نَسَبَهم ويدّعى أنهم من الفاطميين ، وهم قليلٌ ما هم .

وأمّا الأكثرُ من العلماء والمحقّقين وأرباب التواريخ المعتنين بحفظِ أنسابِ العالم فإنّهم يُنكرون ذلك ويُبطِلون دعوى المهدىّ المذكور ، وأنّ نسبه هذا جميعه ليس بصحيح . ويُثبِتون أنّ اسمه سعيد ابن زوجة الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح . وسُمّى قدّاحاً لأنه كان يقدح العين من الماء ، وكان كحّالا .

وهذا القول عند الطبقة الوسطى فى تصحيح نسبه . ذكره أيضاً القاضى ابن خلّكان فى تاريخه .

وأما الأكثرُ أيضاً من العلماء الأشراف العلويّين من المصريّين والشاميّين فإنهم يقولون ، وهم المقلّدون بذلك : إن عُبَيْدَ الله هذا كان يهودياً من أهل سَلَمْيَة . وكان حدّاداً ، واسمه سعيد . فلما دخل المغرب تسمّى بعُبيد الله ، وزعم أنه عَلَوى فاطمى ، وادّعى نَسَبًا ليس بصحيح ، ثم تسمّى بالمهدىّ . وكان زنديقاً خبيثاً ، عدوًّا للإسلام ، يتظاهرُ بالتشيع ، حريصاً على إزالة الملّة الإسلاميّة . (ص ٥) ودليلُ ذلك قتله للفقهاء والعلماء والأئمةِ والمحدّثين والصالحين . قَتَلَ منهم عدّةً كبيرةً . وكان قصدُه إعدامَ الدين من الوجُود ،

لتبقى العالم كالبهائم ، فيتمكّن من إفساد عقولهم واعتقاداتهم ﴿ والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ﴾(١) .

ونشأت ذرّيّته بأجمعها على ذلك مبطنون(٢) به ، ويجهرون به إذا أمكنهم . ولم تزل الدعاةُ لهم منبثّون(٣) فى الأرض والبلاد ، يُضلّون مَنْ أمكنهم إضلاله . ومن دُعاتهم الذين يُعرفون بالقَرَامِطَة الخارجين عن دين الإسلام ، المارقين من الإيمان ، وسيأتى ذكرُهم بعد ذلك . ومن دُعاتهم مَنْ أضَلّ عدّة طوائف فى سائر الأرض شرقاً وغرباً ومنهم الدرزيّة والحشيشيّة وغيرهم .

قلتُ : وقد وُضِعَ فى ذكر هؤلاء القوم كتاباً(٤) صنّفه الشريفُ العابدُ أبو الحسين محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السّلام المعروف بأخى محسن ، رضى الله عنه . وكان سيّداً فاضلاً عالماً محقّقاً لأنساب أهلِ بَيْتِه ، رضوانُ الله عليهم ، وذكر فيه ما العبدُ ذاكرُهُ فى هذا الجزء بحكم التلخيص منه .

ثمّ تتلو بعد ذلك سياقة التاريخ من أول سنة تسع وخمسين وثلاث مئة ، كون أن الجزء الرابع منه انتهى آخره فى سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة ، عند خروج مصر عن مملكة العباسيّين . وبالله التوفيق(٥) .

☆ ☆ ☆

(١) سورة الصف ، ٦١ ، الآية ٨ (٢) كذا ، والصواب « مبطنين » .
(٣) كذا ، والصواب « منبثّين » (٤) كذا ، والصواب « كتاب » .
(٥) هذه الفقرة « ثم تتلو . . . » مضافة فى الهامش بخط المؤلف

قالِ السيّدُ الشريفُ المشارُ إليه رضى الله عنه : هذا كتابٌ وضعناه نبيّن فيه أمرَ إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم وأولاده ، لما كثُر القولُ فى ابنه محمد ، ونُسب إليه مَنْ ليس من أهله ، وجعلوه باباً للخديعةِ والمكرِ ، ليتمكّنوا به من المخدوعين وليس هو كذلك . فلما نظرنا فى هذا الأمر رأينا أنْ نضعَ كتاباً نبيّن فيه أمرَ إسماعيل ابن جعفر وابنهِ محمد الذى (ص ٦) إليه الدعوةُ دون أخيه علىّ بن إسماعيل ، ونذكرُ جميعَ أولادهم فى سائر الأقطار ، ونذكرُ كلّ رجلٍ منهم باسمه ونسبه مفردًا ، كى يتأمّل هذا الأمر مَنْ أرادَ معرفةَ ذلك . فإذا فعلنا ذلك وبيّناه أخرجنا من ولد إسماعيل بن جعفر مَنِ انتمى إليه وليس من ولده ، بالبرهان الذى يعرفه مَنْ نظر فى كتب الأنساب .

ونبدأ بذكر الأصُول منهم ثم الفُروع . والعالِمُ بالأنساب يعلمُ أنّ الفروعَ ترجعُ إلى الأصُول . والبيوت من ولد علىّ بن أبى طالب عليه السّلام معدودةٌ وكذا أنسابُهم معدودةٌ لا يخفى الأوّل منها على الآخر .

وقد وجدنا هؤلاء الذين تغلّبوا على المغرب ثم على مصر ، أعنى سعيد بن الحسين وأولاده ، وهو الذى تسمّى بالمغرب عُبَيْد الله وتلقّب بالمهدىّ ، لا يُعرف لهم ذكراً[1] لا فى الأصُول ولا فى الفرُوع ، غير ما يوهِمون به العامةَ والرّعاعَ من الناس أنهم من وَلَدِ على بن أبى طالب عليه السّلام . ولا يذكرون لهم نسباً إليه .

(١) كذا ، والصواب « ذكر »

وقد خفى أمرُهم على أكثرِ الناس ، ويجبُ على مَنْ كانت فيه عصبيّةٌ لآل رسُولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يتحقق أمرَ نسبهم لتكون عصبيّتُه فيهم لا فى غيرهم . فأمّا مَنْ مُوّه عليه بآل رسُولِ الله صلى الله عليه وسلّم ليعدل به عن الحقّ إلى الباطل ويُخدع بالأيمَانِ والعهودِ والمواثيق ، ويَدْخُلَ فى أمرٍ مكتومٍ قد غُطّى عليه ، وهو لا يعلمُ ، فإنه ترك الهُدى واتّبع الضلالة . وإنّا لا نجد عهودًا ولا مواثيقَ تكون فى شريعةٍ من الشرايع بكتمان سرّ ، لأنّ الله عزّ وجلّ لم يأمر بكتمان هُدًى أنزله على عباده ، وقد قال جلّ اسمه : ﴿ هٰذِهِ سَبِيلِى أدْعُو إلى الله على بَصِيرَةٍ أنا ومَنِ اتّبعَنى (ص ٧) ، وسبحانَ الله ، وما أنا مِنَ المُشْرِكين ﴾(١) . فما كان من بصيرة فإنّما يريد أن يهدى بها عباده بغير سرّ ولا كتمانٍ . وأهلُ العقولِ والبصائرِ يعلمون أنّ الكتمان فى أمور الدين والتنقّل من حالٍ إلى حال هو حدّ الإربة ، وهذا ممّا أسّسه عبد الله بن ميمون القدّاح لنفسه ولولده الذى صار إلى المغرب ، وانتهى إلى ولد علىّ بن أبى طالب عليه السّلام .

وسنذكرُ خبره وما كان منه إلى أن صَار إلى سَلَمْية ، ونذكر خبر ولده من بعدهٰ إلى أن صار بالمغرب فيما يأتى من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، بعد ذكر جميع ولد علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، ليكون ذلك حُجّةً و بيانًا وردًّا عليهم فيما يدّعونه من هذا النسب .

(١) سورة يوسف ، ١٢ ، الآية ١٠٨

والحجّةُ لنا على قائل يقول : إنّ سعيداً المتسمّى عُبيد الله ، الملقّب بالمهدى ، الذى استولى على المغرب سنة تسع وثمانين ومئتين من ولد علىّ بن أبى طالب عليه السّلام أن نقول له : إنّ هذه أسماء جميع ولد على بن أبى طالب مُسَطَّرَةٌ فى هذا الكتاب ، فانسبه لنا إلى مَنْ يقول إنه من ولده منهم إن كنتَ صادقًا . فإن نسبه عند مَنْ يعرف الأنسابَ حقق عليه أنّه دَعِىٌّ ، وإنْ أمسك عما يُسْأل عنه فالحجّةُ لنا عليه .

ثم إنّ هذا الرجل ابتدأ وذكر جميع ولد الإمام على بن أبى طالب عليه السّلام ، وأبان ذلك بيانًا جيّداً لا خَلَلَ فيه ولا زَيْغَ عن الحق ، وأطال فى ذلك ما لو شرحناه فى هذا الكتاب لكان جزءًا مستقلاً بذاته ، فأضربتُ عن جملته ، وذكرتُ من ذلك الأصول من ولد الإمام على عليه السّلام ليُفهم من الأصول عن الفرُوع .

قال : (ص ٨) الشريف أبو الحسين محمد بن على :

ولَدَ علىّ بن أبى طالب عليه السّلام :

الحسنُ والحسينُ . أمّهما فاطمةُ بنتُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

ومحمّدُ الأكبر ابن الحَنَفِيّة . أمّه خَوْلَةُ بنتُ قَيْس بن جعفر الحنفى .

والعبّاسُ الأكبرُ ، وعبدُ الله ، وعثمانُ الأكبر ، وجعفرُ الأكبر ، أمّهم أمُّ البنين بنتُ المحل بن الديان بن حزام الكلابى[1] ، فقتل جميع هؤلاء الأربعة مع الحُسَيْن عليه السّلام يوم الطّفّ .

(١) كذا فى الأصل ، ومثله فى اتعاظ الحنفا ص ٥ ؛ وفى نسب قريش « بنت حزام ابن خالد بن ربيعة الكلابى » ص ٤٣

وعُمرُ الأكبر ، أمّه الصّهْبَاء أمّ حبيب بنت ربيعة التغلبى .

وعبدُ الرحمن الذى يكْنى أبا بكر ؛ وعُبَيْدُ الله ، أمّهما ليلى بنتُ مسعُود ابن خالد التميمى .

ويحيى وعَوْن ، أمّهما أسماء بنت عُمَيْس الخثعميّة .

ومحمد الأصغر ، أمّه أمامة بنت أبى العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس ، وأمّها زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وجعفرُ الأصغر لأمّ ولد .

ومحمد الأوسط ، وعباس الأصغر ، لأمّ ولد .

وعمر الأصغر ، وعثمان الأصغر ، لأمّ ولد .

فهؤلاء الذكور من صُلْبه عليه السّلام . ومن هؤلاء مَنْ توفى فى حياته طفلاً صغيرًا ، ومنهم من قُتل ولا عقب لهُ .

وأمّا الإناث من ولده فقد أعرضنا عن ذكرهنّ فى هذا الكتاب لأنّا لا نحتاج إليهن فى ذكر نسبٍ هاهنا .

قلتُ : وقد ذكرهم(١) العبدُ بكمالهنّ مع جميع ولدِ الإمام علىّ عليه السّلام ، وجميع الأمّهات ، بروايات صحيحةٍ ، فى الجزء الثانى فى هذا التاريخ المختصّ بذكر سيّدِ المرسلين والخلفاء الراشدين ، عند ذكرنا للإمام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام . فمن أراد تصحيح النَّسب فليقف عليه هناك .

---

(١) كذا ، والصواب « ذكرهنّ »

قال الشريفُ رحمه الله : ولم يُعقِب من هؤلاء الذكور غير (ص ٩) خمسة نفر وهم :

الحسنُ ، والحُسَيْنُ ، ومحمدُ بن الحَنَفِيّة ، والعبّاسُ ، وعُمر .

وسائر ولد عليّ عليه السلام ليس له عقب .

ولد الحسن عليه السّلام

زَيْدٌ لأمّ ولد .

الحسنُ بن الحسن لأم ولد .

طلحةُ لأمّ ولد .

القاسمُ ، وأبو بكر ، وعبد الله لا بقيّة لهم ، قُتلوا مع الحُسَيْنِ بن عليّ عليهما السّلام بالطفّ .

وعمرُو بن الحسن ، وعبدُ الرّحمن بن الحسن ، والحسين ، ومحمّد ، ويعقوب ، واسماعيل ، بنو الحسن .

هؤلاء الذكور من ولد الحسن عليه السّلام .

ولم يُعْقب من ولد الحسن غير رجلين وهما : الحسن بن الحسن ، وزيد ابن الحسن . وسائر ولد الحسن لا عقب لهم .

ثم إنه ساق النسب من هذين السيّدين المذكورين إلى حين انقطاعهم مما يطول الشرح فى ذكرهم ، فأعرضنا عن ذلك ، إذ الشرط ألّا نذكر إلاّ الأصول منهم .

ولد الحسينُ عليه السّلام

عليًّا الأكبر ، قُتل مع أبيه يوم الطَّفّ ، ولا عَقِبَ له .

وعليًّا الأصغر وفيه بقيّة .

وجعفر[١] لا بقية لهُ .

وعبدَ الله ، قُتل صغيراً مع أبيه بالطفّ ، ولا عقب لهُ .

هؤلاء الذكور من ولد الحسين عليه السّلام ، وهم لأمّهاتٍ أولادٍ شتّى .

فجميعُ نسلِ الحسين من عليّ الأصغر .

ثم إنّه ساق النسب من هذا السيد إلى آخر وقتٍ ، أضْرَبْنا عنه .

ولد محمدُ بن الحَنَفِيّة عليه السّلام

عبدَ الله يكنى أبا هاشمٍ ، وحمزةَ ، وجعفر[١] الأكبر ، درجوا ولا عقب لهم ، وعلياً ، وهم لأمّ ولدٍ .

والحسنُ بن محمد ، لا بقيّة له .

والقاسمَ بن محمد ، وبه كان يُكنى .

وعبد الرحمن ، لا بقية له ، وهو لأمّ ولد .

وإبراهيم ، (ص ١٠) لأمّ ولد .

---

(١) كذا ، والصواب « جعفراً »

وجعفر[١] الأصغر ، وعون[٢] ابنى محمد ، أمّهما أمّ ولد .

فهؤلآء أولاد محمد بن الحنفيّة الأصول .

ثم ساق سائر مَنْ أعقب منهم ومن لم يعقب ممّا يطول شرح ، ذلك فأضربنا عن ذلك .

ولد العبّاسُ عليه السّلام

عُبيدَ الله ، أمُّه لُبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب .

فولد عبيدُ الله أبا جعفرٍ عبدَ الله ، وزينب[٣] ، أمهما ابنة عبد الله بن معبد ابن العباس بن عبد المطلب .

والحسنَ بن عُبَيْد الله وفيه العدد ، وأمّه أمّ ولد . وتوفى الحسن بن عبيد الله وهو ابن تسع وستين سنة ، ومن هذين السيدين العدد .

ثم ساق جميع نسبهم إلى آخر وقت أضربنا عنه .

---

(١) كذا ، والصواب « جعفراً »   (٢) كذا ، والصواب « عوناً »

(٣) كذا ، والصواب « زينباً »

ولد عمر عليه السلام

محمداً ومنه بقية . توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وإسماعيل لأم ولد ، لا بقيّة له .

فولد محمد بن عمر : عبدَ الله ، وعُبيدَ الله . وتوفى عُبيد الله بن عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة . وعُمَرَ بن محمد بن عمر توفى فى عشر الستين ، وهما لأمّ ولدٍ . ورُوى عنهما الحديث ، ومنهما العدد .

ثم ساق جميع النسب منهما إلى آخر وقتٍ .

قال الشريف أبو الحسين : قد انتهينا فى النسب إلى هـذا الموضع ، وهو إثباتٌ وتصديقٌ لما يأتى بعده ، وردٌّ على قائلٍ إنّ سعيد(١) المتسمّى بعبيد الله الملقّب بالمهدى من ولد على بن أبى طالب . فنقول له من أىِّ ولدِ علىٍّ هو ؟ أمن ولد الحسن ، أم من ولد الحسين ، أم من ولد محمد بن الحنفية ، أم من ولد العباس ، أم من ولد عُمر ؟

فهؤلاء الأصول من ولد علىّ بن أبى طالب عليه السلام . وقد ذكرنا كلاًّ من هؤلاء الأصول ، وأولادهم ، وأولاد أولادهم ، وذكرنا كلّ بيتٍ منهم ، ومَنْ أعقب ومَنْ لم يُعْقِب . وكلُّ بيت منهم مشهورين(٢) فى الأقطار من سائر الأرض الذى اتصلوا بها ، كما قد ذكرنا فى هذا الكتاب أنّ منهم باليمن

---

(١) كذا ، والصواب « سعيداً »   (٢) كذا : والصواب « مشهورون »

ولد الهادى الذين لهم الإمارة ، ومنهم بنو المطّوق ، ومنهم بنو الأدرع ، ومنهم بمصر بنو طباطبا إبراهيم ، ومنهم ولد الداعى بطبرستان ، ومنهم من له الإمارة بالديْلم من ولد الحسن بن زيد . ومنهم الداعى إلى الحقّ المتولّى على طبرستان ، وغيرهم مما تقدّم عند ذكر شرح أنساب الفروع من ولد الحسن بن على بن أبى طالب عليه السّلام .

وإن كان من ولد الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام فقد ذكرنا ولد الحسين وكلّ بيتٍ منهم فقلنا : إنّ العقب من ولد الحسين من علىّ الأصغر ، والذين أعقبوا من ولده محمد أبو جعفر ، وعبد الله ، وزيد ، وعمر ، والحسينُ الأصغر ، فذكرنا جميع من أعقب من هؤلاء .

وإن كان من ولد محمد بن الحنفيّة فقد ذكرنا جميع ولدِه ، وولدِ ولده ، ومَنْ أعقب منهم ومن لم يُعْقِب .

وإن كان من ولد العباس وعُمر ولدىْ علىّ بن أبى طالب فقد ذكرناهما وجميع ذراريهما ، ومَنْ أعقب منهما ومن لم يعقب .

فمن أىّ البيوت هذا المدّعى الكذّاب المتعلّق بالباطل ؟

فهؤلاء جميعُ ولدِ علىّ بن أبى طالب عليه السلام الذين ينتسب إليهم مَنْ كان من العلويين فى المشرق والمغرب والقبلة والشمال . فإن كان صادق النسبة فلم لا انْتَسَبَ إلى بيتٍ من هؤلاء البيوت المذكورين كما ينتسب

أهلُ النسب ؟ وعلى الجملة فإنه ليس بشىء من هـذا النسب بل دخيلٌ دعىّ ، وسيأتى ذكر نسبه وأصله إن شاء الله تعالى .

وأمّا الذين بالمغرب المشهورون من ولد على بن أبى طالب فولدُ إدريس الأصغر ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، لأنه كان هرب إليه فى أيام الرشيد ، وغلب على موضع منه . فدسّ عليه الرشيد متطبّباً فسقاه سُمًّا فقتله . وولدُه هناك[١] .

---

(١) قوله : « وأما الذين بالمغرب . . . » مضاف فى الهامش بخط المؤلف

ذكر العبيديون[1] ونسبهم

وبدوّ شأنهم ، من كتاب الشريف

قال الشريفُ أبو الحسين محمد بن علىّ المعروف بأخى محسن رحمه الله تعالى : نبتدئُ الآن بذكر خبر هؤلآء القوم الذين استولوا وتغلّبوا على المغرب ، أعنى عبيد الله بن الحسين وأولاده من بعده ، ونذكر مواضعهم ، وكيف كان أمرهم إلى آخر ما يقف بنا الكلام .

فأقولُ : إن هؤلآء القوم من ولد دَيْصَان الثنوى الذى تُنْسَبُ إليه الثنويّة . وهو مذهبٌ يعتقدون فيه خالقَيْن اثنين : أحدهما يخلق النُّور والآخر يخلق الظلمة . تعالى الله وحده لا شريك له ، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلّ شىء قدير .

فولد دَيْصَان الملعون ولداً يُقال له ميمون القدّاح ، وإليه تُنسب الميمونيّة . وكان له مذهبٌ فى الغلوّ .

ثم ولد لميمون ولداً[2] يُقال له عبد الله . وكان أخبث من أبيه وأمكر ، وأعلم بالحيل . فعمل أبواباً عظيمةً من المكر والخديعة على بُطلان الإسلام . وكان عارفاً بجميع الشرائع والملل والسنن ، وجميع علوم المذاهب كلّها ، فرتّب

---

(١) كذا ، والصواب « العبيديّين »   (٢) كذا ، والصواب « ولد »

ما جعله للإنسان من المكر والخديعةِ تسع[١] دعوات يدرّجهُ من واحدة إلى واحدة ، فإذا انتهى إلى الدعوة الأخيرة جعله مُعَرّى من جميع الأديان ، لا يعتقد غير تعطيلِ البارى جلّ ذكره ، وإباحة أمة محمد صلّى الله عليه وسلم وغيرهم من الأمم ، ولا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً . وما هويت نفسه لا يرجع عنه .

وكان هذا الملعون المسمّى بعبد الله بن ميمون يريد بهذا أن يجعل المخدوعين أمّةً له ، ويستمدّ من أموالهم بالمكر والخديعة فى الباطن ، وفى الظاهر ‹ ف › إنه يدعو إلى الإمام من آل رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويعنى أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السّلام . وكذب فى ذلك ، ليس لآل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى هذا الأمر كثير ولا قليل ، وإنّما هو شىء يخدعُ به الناس ليجمعهم عليه بهذه الحيلة . وقد كان عبد الله هذا طَلب أن يتنبّأ قبل هذه الشعوذة فلم تتمّ له الحيلة .

وقد ذكره أحمد بن الحسن المسمعى فى كتابه الذى ذكر فيه من تنبّأ من الكذّابين .

وأصل هؤلاء القوم ، أعنى عبد الله بن ميمون وآباءه ، من موضع بالأهواز يعرف بقورح العبّاس . وكان عبد الله هذا قد نزل عسكر مكْرَم ، فسكن بساباط أبى نوح ، فاكتسب بهذه الدعوة الخبيثة التى يأتى ذكرها فى هذا الكتاب مالاً . وكان يتستّر بالتشيّع والعلم ، فلما صار له دُعاة ، وظهر ما كان فيه

---

(١) فى اتعاظ الحنفا « سبع »

من التعطيل والإباحة والمكر والخديعة ، ثار الناسُ عليه . فأوّلُ مَنْ ثار عليه الشيعةُ ثم المعتزلةُ وسائرُ الناس ، وكبسوا دارَه ، فهرب إلى البصرة ، ومعهُ رجلٌ من أصحابه يُعرف بالحسين الأهوازى . فلما لم يجدوه هدموا دارين له بعسكر مكرم ، فاتخذوا أحدهما[1] مسجدًا ، والأخرى مهدومة إلى الآن .

فلما وصل عبد الله بن ميمون إلى البصرة نزل ببنى باهلة على موالٍ لآل العقيل بن أبى طالب وقال لهم : أنا من ولد عقيل ، وداعٍ إلى محمد بن إسماعيل ابن جعفر ، ولم يمكنه يقولُ ذلك بفارس لشهرته فى الناس ومعرفتهم به . وإنما كانت دعواه إلى عقيل بن أبى طالب سِرًّا عنـد من يخدعه . فلما قام انتشر خبره ، فطلبه العسكريّون فهرب . فأخذ طريق الشام ومعه حُسين الأهوازى . فلما توسّطا (ص ١٤) الشام عدلا إلى سَلَمْيَة ليخفىَ أمرهما . فأقام بها عبد الله وخفى أمره ، حتى ولد لهُ ابن فسمّاه أحمد مكراً منه ، ليُخفى ما هو عليه من فساد عقيدته .

فلما هلك عبد الله قام بأمر الدعوة الخبيثة ابنه أحمد . فبعث أحمد بالحسين الأهوازى داعيةً إلى العراق ، فلقى حمدانَ بن الأشعث قرمطاً بسواد الكوفة . وسيأتى خبره بعد ذكر بنى عبد الله .

ثم ولد لأحمد بن عبد الله الحسينُ ومحمدٌ المعروف بأبى الشلعلع .

---

(١) كذا ، والصواب « إحداهما »

ثم ولد لحسين ولدا[١] فسمّاه سعيداً . فاستقرّت الدعوةُ الخبيثة فيه . وكان أحمد فى حال حيـاته بعث داعِيَيْن إلى المغرب أخوين : أحدهما أبو عبد الله الشيعى ، والآخر أبو العبـاس ، فنزلا فى قبيلتين من قبائل البربر فأخذا على أهلها .

وكان قد اشتهر أمرهم بسَلَمْيَـة جداً وأيسروا ، وصارت لهم أملاك كثيرة وأموالٌ جمّة . وبلغ السلطان أمرهم ، فبعث يحثّ فى طلبهم ، لمـا يفعلونه من المـكر والحيـلة وبثّ الدُّعاةِ وفسادِ الدين الإسلامى . فلما وقع الطلبُ على سعيدٍ هذا بسَلَمْيَـة هرب إلى مصر يريدُ المغرب . وكان على مصر يومئذ عيسى النوشرى . وكان سعيداً[٢] هذا خدّاعاً ، فدخل إليه ونادمه . فبلغ خبره الخليفة فبعث إلى عيسى بأن يستقصى عليه ويطلبه حيث كان . فقُرِئ كتاب السلطان فى مجلس عيسى وفيـه ابن المدبّر ، وكان مؤاخياً لسعيد ويريد أن يدخل فى دعوته . فعرف سعيد بالخبر فى وقته ، فهرب . وأمر عيسى بالقبض على سعيد فلم يُوجد ، وهرب إلى الإسكندرية . فبعث عيسى إلى والى الإسكندرية بأن يقبض على سـعيد . وكان واليها يومئذ رجلاً دَيْـلَمِيًّا يُقال له علىّ بن وهسودان (ص ١٥) وكان سعيد كما ذكرنا خدّاعاً . فلمـا قبض عليه تقرب إليه أنه من آل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فرَقّ له وأخذ منه بعض ما كان معه وأطلقه .

---

(١) كذا ، والصواب « ولد »   (٢) كذا ، والصواب « سعيد »

فسار حتى نزل سِجِلْمَاسَة من المغرب الأوسط . وكان فى رسم التّجار ، فتقرّبَ إلى واليها وهو يومئذ اليَسَعُ آخر ملوك بنى مدرار ، فأقام عنده مدّة .

وبلغ الخليفةُ المعتضد خبره ، فبعث يحثّ فى طلبه . فلما قرأ كتابَه صاحب سِجِلْماسة لم يقبض عليه . فورد عليه كتابٌ آخرُ يحثّه على القبض عليه . فقبضه وأودعه الاعتقال فى قلعة بسِجِلْمَاسَة . وقد كان خبره قد وصل إلى أبى عبد الله الشيعى الداعى الذى قدمنا ذكره ، وقلنا إنه بعثه أحمد هو وأخوه أبو العباس إلى المغرب دُعاةً .

وقيل إنّ الذى بعثهما هو محمد بن أحمد المعروف بأبى الشلعلع .

فسار أبى(١) عبد الله بمن معه من البربر فقتل والى سِجِلْماسة واستخلص سعيداً ، وصار صاحب الأمر .

هذا ما ذكره الشريف أبو الحسين .

وأمّا ما ذكره صاحب « الدول » فإنه قال : لما وصل أبو عبد الله الشيعى بجيوشه وقارب سِجِلْماسة قيل لليَسَعِ صاحبها : إنّ هذا الرجل الذى فى اعتقالك هو الذى يدعُو له أبا(٢) عبد الله . فعمد صاحب سِجِلْماسة أن قتل سعيداً وتركه طريحاً فى السجن ، وهرب من البلد مع جميع أهله . فدخل أبو عبد الله السجن فوجده مقتولاً وعنده رجلٌ من أصحابه كان

(١) كذا ، والصواب « أبو »   (٢) كذا ، والصواب « أبو »

اعتُقل معــه . فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه ما دبّره من الأمر إن عَرَفَتِ البربرُ والعساكر بقتل صاحب الدعوة . فتعاون مع الرجل ودفنه ، ودمره ودثر مكانه ، وعاهد ذلك الرجلَ على أن يكون هو صاحب الدعوة . فاتّفق ذلك . (ص ١٦) ثم أخرجه وقال : هذا هو المهدىّ صاحب الدعوة . واستقرّ له الأمرُ ، ولم يلبث إلاّ يسيراً حتى قَتَلَ أبا عبد الله الشيعىّ الداعى ، وتملك سعيدٌ البربر كما يأتى خبره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

ثم غلب على بنى الأغلب ولاةِ المغرب ، وتلقّب بالمهدىّ وصار إماماً علوياً من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر كما يأتى تتمة خبره بعد ذكر الأغالبة .

ذكر الدولة الأغلبية وابتدائها

كان الإمامُ المنصور عبد الله بن محمد بن عبد الله بن على بن عباس رضى الله عنه قد وجّه محمد بن الأشعث الخزاعى فى ثمانية ألفاً[1] إلى إفريقية من أهل خُراسان والعراق . وكان قد خرج بها أبو الخطّاب الصُفّرى فقتله ، وهو الذى بنى سور القَيْرَوان فى سنة ستٍّ وأربعين ومئة . ثم عزله عن إفريقية وولّى عليها الأغلبَ بن سالم بن عقال بن خفاجة بن سوادة فى سنة ثمان وأربعين ومئة . وهو جدُّ بنى الأغلب ، وإليه يُنْسَبون . ثم عزله المنصور عن إفريقيــة وولّى عليها هزامرد . وكان أشــجع أهل عصره . وهو من ولد قبيصة بن أبى صُفْرَة أخى المهلّب . وكان له مع البربر ثلاث مئة وخمس وسبعون وقعــة . ثم عزله وولّى يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب ، ثم ولّى ابنه داود بن يزيد ، ثم عمه روح بن حاتم ، تولاّها أيام الرشيد بالله فى سنة إحدى وسبعين ومئة ، ثم وليها نصر بن حبيب سنة أربع وسبعين ومئة ، ثم هَرْثَمَة بن أعْيَن سنة تسع وسبعين ومئة ، ثم مُقاتل بن محمد العَــكّى فى سنة إحدى وثمانين ومئة ، ثم ملــكها من بعده بنو الأغلب فأوّلهم :

---

(١) كذا ، والصواب « آلاف »

— ١ —

إبراهيم بن الأغلب

(ص ١٧) كان ابتداء ولايته إفريقية على أيام الرشيد بالله فى جُمادى الآخرة سنة أربع وثمانين ومئة . وكان إبراهيم فقيهاً عالماً ديّناً شاعراً خطيباً ذا رأيٍ وبأسٍ وحَزْمٍ وحلمٍ وعلمٍ بالحروب والمكايد ، حسن السيرة . ولم يكن أحد قبله يساويه فى حسن السّيرة والسياسة والعدل . وكان كثير الاختلاف إلى الليث بن سعد . وهو أوّل من غزا صِقِلية .

ومن عجيب أخباره فى جوده أنه أشرف من قصره يوماً على امرأةٍ قد طبخت فَرْخَىْ حَمام . فاستدعى خادماً له وعرّفه منزل المرأة وقال له : ائتنى بالقدر على حالها . فامتثل الخادم وأحضر القدر . فأمر فغُسِلت القدرُ وملأها دنانير وأعادها لتلك الامرأة .

ومن جوده أنه أعطى تاجرًا جَاب إليه خشبةَ عودٍ هندىّ ألفَ دينار ومئة وصيف ووصيفة روم ، وكساهم ، وأمر <ب> مركب يُوصلهم إلى الإسكندريّة .

وكان قاضيه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم بن شُرَحْبيل بن ثوبان الرعينى أورعَ أهل زمانه وأفقه أهل مصره ، ممن صحب مالك بن أنس رضى الله عنه ، وله معه أخبار مطبوعة تدلّ على حلم إبراهيم ودينه وخيره .

فمنها أنه كان إذا جلس للخصوم رُمى إليه شقافٌ فيها أسماء القصص ، فوقعت له شقفةٌ فيها قصةُ نخاسين البغال(١) . فدعاهم وسألهم . قالوا : إن أبا موسى هارون مولى إبراهيم الأمير هذا اشترى منهم بغالاً بخمس مئة دينار ، ولم يدفع لهم شيئاً . فضمّ ديوانه وقام معهم إلى إبراهيم . وكان قد أباحه الدخول عليه متى شاء . فقال له إبراهيم : ما قصّة القـاضى ؟ فذكر له قصّة المتظلّمين . فأمر إبراهيم بإحضار هارون ، فأُحْضِر وسأله فأقرّ (ص ١٨) وقال : إنمـا أخّرْتُه حتى أدفعه من خراج ضيعتى . فقال القاضى ابن غانم : إنمـا ظننتُ أنه يُنكر ، فاستحْلِفهُ . فأمّا إذ أقرّ فلا يبرح حتى يدفع إليهم مالهم . فلم يزل حتى دفع ذلك .

وروى أنّه دخل على إبراهيم يوماً وفى يد إبراهيم قارورة فيها دهن يسير . فقال لابن غانم : كم تقول إنّ هذا الدهن يساوى ؟

فذكر شيئا يسيرا .

فقال الأميرُ إبراهيم : إن ثمنه كذا وكذا ، وذكر مبلغاً كثيراً .

فقال ابن غانم : وما هو ؟

قال : إنه سمٌّ قاتل سريع .

فقال القاضى : أرِنيه .

فناوله إياهُ فضرب به العمود فـكسّرها .

---

(١) كذا ، والصواب « نخاسيى البغال »

فقال إبراهيم : ما هذا الذى صنعت يا قاضى .

فقال : لا أترك معك ما تقتل به الناس .

وكان إبراهيم يُصلّى الفرائض كلّها فى الجامع مع الجماعة . فخرج ليلةً من الليالى لصلاةِ عشاء الآخرة ، وكان مشغول القلب ، فعثر على حصيرِ الجامع فسقط . فلما صلّى بالناس وانصرف بعث فى طلب ابن غانم . فمضى إليه ، فقال : إنى لم أبعث وراءك إلاّ لخيرٍ . وأخبره بسقوطه على الحصير بالجامع وقال : إنما بعثتُ فى طلبك لِتَسْتَنْهِكَنى لئلاّ يُقال إنّى سقطتُ لسُكرٍ . فاسْتَنْهَكَهُ . ثم قال : جزاك الله عن دينك خيرا .

ولما مات ابن غانم ولى القضاء أبو محرز محمد بن عبد الله بن قيس ابن يسار الكنانى مُكْرَهاً . وقد عَدّه ابن شعبان الفرضى من أصحاب مالك ابن أنس . وكان قد أبى ، فأمر إبراهيم عامر بن معمّر بحمله إلى مجلس الحكم ، فمسك بيده وأجلسه ، وتمادى فى الولاية حتى مات إبراهيم ابن الأغلب .

توفى إبراهيم رحمه الله يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة سبع وتسعين ومئة . فكانت مملكته ثلاث عشرة سنة وشهرين وأيام[1] . والله أعلم .

---

(١) كذا والصواب « أياماً »

— ٢ —

(ص ١٩) أبو العبّاس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب

ولى الأمر من بعد والده . وكان صبيحاً جميلاً سيّئ السيرة ظلوماً . فأقام فى الولاية إلى العشر الأوّلِ من ذى الحجَّة سنة إحدى ومِئتين . فأحدث على الناس ضرائب منكرة ، وزاد عليهم فى الخراج ، حتى جعل على كلّ زوجٍ من البقر ثمانية دنانير . فاجتمع عند ذلك جماعة من الزهّاد والصالحين مع حفص بن عمر الجزرى الزاهد ، ودخلوا عليه وسألوه رفع هــذه المظلمة عن المسلمين . وقال له حفص : يا صبيح الوجه ! لا تشِنْ صباحتك بفعلٍ قبيح . فلم يرجع عن فعله . فقال حفص لأصحـابه : أخطأنا إذْ قصدنا مخلوقاً فى مثل هــذا الأمر ، فاقصدوا بنـا الخالق . فدعوا الله عزّ وجلّ أن يكفى المسلمين شرّه ، فمـا لبث أبو العباس غير خمسة أيام ، وخرجتْ له قرحةٌ عظيمة تحت أذنه مات منها فى العشر الأوســط من ذى الحجة سنة إحدى ومِئتين . فـكانت مدةُ مملـكته أربعة أعوام .

— ٣ —

زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب

ولى الأمر بعد وفاةِ أخيه . وأقام مستمرَّ الولاية حتى ثار عليــه منصور الطنبذى لخمسٍ بقين من صفر سنة تسع ومِئتين . وثار معه جميع الجند ببلاد إفريقية إلاّ طائفة يسيرة بقيت مع زيادة الله . وغلب منصور على مدينة القيروان وحصّنَها ، وعلى سائر بلاد أفريقية . وحصر زيادة الله فى القصر القديم ، ونزل بعسكره بين شرقىّ مدينــة القيروان وقبلتها ، وخندق عليه وحاصره . ثم انهزم منصُور فى شهر رمضان سنة إحدى عشرة ومِئَتين هزيمةً (ص ٢٠) فاضحة ، وخرج زيادة الله وهدم سورَ مدينة القيروان . ثم بعث أبا فِهْر بن عمرون فى جيشٍ إلى مدينة تُونس . وكان أهلها وافقوا منصوراً ، فاستباحها وقتل أكثر مَنْ بهـا ، وقتل فى جملة أهلها أبا الوليد عَبّاس بن الوليد الفارسىّ الزاهد .

وإنه لمـا رجع أخبر زيادة الله بخبر الفتوح ، وذكر قتله ابن الفارسى . فاستعظم ذلك زيادة الله وأكبره ، وقال : أما علمتَ أنّ قاتل ابن الفارسىّ لا يلبث حَوْلاً ؟ فلم يَدُر الحوْلُ حتى قُتل أبو فِهْر . ودامت فتنةُ منصُور حتى انقطعت لعشرٍ ليالٍ بقين من رمضان سنة ثمـان عشرة ومِئتين . ودخل الناس بأجمعهم فى طاعةِ زيادةِ الله .

وهو الذى فتح جزيرة صِقِلية .

وكان سببُ فتحها أنّ أبا العبـاس بن إبراهيم الأمير الذى كان قبل زيادة الله متوليّاً كان قد صالح أهلها . وكان من شروط الصلح أنّ مَنْ دخل من المسلمين إليهم وأراد الخروج من عندهم لا يمنعونه . ثم نُمى إليه أنّ عندهم أسرىٰ من المسلمين قد منعوهم الخروج . فاستفتى الفقهاء فى ذلك ، ثم غزاها بجيشٍ عِدّتُه عشرة آلاف رجل عليهم أَسدُ بن الفرات القاضى مع إبقائه على القضاء . فخرج فى شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة ومِئتين إلى سوسة ، ثم عاد منهـا إلى صقلية فى جمعٍ عظيمٍ . فلما حصل بها زحَفَ إليه ملـكها واسمه ملاطة فى عسكرٍ عظيم ذكر أنّ عدته مئة ألف وخمسون ألفاً . ولمـا صافّهم المسلمون انقطعت عنهم الموادّ ، ووقع فى عسكرهم الغلاء حتى أكلوا لحوم الخيل . فأتاه ابن قادم ومعه رهطٌ من المسلمين فقال له : الرأى أن ترجع بالمسلمين إلى إفريقية ، فسلامةُ رجلٍ من المسلمين خيرٌ من الروم بأسرهم . فقال (ص ٢١) : ما كنتُ لأكسر على المسلمين غزوةً مثل هذه . فأبى عليه ابنُ قادم حتى هَمّ أسدٌ بإحراق المراكب . فبدرتْ من ابن قادم كلمةٌ على وجه الغلط فقال : على أقلّ من هذا قُتِلَ عثمان بن عفّان . فتناوله أسدٌ بالسوط فقنعه أربعةً ، ثم أمر الناس بالزحف ، وأخذ اللواء بيده وهو يرمز بقراءة ﴿ يس ﴾ . فلما فرغ منها قال للناس : أيّها الناس ! لا تهابوهم ، إنهم عبيدُكم هربوا

من أيديكم ثم وقعوا لكم . يعنى أنهم الروم الذين هربوا من إفريقية لمّا ملكها المسلمون . ثم زحف .

وقاتلوا[1] المسلمون قتالاً شديداً ، ثم هزم الله الروم وقتل ملكهم مع أكثرهم . وملكوا[2] المسلمون صقلية وسكنوها . وجُرِحَ أسدُ بن الفرات رضى الله عنه فمات من جراحتِه ، وهو محاصر لسَرَقُوسَة فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومِئَتين ، ودُفن فى ذلك الموضع .

وقيل إن الروم يعظّمون قبره ور بمـا يستسقون به فيُسْقَوْن .

ومن عجيب أخباره أنّه لما مات أبو محرز قاضيه جمع الفقهاء ليولّى منهم قاضيا ، وجعل كلّما أعرض القضاء على أخذهم أباه . فأمرهم بلزوم الجامع حتى يرضوا قاضياً . فأقاموا فيه وبعث بعض ثقاته وقال له : انظر مَنْ يقدّموه[3] للصلاة . فقدّموا أحمد بن أبى محرز القاضى . فولاّه القضاء وجبره عليه. فلما رأى الجد من الجبر وأن لا بُدّ له ، أشرط عليه أن ينفذ حكمه فيه فمن دونه فقبل ذلك .

فاتفق أنه تخاصم رجلٌ من أهل القيروان مع رجلٍ من أصحاب على بن حميد الوزير فى دارٍ ، فحكم فيها القاضى على صاحب الوزير ، وختم على الدار ، فمضى الرجل إلى الوزير فأخبره بمـا (ص ٢٢) كان منه ، فأمر بفكّ الختم .

---

(١) كذا ، والصواب « قاتل المسلمون » (٢) كذا ، والصواب « ملك »

(٣) كذا ، والصواب « يقدّمونه »

فمضى الرجل المختوم له إلى القاضى وأشعره ذلك . فغضب وضمّ ديوانه وأخذ كتاب تقليده ومضى إلى قصر الأمير زيادة الله فى نصف النهار . فوافق مرور الحاجب فسأله الإذن . فأخبره أنه لا يقدر على الاستئذان فى مثل هذه الساعة . فمضى القاضى إلى باب القصر الذى للحرم فقرع الحلقة . فخرجت والدة الأمير مِن مقصورتها فَزِعَةً . فقيل لها : القاضى واقفٌ بالباب يريد الإذْنَ على الأمير . فخرجت حتى أَتَتْ على الأمير وهو فى بعض المقاصيرِ مختــلٍ مع جارية من جواريه . فحرّكَتْ باب المقصورة . فقال الأميرُ : مَنْ ؟ فقالت : الوالدة . فخرج إليها فَزِعًا . فقالت له : القاضى بباب الحرم . فارتاع لذلك ، وأذن له . وقصّ عليه قصّتَه ورمى سجله . وقال : اِعْفِنِى يعفو[1] الله عنك ويُجْزِلْ ثوابك . فكان جواب الأمير له برفق : لا تغضب أيها القاضى . واجلس حتى أُرِيكَ ما أصنع .

قال : فخرج القاضى إلى قاعة الجلوس وتأخّر الأميرُ حتى اغتسل ثم خرج ، وركب بنفسه ، والقاضى يحاذيه وهو لا يدرى أين يتوجّه ، حتى دخل من باب الربيع ، ووقف على المسجد الذى يعرف بمسجد المفرعة . ثم قال للقاضى : أين الدار التى أمرت بختمها ؟ فقال : هذه هى . فقال : اختمها أيها القاضى . فختمها ، وختمها الأميرُ أيضاً . وبلغ الوزير خبره فخرج من داره راجلاً حتى أتاه . فانتهره الأمير ووبّخه ، وقال له فى بعض كلامه : والله لولا واجبُ صحبتك ما جعلت ختمه إلاّ على رأس الذى حَلّه . فتبرأ الوزيرُ من ذلك الرجل

---

(١) كذا ، والصواب « يعفُ »

وحلف وودّ لو مات قبل هذه الواقعة . وكثُر الدعاء للأمير والثناء عليه .

(ص ٢٣) وكان زيادة الله يقول : ما أبالى إن شاء الله بأهوال يوم القيامة وقد قدمت أربعة أشـياء : بنائى المسجد الجامع بالقيروان . وقد أنفقتُ فيه ستة وثمانين ألف دينار . وبنائى القنطرة بباب الربيع . وبنائى حصن الرباط بسُوسَةَ ، وتوليتى أحمد بن أبى محرز القضاء .

ولى زيادة الله فى العشر الأوّل من ذى الحجة سـنة إحدى ومِئتَيْن ، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاث وعشرين ومِئتين ، وذلك فى أيّام عبد الله المأمون أمير المؤمنين ، فـكانت مملـكته إحدى وعشرين سنة وسبعة شهور وأربعة أيام .

وزيره : على بن حميد .

قُضاتُه : أبو محرز قاضى أبيه . وكان أشرك معه فى القضاء أبا عبد الله أسد ابن الفرات مولى بنى شيبان . وتولّى القضاء مع أبى محرز سـنة ثلاث وثمانين ومئة . وتوفى كما ذكرنا وهو محاصر سرقسطة[1] من جراحةٍ ، وانفرد أبو محرز فى القضاء حتى مات . وتولّى ولده أحمد بن أبى محرز فى شهر رمضان سنة عشرين .

---

(١) كذا ، والصواب « سرقوسة » وهى بصقلية . أما سرقسطة فهى فى الأندلس (انظر معجم البلدان)

— ٤ —

أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب

عقدت له الولاية فى اليوم الذى توفى فيه أخوه ، وأقام إلى أن توفى فى يوم الخميس لتسعٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة ستٍّ وعشرين ومِئَتَيْن . فـكانت مدةُ مملـكته ستين وتسعة أشهر وسبعة أيام فى أيام المعتصم .

— ٥ —

أبو العباس بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب

اسمه محمد : عُقدت له الولاية عند وفاة والده ، وأقام إلى أن توفى فى يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرّم سنة اثنين[١] وأربعين ومِئَتين ، فى أيام المتوكل على الله فـكانت مدة مملـكته خمس عشرة سـنة وثمانية أشهر (ص ٢٤) وأحد عشر يوما .

وكان قاضيه الفقيه الأمام أبو[٢] محمد سحنون رضى الله عنه .

ومن أخباره : دخل عليه القاضى سحنون أول يوم من شهر رمضان فألفاه خالياً . فقال له : أراك أيها الأمير خالياً : فقال : نعم . انفردنا فى هذا الشهر

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين » (٢) كذا والصواب « أبا »

الشريف ، وخلونا فيه ، وتركنا ما كان لغير الله عزّ وجلّ . فقال له سحنون : فأين أنت أيها الأمير عن إسحاق المكشوى يؤانسك ويخبرك بأخبار الأمم السّالفة والقرون الماضية . وكان رجلا متفقّها كثير الحفظ للسِّيَر . فسأله إحضاره .

قال إسحاق : فأقمتُ أجالسه مدة الشهر ، فلما أهلّ الهلال بشوّال خرج الحاجبُ فقال : انصرف . آجرك الله . فانصرفتُ ثم قلتُ : ما أحدا[1] أعجزُ منى . حضرتُ مجلس الأمير ثلاثين يوماً فلم أذكر الذى علىّ ولا الفقر الذى أنا فيه .

قال : فلما بلغت القباب إذا برسول يركض خلفى . فقال : أجِبِ الأمير . فرجعتُ . فقال : يا ابن المكشوى . أجبنى عما أسألك عليه . قال : فقلتُ ما هو أصلحك الله ؟

فقال : عقلُ الرجُل أين مسكنه ؟

فقلتُ : أمّا من عاقلٍ مثلك فبين عينيه . وأما من معتوه عاجز مثلى فخلف قفاه .

فقال لى : لِمَ ذاك ؟

فقلتُ : أصلح الله الأمير ! جالستك ثلاثين يوماً فلم أذكر ديناً علىّ ولا أعلمتُك به .

فقال : ويحك ! وكم عليك من الدين ؟

---

(١) كذا ، والصواب « ما أحد »

قلتُ : مئة وخمسون دينار[1] .

قال : هى لك .

قلتُ : أصلحك الله هذا البرذون الذى يحمل رجلى ليس يقوم إلاّ بالعلف .

قال : وكم يقوم به فى السنة ؟

قلتُ : خمسون قفيزاً من الشعير . فأمر لى بها .

قلتُ : أصلحك الله ، والقمحُ الذى به قوام الأبدان ليس فى البيت منه شىء .

قال : فكم قوتك فى السنة ؟ قلتُ خمسون قفيزاً قمحاً . فأمر لى بها .

فقلتُ : أصلح الله الأمير (ص ٢٥) الزيتُ الذى يتأدّم به و يستصبح .

فقال : وكم يقوم بك فى السنة ؟

قلتُ : ثلاث مئة مناً . فأمر بذلك .

قلتُ : الحطبُ أصلح الله الأمير يكفينى عشرة أحمال . فأمر بذلك .

فقلتُ : أعان الله الأمير على البرّ والتقوى . فيكون ذلك فى كل عام .

فقال : يا عاجز ! فهل نأمرُ لَكَ بشىء ثم نقطعه عنك ؟ أبىٰ الله .

---

(١) كذا ، والصواب « ديناراً »

— ٦ —

أحمد بن محمد بن الأغلب

يكنى : أبو[1] إبراهيم

ولما توفى أبو العباس ولى ولده هذا . وكان حسن السيرة ، كريم الأخلاق والأفعال ، من أجود الملوك وأسمحهم وأرفقهم برعيةٍ[2] على صغر سنه ، إلى أن توفى يوم الثلاثاء لستٍّ خلون من جُمادى الأولى سنة تسع وأربعين ومِئَتين .

فكانت مدّة مملكته سبعة أعوامٍ وعشرة أشهرٍ وأحد عشر يوما .

— ٧ —

زيادة الله الثانى ابن محمد الأغلب

ابن إبراهيم

كان عاقلاً حليماً ، حسنَ السيرة ، جميلَ الأفعال ، ذا نَجْدةٍ وفضلٍ ، وليس فى بنى الأغلب مثله . وأقام والياً إلى العشرين من ذى القعدة سنة خمسين ، ولا أعلم هل قُتِلَ أم مات أم خُلع .

فكانت مدة مملكته ثمانية أشهر وأربعة عشر يوما .

---

(١) كذا ؛ والصواب « ابا » .   (٢) كذا ، والصواب « بالرعية » ، أو برعيته »

— ٨ —

محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم

المعروف بأبى الغرانيق

ولى أبو عبد الله ، وهذه كنيته ، الأمرَ بعد عمّه يوم السبت العشرين من ذى القعدة . وكان مُسْرِفاً فى الجود مع حسن السيرة ورفقٍ[1] ، وهو الذى افتتح جزيرة مالطة فى سنة خمس وخمسين ومِئَتَيْن . وأقام والياً إلى أن توفى يوم الثلاثاء لستٍّ خَلَوْن من جُمادى الأولى ، سنة إحدى وستين ومِئَتَيْن .

فكانت مدة مملكته عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما .

— ٩ —

أخوه إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب

(ص٢٦) كنيته : أبو إسحاق

ولى يوم الأربعاء لسبع خلون من جُمادى الأولى ، وهو الذى ابتنى مدينة رَقّادة فى سنة ثلاث وستين ومِئَتين ، وذرعها أربعة عشر ألف ذراع وست مئة ذراع .

---

(١) كذا ، والصواب « والرفق »

وتزعم أهلُ الطبايع أنّ زَقّادة يعرضُ لمن كان بها الضحكُ من غير عجب ، والسرور من غير سبب . وهو الذى قتل بناته وأصحابه وكفاته بعد ظهوره على العبّاس بن أحمد بن طولون . وقد كان ثار عليه أهلُ القيروان وخرجت عن يده مدّةً ، ولم يبق فى يده عند خروج أكثر البلاد عنه غير القصر القديم ، ثم ظفر بهم .

وعلى أيّامه وصل أبو عبد الله الشيعى إلى بلاد كُتَامَة ، وسافر إبراهيم إلى صِقلّيَة غازياً ، وترك على أفريقية ولده أبا العبّاس . وكان سفرُه فى سنة تسعٍ وثمانين ومِئَتَيْن . وخرج من صقلية وحَاصر كُسَنْتَه ، فمات وهو محاصراً[1] لها فى سنة تسعٍ وثمانين ومِئَتَيْن .

فكانت مدة مملكته قريباً من ثمانية وعشرين سنة .

أولاده :

أبو العباس ، أبو الأغلب .

— ١٠ —

أبو العباس < عبد الله > بن إبراهيم بن أحمد
ابن محمد بن الأغلب

كان والده قد استخلفه على أفريقيَة وخرج إلى صِقِلّية ، وعزم على أن

---

(١) كذا ، والصواب « محاصر »

يجعلها دارَ سكنه ليقرب عليه الغزوُ منها . فلما مات على كَسُنْتَه وُلِّى على الجيش الذى كان معــه ولدُه أبو الأغلب . وكان عفيفاً وَرِعاً ديّناً عالماً . فاستدعى زيادةُ الله أبا مُضر بن أبى العبَّاس ، وهو ابن أخيه . وكان جدُّه إبراهيم قد نقم عليه أمراً فحبسه . فأطلقه عمّــه وسلَّمه الخاتم والجيش ، وقال له : والدُك هو الأميرُ ، وأنت أحقُّ منى بتقديم الجيش . فرجع زيادة الله بالجيش عن البلد (ص ٢٧) إلى صقلية ، وحاول النفاق على أبيه فلم يمكنه ذلك مع الأجناد . فسار إلى أفريقية . وكان أبو العباس قد سيَّر ابنه بالجيوش إلى الشيعى أبى عبد الله داعى للهدى العُبَيْدى المقدّم ذكره . فوصل زيادةُ الله أفريقيــة . فقبض عليه أبوه وقيَّده لأنّ الخبر نُمى إليه بطلبه للنفاق . فلما مسكه عملَ على قتل والده ، ووافقه على ذلك بعض الخدم ، فقتلوه فى ليلةٍ صبيحتُها يوم الأربعاء ليومٍ بقى من شعبان سنة تسعين ومِئتين بمدينة تونس .

فــكانت مدة مملــكته من يوم خرج أبوه عن أفريقية إلى حين قُتِلَ سنةً واحدة واثنين وخمسين يوماً .

وقام بأمر المملــكة :

— ١١ —

أبو نصر زيادة الله بن أبى العباس
بن إبراهيم بن أحمد

ولما قُتل أبو العباس بادر الخدمُ الذين قتلوه فأخبروا ولده زيادة الله . فتخوّف لئلا يكون مكيدةً من أبيه عليه . فأحضروا الرأس إليه وفكّوا قيده . فأظهر الغضبَ وعدمَ الرضا . وقتل الخدم الذين باشروا قتله ، وقبض على عمومته ورؤساء أهل بيته ، واستدعى أخاه من قتال الشيعىّ فبادر بقتله . وأقام يقاتل الشيعىّ مدّةً ، والشيعىُّ ينتقص أطرافه ويكسر جيوشه ، إلى أن بعث إبراهيم ابن الأغلب ، وهو أحد بنى عمّه فى سنة خمس وتسعين ومِئتين ، فى جيشٍ لا يجتمعُ لأحدٍ من بنى الأغلب ، أظهر فيه قوّته ، وجعله عذره فى الحرب ، وأمره أن لا يتجاوز مدينة الأربُس لئلا يكن[1] حائلا بين أطراف بلاد القيروان وبين الشيعىّ . ثم سار الشيعىّ ، والتقوا يوم السبت لستٍّ بقين من جُمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومِئتَيْن . فاستعلى عسكر زيادة الله (ص ٢٨) على الشيعىّ ، ثم نفذ قدر الله الكائن المقضىّ فانهزم إبراهيمُ بن الأغلب وجميعُ جيوشه . فبلغ الخبر زيادة الله يوم الأحد وقت الظهر . فشدّ أمواله وفاخرَ متاعِه

---

(١) كذا ، والصواب « يكون »

وخزائنه ، وأخذ من حرمه الخواصّ منهم ، وكذلك غلمانه ، وخرج ليلاً من رقّادة هارباً .

ويحكى أنه ترك بعض حظاياه وعزم على أن لا يستصحبها معه . فلمّا خرج راكباً وأمواله بين يديه وحظاياه وغلمانه غنّتْ تلك الجارية :

لم أنْسَ يومَ الرحيلِ موقفَها وجفنُها فى دموعها غرِقُ[(١)]
وقولُها والركابُ سائرة تتركُنى سيدى وتنطلقُ

قال : فرَقّ لها وبكى وانتحب ، وقطع أحمال بَغْلٍ وأركبها واستصحبها .

ورُوى أنّه استصحب ممّا اختاره من خدمه الصقالبة لسفره ألف صقابىّ ، تحت كلٍّ واحدٍ فرسٌ ، فى وسط كلّ واحدٍ منهم منطقةُ ذهب خارجاً عن ألف بغل من الأموال والأمتعة الفاخرة . وسار بما معه ، وأسلم بلاده إلى أن قَرُبَ من الإسكندرية ، ووالى مصر يومئذ عيسى النوشرى من قبل الإمام المكتفى بالله .

وقد كان زيادة الله قد مال عن إبراهيم بن أبى الأغلب ومال عن أبى الصعب بن زرارة ، وعزم على قتلهما . فهربا إلى النوشرى والى مصر وأخبراه أنّ زيادة الله عازمٌ على أن يدخل مصر مستأمِناً ، ثم يتغلّبُ عليها . فتخوّف النوشريُّ ذلك[(٢)] . وكوتب زيادة الله بأن لا يدخل مصر إلاّ بإذن

---

(١) ص « عرق »　　(٢) كذا ، والصواب « من ذلك »

الخليفة . فبعث صاحبه المعروف بابن القديم إلى النوشرى : إنّما أنا عابر سبيل قاصدا[١] لباب الخليفة . وسار فى إثره . فبينا ابن القديم عنده إذْ وافى الخبر أنّ زيادة الله قطع الجسر آخر الليل . وكان قد قام فى وجهه الحرس (ص ٢٩) . فحمل عليهم فكشفهم عن الجسر ودخل الجيزة بجميع عسكره ، ثم أتى الفسطاط ، وأُنزل فى دار ابن الجصّاص . وكوتب الإمامُ المكتفى بالله فى أمره . وأطاق له النوشرىُّ المصير إلى الحضرة . فسار بعد إقامةِ ثمانية أيام . فتخلّف عنه عامة مَنْ كان معه . فلما وصل إلى الرَّمْلَةِ كوتب النوشرىُّ فى إلحاقهم به . فلحقوه ووصل إلى الرقّة . ولم يُؤْذَن له فى دخول بَغْدَاد . وورد الأمر من الإمام المكتفى بالله بأن يَرجع إلى مصر ليلحق به الأجناد المندوبون للمسير معه عَوَنةً لاستنقاذ بلاده من الشيعىّ . فاعتلّ بالرقّة[٢] علّةً كانت سبب منيّته . فنُقل فى تابوتٍ إلى البيت المقدّس فدُفِنَ هناك .

فكانت مدة مملكته إلى أن خرج من القيروان خمس سنين وتسعة أشهرٍ وخمسة عشر يوماً .

وكان إبراهيم بن أبى الأغلب لما انهزم من الشيعىّ بالأربُس قد وصل إلى رقّادة ، فوجد زيادةَ الله قد خرج منها . فعزم على المقام بها . وجمع آل الأغلب وبايعهم لنفسه ، وندب الناس إلى بيعته . فثارت عليه الناسُ وقالوا له : أنت لم تَقْوَ بهذا الرجل وبيوتُ الأموال وراءك والجيوشُ تمدّك ، تريدُ تقاويه بنا

---

(١) كذا ، والصواب « قاصد »

(٢) ص « بالرملة » وقد صححها المؤلف بخطه فى الهامش « بالرقة » . صح

وبأموالنا ؟ اخرجْ عنّا ، ولا تقصدْ ضَرَرَنا . نخرج ولحق زيادة الله . وهذا السبب فى تغيّره عليه .

وقيل : إنّه كان سمع قديماً أنّ بنى الأغلب أوّلهم إبراهيم وآخرهم إبراهيم . فلما بويع إبراهيم هذا صدق الناس .

ذكر ابن الجزّار أنّ مملكة بنى الأغلب كانت مئتى سنة واثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوما .

وعِدّة ملوكهم اثنى[1] عشر نفر[2] بإبراهيم هذا . وانقطعت دولتهم ، واستولى المهدىُّ عبيد الله حسبما يأتى ذلك من بعد ذكر الدعاة الذين منهم القرامطة . وبالله التوفيق .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنا » (٢) كذا ، والصواب « نفراً »

ذكر القرامطة دعاة العبيديين

وبدوّ شأنهم ومبتدأهم

قال الشريفُ أبو الحسين فى كتابه الذى بيّن فيه أصولَ هؤلآء القوم على ما نقلتُه من أمرهم : وقد تقدّمَ القولُ أنّ الحسين الأهوازى كان قد بُعث داعياً إلى سواد الكوفة . فلما صار فى سواد الكوفة قصد طريق قرية تُعرف بقس بهرام ، فلقى فى الطريق رجلاً يُقال له حَمْدان بن الأشعث ، ويُعرف بقرمط ، لأنه كان رجلا قصيراً ورجلاه قصيرتين ، وخطوه متقارباً ، فلُقِّب بقرمطٍ . ومعه ثورٌ ينقل عليه ، فقال له الحسين الأهوازى : كيف الطريق إلى قسّ بهرام ؟ فقال قرمط : هى قريتى ، وأنا قاصداً[1] . إليها فترافقا . ثمّ سأله الأهوازىّ عن قريةٍ تُعرف بباشورا[2] فى السواد . فذكر أنها قريبة من قريته التى هى مسقط رأسه . وكان حمدان قرمط أصلُه من قرية تعرف بالدور على نهر هدّ من رستاق مهرونقيا[3] من طسوج فرات بادقلى[4] . فتماشيا ساعةً . فقال له حمدان : إنى أراكَ جئتَ من سفرٍ بعيد وأنت معى ، فاركبْ ثورى هذا . فقال الحسين : إنى لم أؤمر بذلك . فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمرٍ قد

---

(١) كذا ، والصواب « قاصد »

(٢) كذا ، وفى اتعاظ الحنفا « بباتنورا » ولم أهتد إلى ضبطها

(٣) كذا .　　　(٤) كذا .

أمرٌ لك . قال : نعم . قال : مَن يأمرك وينهاك ؟ قال : مالكى ومالكك ومَنْ له الدنيا والآخرة . قال : فبُهِتَ حمدان قرمط يفكر ، وأقبل ينظر إليه . ثم قال له : يا هذا ؟ ما يملك الدنيا والآخرة إلاّ الله . قال : صَدَقْتَ . والله يَهَبُ ملكه مَنْ يَشاء .

قال حمدان قرمط : فما تريد فى القرية التى سألتنى < عنها > ؟ قال : دُفِعَ إلىّ جرابٌ فيه علمُ سِرٍّ من أسرار الله ، وأُمرت أن أشفى أهْلَ هذه القرية وأغنى أهْلَها وأستنقذهم وأُملِّكهم (ص ٣١) ممالك الدنيا من أيدى أصحابهم .

وابتدأ بدعوته ومكره لمّا رأى إصغاء قرمط إليه .

فقال له قرمط : يا هذا ، نشدتك الله هلاّ دفعتَ إلىّ من هذا العلم العظيم شيئاً ، وأنقذْنى ينقذك الله .

قال له : لا يجوز ذلك حتى تغتسل وتتطهّر وآخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله على النبيّين والمرسلين . ثم ألقى إليك ما ينفعك .

قال : فأتيا إلى نهرٍ فاغتسل فيه قرمط ، ولم يزل يضرع له حتى أخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟ قال : قرمط . فقال : قد أفلح وجهك .

فقال له قرمط : أنا أسألك بحقِّ مَنْ بعثك وأمَرَكَ ونهاك إلاّ ما صرت معى إلى منزلى حتى تجلس فيه ، فإنّ لى إخواناً أصيرُ بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى .

فصار معه إلى منزله . فأخذ على الناس العهدَ هناك . وأقام فى منزلِ حمدان قرمط فأعجبه أمره ، وعظّمه وكرّمه ، وكان على غاية ما يكون من الخشوع ،

صائماً نهاره قائماً ليله . فكان المغبوط من أخذه إلى منزله ليلةً . وكان ربّما خاط لهم الثياب ويتكسّب بذلك ؛ وكانوا يتبرّكون بخياطته .

وأدرك الثمر ، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عُمر بن شهاب العدوىّ إلى حراسة ثمره . وكان هذا الرجل من وجوه أهل الكوفة ومن أهل العلم والفضل والتوحيد . فوُصِفَ له هذا الرجل . فنصبه لحفظ ثمره والقيام على حضيرته . فأحسن حفظها واحتاط فى حفظ الأمانة ، وظهر منه من التشدّد فى ذلك ما خرج به عن أحوال الناسِ فى تساهلهم فى كثيرٍ من الأمور . وذلك فى سنة أربع وستين ومِئتيْن . فاستحكمتْ ثقةُ الناس به وثقتُه بحمدان قرمط وسكونه إليه . فأظهر له أمره وكشف له الغطاء . وكلُّ ما كان (ص ٣٢) يفعله هذا الخبيثُ من الثقة والأمانة وإظهار الخشوع والنسك إنما كان حيلةً ومكراً وخديعةً وغشاً ، وليس هو من أهل ذلك كله . فلمّا حضرته الوفاةُ جعل مقامه حمدان قرمطاً . فأخذ على كثيرٍ من أهل السواد وكان ذكيًّا خبيثاً .

وكان ممن أجابه مِهْرَوَيْه بن زكرَوَيْه السلمانى ، وجاندى الرازى ، وعكرمة البابلى ، وإسحاق السورانى ، وعطيف النبلى وغيرهم . وبثّ جميع دُعاته فى السواد يأخذون على الناس .

وكان أكبر دُعاته عبدان . وقيل إنّه كان متزوجاً أخت قرمط أو قرمط متزوّجًا أخته . وكان عبدان رجلاً ذكيًّا خفيفاً فَطِناً خَدّاعاً ، خارجاً عن طبقة نُظرائه من أهل السواد ، ذا فَهمٍ وعَقْلٍ وخُبْث . فكان يعمل عند نفسه على

حَدٍّ نُصب له ، ولا يرى أنه يُجاوز به إلى غيره من خَلْعِ الإسلام ، ولا يظهرُ غيرَ التشيّع والعلمَ ، وأنه يدعو إلى الإمامِ من آل رسُول الله صلى الله عليه وسلّمَ محمد بن إسماعيل بن جعفر . وكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه الآتى ذكره وذكر ابنه فى هذا الكتاب . وكان زكرويه هذا شاباً فيه ذكاء وفطنة . وكان من قرية بسواد الكوفة يُقال لها الميسانية . تلاصق قرية تُعرف بالصوان . وهاتان القريتان على نهر هدّ . فنصبه عبدان على إقليمه داعيةً ، وأقام من قبله دُعاةً متفرقين فى الأعمال ، وكان داعية عبدان على فرات بادقلى وإقليم نهر الميمى وإقليم نهر الرمان رجلاً يقال له الحسنُ بن أيمَن من أهل قرية من سواد الكوفة يقال لها معرزيا من إقليم فرات بادقلى . وكان داعية(1) على طسوج تستر المعروف بالثورانى ، وإليه تنسب الثورانية . وكان داعية(1) (ص ٣٣) على الحمه(2) والبداء(2) المعروف بوليد . وكان داعية(1) بسورا وبريسما المعروف بأبى الفوارس ، هؤلاء كلهم رؤساء دُعاة عبدان ، ولهم دُعاةٌ تحت أيديهم . وكان كلٌّ داعٍ منهم يدورُ فى عمله ويتعاهدُه فى كلِّ شهرٍ مرّة . وكلُّ ذلك بسوادِ الكوفة . ودخل فى دعوته من العرب من بنى ضبيعة بن عجل ، وهم من ربيعة ، رجلان أحدهما يُعرف برباح والآخر يَعْلَى بن يعقوب ، فأنفذهما دعاته إلى العرب فى أعمال الكوفة . ودخل فى دعوته من العرب أيضاً من رفاعة بن بنى يشكر ، ثم من بكر بن وائل رجل يعرف بسيد ، وآخر يعرف بهارون .

---

(1) كذا ، والصواب « داعيته » . (2) كذا .

فجعلهما دعاته بجبيلا وما والاها فى العرب خاصةً إلى حدود واسط . فمال إليه هذان البطنان ودخلا فى دعوته . فلم يكد يتخلّف عن ذلك رفاعىٌّ ولا ضبعى ، ولم يبق فى البطون المتّصلة بالكوفة بطن إلاّ دخل فى الدعوة منه ناسٌ كثير . وكذلك من بنى عايش وذُهل وغيره و بنى عنز[(١)] وبنى تيم الله و بنى ثعل وغيرهم ، وكانوا أكثر مَنْ فى سواد الكوفة وما يقاربهم ، وفيهم نفرٌ من بنى شيبان .

وقوى قرمط واشتد طمعه ، فشرع فى أخذ أموالهم . فابتدأ ففرض عليهم وامتحنهم أنّ على كلّ إنسان منهم درهم[(٢)] . وسمى ذلك الفطرة ، من كل رأسٍ من الرجال والنساء والصبيان . فسارعوا إلى ذلك . فتركهم مدّةً ثم فرض عليهم الهجرة ، وهى على كلّ رأسٍ أدرك الجنب دينار ، وتلا قوله تعالى : ﴿ خُذْ من أموالِهِمْ صَدَقَةً تُطهّرهم وتزكّيهم بها وصلِّ عليهم إنّ صلوتك سكنٌ لهم والله سميع عليم ﴾[(٣)] .

وقال : هذا تأويل هذا . فدفعوا إليه ذلك (ص ٣٤) وسارعوا إليه ، وتعاونوا عليه ، فمن كان فقيراً أسعفوه . فتركهم مُديدةً ثم فرض عليهم البُلْغَة وهى سبعة دنانير . وزعم أن ذلك هو البُرهان الذى أراد بقوله عزّ وجلّ ﴿ قلْ هاتوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صادِقين ﴾[(٤)] .

---

(١) كذا ، وفى اتعاظ الحنفا «عنزة»

(٢) كذا ، والصواب «درهماً» .

(٣) السورة ٩ ، التوبة ، الآية : ١٠٣

(٤) السورة ٢٧ ، النمل ، الآية : ٦٤

وزعم أن ذلك بلاغُ من يريد الإيمان والدخول فى السابقين السابقين[1] ﴿ أولئك المقربون ﴾[1] .

ثم إنه صنع طعاماً حلواً لذيذاً وجعله على قدر البنادق ، يطعم كلّ مَنْ أدّى إليه سبعة دنانير منها واحدة ، وزعم أنّه طعام أهل الجنة ينزل إلى الإمام . واتخذ ذلك وإنه ينفذ إلى الداعى منها مئة بلغة ، ويطالبه بسبع مئة دينار ، لكلّ واحدة منها سبعة دنانير . وقد كان عُمل مثل هذا الطعام المبندق بدمشق فى أيام ابن الأشمث الداعى ، وأكله كثير من المتصلة .

قال أبو عبد الله بن إسماعيل القادسىّ : إنه أكله فكان أطيب طعامٍ يُعرف ، وأنّه لا يعرف مما كان يُتّخذ . وكان أبو عبد الله هذا من أهل القادسية يخبر أمورهم وما هم عليه .

فلما توطأ له الأمرُ الذى قدمه جميعه فرض عليهم أخماس جميع ما يملكون وما يتكسّبون ، وتلا عليهم قوله تعالى : ﴿ واعلموا أنّما غنمتم من شىء فأنّ لله خمسه ﴾[2] الآية . فبادروا فقوّموا جميع ما يملكونه وأدّوا ذلك إليه . فكانت المرأة تُخرج خمس ما تغزله ، والرجل يخرج خمس ما يكسبه .

فلما تمّ له ذلك واستقرّ فرض عليهم الألفة . وهو أن يجمعوا أموالهم فى موضع واحدٍ وأن يكونوا فيه أسوةً واحدة لا يفضل أحدٌ منهم صاحبه وأخاه فى

---

(١) السورة ٥٦ ، الواقعة ، الآية : ١٠ « والسابقون السابقون ، أولئك المقربون »

(٢) السورة ٨ ، الأنفال ، الآية ٤١ .

ملكٍ يملكه . وتلا عليهم قوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . الآية[١] ﴾ وتلا عليهم (ص ٣٥) ﴿ لو أنفقْتَ ما فى الأرْضِ جميعاً ما ألّفْتَ بين قلوبهم ولكنّ الله ألّفَ بينهم ، إنّه عزيزٌ حكيم[٢] ﴾ .

وعرّفهم أنْ لا حاجة لهم بأموالٍ تكونُ معهم ، لأنّ الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم . وقال لهم : هذه محنتكم التى امتحنتم بها ليُعلم كيف تعملون . ثم أمرهم بشرى السلاح وإعداده .

وذلك كلّه فى سنة ستٍّ وسبعين ومِئتيْن .

وأقام الدعاةُ فى كلِّ قرية رجلاً مختاراً من ثقاتهم . فجمع عنده أموال أهل قريته من بقرٍ وغنمٍ وحليٍ ومتاعٍ وغيره . وكان يكسو عاريهم ويُنفق عليهم مايكفيهم ، فلا يُبْقى فقيراً بينهم ولا محتاجاً ضعيفا . وأخذ كل رجل منهم بالانكماش فى صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضل فى رتبته . فجمعت إليه المرأةُ كسبها من مغزلها ، والصبيُّ أجرة نظارته وحراسته . فلم يملك أحد منهم إلا سيفه وسلاحه . فلما استقام له ذلك كلّه وصَبَوْا إليه وعملوا به أمَرَ الدعاة أن يجمعوا النساء فى ليلة معروفةٍ ويَخْتَلِطْن بالرجال ويترا كَبْنَ ولا يتفارقْن ،

---

(١) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة الأنفال ، ٨ ، الآية : ٦٣ .

فإنّ ذلك من صحّةِ الودِّ وعظمِ الألفة بينهم . عمل بذلك الثورانى والوليد وصاحب اليمن . فأمّا[1] بَذَلَ الرجلُ لأخيه امرأته متى أحبّ .

قال الشريفُ : ولقد بلغنى وأنا مقيم بدردا أنّ على الفُرات الكبير جماعة كبيرة تعمل بذلك إلى آخر وقت .

فلما تمكن من عقولهم ووثق بطاعتهم أخذ فى تدريجهم إلى الضلالة ، وأتاهم بحججٍ من مذهب الثنويّة ، فسلكوا معهُ فى ذلك ، حتى خلعهم من الشريعة ونقض عليهم ما كان أمَرَهم به فى مبتدإ أمورهم من الخشوع والورَع والتقى ، وظهر منهم بعد تديّن كثيرٍ إباحةُ الأموال والفروج (ص ٣٦) والغناء عن الصوم والصلاةِ والفرائض ، وأنّ ذلك كلّه موضوع عنهم ، وأنّ أموال المخالفين ودماءهم حلالٌ لهم ، وأنّ معرفة صاحب الحقّ تُغنى عن كلّ شىء ، ولا يُخاف معه إثمٌ ولا عدوَان ، يعنى معرفة إمامه الذى يدعو إليه .

وكان مبتدأ هذه الدعوة الخبيثة لمحمد بن إسماعيل بن جعفر بزعمهم ، ولم يكن له والله فى ذلك منها شىء قلّ ولا جلّ . وإنما أقاموه اسماً يدعون إليه مَنِ استضعفوه من أهل العقول النحيفة . وقالوا : إنّه الإمام المهدى الذى يظهر آخر الزمان ويقيم الحقّ ، وأنّ البَيْعة له ، وأنّ الداعى إنما يأخذُها على الناس له ، وأنّ جميع ما يُجمع من الأموال مُدَّخَرٌ له إلى أن يظهر . ولم تزل هذه الدعوة

---

(١) كأن هنا كلاماً ساقطاً .

إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر مرتبة على ما كانت رُتبت إلى أن هرب سعيد المتسمّى بعبيد الله الملقّب بالمهدى إلى المغرب من سَلَمْيَة ، حسبما سقناه أوّلا . فصار هو الإمام ، وصار من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر . فجعلوا الدعوة إليه . وكانت الدعوة لمحمد بن إسماعيل ، وأنه حى لم يمت ، وأنه يظهر فى آخر الزمان وأنه مهدىُّ الأمة . ولم يكن غَرَضُ هذا المحتال أن يرفع إلى محمد بن إسماعيل الدعوة ، إلاّ ليتمكن من عقولٍ قد أضلّها الله ، وتتم له خديعته من سنىّ كان أو شيعى .

ولما استقت(١) أمُور ذلك اللعين وظهر منه ومنهم الفجور ، وبَسَطَ أيديهم بسفك الدماء ، وقتل جماعة ممن أظهر الخلاف عليهم من مجاوريهم ، خافوهم ودخلوا فى بيعتهم كرهاً أو طوعاً .

ثم إنّ الدعاة اجتمعوا واتّفقوا على أنْ يجعلوا لهم موضعاً يكون وطناً لهم ودارَ هجرة يُهاجرون إليها ويجتمعون بها . فاختاروا من سواد الكوفة فى طَسّوج الفرات من ضياع السلطان(٢) (ص ٣٧) المعروفة بالقاسميات قرية تعرف بمهتاباد(٢) . فجازوا إليها صخرًا عظيماً وبنوا حولها سورًا منيعاً ، عرضه ثمان أذرع . وجعلوا من وراء ذلك خندقاً عظيماً حصيناً . وفرغ من ذلك فى أسرع وقتٍ . وبنوا فيه البنيان العظيم ، وانتقل إليه النساء والرجالُ والأولاد ، وسُميت دار الهجرة .

---

(١) كذا ، ولعلها « اتسقت » .   (٢) كذا ، ولم نجدها فى المصادر الجغرافية .

وذلك فى سنة تسع وتسعين ومِئتين .

فلم يبق بعد هذا أحد إلاّ خافهم ، ولا بقى أحد يخافونه لقوّتهم وتمكّنهم فى البلاد .

وكان الذى أَسْعَدَهم فى ذلك الوقت تشاغل السلطان عنهم بفتن الخوارج من صاحب الزنج المقدّم ذكره فى الجزء الذى قبله المختصّ بذكر الخلفاء من بنى العباس الذى هذا الجزء تلوه .

وهو صاحب الزنج المدّعى أيضاً أنه من ولد زيد بن على بن الحسين . وكان أمره قد زاد وهو يومئذ بالبصرة ، حتى عاد يُعرف بعلوىّ البصرة وقَصّر يد السلطان ، وخرب العراق . وترك الخليفةُ الركوب ، وركب[1] الأعراب من كل وجه ، مع قلّة رغبة من يلى البلادَ من العُمّال فى تدبير الأمور والنظر بعين الصلاّح . فتمكن هؤلاء الدُّعاة ومَنْ تبعهم بهذا السبب .

فمكثوا على ذلك سنين . وقد كان رجلٌ منهم يُعرف بمهرويه من دُعاتهم . وكان فى مبدأه ناطوراً ينطر النخل . وكان يأخذ أجرته تمراً ، فينزع منه النوى ويصّدّق به . ويأخذ النوى يبيعه ويتقوّت به . فعظم فى أعين الناس قدره ، وصارت له مزية فى الثقة والدين ، يريد بذلك تجمّع الناس عليه ليظهر بهم ويخدعهم بالدعوة الخبيثة .

---

(١) كذا ، والصحيح « وركوب »

ثم إنّ مهرويه هذا سمع بعلوىّ البصرة أنه قد ظهر على السلطان ، فسار إليه ليخدعه . فلما وصل إليه قال له : ورائى مئة ألفِ ضاربِ سيفٍ (ص٣٨) أعينك بهم . أراد بذلك أن يطمّعه ليتمكّن منه . فلم يلتفت إليه المسمّى بعلوىّ البصرة ، ولا سمع قوله ، ولم يجد فيه مطمعاً . لأن ذلك أيضاً بيدعو[1] إلى نفسه ، وهو أخبثُ منه ، ويدّعى أنه من ولد زيد بن على بن الحسين . ولم يكن كذلك حسبما تقدم من ذكره ونسبه . فرجع من عنده خائباً .

ثم إنّ أمره عَظُم بعد ذلك فى السواد ، وانقاد له خلق كثير . فقال : أنا من ولد عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر . فقيل له : إنّ محمد بن إسماعيل لم يكن له ولد اسمه عبد الله . فكفّ عن ذلك . وعاد يدعو للسيّد . وبقى فى قبة على جملٍ . وقد ذكره الطبرى رحمه الله فى تاريخه .

ثم كان ابنه زكرويه حسبما يأتى من ذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا ، وهى عامية « يدعو » .

ذكر أخبار أبى سعيد الجنّابى الداعى

كان رجلاً من أهل قرية جَنّابا[1] يعمل الفراء يُقال له أبو سعيد الحسن ابن بهرام . أصلُه من الفرس . فسافر إلى سوادِ الكوفة ، فتزوّج بقرية يقال لها القربى من سوادِ الكوفة إلى قومٍ يُقال لهم بنو القصّار . وكانوا أصولاً فى هذه الدعوة الخبيثة .

وأكثرُ الحكايات عن أبى سعيد هذا أنه أخذ الدعوة عن عبدان نفسه .

قال الشريف : قال أبو عبد الله محمد الكوفى لى إن أبا سعيد الجنّابى أخذ الدعوة عن قرمط نفسه .

ثم إنه نزل القطيف ، وهو حينئذٍ مدينة عظيمة ، فجلس هناك يبيع الدقيق ، ولزم الوفاء والصدق . وكان أوّل مَنْ أجابه إلى دعوته الحسين بن سنتر[2] وعلى بن سنتر[2] وحمدان بن سنتر[2] ، وقومٌ ضعفاء ما بين قَصّابٍ وجمّال وأمثال هؤلاء . ثم قويت يده ، واستجاب له الناس ، ووجد بناحيته داعياً يُقال له أبو زكريا الضمامى كان عبدان الداعى أنفذه (ص ٣٩) قبل أبى سعيد إلى القطيف وما والاه . فلما تبيّن أمره أبو سعيد الجنّابى عَظُم عليه أن يكون فى البلد داعٍ غيره . فقبض عليه وحَبَسَه فى بيتٍ حتى مات هزلاً . وقد ذكر أنّ هذا الداعى كان أخذ على بنى سنتر قبل أبى سعيد . فعاد

(١) كذا . وضبطها ياقوت « جنّابة » (انظر معجم البلدان) .

(٢) وردت فى اتعاظ الحنفا « سنبر » ص ٢١٤ .

فى أنفسهم حقدٌ على أبى سعيد لقتل أبى زكريا الضمامى . واتفق لأبى
سعيد أنّ البلد الذى قصده بلدٌ واسعٌ كثيرُ الناس . ولهم عوائد بالحروب ،
٣ وهم رجالٌ شدادٌ جهّالٌ غُفْلُ القلوب ، بعيدون من شريعة الإسلام ومعرفة
نبوّةٍ أو حلالٍ أو حرامٍ . فظفر بدعوته فى تلك الديار ، ولم يناوئه مناوئٌ .
فتمّ أمرُه ، وقاتل بمن أطاعه مَنْ عصاه ، حتى اشتدّتْ شوكتُه جداً .
٦ وكان لا يظفرُ بقرية إلاّ قتل أهلها ونهبها . فهابه الناسُ ، وأجابه كثيرٌ
منهم طلباً للسِّلْم ، ورحل من البلد خلقٌ كثيرٌ إلى نواحى مختلفة ،
ولم تمتنع عليه إلاّ هَجَر ، وهى مدينةُ البحرين ، ومحلُّ سلطانها . فقاتل
٩ أهلَها ونازلها شهوراً . فلما طال عليه أمرها ابتنى بالأحساء داراً ، وبينها و بين
هَجَر ميلان ، واتخذها منزلاً . وأجابه كثيرٌ من العرب كبنى الأضبط
ابن كلاب ، لأنّ عشيرتهم كانوا أصابوا فيهم دمًا ، فساروا إليه بحريمهم
١٢ وأموالهم فنزلوا الأحساء ، وأطمعوه فى بنى كلاب وسائر مَنْ بقربهم من
الأعراب ، وطلبوا منه أن يضمّ إليهم رجالاً من قبله . ففعل ذلك ،
ولقوا بهم عشيرتهم ، فاقتتلوا ، فهزمتهم القرامطةُ وأخذوا الحريم والأموال
١٥ وعادوا إلى الأحساء . فاضطَّر المغلوبين إلى أن دخلوا فى طاعته . ثم إنه
وجّه بجيش آخر إلى بنى عقيل فظفر بهم . فدخلوا أيضاً فى طاعته . فملك سائر
تلك البلاد ، وجمع من أولاد (ص ٤٠) الأعراب مَنْ لم يبلغ أربع سنين ،
١٨ وجعلهم فى دورٍ ، وأقام عليهم قوماً يقومون بجميع مصالحهم ، ووسم جميعهم
على الخدود لئلاّ يختلطون بغيرهم ، وعرّف عليهم عرفاء ، وشرع فى تعليمهم

الفروسية ، فنُشّئوا لا يعرفون غيره ، وغير دعوته طبعاً لهم . وقبض الأموالَ من جميع تلك النواحى والثمار والغلال ، ورتّب الرُّعاةَ فى الإبل والمواشى ، ورتّب قوماً لحفظها .

ثم تفرّغ لهَجَر وحاصرها ، حتى بلغ بهم الجهد ، وأكلوا السنانير والكلاب . وكان حصارهم يزيد على عشرين شهراً . وآخر أمرهم أنه عمل الحيلة حتى قطع عنهم الماء الواصلة إليهم فى حديث طويل . فلما انقطع عنهم المياه أيقنوا بالهلاك ، فهرب بعضهم نحو البحر فركبوه إلى الجزيرة وإلى سيراف وغيرهما . ودخل قومٌ منها فى دعوته فنقلهم إلى الأحسآء . ثم إنّه أخربها دَكًّا فهى إلى الآن خراب . وعادت الأحسآء مدينة البحرين .

واتصلت أخباره بالمعتضد بالله أمير المؤمنين ، وعظُمَ ما ركبه . فأنفذ العبّاسَ بن عمرو الغنوى فى ألفى رجلٍ وولّاه البحرين . فورد البصرة وخرج منها نحو هَجَر ، وبينهما بضع عشرة ليلة فى فلاةٍ مقفرةٍ ، وذلك فى سنة تسع وثمانين ومِئتين ، وتبعه من مطوّعة البصرة نحو من ثلاث مئة رجل من بنى ضبّة وغيرهم . وعرف أبو سعيد خبره فسار نحوه . وقدّم قدّامه مقدمةً . فكانت بينهم حملات إلى أن حجز الظلام بينهم ، فانصرفوا على سوآء . فلما جاء الليل انصرفت مطوّعة البصرة ومَنْ معهم من بنى ضبّة . فانكسرت قلوبُ جيش السلطان . وأصبحوا فالتقوا ،

فكانت الكسرةُ على أصحاب السلطان . وأُسر العباسُ بن عمرو مع عدّةٍ من أصحابه (ص٤١) واحتوى[1] القرمطيّ على عسكره ، ثم قَتَلَ من غَدِ يومه جميع الأسرى ، ثم أحرقهم . وترك العباسَ بن عمرو . فلما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباسَ بن عمرو وقال له : تُحبّ أن أُطلقك ؟

قال : نعم .

قال : على أنْ تُبلّغ عنى ما أقول صاحبَك .

قال : أفعلُ .

قال : تقولُ له إنّ الذى أنزل بجيشك ما أنزل بغيُك وتعدّيك . هذا بلد كان خارج[2] عن يدك ، غلبتُ عليه وأقمتُ به . وكان فىّ من الفضلِ ما آخذُ غَيْرَه . فما عرضتُ لما كان فى يدك ، ولا هَمَمْتُ به ، ولا أخفتُ لك سبيلاً ، ولا نلتُ أحداً من رعيتك بسوء ، فتوجيهك إلىّ الجيوش لأىّ سبب ؟ اعلمْ أنّى لا أخرج عن هذا البلد ولا يُوصَلُ إليه وفىّ وفى هذه العصابة التى معى رُوح . فاكفنى نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة ، ولا تصل إلى مرادك منه إلا ببلوغ القلوب الحناجر » .

ثم أطلقه وأرسل معه من يوصله إلى مأمنه .

ووصل العباس إلى بغداد فى شهر رمضان . فكان الناس يعظّمون شأنه ويُكثرون ذكره ويسمّونه قائد الشّهداء .

---

(١) ص « احتوا »   (٢) كذا ، والصواب « خارجاً »

فلما وصل إلى المعتضد عاتبه على تركه الاستظهار . فاعتذر بهروب المطوّعة وبنى ضبّة ، ثم عرّفه جميع ما قال القرمطى . فقال : صدق ، ما أخذ شيئاً كان فى أيدينا . ثم أطرق مفكّراً ، ثم رفع رأسه . فقال : كذب عدوّ الله الكافرُ . المسلمون كلّهم رعيتى حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بى عُمرٌ لأسيرنّ بنفسى إلى البصرة وجميع غلمانى ، ولا أبرحُ أسيّرُ إليه جيش[1] بعد جيشٍ ، حتى أقلع شأفته إن شاء الله أو يحكم الله بينى وبينه .

وشغله بعد ذلك أمر وصيف غلام ابن أبى الساج . وخرج فى طلبه وهو عليل . وذلك فى شوّال من هذه السنة المذكورة . (ص ٤٢) فأخذه وعاد إلى بغداد . فدامت علّته حتى توفى فى تاريخ ما تقدم من ذكره فى الجزء الذى قبله .

قال الشريف «أخى محسن» رحمه الله : ثم إن أبا سعيد القرمطى بعد إطلاقه العباس بن عمرو أقبل على جمع الخيول ، وإعدادِ السّلاح ، واتخاذِ الإبل ، وإصلاحِ الرجال ، ونَسْجِ الدروع والمغافرِ ، ونظمِ الجواشن ، وضَرْبِ السيوف والأسنّة ، واتخاذِ الروايا والمزادِ والقرب ، وتعليمِ الصبيان الفروسية . وطَرَدَ الأعرابَ عن قربه ، وسدَّ الوجوه التى يُتَعرّفُ منها أمر بلده وَأحواله ، وعمد إلى إصلاح المزارع وأصُول النخل وعمارته ،

(١) كذا . والصواب « جيشاً »

ونصب الأُمناءَ على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، والاحتياط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقّده واحتياطه أنّ الشاة كانت تُذْبحُ فيُسَلِّمُ اللّحم إلى العرفاء ليفرّقوه على من رُسِمَ لهم به ، ويدفعُ الرأسَ والأكارعَ والبطونَ إلى العبيد والإماء ، ويجزّ الصُّوف والشعر من المعز ويفرّقُهُ على من يغزله ، ثم يدفع إلى من ينسجه عبياً وأكسيةً وغرائر وجوالقات ، ويُفتل منه حبال ، ويسلّم الجلد إلى الدباغ . فإذا خرج سُلِم إلى خرّازى القرب والروايا والمزاد . وما كان من الجلود يصلح نعالاً وخِفافاً عُمِل منه ، ثم يجمع ذلك كلّه إلى خزائن معدّة لذلك . وكان ذلك دأبه لا يغفله .

وكان يوجّه فى كل مُدَيْدَة بخيلٍ إلى ناحية البصرة فيأخذ من وجد ، فيُستعبد ، حتى زاد بلاؤه وعظمت هيبتُه فى صدور الناس . وقد كان واقع بنى ضبّة — لما كان فى نفسه منهم حين أعانوا العباس بن عمرو — وقائعَ مشهورة بالشدّة والعظم ، ثم ظفر بهم فأخذ منهم خلقاً ، وبنى لهم حبساً عظيماً ، وتركهم فيه حتى مُوِّتوا جوعاً وعطشاً ، وزاد بلاه حتى قُتل .

ذكر مقتل أبى سعيد

وكان لمّا أسر العبّاسَ بن عمرو أخَذَ من عسكره خادماً فاستخصّه لنفسه وجعله على طعامه وشرابه . فمكث لذلك مُدّةً طويلةً لا يرى أبا سعيد فيها يُصلّى صلاةً واحدةً ، ولا يصوم شهر رمضان ولا فى غيره يوماً واحدًا ، ولا يذكرُ الله عزّ وجلّ ، ولا يعرف شريعةً ، ولا يرجع إلى دينٍ من سائر الأديان . فأضمر فى نفسه قتله . فدخل معه الحمّام ، وقد كان الحمّامُ فى داره ، وأخذ معه خنجرًا ماضياً . وكان الحمّام خالياً . فلما تمكّن منه ذبحه . ثم خرج فقال : يُدعىٰ فلان ، لبعض بنى سنتر . فقال : ادخلْ . فدخل . فقبض عليه وذبحه . ولم يزل يدعو واحداً بعد وَاحدٍ وهو يفعل بهم ذلك من رؤساء الوجوه إلى أن دخل بعضهم ، فنظر عند دخوله إلى الدماء تسيل سيلاً ، فكرّ راجعاً وضجّ فى الناس . وعمد الخادمُ فأغلق الباب . فلم يزل حتى أخذوه ، ووجدوا تلك الجماعة مذبّحين .

وذلك فى سنة إحدى وثلاث مئة ونحوها .

وخلف من الأولاد : أبا القاسم سعيدًا ، وأبا طاهر سُليمانًا[1] ،

---

(١) كذا ، والصواب « سليمان »

وأبا منصور أحمد ، وأبا إسحاق إبراهيم ، وأبا العبّاس محمّد[1] ، ويوسف أبا يعقوب .

وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء أهل دولته من بنى زبرقان وبنى سنتر . وكان متزوّجًا إليهم ، وهم أخوال بنيه ، وبهم قامت دولتُه وقوى أمره . وأوصى إليهم إنْ حدث به حادثُ الموت يكون القيّمُ بأمركم أبا القاسم سعيدًا ابنه ، إلى أن يكبر أبو طاهر سليمان فيكون المدبّر لأمورهم . فلما قُتل جرى الأمرُ على ما وصّاهم به . وكان قد قال لهم : سيكون الفتوح له . وجلس يدبّر أمورهم بعد قتل (ص ٤٤) أبيه . ثم إنه دعى بالخادم وشدّ < ه > بالحبال ، ثم قرض لحمه إلى أن مات رحمه الله .

ولما كان فى سنة خمس وثلاث مئة سلّم سعيد إلى أخيه سليمان الأمر ، فدبّره . وعمل أشياء موّه بها على عقول أصحابه فقبلوها وعظّموا أمره جهلاً منهم . وكان مبدأ أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنّابى بالقطيف وما والاه فى سنة ست وثمانين ومئتين .

---

(١) كذا ، والصواب « محمداً »

ذكر الصّناديقى الدّاعى القرمطى باليمن

هو ابن أبى الفوارس داعى عَبْدان ، يُدعىٰ بأبى القاسم . وكان هذا الصناديقى من موضع يُعرف بالنرس ، وكان يعمل فيه الثياب النرسيّة ، وقيل إنّه كان يعملُ فى الكتّان . فلما صار إلى اليمن أجابه رجلٌ من الجند يُعرف بابن الفضل فقوّى أمره على إقامة الدعوةِ الخبيثةِ . فدخل فيها خلق كثير ، فخلعهم من الإسلام وأظهر العظائم ، وقتل الأطفال ، وسبى النساء ، وتسمّى الملعونُ بربّ العزّة . وكان يُكاتَبُ بذلك . وأظهر شتيمة النبىّ صلّى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم . واتخذ دارًا أسماها دار الصفوة . وكان يأمر الناس بجمع نسائهم من أزواجهم وبناتهم وأخواتهم إلى تلك الدار ، ويأمرهم بالاحتياطِ بهنّ ليلاً ووطئهنّ ، ويحتفظ بمن تحبل منهن فى تلك الليلة وبمن تلد بعد ذلك ، يتخذهم لنفسه خَوَلاً ويسمّيهم أولادَ الصفوة . وعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهلِهِ عنه . وأجلى السُّلطانَ . وقاتل القاسمَ بن أحمد بن يحيى بن الحسين ابن القاسم بن إبراهيم الحسنى المعروف بالهادى ، وقلعه عن عمله بصَعْدة ، وألجأه إلى أن هرب بعياله إلى الرسّ حَذَرًا منهُ لقوّته عليه . فلما زاد شرّه وتعاظم بلاه أعان < الله > عليه الهادى وظفر به فهزمه . وكان ذلك بلطفٍ (ص ٤٥) من ألطاف الله تبارك وتعالى .

وسبب ذلك أنه أُلقى على عسكره ، وقد بايته الهادى ليصبحوا للقتال ، بردًا وثلجاً[١] ، قُتل به أكثرُ أصحابه فى ليلةٍ واحدة دون عسكر الهادى . وقلّ ما يُعرف ذلك من البرد والثلج فى تلك الديار . فهزمه الهادى ، وعاد مكسورًا . ثم قتله الله عزّ وجلّ بالأُكلة . وأنزل بالبلدان التى غلب عليها بَثْرًا قاتلاً ، كان يخرج على كفّ الرجل منهم بثرة فيموت فى سرعة . فسُمى ذلك البثر إلى الآن حبة القرمطى . وأخرب الله تعالى أكثر تلك الديار ، وأفنى أهلها بموتٍ ذريعٍ . واعتصم ابنه من بعده بجبالٍ وقلاعٍ . ولم يزل بها مقيماً . وكانت أهل ملته يعنونون كتبه : من ابن ربّ العزة ، ثم أهلكه الله عزّ وجل ، وبقى منهم بقية فاستأمنوا إلى الهادى . ولم يبق لذلك الملعون بقية ولا لمن كان على مذهبه .

---

(١) كذا ، والصواب « بردٌ وثلج »

عاد القولُ إلى ذكر قرمط والدّعاة

وقد كان قرمط يكاتب مَنْ بسَلَمْيَـة من الطواغيت . فلما توفى مَنْ كان فى وقته ، وجلس ابنه من بعده كتب إلى حمدان قرمط . فلما ورد عليه الكتاب أنكر مَا فيه لألفاظٍ كان يعهدها ، فتغيّرت عليه ، فاستراب ذلك . وأمر قرمط ابن مليح ، وكان داعياً من دعاته ، أن يخرج إلى سلمية ويتعرّف له الخبر . فامتنع واعتذر إليه . فأنفذ داعياً غيره يُقال له عبدان . فلما وصل إلى هناك عرف بموت ذلك الطاغية الذى كانوا يكاتبونه ، ووجد ابنه . فسأله عن الُحجة ومَن الأمام بعده ؟ فقال الابنُ : ومَنْ هو الإمام ؟ قال عبدان : الامامُ محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذى كان أبوك يدعو إليه وكان حجته . فأنكر ذلك كلّه ، وقال : محمد بن إسماعيل (ص ٤٦) لا أصل له ، ولم يكن الإمامُ غير أبى ، وهو من ولد ميمون بن دَيْصان ، وأنا أقوم مقامه . فعرف عبدان القصّة واستقصى الصُّورة ، وعلِم أنّ محمّد بن إسماعيل ليس له فى هذا الأمر شىء ، وإنّما هو شىء يحتالون به على الناس ، وأنّ ذلك كلّه كان خديعة من اللّعين ، وأنّه ليس من ولد عقيل بن أبى طالب . فرجع عبدان إلى قرمط فعرّفه الخبر . وأمره قرمط أن يجمع الدعاة ويعرّفهم صورة الأمر وما تبيّن له منه ، ويقطعُ الدعوة لمن بسامية . ففعل عبدان ذلك .

وعلموا أنّ محمد بن إسماعيل كان لهم فى مبدأ الدعوة مثل الصانع الذى معه الأداة يعمل بها ، فلما ترك أداته بطل صنعته . ولما قطعوا الدعوة من بلادهم لم يمكنهم أن يقطعونها[1] من غير ديارهم ، لأنها كانت قد امتدّت فى سائر الأقطار وكثر شرّها وتزايد خبثُها . وقد تحوّلت عن الرسم الأوّل مُذ هلك سعيد المسمّى بعبيد الله الملقّب بالمهدى بالمغرب .

ثم إن الدعاة قطعوا مكاتباتهم إلى من بسَلَمْيَة بهذا السبب . وكان رجل منهم قد توجّه إلى الطالقان . وكانوا ربما يكاتبونه أيضاً . فلما انقطعت المكاتبة عن جميع ولد عبد الله بن ميمون القدّاح انقطعت عنه أيضاً . فتوصّل حتى نزل على عبدان ، وعاتبه بسبب انقطاع مكاتباته . فعرّفه عبدان قطعهم الدعوة ، وأن أباه كان استغرّهم وادّعى نسباً ليس بصحيح ، وأنه دعا لمحمد بن إسماعيل المهدى « فكنا نعمل على ذلك . فلما تبيّنا أن لا أصل لذلك كلّه وعرفنا أنّ أباك من ولد ميمون بن دَيْصَان ، وأنه صاحب الأمر تبنا إلى الله عز وجل ممّا عملناه ، وحسْبُنا ما كفّرنا أبوك ، فتريد أن تردّنا كفار ؟ انصرف عنا إلى موضعك » .

وكان عبدان قد تاب من هذه (ص ٤٧) الدعوة الخبيثة بالحقيقة .

فلما أيِس منه صار إلى زكرويه بن مهرويه وعرّفه خبر عبدان . فلقيه زكرويه بكل ما يُحِبّ . وقدّر أن ينصبه داعياً مكان أبيه

(١) كذا ، والصواب « يقطعوها »

فيستقيم له أخذ أموال الناس الداخلين فى الدعوة . واتفق معه على قتل عبدان . فإنه لا يتم لهما أمر إلاّ بقتله . فوجّه زكرويه إلى رجلٍ من بنى تميم بن كليب وأخ له كانا من أهل دعوة زكرويه ، وأحضر جماعة من دُعاته وقراباته وثقاته وأظهرهم على ابن الخبيث وعرّفهم أنه ابنُ الحجّة ، وأن الحجة توفى . فعظّموه وقبلوه ، وقالوا له : مُرنا بأمرك . فأمرهم بقتل عبدان . وقال : إنّه نافق وعصى وخرج عن الملّة .

فساروا إليه من ليلتهم إلى ناسورا وهو نازل بها فقتلوه .

وكان زكرويه هذا داعياً من تحت يد عبدان . وشاع فى الناس أن زكرويه قتل عبدان . فطلبوه[1] سائرُ أصحابه وأصحاب قرمط بدمه . فاستتر . وخالفه القوم بأسرهم إلاّ ثقاته وأقاربه . فلما لم يرى[2] أن أمره يتم قال لابن الخبيث : قد ترى ما قد حدث ، ولا آمن عليك وعلى نفسى ، فارْجعْ إلى بلدك ودَعْنى ، فإنى أرْجو أن يتغيّر الأمرُ وأتمكّن من الناس وأدعوهم إليك . فانصرف ابن الخبيث إلى الطالقان .

ويُقال إنّ الأصلَ كان بسلمية مقيما ، وكان يُخفى أمره بذكر مَنْ بالطالقان لأنهم كانوا تحت مخافةٍ بعد ذلك . ثم تخفّى زكرويه خوفاً من طلبه بدم عبدان .

---

(١) كذا ، والصواب « طلبه » (٢) كذا والصواب « ير »

وذلك كلّه فى سنة ستٍّ وثمانين ومِئتين .

فمكث لذلك يتخفّى إلى سنة سبع وثمانين ومِئتين . فلما طال
٣ أمرُه ورأى انحراف أهْلِ السوادِ عليه ، نفذ ابنه الحسن فى سنة ثمان وثمانين
ومِئتين إلى الشام ، وصحبتُه رجل من القرامطة (ص ٤٨) من أهل نهر ملحايا
يُسمّى الحسن بن أحمد[1] ويُكنى بأبى الحسين ، وأمره أن يقصد بنى كليب
٦ وينتسب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، ويدعوهم إلى الإمام من ولده .
فاستجاب له فخذٌ من بنى العُلَّيْص بن ضَمْضَم بن عَدِىّ بن حباب بن
كَلْب بن وبرة ومواليهم . وانضاف إليه طائفة من بنى الإصبع من
٩ كلب ، وتسمّى هؤلاء بالفاطميين و بايعوه .

---

(١) كذا ، وفى اتعاظ الحنفا « القاسم بن أحمد » ص ٢٢٥

ذكر صاحب الناقة ابن الخبيث

وكان الخبيث ابنُ الخبيث لما رجع من عند زكرويه إلى الطالقان كتب إليه يستأذنه فى القدوم عليه . فأجابه بالتوقّف . فخرج نحو العراق ثم قدم على زكرويه فوجده مختفياً ، فلم يزل حتى اجتمع به واستأذنه بالتوجّه إلى ابنه ، لما بلغه من استجاب له من الناس . فأذن له ، وضمّ إليه ابن أخت عيسى بن مهرويه ، وتسمى بالمدّثر لقباً ، وبعبد الله اسماً ، وتأوّل أنّه المذكورُ فى القرآن بالمدثِّر ، كَذَبَ لعنه الله ، وأصحبهما غلاماً من بنى مهرويه يلقّبُ بالمطوّق ، وكان سيّافاً . وكتب على أيديهم : كتب إلى ابنه الحسن يعرفه أنّه ابن الحجة ، ويأمره له بالسمع والطاعة .

فسار اللعين حتى نزل فى كلبٍ . فلقيه الحسن بن زكرويه وعظّمه وسُرّ بهِ ، وعرّف جموعه أنه صاحب الأمر . فامتثلوا أمره وقالوا له : مُرْنا بأمرك لنسارع إليه . فقال لهم : استعدوا للحرب ، فقد أظلّكم النصر . ففعلوا . واتصلت أخبارهم بشبل الديلمى وهو يومئذ أمير الشام بالرصافة ، وهو مولى المعتضد بالله . وذلك فى سنة تسع وثمانين ومئتين . فقصدهم ، فكسروه وقتلوه . وكانت الوقعةُ بالرصافة غَرْبى الفُرات . ودخلوا الرصافة وأخربوها وأحرقوها ونهبوها . وأصعدوا نحو الشام (ص ٤٩) واعترضوا الناس بالقتلِ والحريقِ ونهبِ القرى ، إلى أن وردوا أطراف دمشق . وكان

هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ردّ أمرها إلى الأمير طُغْج بن جفّ الفرغانى . فلقيتهم عساكره . فانهزموا من القرامطة ولم يثبتوا قدّامهم . وقُتل كثيرٌ منهم وأخذوا منهم ما قدروا عليه . ولم يزالوا حتى نازلوا دمشق وحصروا طُغْج بها . وكان الخبيثُ ابن اللعين يحضر على ناقة فى الحرب ويقول لأصحابه : لا تسيروا فى مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فإذا سارتْ فاحملوا ، فإنّه لا تردّ لكم راية إذ كانت مأمُورة . فسُمّى بذلك صاحب الناقة .

وحُصر طُغج بدمشق سبعة أشهرٍ ، وكتب إلى مصر يعرّف مَنْ قُتِلَ من أصحابه ، وأنه محصور ، وقد فنى أكثرُ الناس ، وقد خرب البلد . فأنفذوا إليه بدراً الكبير غلام ابن طولون المعروف بالحمامى . فسار حتى قرب من دمشق . وخرج إليه طغج واجتمعا على قتال اللعين . والتقوا بموضع قريب من دمشق . فأصاب اللّعين سهمٌ فذبحه وعجّل الله بروحه إلى سَقَر . وحمى أصحابه اللعينُ الثانى ابن زكرويه . فقاتلوا أشدّ قتالٍ شُبِهدَ ، حتى انحازوا عنهم وانصرفت القرامطة . وكان هذا اللعين المقتول قد ضرب دراهم ودنانير كُتب على السكة من وجه ﴿ قُلْ جاء الحقّ وزَهَقَ الباطل ﴾ (١) . وعلى الوجه الثانى : لا إله إلا الله ﴿ قُلْ لا أسألكُمْ عليه أجْراً إلاّ المودّة فى القربى ﴾ (٢) .

---

(١) من سورة الإسراء ، ١٧ ، الآية ١٨

(٢) من سورة الشورى ، ٤٢ ، الآية ٢٣

ذكر الحسن بن زكرويه لعنه الله

ولما انصرفت القرامطةُ عن دمشق بعد قتلة الطاغية بايعوا الحسن ابن زكرويه . فسار بهم حتى افتتح عدّةً من مدن الشام . وظهر (ص ٥٠) على جند حمص ، وقتل خلقاً من جند المصريّين ، وتسمّى بأمير المؤمنين . وخُطب له بذلك على المنابر . ثم سار إلى نحو الرقة . فخرج إليه مولى الإمام المكتفى بالله ، فقتله وهَزَمَ جيوشه ، واستباح عسكره . ورجع يريدُ دمشق ، وجموعُه ينهبون جميع ما مرّوا عليه من القرى والضياع . فلما قاربوا دمشق أخرج إليهم طُغْج جيشاً كثيفاً عليه غلامٌ له يسمى بشير ، فهزموه وقتلوه مع خلقٍ من أصحابه . فلما اتصل بالمكتفى قتلُ غلامه وكسرُ جيوشه وكثرةُ فسادهم ، نَدَبَ لحرْبهم أبا الأغرّ السّلمى ، وضمّ إليه عشرة آلاف فارسٍ من الجند والموالى والأعراب ، وخَلع عليه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومِئتين . فسار حتى نزل حلب ، ثم نزل وادى بُطْنان . فتفرّق الناسُ فى ذلك الوادى ، ودَخَلَ قومٌ منهم الماء يتبرّدون ، وكان ذلك فى القيظ ، فلم يشعروا إلا بالقرامطة على حين غفلة منهم يقدمهم المسمى بالمطوّق . فعاد كلُّ إنسان يحذر على نفسه وينجو من السيف . وركب أبو الأغرّ فرسه وصاح فى الناس . فثار إليه جماعةٌ لقى بهم أوائل الخيل ، ولم يلبث إلا اليسير حتى انهزم . وركبت القرامطةُ أكتاف الناس قتلاً وأسرًا ،

حتى حجز بينهما الظلام .وقد أتوا على عامة العسكر ، وسلم منهم القليل . ولحق أبو الأغرّ فى جميع من معه بحلب ، ثمّ تلاحق به مَنْ سلم ، حتى عاد فى نحو ألف رجل . ووافت القرامطةُ فنازلوا حلب . فحاربهم أبو الأغرّ ، فلمْ يقدروا منه على شىء ، فانصرفوا . وجمع طاغيتهم الحسن بن زكرويه أصحابه ، وكان قد اتصل به خلقٌ كثيرٌ من اللصُوص والمتجرّمةِ ، وخلقٌ من بنى كلب . فسار حتى نزل حمص ، فخُطب له على منابرها . ثم نهض (ص ٥١) إليها فأعطاه أهلُها الطاعة وفتحوا له ، فدخلها . ثم سار إلى حماة ومعرّة النُّعْمان وغيرها . فقتل الرجال وسبى الذّرارى والأطفال ، ثم رجع إلى بعلبكّ فقتل عامة أهلها ، ثم صار إلى سَلَمْيَة فحاربه أهلُها وامتنعوا منه ، فأعطاهم الأمان ففتحوا له ، فمن فيها من بنى هاشم فبدأ به فقتلهم أجمعين ، ثم كرّ على جميع أهلها فقتلهم بأسرهم ، ولم يُبْقِ على أحد منهم ، وخرج عنها ولا بها عين تطرف . وكان مع ذلك لا يمرّ بقرية فيدعُ بها مخبر[1] ، حتى أخرب البلاد وسبا الحريم ، ولم يقم له أحد .

ووردت كتب التجّارِ والناسِ من دمشق وغيرها مُستصرخين بالويل والثبور لما نزل بهم ، حتى كثُر الضجيجُ بمدينة بغداد ، واجتمعت الناسُ إلى يوسف بن يعقوب القاضى وسألوه مخاطبة الخليفة فى أمور

---

(١) كذا ، والصواب « مخبراً »

الناس . فلما علم المكتفى بالله ما الناسُ فيه من شدّةِ البلاء ، جهّز الجيوشَ وخرج بنفسه إلى مضربه بباب الشَّمَّاسِيّة فى قوّاده وجنده ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، وسلك طريق الوصول ومضى نحو الرقة ونزل بها ، وانبثّت الجيوشُ بين حلب وحمص ، وقلّد محمد بن سليمان حَرْبَ اللعين الحسن بن زكرويه ، وضمّ إليه جيشاً كثيفاً . وكان محمد صاحب جيش العطاء ، فى الديوان المقدّم ذكره فى الجزء الذى قبله .

فلما دخلت سنة إحدى وتسعين ومِئتين سار محمد بن سليمان لمناهضة القرامطة . وألتقى الجمعان لستٍ خَلَوْنَ من المحرّم بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى حجز بينهم الليل ، وكان الظفرُ للجيوش الخليفية ، وقُتل من الطواغيت كُماتهم وكبارُهم فى حديثٍ طويلٍ هذا (ص ٥٢) ملخّصه .

وكان الحسنُ بن زكرويه ، لعنه الله ، لما أحسّ بالجيوش ، قد اصطفى المقاتلة . أخرج مَنْ معه من الرجال والشجعان عن الضَّعَفة والسواد وعَرَضَهم حتى رضى سلاحهم ورتّب أحوالهم . وقد امتلأ صدرُه من أمر المكتفى بالله وجيوشه ، وهو ضابطٌ لأمره وكاتمٌ لذات نفسه . وأنفذ الجيش وتخلّف فى السّواد والضَعَفَة . فلما انهزم أصحابُه ارتاع لذلك ، ورَحَلَ من وقته بسواده ، وسار خوفاً من الطلب . وتلاحق مَنْ أفلتَ ، فخاطبهم بأنهم

أُوتوا من قِبَلِ أنفسِهم وذنوبهم ، وأنهم لم يصدقوا الله ، وحرّضهم على المعاودة إلى الحرب . فلم يُجبه منهم أحد إلى ذلك ، واعتلّوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم . فلما أيس منهم قال لهم : قد كاتبنى خلقٌ من أهل بغداد بالبيعة لى ودعائى نحوها لأظهر بها . وأنا مستخلفٌ عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد صاحبي . وكتبي ترد إليه بما يعمل به ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره . فضمنوا له ذلك .

وشخص معه قريبه عيسى ابن أخت مهرويه المسمّى بالمدّثر ، وصاحبه المطوّق ، وغلام له رومى . وأخذ دليلاً يرشدهم إلى الطريق . وساروا يريدون سواد الكوفة . وسلك البرّ وتجنّب المدن والقُرى ، حتى إذا صار قريباً من الدالية نفد زادُه . فأمر الدليل فمال بهم إليها ، ونزل بهم بالقرب منها ، خلف رابيةٍ . ووجّه بعض مَنْ كان معه لابتياع ما يحتاجون إليه . فلما دخلها أنكرونه[1] وقبضوا عليه ، وأُتى به إلى واليها ، وكان يُعرف بأبى حبرة يخلف أحمد بن كُشْمَرْد صاحب الحرب بطريق الفرات . والداليةُ قريةٌ من عمل الفرات . فقرّره فاعترف على رفقته . فسار (ص ٥٣) المتولّى إليهم فى جمع فأخذهم وشدّهم وثاقاً ، وتوجّه بهم إلى صاحبه ابن كشمرد . فصار بهم إلى المكتفى بالله ، وهو يومئذٍ نازلٌ بالرقّة . فأمر أن يشهروا بها . فَفُعِل بهم ذلك ، وعلى الحسن

---

(١) كذا ، والصواب « أنكروه »

ابن زكرويه درّاعةُ ديباجٍ وبرنسُ حريرٍ ، وكذلك المدّثر والمطوّق ، وهما على جمالٍ مشهورين .

وذلك فى يوم الأربعاء لأربع بقين سنة إحدى وتسعين ومِئتين .

وقدم محمد بن سليمان بالجيوش بعد أن تتبّعوا القرامطة وما بقى منهم ، وقتلوا وأسروا ، وخَلّف المكتفى بالله عساكره مع محمد بن سُليمان بالرقة وشخص فى خاصته وغلمانه ومعه القاسم بن عبيد الله الوزير إلى بغداد . ودخل القرمطى وأصحابه معه . وذلك فى أول يوم من صفر من هذه السنة .

فلما صار إلى بغداد عمل له كرسياً سمكه ذراع ونصف ، وركّبه على فيل . ودخل المكتفى بالله وهو بين يديه مع أصحابه الأسرى ، والمطوّق فى فيه خشبة مخروطة قد شُدّتْ إلى قفاه كاللّجام . وكان لما دخل الرقة عاد يشتم ويبصق . ففعل به ذلك عند عبوره بغداد ، ثم وصل محمد بن سليمان بالجيوش وقد تلقط جماعة من القرامطة ، ودخل فى زىّ حسنٍ ، وخُلِعَ عليه ، وطُوِّقَ وسُوِّر . وكذلك سائر مَنْ كان معه من القوّاد خُلع عليهم وأنعم .

ثم أمر المكتفى بالله ببناء دكة فى المصلّى العتيق من الجانب الشرقى مربّعة ذرعُها عشرون ذراعاً فى مثلها ، وارتفاعها عشرة أذرع بدرجٍ يصعد إليها .

فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من ربيع الأول أمر المكتفى بالله القوّاد وجميع الغلمان وصاحب جيشه محمد بن سليمان وصاحب شرطته أن يحضروا إلى تلك الدكّة ، وصعدها الوجوهُ ، وحضر الباقون على دوابهم ، وخرج (ص ٥٤) سائر أهل بغداد . وكان يوماً مشهوداً . وحملوا الأسرى، كلّهم مع خلقٍ كثير أتوا من سائر البلاد من القرامطة ممن مُسِكَ وحُمِلَ إلى بغداد ممّن كان على مذهبهم ، فقتلوا جميعاً . وعدتُهم ثلاث مئة وستون نفراً .

ثم قُدّم الحسين بن زكرويه وعيسى ابن أخت مهرويه وهما زميلان على بغلٍ فى عمّاريةٍ قد أرسل عليهما أغشيتُها . فأصعدا إلى الدكّة وأقعدا . وقدم أربعة وثلاثون إنساناً من الأسرى من وجوه القرامطة ممن < عُرف > بالنكاية والعداوة للإسلام ، والكابِ على سفك الدماء وسَبْى الحريم . فكان كل واحد منهم يُبْطَحُ على وجهه فتُقْطَعُ يده اليمين[1] ويُرمى بها إلى أسفل الدكة ليراها أهلُ المشهد من الناس ، ثم تُقطع رجله اليمنى ، ثم يده اليسرى ، ثم رجله اليسرى ، ثم تُضرب عنقه . حتى فُعل ذلك بجميعهم . ورُمى بأعضائهم إلى أسفل الدكة .

فلما فرغ من تلك العدّة قُدِّمَ المدّثرُ بزعمه لعنه الله ففُعِلَ به مثل ذلك ،وكُوى بالمكاوى قبل ضَرْبِ عنقه ليُعَذّب . ثم المطوّق فعل به

(١) كذا ، والصواب « اليمنى »

كذلك . ثم قُدِّمَ الحسن بن زكرويه لعنه الله فضرب مِئتَيْ سوطٍ ،
ثم كُوِيَ بالمكاوى ، ثم قُطعت ساير أعضائه ، وضُرِبَتْ رقبتُه ،
ورُفع رأسه على خشبة . وكَبَّرَ مَنْ على الدكّة ، وكَبّر الناس وانصرفوا . ٣
وحُملت الرؤوس فنُصِبَتْ على الجسر .وصلب بدنُ القرمطى ، فمكث مصلوباً
نحو[١] من سنة ، ثم سقط عليه حائط[٢] .

---

(١) كذا : والصواب « نحواً »

(٢) ورد فى المنتظم لابن الجوزى ٤٣/٥ والنجوم الزاهرة ١٢٠/٣ أن ابن مهرويه اسمه الحسين . وقد ذكره المؤلف هنا احسن . وكذلك ورد فى اتعاظ الحنفا .

نسخة كتب اللّعين الحسن بن زكرويه إلى عُمّاله

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المهدى المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله ، الداعى إلى كتاب الله ، الذابّ عن حرم الله ، المختار من ولد رسُـول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، ومذلّ المنافقين (ص ٥٥) وخليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومُبيد الملحدين ، وقاتل القاسـطين ، ومهلك المفسـدين ، وسراج المستَبْصِرين ، ومُشَتّت المخالفين ، والقائم بسنّة < سيّد > المرسلين ، ولد خير الوصيّين ، صلّى الله عليه وعلى آله الطّيبين الطاهرين وسلّم .

كتاب إلى جعفر بن حميد الـكردى :

سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلّى على محمد جدّى رسول الله .

أما بعد . فقـد أنهى إلينا ماحدث قِبلك من أخبار أعداء الله الـكفرة ، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعَيْثِ والفساد فى الأرض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ إلى هناك من جيوشنا من ينتقم الله به من أعدائنا الظالمين الذين يسعون فى الأرض فسادًا . وقد أنفذنا عُطَيْراً داعياً مع جماعة من المؤمنين إلى مدينة حِمْص ، ونحن فى إثرهم ، وأمرناهم بالمصير إلى ناحيتك لطلب أعـداء الله حيث كانوا . ونحن نرجو أن يجزينا الله على أحسن عوائده ، فتشدّ قلبك وقلوب من انتقل من أوليائنا إليك ،

وتثق بالله وبنصره . وتبادر إلينا بالأخبار وما يحدث بناحيتك . ولا تُخْفِ علينا شيئاً من أمر ذلك ﴿ سبحانك اللهم ، وتحيتُهم فيها سلام ، وآخر دَعْوَاهُمْ أنِ الحمدُ لله رب العالمين[١] ﴾ .

وصلّى الله على جدّى رسوله ، وعلى أهل بيته وسلّم كثيراً[٢] .

وكان سائر عماله يكاتبونه بمثل هـذا الصدر ، وكان ذلك كذب وخبث[٣] من اللعين وفجور[٤] من الخبيث .

وذَلّ بنو القليص بعد هذه الحادثة ولزموا السّماوة .

وسلم القاسمُ بن أحمد المسمّى بأبى الحسين ، خليفة اللعين . فقدم سواد الكوفة إلى زكرويه بن مهرويه أبى الملعون . فأخبره بخبر ابنه وقومه ، وأنّ القوم الذين استخلفه ابنه عليهم (ص ٥٦) اضطربوا عليه ، فخافهم وتركهم ، وانصرف . فلامه على قدومه لوماً شديدًا وانحرف عنه .

وكان زكرويه لعنه الله فى ذلك الوقت فى غاية الخوف من طلب السلطان من وجهٍ ، ومن طلب أصحاب عبدان الذى تسبب فى قتله من وجهٍ . ثم إنه نفذ فى سنة ثلاث وتسعين ومئتين رجلاً من أصحابه يُقال له محمد بن عبد الله بن سعيد ، وكان معلماً فى الدابوقة ، ويُكنى بأبى غانم

---

(١) سورة يونس ، ١٠ ، الآية : ١٠

(٢) قارن نص هذا الكتاب بما ورد فى الطبرى ج ١١ ص ٣٨٤

(٣) كذا ، والصحيح « كذباً وخبثاً » (٤) كذا ، والصحيح « وفجوراً »

فتسمى نصرًا ليعمّى أمره على عادتهم ، وأمره يدور أحياء كلبٍ ويدعوهم . فتوجّه فلم يجبه أحدٌ ، إلاّ رجل من بنى زيادٍ يُعرف بمقدام بن الكمال . ثم استجاب له طوائف من الإصبعيين الذين يُعرفون بالفواطم ، وقوم من بنى العُلَيْص ، وصعاليك من كلب . فسار بهم نحو الشام . وعاملُ المكتفى بالله يومئذٍ على دمشق والأردن أحمد بن كَيْغَلَغ ، وهم بنواحى مصر على حرب ابن الخليج ، حسبما تقدم من أمره وذكرناه فى الجزء الذى قبله ، فاغتنم ذلك نصراً[1] هذا . فصار إلى مدينتى بُصْرى وأَذْرِعات لحارب أهلها ثم أمّنهم . فلما استسلموا قتل مقاتليهم وسبا ذراريهم ، وأخذ جميع أموالهم ، وسار نحو دمشق . فخرجت إليه الشحنة من جند المصريين مع صالح بن الفضل خليفة ابن كيغلغ . فأثخنوا فيهم ، وظهروا عليهم . ثم اغتروهم ببذل الأمان ، ثم غدروا بهم وقتلوا صالحًا وعسكره ، وطلبوا دخول دمشق فدفعهم عنها أهلُها .

فانصرفوا قاصدين طبرية . فلقيهم يوسف بن إبراهيم عامل ابن كَيْغَلَغ على الأردُنّ فهزموه وبذلوا له الأمان . ثم غدروا به فقتلوه ونهبوا طبرية .

وبلغ المكتفى بالله أمرهم فأنفذ الحسين بن حمدان فى طلبهم ، مع وجوهِ القواد . فدخل دمشق والقرامطة بطبرية .

---

(١) كذا ، والصواب « نصر »

فلما علموا بذلك عطفوا نحو السماوة ، واتبعهم (ص ٥٧) الحسين بن حمدان فى البرية . فأقبلوا يَنتقلون من ماء إلى ماء ثم يغوّرون ما يرحلون عنه من المـاء . فلم يزالوا كذلك حتى وردوا الماءيْن المعروفين بالدِّمْعَانة والحالّة ، فانقطع عنهم لعدمه المـاء . فمـال نحو رحبة مالك بن طَوْق ، وأسرى عـدو الله القرمطى حتى وافى هِيت لتسعٍ بقين من شعبان سـنة ثلاث وتسعين ومِئتين طلوع الشمس . فنهب ربض هِيت والسفن التى فى الفرات ، وقتل نحو مِئَتَىْ إنسان ، وأقام هناك يومين ، والقومُ متحصّنون . ثم رحل بجميع ما أَخذ .

فلمـا اتصل الخبر بالمـكتفى بالله أنْفَـذَ إلى هِيت محمد بن إسحاق ابن كنداج ، ومعه جمـاعة من القوّاد ، ثم أتبعه بمؤنس الخازن . فوجدوهم قد غوّروا الميـاه . فأنفذ إلى بغداد وأحضر الروايا والمزاد . وكتبوا إلى الحسين بن حمدان يوافيهم . فلمـا أحسّوا بذلك ائتمروا بينهم . فوثب عليه رجل من أصحابه يُقال له الديب بن القائم فقتل اللعين نَصْرًا وأخذ رأسـه وشخص بها[1] إلى بغداد ، متقرّبا بذلك للخليفة . فأُسْنِيَتْ له الجائزةُ ، وكفّ عن طلب قومه . فمـكث أياماً ببغداد ثم هرب .

ثم إنّ قوماً من بنى كلبٍ أنـكروا ما فعله الديب من قتل المعلم

---

(١) كذا ، والصواب « به » خطأ.

نصرًا[١] ، ورضوا[٢] آخرون . فتحزّبوا أحزابًا واقتتلوا قتالاً شديداً . ثم افترقوا ، فصارت الفرقةُ التى رضيتْ قتله إلى ناحية عين التمر ، وتخلّف على الماء الذى كانوا عليه من كره قتله . واتصل الخبر بزكرويه لعنه الله ، والقاسم بن أحمد[٣] عنده ، فردّهُ إليهم لمعرفته بهم . فلما ورد عليهم جمّعهم ووعظهم ، وقال : أنا رسول وليّكم ، وهو عاتبٌ عليكم فيما أقدم عليه الديب . فاعتذروا له وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم . وذكروا ما جرى بينهم وبين أصحابهم وأهاليهم بسببه . فقال لهم : قد (ص ٥٨) جيتكم الآن بما لم يأتكم به أحد ممن تقدمنى . وإنّ وليكم يقول لكم : قد حضر أمركم ، وآنَ ظهوركم . وقد بايع له من أهلِ الكوفة أربعون ألفًا ، ومن أهْلِ سوادِها أكثر ، وهاهو صائرٌ إليكم . وقد أمرنى أن أقول لكم : إنّ ﴿ موعدَكم يومَ الزّينَةِ وأنْ يُحْشَرَ الناسُ ضُحى[٤] ﴾ فأجمعوا أمركم وسيروا إلى الكوفة ، فإنه لا دافع لكم عنها . ومنجز وعدى الذى جاءتكم به رسلى .

فسُرُّوا بذلك وارتحلوا نحو الكوفة .

---

(١) كذا ، والصواب « نصر » (٢) كذا ، والصواب « ورضى »

(٣) اقتباس من سورة طه ، ٢٠ ، الآية : ٥٩

(٤) كذا ، وفى اتعاظ الحنفا « أحمد بن القاسم » ص ٢٢٤

ذكر خبر زكرويه لعنه الله وقتله

فلما وردوا القُطْقُطانة ، وهى قرية خراب فى البرّ ، بينها وبين الكوفة ستة وثلاثون ميلاً ، وذلك يوم الأربعاء قبل يوم عَرَفة بيوم ، من سنة ثلاث وتسعين ومِئتين خلّفوا بها الخدم والأموال والسواد والحريم . ثم أمرهم أن يلحقونه[1] < إلى > عين الرحبة ، على ستة أميال بين الكوفة < و > القادسية . ثم اشتوروا كيف يكون هجومهم الكوفة . فقال قائل : ليلاً فلا يتحرك أحد إلا قتلناه ، ويخرج إلينا واليها فى قلة فنأخذه أو نقتله .

وقال آخر : نمهل إلى أن يدخلها عشيةً فى يوم العيد والجند سكارى والبلد خالٍ . فنقصد باب إسحاق واليها وهو غافلٌ فنأخذه . فهو أذل لهم ولا يقاومنا بعده أحد .

وكانت شحنةُ الكوفة يومئذ سبعة آلاف رجل ، إلا أنّ المقيم بالكوفة يومئذ أربعة آلاف من المصريين والشاميّين وغيرهم . والناسُ بها أحياء ، والبلد على غاية الاجتماع والحُسْنِ وكثرة الناس ، والحاج بمكة قد خرجوا على أحسن حالٍ .

---

(١) كذا ، والصواب « يلحقوه »

وقال آخرون من القرامطة : نسير ليلتنا ثم نكمن فى النَّجَف ، ثم نُريح الخيل ونتام ، ونركب عمودَ الفجر فنشنّها غارةً على أهل المصلّى ، ونضعُ السيف وهم آمنون ليس فيهم (ص ٥٩) من معه سلاح .

فقال اللعين : هذا هو الرأى .

ففعلوا ذلك ، حتى إذا حصلوا على المكان الكمين ، ناموا لما يريده الله تعالى من سلامة الناس ، فلم يوقظهم إلا الشمس يوم العيد ، لطفاً من الله عز وجلّ .

ومن ألطاف الله عز وجلّ أيضاً أنّ إسحاق بن عمران المتولّى كان قد أحدث مُصلّى بالقرب من طرف البلد فصلّى فيه . وكان الرجوع منه إلى البلد سَهْلاً ، فقصدت القرامطة المصلّى العتيق على ما كانوا يقدّرون أنّه مصلّاهم فلم يصادفوا به أحد[1] . فأقبلت خيلٌ منهم من تلك الجهة فدخلت الكوفة من يمينها ، فوضعوا السيف حتى وصلوا إلى حبسها ففتحوه ، وقتلوا كثيراً من الناس ، وجرحوا خلقاً . فارتجّت الكوفة ، وخرج الناسُ بالسلاح ، وتكاثر الناسُ على مَنْ دخل الكوفة من القرامطة ، فقذفوهم بالحجارة ، ورُمى عليهم بالسهام ، فقتلوا جماعة . وأقبل جُلّ القوم من الخندق فقتلوا ناساً ، وناوشهم طوائفُ من الجند تخلّفوا فى الصحراء .

(١) كذا ، والصواب « أحداً »

وكان إسحاق بن عمران المتولّى قد انصرف إلى منزله فى أحسن زى . فلما سار فى بعض الطريق لحقه فارسٌ من بنى أسد على فرسٍ قد جُرح ، نخبّره أنّ قوما من الأعراب قد هجمت البلد فقتلت وسَبَتْ وخرجت إلى الصحراء ، وإنّى لقيتهم ففعلوا بفرسى ما تراه . ثم إنه تحقق أمرهم فكان بينهم طول ذلك النهار حربٌ شديدٌ . ورجع القرامطةُ إلى سوادهم بعد قتلا[1] كثير فى الناس من أهل الكوفة وجماعة من القرامطة .

وأبلى فى هذه النوبة إسحاق بن عمران بلاءً حسناً ، وعرف <الناسُ> منه ثباتاً وشجاعة .

ثم كتب من وقته كتاباً إلى الوزير العباس بن الحسن يعرّفه بجميع ذلك ، ويستصرخُه بالجيوش .

ولما وصلوا[2] القرامطة إلى سوادهم بعين الرحبة رحلوا هم إلى (ص ٦٠) عينٍ يسرة العذيب تعرف بعين عبد الله . ثم رحلوهم فنزلوهم بقرية تعرف بالصوان ، على نهر هُدّ من سواد الكوفة . نخرج إليه منها عند نزولهم إياهًا زكرويه بن مهرويه لعنه الله . وكان بها مستترًا . فقال [أحمد بن القاسم] للعسكر : هذا صاحبُكم وسيدكُم ووليّكم الذى تنتظرونه . فترجّلوا بأجمعهم وألصقوا خدودهم بالأرض . وضرب لزكرويه مضرب عظيم وطافوا به ، وسرّوا جداً ، واجتمعت إليه جميعُ أهل دعوته من السواد وغيره . فعظم جيشه وتكاثفت عساكره .

---

(١) كذا ، والصواب « قتل » (٢) كذا ، والصواب « وصل »

ولما وصل كتاب إسحاق بن عمران إلى الوزير العباس بن الحسن قلق وشاور أصحابه فى لقاء المكتفى بالله بذلك . فأشاروا عليه بتعجيله . فقال : كيف ألقاه بذلك مع ما يحتاج إليه من الأموال ؟ ولعهدى به قد ناظرنى بالأمس فى دينار ذكر أنه فَضْلُ بقية نفقةٍ دُفعت إليه .

فقال أصحاب الوزير له : اذكر له ذلك ، فإن أسعفك وإلاّ ففى أموالنا فضل .

فقال : لقد فرّجتم عنى .

ثم إنه طالع المكتفى بالله . فقال له المكتفى : كأنى بك أيها الوزير قد قلت كيف أطالع أمير المؤمنين بمثل هذا ، وبالأمس قد ناظرنى فى دينار !

فقال : قد كان ذلك والله يا أمير المؤمنين .

قال : إنما كان ذلك يقتضى لمثل ما كنا فيه ، وأمّا هذا فلا نبخل بمالٍ . امدد يدك بالإنفاق فى الرجال ليلاً ونهارًا ، وجرِّد الكبار من القوّاد .

ففعل ذلك . ووصل أوائل الجيش الكوفةَ فى اليوم السادس من عيد النحر .

قلتُ : ثم كان لهم بعد ذلك وقائعُ وحروبٌ . وأخذوا[1] القرامطة تلك السنة جميع الحاج القادم . وفعلوا من الأمور القباح ما يضيق عنه

---

(١) كذا ، والصواب « أخذ »

التلخيص ، حتى بلغ من أمر المكتفى أنّه امتنع من الدخول إلى النساء ، وكان يصوم (ص ٦١) نهاره سهواً لعظم أمرهم وفخامة حالهم . وكسروا جيوش الخليفة عدّة طرق . وقتلوا وأسروا كبارَ القوادِ ، وفعلوا أمور[١] تقشعرّ لسماعها الأبدان .

ولم يزالون[٢] كذلك حتى نفذ المكتفى بالله سائر جيوشه مع خاصة نفسه يقدمهم محمد بن إسحاق بن كنداج وغيره . فنزلوا يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومئتَيْن بقريةٍ خراب يقال لها صُماخ ، كان يسكنها على قديم الزمان قوم من ربيعة يُقال لهم بنو عنزة ، وبينها وبين البصرة ثلاثة أيّام . فلقيهم قوم من الأعراب فخبّروهم أنّ القرامطة بالبنّىٰ ، وهو موضع من وادِى ذى قارٍ الذى كانت فيه وقعة العرب مع العجم فى أيام كسرى ابرويز ، فظفرت العرب بالعجم . وهو واد كثير الماء العذب ، وبينه وبين منزلة الجيش الخليفتى عشرة أميال . فبات الجيش بصُماخ . وتراءت الطلائع فى عشى يومئذ . ورحل من غدٍ زكرويه لعنه الله طامعاً فى الظفر . فالتقوا بقرية خَرابٍ يُقال لها إرم بينها وبين البنّىٰ ثلاثة أميال ، وذلك يوم الأحد لسبع بقين من ربيع الأول ، فاقتتلوا قتالاً شديداً صبر فيه الفئتين[٣] . ثم كانت

(١) كذا ، والصواب « أموراً »   (٢) كذا ، والصواب « لم يزالوا »

(٣) كذا ، والصواب « الفئتان »

الدائرةُ على اللعين زكرويه ، فانهزم ، وقُتل من جيوشه أكثرُها ، وأُسر منهم خلقٌ كثير . وأفلت صعاليكُ من العرب على الخيل مجرّدين .
٣ ووصل إلى الملعون وهو فى القبةِ فى أوائل سواده ، وقد كانوا قد تحمّلوا فأُخذوا . وكان سبياً عظيماً ، فلم يؤبه إليه وظنوا أنّه فى الخيل المنهزمة فاتّبعوها . ثم إنّ رجل[1] من الجيش الخليفتى قذف بنارٍ فوقعت فى
٦ قبته ، فخرج الملعونُ من ظهرها . فلحقه بعض (ص ٦٢) الرجالة وهو لا يعرفه . فأدركه بعضُ أصحابِ للحيم وهو قد ضربه على رأسه ضربة أثخنه بها . فسقط إلى الأرض . فلما عرفه ذلك الرجل الذى أدركه قال
٩ لصاحبه : قد ظفرتْ يدك . هـذا صاحبُ القوم . ثم أركبه نجيباً فارهاً وقال له : طِرْ إنْ أمكنك . فإذا دخلت بغداد فعرِّف الوزير أنك رسولى وسلِّم إليه الخاتم واشرح له ما شاهدت .واعلم أنه إن علم محمد
١٢ ابن إسحاق بن كنداج وإسحاق بن عمران بمكانك حبساك حتى يسبقك الخبر منهما إليه .

فعمل بذلك . فكان ذلك الرجل أول بشير بالفتح على الوزير .
١٥ ومضى لحيم إلى وصيف وابن سيما فعرّفهما . فاجتمعوا جميعاً وكتبوا كتاب الفتح ، وأخذ جماعة من آل زكرويه ، ونهب الجيش عسكرهم .

---

(١) كذا ، والصواب « رجلا »

وأخذت زوج اللّعين زكرويه < و > تسمى مؤمنة . وانصرفوا نحو الـكوفة فمات الملعون بخَفّان من جراحاته ، وصُبّر وكفّن ، وشُهر كذلك بمدينة السلام على جمل . وأُدْخلوا الأسرى ورؤوس من قتل على الجمـال ، والنساء فى الجوالقات .

ومات خبر القرامطة وانقطع ذكرهم إلى سـنة خمس وتسـعين ومِئَتين .

< ذكر أبى حاتم الزطى >

خرج رجل زُطّىٌّ من السواد يُعرف بأبى حاتم الزطى فقصد أصحاب الثورانى خاصة . وكان الثورانى داعياً كما تقدم ، وأصحابه يعرفون بالثورانية . فلما ظهر هذا المعروف فيهم بأبى حاتم حرّم عليهم الثوم والكرّاث والبصل والفجل ، وحرّم عليهم إراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم أن يتمسّكوا بما هم عليه من مذهب الثورانى ، وأمرهم بأشياء لا يقبلها إلاّ الأحمق السخيف من ترك الشرائع . وهؤلاء طائفة من القرامطة يعرفون بالبَقليّة . وأقام أيضا هذا الملعون المعروف بأبى حاتم نحواً من سنة ، ثم زال . ثم اختلفوا بعده . وكانوا أهل قرًى بسواد (ص ٦٣) الكوفة ، فقالت طائفة منهم : زكرويه بن مهرويه حىّ ، وإنما شُبه على الناس الذى قُتل . وقالت طائفة منهم : الحجة لله محمد بن إسماعيل ابن جعفر حىّ . ثم خرج رجل من بنى عجلٍ قرمطى يُقال له محمد ابن قطبة فاجتمع له نحو من مئة رجلٍ . فمضى بهم إلى نحو الحامدة من واسط فنهب وأفسد ، فخرج إليهم أمير الناحية فقتلهم وأسرهم .

ذكر أبو[1] طاهر القرمطى لعنه الله

ثم خمدت أحوال القرامطة إلى أن تحرك أبُو طاهر بن أبى سعيد الجنّابى لعنه الله وعمل على أخذ البصرة . وذلك فى سنة عشر وثلاث مئة ، فعمل سلالم عراضا يصعد على كل مرقاة اثنان بزرافين إذا احتيج إلى نصبها ، وتُخْلَعُ إذا أُرِيد خلعها ، ثم وافى البصرة ليلاً . فأخرجت الأسنة من زُبُل كانت فيها بحيث لا تصدأ ، ورُكّبتْ على الرماح ، وفَرّقها على أصحابه ، وحشيت غرائر بالرمل ، وحُملت على الجمال ، وأشياء من حديد قد أُعِدّت لذلك . وساروا إلى السور قبل الفجر . فوضعوا السلالم ، وصعد عليها قومٌ من جُلداء أصحابه . فقتلوا سائر مَنْ تكلّم . ودفع إلى آخرين ما يكسرون به الأقفال ، وفتحوا الأبواب . ودخل جيشهم . فأول ما عملوا طرحوا ذلك الرمل الذى كان على الجِمال فى الأبواب نحو ذراع ليمنعوا غلقها ، وكان الأمير على البصرة يوم ذاك شبل المفلحى . فركب مذعوراً فى بعض غلمانه . فقتلوه من وقته وساعته . وفزع الناسُ وركبت الخيل . وكانت العامةُ قد منعها السلطانُ من حمل السلاح فاجتمعوا بالآجرّ . وحضر ابن شبل واجتمع عليه الناس . ووقعت الحربُ فأصابت القرامطة جراحات . والقتل فى العامة كثير جداً . ولم يزل الأمر كذلك إلى آخر النهار (ص ٦٤) ثم

(١) كذا ، والصواب « أبى »

خرجوا وقد قتلوا من الناس مقتلةً عظيمةً إلى خارج البلد ، فباتوا خارج البلد . وخرج الناسُ بعيالاتهم فركبوا الأنهار . وباكر البلد . فنزل دار عبد السلام الهاشمى . وتفرق أصحابه فى البلد يقتلون من وجدوا وينهبون ما يجدون ويحمل ذلك إلى مكانٍ قد عُيّن لجمعه فيه . ثم إنهم رحلوا آخر النهار إلى الأحساء بلدهم . وتراجع الناس إلى دفن قتلاهم .

فلما اتصل خبرهم بالسلطان أنفذ ابن نفيس فى عدّةٍ وعددٍ . فشكر الناسُ . ثم قُلّد أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان أعمال الكوفة وحبيلا وقصر ابن هبيرة والسواد وطريق مكة . فجرى بينه وبين الثورانى وقائعُ عظيمة يطول شرحُها . وردّهم عن أعماله بشجاعته وصرامته ، حتى إنه تعرض قومٌ من الأعراب للفساد فى عمله ، فرحل فى إثرهم إلى قرب دومة الجندل حتى ظفر بهم . ولم يكن أحد قبله فعل ذلك . فهابوه وعمرت البلادُ فى أيّامه ، وصلُحت الطرقُ ، وأمِنت الناس . فلما وقف القرمطى على ما < فعل > هاله ذلك . وكانت جواسيسه لا تنقطع عن العراق كثرةً فى صور مختلفة .

وأمرُه يطول شرحه مع وقائع جرت له مع أبى الهيجاء ابن حمدان ، وأسره إيّاه فى حديثٍ طويلٍ جداً .

ولم يزل كذلك إلى أن دخلت سنة ست عشرة وثلاث مئة . فدخل الكوفةَ . وكان عادَ لا يمنعُه عنها مانعٌ . فدخلها يوم الجمعة

لثلاث خلت من شهر رمضان من هذه السنة المذكورة . فأقام بها إلى مستهلّ ذى الحجة ولم يقتل بها أحد[1] ، ولا نهب شيئًا ، فساس الناس أمرهم معه ، ولطفوا به وبمن معه ، ثم رحل عن الكوفة فى ذى الحجة .

فلما كان فى سنة سبع عشرة وثلاث مئة رحل بجيشه ، فوافى مكّة . فدخلها يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة فقتل الناس فى البيت (ص ٦٥) قتلاً ذريعاً ، ونهب البيت ، وأخذ سلبه ، وقلع ذهبه ، ونزع بابه وستائره ، وأظهر الاستخفاف به ، وقلع الحجر الأسود وأخذه معه ، ولم يشكّ الملعون هو وأصحابه بجهلهم أنه قد بطل قول الله عزّ وجلّ ﴿ ومَنْ دَخَلَهُ كان آمنًا[2] ﴾ . وَخلع الشكُّ فى ذلك كثيرًا من الناس عن دينه ، ولم يعلم أنّ معنى ذلك أنه من دخله كان آمنًا فى حكمى وفرضى . فأمّا أنْ يكون أخرجَ ذلك مَخْرَجَ الأخبار فإنه غلط ، لأن الآية جاءت على معهود كما بيّن عَزّ وجلّ .

ولم يزل الحجرُ الأسودُ عندهم إلى سنة تسعٍ وثلاثين وثلاث مئة . فأرادوا أن يستميلوا أهل الإسلام بالمقاربة ، وأراد الله أن يهتك أستارهم وأن يكذب ما قدّموه من دعوتهم ، وأن يلجئهم إلى تناقض الأقوال

---

(١) كذا ، والصواب « أحداً » (٢) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ٩٧

والأفاعيل . فحملوا الحجر الأسود صُفْرَةً منهم وردّوه إلى الكوفة فنصبوه فيها .

وكان قصدُهم بذلك استمالةَ قلوبِ الناس . فنصبوه فى مسجد الجامع على الأسطوانة السّابعة فى القبلة مما يلى صحن المسجد . وكان فى ذلك آية عظيمة من آيات النبوة بيّن الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم عند نجوم الأشكال فيه . فوطّى الله بذلك حجة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومكّن به صحة شريعته بأن جاء عنه فى الخبر أنّ الحجرَ الأسودَ يُعَلّقُ فى مسجدِ الجامع بالكوفة فى آخر وقت . وجاء الخبر بذلك منقولاً مشهورًا عن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام . ومثل هذا لا يكون عن منّجمٍ ، ولا يوصل إليه إلاّ بخبرٍ من رسول ربٍّ العالمين .

فهذا ما جرى من أبى سعيد الجنّابى وولده فى تلك الديار . وهم شعبٌ من القرامطة . وقد لخّصْتُ من ذكرهم بجدّ (ص ٦٦) الاجتهاد وجهد الطّاقة .

< أبو عبد الله الخادم >

وأتباعه

وأمّا خراسان فإنّ الذى قدم بهذه الدعوة الخبيثة رجلٌ يُعرف بأبى عبد الله الخادم . وكان خادماً لعُبيد الله المهدى بالمغرب . فأوّل ما ظهرتْ بنيسابور . فكان أحد مَنْ أجابه رجلٌ يُعرف بأبى سعيد الشعرانى . فلما حضرت أبا عبد الله الوفاة جعله مقامه فى الأخذ على الناس ، واستخلف الشعرانى بعده الحسين بن على المروزى . وأقام بعده المروزىُّ محمدَ بن إسحاق النسفى صاحب كتاب « المحصُول » والمقالة المقبولة فيه تعطيل الإسلام وغيره من الأديان ، والجرأة على سفك الدماء وارتكاب المحارم وتعطيل الخالق . وكان الذى مكّن أمر هذه الدعوة المروزى بقوته وإمارته وتمكينه . ووزيرُه يومئذٍ محمد بن موسى البلخى . فاستدعى له ابن بابويه صاحب سجستان واستدعى النسفى خلقاً كثيرًا من الرؤساء أصحاب السلاح .

< ذكر الحلّاج الداعى والحدّاد الداعى >

وأما الرىّ مع بلاد فارس فإنه[١] دخل إليها رجلٌ يُعرف بخلف الحلّاج ، كان صاحب محلجة قطن ، كان قد نفذ إلى الرىّ من قِبل عبد الله بن ميمون القداح المقدم ذكره . فدعا بها خلقاً ، وهم يعرفون هناك بالخلفيّة . ولما هلك استخلف ابناً يكنى بأبى سعيد . فأفسد عقول أهل تلك النواحى مما يطول شرحُه . وإنما ذكرنا أصول هؤلاء الملاعين وأصول دعاتهم فى كلّ وجهٍ حسبما ذكره الشريف « أخى محسن » رضى الله عنه .

وأما جبل السّماق فإن الدعوة الخبيثة انتشرت فيه من رجل يُعرف بالحداد الداعى . وهؤلآء أصولُ هـذه الدعوة الملعونة . وإذ قد بيّنّا ما كان من أمر الدُّعاة ، وما جرى على هـذه الأمة منهم ، فلنذكر الآن أصـل الدعوةِ وشرحها ، وكيف يجرى أمرها ، وكيف رُتّبَ باطنُها وظاهرُها .

---

(١) ص « فإن »

فصـــــل

يتضمن ذكر هذه الدعوة الخبيثة وهى تسع

الدعوة الأولى :

اعلم أنّ أوّلَ هذه الدعوة الملعونة بعد عمل الداعى بالزرق والمآتم[1] وقوة إجابة المدعو من سائر الأمم أنّ أوّل ما يسلك به فى السؤال عن المشكلات مسلك الملحدين والشكّاك . ويكثر السؤال عن تأويل الآيات ومعانى الأمور الشرعيّات ، وشىء من الطبائع ، ووجوه القول فى الأمور التى يكثر فيها الشبه ولا يصل إليها إلاّ العالم المبرّز . فإن اتفق له عالم مجيبٌ ممارسٌ جَدِلٌ سَلَّمَ إليه الداعى وعظّمه وكرّمه وحَشَّمه وصوّب قوله وداخله فيما يجب من أمر الشريعة التى يُومى إليها . وكل ذلك ليقطع كلامه ، لئلا يبينَ له ما هو عليه من المكر والخديعة ، وما يدخل به على غيره من الجهّال من أمرِ الدعوة الخبيثة . وإن اتفق مغرورٌ — وهم الأكثرون من الناس من المغفّلين الغايظين[2] الحواس ، ألقى إليه ما يشغله ويبليه بالفكر فيه ، مثل قوله : إنّ الدين لمكتوم ، وإنّ الأكثر له منكرون وبه جاهلون . ولو علمتْ هذه الأمّة ما اختصّها الله عز وَجل من العلم لم تختلف . ويوهم مَنْ سمع كلامه أنّ عنده علوماً

(١) كذا ، وسيلاحظ القارئ أن فى عبارات هذا الفصل بعض الاضطراب

(٢) كذا ، والصواب « الغليظى »

خفيّةً لم يصل إليها . فتطّلعُ نفسُه إلى معرفة بيان ما قال . فربّما وصل أمره مع من يجالسه واحدا كان أو جماعة بشيء من معانى القرآن ، وذكرِ شرائعِ الدين من تأويلٍ وتنزيلٍ وكلامٍ لا يشكّ المسلمُ العارف فى حقيقته ، ويُوهم المستمعين منه أنه قد ظفر بعلم ، لو صادف له مسمعاً لكان ناجياً منتفعاً . ويقرّرُ عندهم أن الآفة التى نزلت بالأمة وحيرت ؟ (ص ٦٨) فى الديانة وشتّت الكلمة وأورثت الأهواء المضلة ذهابُ الناس عن أئمةٍ نُصبُوا لهم وأُقيموا حافظين لشرائعهم ، يُؤدّونها على حقائقها ويحفظون عليهم معانيها وبواطنها ، وأنهم لما عدلوا عنهم ونظروا من تلقآءِ عُقولهم ، واتباعهم لما حَسُنَ فى رأيهم وسمعوه من أسلافهم وعلمائهم ، تباع الملوك فى طلبِ الدنيا وحاملى العنا ومتبعى الإثم وأحشاد الظلمة وأعوان الفسقة ، الطالبين العاجلة ، والمجتهدين فى الرياسة على الضعفاء ، ومَنْ عاندَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى أمته ، وغيّر كتابه ، وبدّل سنته ، وقتل عترته ، وخالف دعوته ، وأفسد شريعته ، وسلك بالناس غير طريقته ، وعاند الخلفاء من بعده ، وخلط بين حقه وباطل غيره ، فتحيّر وحيّر من قبل منه ، وصار الناس إلى أنواع الضلالات به وبأتباعه .

وقالوا لهم حينئذ كالنصحاء الحكما : إنّ دين محمد صلّى الله عليه وسلّم لم يأت بالتحلّى ولا بالتمرّى ، ولا بأمانى الرجالِ ولا شهوات الخلق ،

ولا بما خفّ على الألسنة وعرفته دَهْماء العامة . وإنما الدين صعبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، وأمرٌ مُسْتَثْقَل ، وعِلْمٌ خَفِيٌّ غامضٌ سَتَرَه فى حجّته ، وعَظّم شأنه عن ابتذال الأسرار له ، فهو سِرُّ الله عزّ وجلّ المكتومُ وأمرُه المستورُ الذى لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقاله ، إلاّ ملك مقرّب ، أو نبى مُرسَل ، أو عبدٌ مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان . فى أمثال هذا الكلام . وتمويه على من لا يعلم بأنهم لو أظهروا ما عندهم من العلم لأنكره مَنْ يسمعه ويعجب منه ، وكفّر أهله . وهذه تقدمة يجعلونها فى نفوس المخدوعين لهم ليواطئونهم على أن لا ينكرون[1] ما يسمعون منهم ، ولا يدفعونه فيجعلوا (ص ٦٩) ذلك تأنيساً وتأسيساً لينخلع من الشرائع وترتيب أصولها ، ويُقلع عن الحرص فى طلبها .

وربما قالوا لهم شيئاً يموّهون به أن له تفسيراً وإنما هو تقليدٌ فى الديانة . فمن مسائلهم : ما معنى رَمْى الجمار ؟ وأعْدَادِه المحصورة فيه ؟ والعدوِ بين الصفا والمروة ؟ ولِمَ قضت الحائض الصيام ولم تقض الصلاة ؟ وما بالُ الجنب يغتسلُ من ماء دافقٍ لشىء طاهرٍ منه البشرُ ولم يغتسل من البول النجس الكثير القذر ؟ وما بال الله عز وجلّ خلق الدنيا فى ستة أيامٍ ، أعَجِزَ عن خلقها فى ساعة واحدة ؟ وما الصراطُ المضروبُ فى القرآن مثلاً ؟ والكاتبين الحافظين ؟ وما بالنا لا نراهما

---

(١) كذا ، والصواب « ليواطئوهم . . . لا ينكروا » .

أخافَ ربنا لا نكابره ونجاحده فأذكى العيون وأقام علينا الشهود وقيّد ذلك بالقرطاس والكتابة ؟ وما تبديل الأرض غير الأرض ؟ وما عذاب جهنم ؟ وكيف يصحّ تبديلُ جلدٍ يذهبُ بجلدٍ لم يذهب ولم يذنب فيُعذب ؟ وما معنى ﴿ يحمل عرشَ ربك فوقهم يومئذ ثمانية[١] ﴾ ؟ ولِمَ لا كانوا أكثر أو أقل ؟ وما ذكر الشياطين وما وصفوا به ؟ وأين مستقرهم ومقدار قدرهم ؟ وما يأجوجُ ومأجوج ؟ وما هاروت وماروت ؟ وما سبعة أبواب النار ؟ وما ثمانية أبواب الجنة ؟ وما شجرة الزقّوم الثابتة فى الجحيم ؟ وما دابةُ الأرض ؟ وما رؤس الشياطين والشجرة الملعونة فى القرآن ؟ وما التين والزيتون[٢] ؟ وما الكُنّس ؟ وما الكوثر ؟ وما معنى الٓمٓ ؟ والمص[٣] ؟ وما معنى كهيعص[٤] ؟ و حم عسق[٥] ؟ وأمثال هذه المسائل . ولِمَ جُعلت السموات سبعاً والأرضون سبعا ؟ والمثانى من القرآن سبع آيات ؟ ولِمَ فُجِّرَت العيون اثنتى عشرة عيناً ؟ ولِمَ جُعلت (ص ٧٠) الشهور اثنى عشر شهراً ؟

وأمثال هذا من الكلام والأمور مما يوهمون أنّ فيه معانى غامضة وعلومًا جليلة ، وقالوا للمغرورين : ففكّروا أولاً فى خلق أنفسكم ،

---

(١) سورة الحاقة ، ٦٩ ، الآية ١٧ (٢) أول سورة التين ، ٩٥

(٣) سورة الأعراف ، ٧ ، الآية : ١ (٤) سورة مريم ، ١٩ ، الآية : ١

(٥) سورة الشورى ، ٤٢ ، الآية : ١

وكيف صورّها ، وأينَ مستقرّهَا ، وما أول أمرها ؟ والآن ما هُو وما حقيقته ؟ وما فرّق من حياته وحياة البهائم . وفصل ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات ؟ وما بانت به الحشرات من حياة النبات ؟ وما معنى قول رسُول الله صلى الله عليه وسلم : خُلقت حوآء من ضلع آدم ؟ وما معنى قول الفلاسفة : هو العالم الصغير ؟ ولم جُعِلَتْ قامةُ الإنسانِ منتصبةً دون الحيوان ؟ ولِمَ جُعل فى يديه عشر أصابع وفى رجليه عشر أصابع ؟ ولِمَ جُعل فى أربعٍ منها من يديه ثلاثة شقوق وفى الإبهام شقان ؟ ولِمَ جعل فى وجهه سبع ثقب وفى سائر بدنه ثقبان ؟ ولِمَ جعل فى ظهره اثنا عشر عقدة وفى عنقه سبع ؟ ولم جعل رأسه فى صورة ميم ، ويداه ح ، وبطنه ميماً أخرى ، ورجلاه دالاً ، حتى صار ذلك كتاباً مرسومًا يترجم عن محمد ؟ ولِمَ جعلت أعداد عظامكم كذا وأسنانكم كذا ؟ ولِمَ صارت الرؤساء من أعضائكم كذا ؟ وذكروا له شيئاً من التشريح والقولِ فى العروقِ وفى الأعضاء ووجوه منافع الأعضاء .

ويقولون لهم : ألا تفكرون فى حالكم وتعتبرون ، وتعلمون أنّ الذى خلقكم حكيم غير مجاذف ، وأنه فعل جميع ذلك بحكمة ، وله فى ذلك أغراضٌ باطنة خفيّة ، حتى جمع ما جمعه ، وفرّق ما فرّقه . وكيف يسعكم الإعراضُ عن هذه الأمور وأنتم تسمعون قول الله تعالى ﴿وَفى أنفسكم

أفلا تبصرون[١] ﴾ وقوله عزّ وجلّ ﴿ وفى الأرض آياتٍ للموقنين[٢] ﴾ ويقول (ص ٧١) : ﴿ ويضربُ اللهُ الأمثالَ للنّاسِ لعلّهم يتذكّرون ﴾[٣] ويقول الله عز وجل ﴿ سنُريهمْ آياتِنا فى الآفاقِ وفى أنفُسِهم حتى يتبيّنَ لهم أنّه الحقُّ ﴾[٤] فأىّ شىء رآه الكفار فى أنفسهم وفى الآفاق فعرفوا به الحق ؟ وأىّ حقٍّ عرفه مَنْ جحد الديانة ؟ أو لا يدلُّكم على أنّ الله عز وجلّ أراد أن يدلّكم على بواطن الأمور الخفيّة وأمور باطنة ؟ ولو عرفتموه لزالت عنكم كلّ حيرةٍ وشُبْهة ، وحصلت لكم المعارف السنيّة ، لولا ترون أنكم جهلتم أنفسكم التى مَنْ جهلها كان حَرِيًّا بأن لا يعلم غيرها . أو ليس الله تعالى يقول ﴿ ومَنْ كان فى هذه أعمىٰ فهو فى الآخرة أعمىٰ وأضلُّ سبيلا ﴾[٥] وأمثال هذه الأمور مما يسئلون ويعترضون به من تأويل القرآن ، وتفسير آياتٍ كثيرة من ألفاظِ السنن والأحكام . والجواب عن نصف معانى تفسيرها واضع الشرايع السمعيات فيما وقع منها وما نصب ، وكثير من أبواب التعديل والتحوير مما يأتى فى المقالة الثانية إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة الذاريات ، ٥١ ، الآية : ٢١

(٢) سورة الذاريات ، ٥١ ، الآية : ٢٠

(٣) سورة إبراهيم ، ١٤ ، الآية ٢٥ — وفى الأصل « لعلهم يتفكرون » خطأ .

(٤) سورة فصلت ، ٤١ ، الآية : ٥٣

(٥) سورة الإسراء ، ١٧ ، الآية : ٧٢

فإن أوجب ذلك المسئول عنه شكًّا وحيرة واضطراباً ، وتعلّقت نفسُه بالجواب عنه فتشوّف إلى معرفته ، فسألهم عنه ، عاملوه بمثل ما يعامل به صاحب الفال والزرّاق والقصّاص على العوّام عند امتلاء صدُورهم بما يفخمون به أولاً عندهم من أحوالٍ قد عرفوها من أحوالهم إلى معرفتها أكثر الحاجة وعلقوا بمعرفتها أنفسهم ، وعند بلوغ القصاص إلى ما يبلغون إليه ، يقطعون الحديث لتتعلّق قلوب المستمعين بما يكون بعده .

وهذه صفة هؤلآء الدعاة وحالهم : يقدِّمون الكلام والمسائل ، ثم يقطعون . فتتعلّق أنفُس المغرورين بما قد أُخِّرَ من القول الذى قد قدموا له مقدمةً . فإذا (ص ٧٢) خاطبهم المغرور على علم معرفته وبيان ذلك قالوا له : لا تعجل . فإنّ دين الله عز وجلّ أجلُّ وأكبرُ من أن يُبْذل لغير أهله ، ويُجعل غرضًا للعب وما جانسه .

ويقولون : قد جرت سنة الله جلّ وعزّ فى عباده عند شرع من نصبه أن نأخذ العهد ممن يرشده ولذلك قال : ﴿ وإذ أخذنا من النبيّينَ مِيثاقَهم ، ومنكَ ومِنْ نوحٍ و إبراهيمَ ومُوسىٰ وعيسىٰ بنِ مريم ، وأخذنا منهم مِيثاقاً غليظاً ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب ، ٣٣ ، الآية : ٧

وقال تعالى ﴿ من المؤمنينَ رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه . فمنهم مَنْ قضىٰ نَحْبَهُ ومِنْهُم مَنْ يَنْتَظِر ، وما بَدّلوا تبديلا ﴾[١] .

وقال جلّ ذكرُه : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أوْفوا بالعقود ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ ولا تَنْقُضُوا الأيْمَانَ بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إنّ الله يَعْلَمُ ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غَزْلَهَا من بعد قوة أنكاثاً ﴾[٣] .

وفى أمثال هذا خبّر الله عز وجلّ أنه لم يملك حقه إلاّ لمن أخذ عهده ، فأعطِنا صفقة يَمينك وعاهدنا بالتوكيد من إيمانك وعقودك أن لا تفشى لنا سرًّا ولا تظاهر علينا عدوًّا يطلب لنا غيلةً ، ولا تكتمنا نصحاً ولا توالِ لنا عدوّا .

وإنما غرضُهم فى هذا كله أمورٌ منها أن يستدلوا بظاهرهَا على ما يعطيهم المخدوع من الانقياد إليهم والطاعة لهم من باطن أمره دون شكّه واضطرابه ، وكيف موقع ذلك منه وتمكنه .

ومنها التوثيق بالأمن من كشف أحوالهم وانتشار أمورهم إلاّ بعد توطئة ما يريدونه حالاً لحالاً .

---

(١) سورة الأحزاب ، ٣٣ ، الآية : ٢٣

(٢) سورة المائدة ، ٥ ، الآية : ١

(٣) سورة النحل ، ١٦ ، الآيتان ٩١ ، ٩٢

ومنها أن يرسموه بالذلّ والطاعة لهم ، والرضا منه بأن يكون منقادًا تابعاً ومعظِّما لهم مكثرًا . وإلاّ فإن نكث الأيمان وقلة الاكتراث بها والفكر فيها والاعتداد بأمرها هو دينهم عند البلوغ إلى غايتهم (ص ٧٣) التى يجرون إليها ويبلغون فيها . وإنما يجعلون ذلك مانعاً لأهل هذه الطبقات ما داموا مُسْتَشْعِرِين للعمل بالديانات .

فإن سمح المدعو بإعطاء عهده وتصاغر لهم لقوّةِ اضطراب قلبه وشكّه قالوا له حينئذ : اعطنا جُعْلاً من مالك وغُرماً نجعله مقدّمةً أمام كشفنا لك الأمور وتعريفك إيّاها .

فكان ذلك أيضا مما يستظهرون به عليه من الاستدلال على قوة شكّه وتعلّق نفسه ، وظهرياً لهم على الاستعانة على أمرهم ، وتمكينهم لدعوتهم ، ثم وسموا له وَسْماً بحسب ما يراه الداعى فى أمره صلاحاً .

وإن امتنع عليهم المخدوع فى رتبة العهد وإعطاء الداعى رتبة الغرم وعطيّته ، أمسكوا عنه وزادوه أبدا فى شكّه وحيرته . فهذا حال الدعوة الأولى .

قال العبدُ المولّف لهذا التاريخ أبو بكر عبد الله غفر الله له : قد اخترتُ الله تعالى وأضربتُ عن ذكر بقية المقالات ، وهن ثمان بعد هذه المقالة ، صيانةً لكتابى ، إذ لا أكتب بيدى ما صَمّ له مسمعى واقشعرّ من هوله بدنى . وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له ،

له الدين وله الحمدُ يُحيي ويُميت ، وإليه المصير . وهو على كلّ شىء قدير . وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسوله ، أرسله بالهُدىٰ ودينِ الحق ليُظهِرَه على الدين كله ولو كره المشركون . فإنّى رأيتُ أنّ كتابى هذا جامع لأخبار الناس ، فلا أشوبه بشىء يكونُ فيه التباس ، وهذه المقالة كافية ، والقصدُ منها أن تُفهم لئلا يقع غرٌّ ولا جاهلٌ ، ويتحقق أنّ هذه المسائل والوهبات جميعها ابتداء الشر فى دينه ودنياه . فيجب على من أهدى الله قلبه للإيمان إذا وقع بمن يخاطبه ويداخله بشىء هذا مبتدأه أن يتجنّبه (ص ٧٤) ويتحقّق منه أنّ آخر أمره معه يؤول إلى التعطيل والإباحة نعُوذ بالله منهما .

وهذه الطائفةُ لم تزل من أول زمانٍ تحت الذلّ والخوفِ والوجل ، تُضرب أرقابُهم ، ويُرفعون على الخشب فى كلّ بلدةٍ ، وفى كل إقليم إذا ظهر أحدٌ منهم .

وربما أنّ فى هذا العصر عند وضعى لهذا التاريخ أناسٍ[1] يعتقدون ما قد ذكرناه . غير أنهم لم يصلون[2] إلى هذه الرتبة واحتاجون[3] إليها لقرب مأْخَذِهم بعقولِ مَنْ صَبَا إليهم ، وأنهم يوهمون المغرورين أنهم رُسُلُ رجالِ الغيب ، وأنّ رجال الغيب هم المتصرفون فى هذا الوجود

---

(١) كذا ، والصواب « اناساً » (٢) كذا ، والصواب « يصلوا »

(٣) كذا والصواب « احتاجوا »

بما شاؤا ، يُعطون من أحبّوا ، ويمنعون من خالفهم . وذلك أنهم رأو الناس مُتَكلّبين على حبّ الدنيا وطلب الرياسة والترقى إلى المراتب ، فدخلوا عليهم بما أحبّوا . وقالوا : نحن رُسُلُ رجالِ الغيب المتصرِّفين فى هذا العالم بالعطاء والمنع ، ويوهموا[١] المغرور ويذكروا[٢] له أناسٍ[٣] كانوا سقاط[٤] قد صاروا أرباب مناصب ، ويدّعون أنهم كانوا السبب فى ترقيهم . فيرى ذلك المغرور أن ذلك الرجل الذى ذكروه له كان أقلَّ منه فى مبتدإ أمره ، وأنه لم يكن أهلاً لما قد صار إليه ، فتطمع آماله ويرتبط عليهم ويستعبدونه بما شاؤا . فهم عند ذلك المخيّرون . فهم إن شاؤا أخرجوهم عن دينهم وإن شاؤا استمدوا من أموالهم أوّلا فأولاً .

وقد بلغنى عن رجل عظيم القدر لا يمكننى ذكره أنهم لعبوا به حتى ركّبوه ثوراً ووجهه إلى ذنبه ، وطلعوا به الجبل حتى يجمعوا بينه وبين رجال الغيب وهم يمشون به ووجهه إلى دبر الثور . وقالوا له : إنك لا تصل إليهم إلاّ بهذا الثور ، فإنه الذى يسقى عليه أرضهم التى يقتاتون بها لأجل أكل الحلال . فانظر إلى[٥] . . . (ص ٧٥)

---

(١) كذا ، والصواب « يوهمون » (٢) كذا ، والصواب « ويذكرون »

(٣) كذا ، والصواب « اناساً » (٤) كذا والصواب « سقطاً »

(٥) توجد بعد هذا صفحة ممحوّة تماماً . هى ص ٧٥ .

ذكر خلافة عُبيد الله المهدى بالمغرب

وما لُخّص من سيرته

هو أبو محمد ، وقيل أبو عبد الرحمن عُبَيْدُ الله . وباقى نسبه قد تقدّم عند الاختلاف فيه .

وُلد بالعراق فى سنة سِتٍّ وستين ومئتين . وقال صاحب تاريخ القيروان : كانت ولادة المهدى فى سنة تسع وخمسين ومئتين .

وقيل بل سنة ستين بسَلَمْيَة ، وقيل بالكوفة .

ودُعى له على منابر رقّادة والقيروان يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الأول سبع وتسعين ومئتين .

وكان ظهورُه بسجلماسة لسبع خلون من ذى الحجة سنة ست وتسعين ومئتين .

واستولى على المغرب ، وبنى المهديّة ، وأخرج الأغالبة فى سنة اثنتين وثلاث مئة .

كان بناؤه المهديّة فى سنة ثلاث وثلاث مئة . وكان أول شروعه فى بنائها فى شهر ذى القعدة من هذه السنة . وبنى سور تونس وأحكم عمارتها ، وجدّد بها مواضع .

وتوفى بالمهديّة صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة ، وله ثمان وستون سنة ، وقيل اثنتان وستون سنة .

وكانت خلافتُه بالمغرب خمساً وعشرين سنة .

وكان يتولّى الأمور بنفسه . ليس له وزيرٌ ولا حاجبٌ فيُذْكرا ، والله أعلم .

ذكرُ خلافة القائم بأمرِ الله بالمغرب ولد المهدى وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو القاسم محمد بن عُبَيْد الله المهدى . وما فى نسبه قد عُلِم . وكان اسمه بسَلَمْيَــة عبد الرحمن . فلمـا صار بالمغرب مع أبيــه تسمّى محمـداً . وُلد بسَلَمْيَــة سنة سبعٍ وسبعين ومِئَتَيْن .

وقيل وُلد فى المحرّمِ سنة ثمان وسبعين .

قلتُ : وهــذا غلط بيّن . كيف يكون ولادة أبيه فى ســنة ست وستين وولادة ولده ســـنة ســـبع وســـبعين فيــكون بينهما إحدى عشرة سنة ؟

والذى يمكن أن يكون فى ذلك أنّ مولد المهدى سنة تسع وخمسين حسبما ذكره صاحب تاريخ القيروان . فذلك أقرب إلى الصحيح والله أعلم .

بويع له فى النصف من شهر ربيع الأول ســنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة . وتوفى بالمهدية (ص ٧٧) آخر شهر شوال سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة . وله ثمــان وخمسون سنة .

وكانت خلافتُه بالمغرب اثنتى عشرة ســـنة وسبعة أشهر واثنى عشر يوماً .

وقيل فى عمره أربعة[١] وخمسون سنة وتسعة أشهر وسبعة أيامٍ .

وهو الذى كانت له الوقائع مع المصريّين وجيوش الخليفة مع مؤنس الخادم وثمل فى البر والبحر . ودخل مصر وأقام بها ثمانية أيامٍ . ثم خرج هارباً لا يلوى على شيء . وقد تقدم ذلك جميعه فى الجزء الذى قبل هذا فى تاريخ سنيه .

قلتُ : قد تقدّم من العبد فى هـذا الجزء فأذكر من مساوى هؤلاء القوم وابتدأت بقولى إنى أذكر جميع ما وقفت عليه وطالعته من مدحٍ لهم وهجوٍ فيهم . وقد تقدّم من ذكر المساوئ ما فيه الكفاية والعهدة فى ذلك على ناقله فى الأصل .

والعبدُ يبتدئُ من هاهنا بذكر ما ذكر من محاسنهم وما ذكروه المتغالين[٢] فى محبتهم . وأقلّد كل إنسان ما ذكره بحيث يتحقق الواقف عليه أنى برىء من جميع الأغراض ، ليس لى مع طائفة من الفريقين ميل ولا إعْراض ، وإنما أمرهم إلى الله عزّ وجلّ يفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون .

فمن سِيَر التاريخ اختصار الشيخ أبى القاسم على بن منجب بن سُليمان الكاتب ما وقفتُ عليه بخطه ما ذكر أنّه من تأليف أبى القاسم الطيب ابن على بن أحمد التميمى رحمهما الله تعالى :

---

(١) كذا . والصواب «أربع وخمسون سنة»

(٢) كذا . والصواب «ذكره المتغالون»

فصـــل

فى التنبيه على أن الإمام المهدى بالله هو حجه الله وقايم آل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

(ص ٧٨) قيل : سُئل موسى الكاظم بن جعفر عليهما السّلام عن ظهور القائم متى يكون . فقال : إنّ ظهور القائم مَثَلُه كَمَثَلِ عمودٍ من نورٍ سقط من السماء إلى الأرض ، رأسه بالمغرب وأسفله بالمشرق . فكذلك بداية هذا الأمر من المغرب وانتهاؤه إلى المشرق .

فكان ظهورُ الإمام المهدى بالله بسجلماسة فى ذى الحجة من سنة ستٍّ وتسعين ومئتين . وهى أقصى مسكونِ المغرب . وستظهر دعوته الهادية بإذن الله تعالى أقصى مسكون المشرق . وقد كان الإمام المستنصر بالله دعى له ببغداد فى سنة إحدى وخمسين وأربع مئة كما يأتى ذكر ذلك فى تاريخه إن شاء الله تعالى .

وكان على بن محمد بن موسى الكاظم عليهم السلام يقول : فى سنة أربع وخمسين ومئتين تنكشف عنكم الشدّة ويزولُ عنكم كثيرٌ مما تجدون إذا مضت عنكم سنة اثنين[1] وأربعين .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين »

وهذا كلام فيه إيجاز وألغاز ، وذلك أنّ إشارته أن تكون البداية من تاريخ وقته ، فيكون المراد سنة ست وتسعين ومئتين ، وفيها كان ظهور الإمام المهدى .

وكان أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام بعث إلى المغرب فى سنة خمس وَأربعين ومئة رجلين يُعرف أحدهما بأبى سفيان والآخر بالحلوانى ، وأمَرَهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة صلوات الله عليهم ، وأن لا يتجاوزا أفريقية ، ثم يفترقان فينزل كل واحدٍ منهما ناحية . فامتثلا ما أمرهما به . فكان الحلوانى يقول : بعثت أنا وأبو سفيان فقيل لنا اذهبا إلى المغرب فإنّكما تأتيان أرضا بورًا فاحرثاها وكرّباها وذلّلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذلّلة فيبذر فيها حبه .

وكان بين دخولهما المغرب وبين صاحب (ص ٧٩) البذر ، وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا ، مئة وخمس وثلاثون سنة .

فلما دخل أبو عبد الله وظهر لأهل المغرب علمه وفضله قال أحدُ الأولياء لأصحابه : لولا واحدة كان الحلوانى يقولها ما خامرنى الشك أنّ هذا الرجل هو صاحب البذر الذى كان الحلوانى يُبَشِّرُ به . قالوا : وما هى ؟ قال : كان إذا وَصفه قال فى فيه إصبع . فبلغ ذلك أبا عبد الله فتبسم وقال : هذا لا يكون . ولما أخذ العهد بعد ذلك واشترط الكتمان وضع إصبعه على فيه وقال : هذا هو الإصبع الذى أشار إليه الحلوانى . أمركم بالصمت والكتمان . فأمّا أن يكون فى فم رجلٍ إصبع فلا . قالوا : كذلك والله هُو .

وممّا يناظر ذلك فى الأئمة والبعث على الكتمان ما فسّر به أبو عبيد القاسم بن سلام قول الشاعر :

« وكُلُّ حديثٍ جاوز الإثنين شائع »

قال : أراد بالإثنين الشفتين .

وقال غيرُه : النهى عن الحديث مع ثالث .

قلتُ : ثم ساق صاحب هـذا الكلام محاسن الخلفاء الفاطميين بما يأتى بعض شىء فى تاريخه عنـد ذكر كل خليفة منهم وما قيل من مدائحهم .

فمن مدايح المهدى بالله

قول الورحيلى :

كفى عن الشتط[1] أنّى زايرٌ　　من أهلِ بَيْتِ الوحى خير مزورِ
هــذا أميرُ المؤمنين تَضَعْضَعَتْ　　لقدومه أركانُ كلِّ أميرِ
هــذا الإمامُ الفاطمىُّ ومَنْ به　　أَمنت مغاربها من المحذورِ
والشرقُ ليس بشــامه وعراقه　　من مَهْرَبٍ من جيشه المنصورِ
حتى يفــوزَ من الخلافةِ بالمُنىٰ　　ويَغارَ منه بعــدله المنشورِ

ومن المدائح القائمات (ص ٨٠) قول أيوب بن إبراهيم :

يا أبن الإمامِ المرتضى وابن الـ　　ـوصىّ المُصْطَفىٰ وابن النبىّ المرسلِ
اللهُ أعطاكَ الخــلافةَ واهباً　　وأراكَ للإســلام أَمنعَ مَعْقِلِ
نلتَ الخلافةَ وهى أَعظمُ رتبةً　　نِيْابَةً وليست من عُلاك بأفْضَلِ
فمنعتَ حَوْزَتها وحُطْتَ حَرِيمها　　بالمشرَّفيّة والوشــيج الذُّبَّــل

خليل بن إسحاق لما بعثه لحرب محمد بن كيداد :

وما وَدَّعْتُ خَــيْرَ الخَلْقِ طُرًّا　　ولا فارقتُــه عن طيب نفسِ
ولــكنى طلبتُ به رِضــاهُ　　وعَفْوَ الله يوم حُــلولِ رَمْسِ
فعاش مُمَلَّــكاً ما لاَحَ نجمٌ　　على الثَقَلَيْن من جِنٍّ وإنسِ

(١) كذا ، وفوقها كتب « يحرّر »

ذكر خلافة المنصُور بالله بالمغرب

وما لخّص من سيرته

هُو أبو الطّاهر إسماعيل بن محمد القائم بالله بن عبيد الله المهدى بالله وباقى نسبه قد عُلم .

وُلد بالمغرب سنة إحدى وثلاث مئة . وقيل فى سنة ثلاث مئة ، فى أول ليلة من ذى القعدة . وقيل بل من شهر جمادى الآخرة .

بُويع له فى شوال سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة .

توفى آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة . وله إحدى وأربعون سنة وخمسة أشهر ،

وكانت خلافته ثمانى سنين . وقيل سبع سنين وعشرة أيام .

فمن مدائحه لما أظهر أبوه القائم بأمر الله بيعته

فى سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة

فقال التونسى :

أما والقنا الظمآن حِلْفَةَ مُغْرَمٍ　　وجُرْدِ المذاكى والصفيح المقوّم
وشهباء من نسج الحديدِ كأنّما　　تكاله تحت العجاج بأنجم
مسوّمةً راحت رَواحاً وأربحت　　لإدراك ثأرٍ أو لإحراز مَغْنَمٍ (ص ٨١)
لقد سنَّ إسماعيلُ سنّةَ جدّه　　لكلٍّ فصيحٍ فى البلادِ وأعْجَمِ
وقلّد حَقَّ المسلمين بحقّه　　فتمّتْ به النعما على كلّ مُسْلِمِ
وكان بحمد الله أمْناً لخائفٍ　　وعزًّا لمغلوبٍ وغَيْثاً لمُعدمِ
فيا بهجةَ الدنيا بأيامه ابهجى　　ويا بَيْضَةَ الملكِ اسلمى ثمّتَ اسلمِى
ويا جمرة الحربِ العَوانِ قد انبرى　　لك البحر زهواً فاخمدى أو تضرّمى
وقد قيم بالدين والدنيا فاستوت　　أمورُهما من هاشمٍ خيرِ قيّمِ
من الفاطميّين الذين إذا انتموا　　إلى المجدِ غَطّى رأسَه كلُّ منتمِ
مليكٌ إذا سَلّ السيُوف على العِدى　　دجا الليل أو تُرْوى السيوفُ من الدم
بديهته فينا كفكرة غيره　　إذا هو أمضى الأمر لم يتندّمِ

فنعم مُلاذُ المسلمين وكهفُهم ‎   إذا ما خطوب الدهر جاءت بصيلم
ونعم خطيبُ الناس فى كلِّ فيصلٍ ‎   إذا الخطب فيه شدَّ باب التكلم
٣ وقوله :
وقد كانتِ الأيامُ خُرسًا فأصبحتْ ‎   لها ألسنٌ بالشكر لله تنطقُ
فما بعد هذا للوسائل ملجأٌ ‎   ولا للمُنى فى غيره متعلّقُ
٦ فقد وضعتْ تلك المواعيدُ حملها ‎   تماماً وكانت قبل ذلك تطلق

ذكر خلافة المعز لدين الله بالمغرب إلى حين دخوله مصر

هو أبو تميم معدّ بن إسماعيل المنصور بالله محمد القائم بأمر الله ابن المهدى ، وباقى نسبه قد عُلِم .

ولد بالمغرب بالمهديّة بعد مضى أربعة[1] ساعاتٍ وأربعة أخماس ساعة من نهار يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاث مئة .

بُويع له يوم الجمعة لليلةٍ بقيت من شوال سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة . (ص ٨٢)

---

(١) كذا ، والصواب « أربع »

ذكر سبب دخول جوهر القائد مصر

قال العبدُ الفقيرُ إلى الله أضعف عباد الله وأحوجهم إلى عفو الله ، وإن كان الخلايقُ بأجمعهم إلى عفوه محتاجين ، وعلى رحمته متّكلين ، أبو بكر بن عبد الله مؤلّف هذا التاريخ ، الكثيرِ الفنونِ المشنّفِ للسمع والمنزّه للعيون :

قد تقدم القولُ فى الجزء الذى قبل هذا وهو الجزء الرابع ذكر دخُول القائد جوهر مصر فى تاريخ سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة . وهو آخر ما انتهى فيه الكلام فى ذلك الجزء وجميع ما قدّمنا فى هذا الكلام فهو توطئة لسياقة سنى التاريخ . ونحن نبتدئ الآن بسياقة السنين على التوالى حسبما أسّسناه فى جميع ما تقدّم من الأجزاء ، ونُقدم قبل ذكر سنة تسع وخمسين ما كان تبقّى فى سنة ثمانٍ وخمسين ، ليكون الكلام عليه طلاوة وله ذوق وحلاوة إذا أتى على السلاوة .

وذلك أنه لما قام بأمر الإخشيديّة بعد وفاة الأستاذ كافور الإخشيدى أحمد بن على بن الإخشيد ، حسبما تقدم من ذكره ، كان بالرملة الحسنُ بن عبد الله بن طُغج . فطمع أن يسبق فيكون صاحبَ الدولة . فسار إلى مصر فاستقبله كبراء الدولة . فرام الجلوس ، فقالوا له : إنّ ابن عمّك أحمد قد عُقد له الأمرُ ، وقد اجتمع عليه أهلُ الدّولة . فطمع فى مالٍ يأخذه ، فقال لوزير عمه ، وهو يومئذ جعفر بن حِنْزابَة ،

وكان المتحدّث فى الوزارة ، لأحمد : احمل إلى مال[1] . فقال : ما عندى مال . فأمر به فجرى عليه مكروه ، وتوعّده بالقتل . فحقد فى نفسه . ثم إنّ الحسن بن عُبيد الله رجع إلى الشام ، وهو يومئذ ملكها ، وضمر فى نفسه أن يحشد ويعود فيأخذ مصر . وحَسّ (ص ٨٣) جعفر بن حِنزابة منه بذلك ، فخشى على نفسه منه . فكتب إلى المعزّ أبى تميم ، وهو يومئذ بالقيروان ، يحثّه على الحضور ليملّكه البلاد . وكانت أيضاً كتبُ كبار المصريّين قد وَرَدَتْ عليه بذلك . ومن جملة ما كتب إليه الوزير جعفر : إنْ كنت تخشى أنك لا تحضر بنفسك فابعثْ مَنْ تثقُ به يتسلّم البلاد ويعلم صحة المناصحة .

فأنفذ المعزّ عبده جوهر . فحشد الناس من المدن والقرى وسار فى جيش عظيم . فلقى الإخشيدية وهزمهم . فبعضٌ استأمن وبعض قتل . وتمكّنت المغاربةُ من الأنفس والأموال والثمرات . ودخل جوهر القائد مصر يوم الثلاثاء الثانى عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة .

ولما سار الحسن بن عبيد الله بن طُغج فى ذلك الوقت إلى الشام نزل على ظاهر دمشق . فأقام شهورا يجمعُ فى الناس . ثم بلغه دخولُ المغاربة مصر فيئس من مصر ، وخشى على ما بيده من بلاد الشام .

---

(١) كذا ، والصواب « مالا »

فسار من دمشق فى شهر رمضان من هـذه السنة واستخلف عليها شمولاً غلام عمّـه الإخشيد . وكان فى نفس شمول منه حقدٌ ، فـكان على ما ذكر يُـكاتب جوهرًا بمصر . ونزل الحسن بن عبيد الله الرملة وأخذ أهبته للحرب ممن يسير إليه من المغاربة . فوردت عليـه الأخبارُ بأنّ القرامطةَ قد ساروا من بلدهم قاصدين إليـه ، وقد كان فى قلوب المغاربة منه هيبةٌ عظيمة ، لم يجسروا أن يخرجوا إليه جيشاً ، فـكان ممـا اتفق من الأمور المقدّرة أنّ القرامطة وافت إلى ظاهر الرمـلة ، فلقيهم الحسنُ بن عُبيد الله ، فانهزم ، ثم جرى بينهم بعـد ذلك الصلح . ومكث جيشُ القرامطة على الرملة ثلاثين يوماً (ص ٨٤) .

وكانت هـذه الوقعةُ بين الحسن بن عبيد الله وبين القرامطة فى شهر ذى الحجّة سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة . ثم رحلوا(١) القرامطة عن الرملة .

فلمـا بلغ المغاربةُ كسرة الحسن بن عُبيد الله من القرامطة دَاخَلَهُم الطمعُ فيـه واستضعفوه ، وكاتبوا مَنْ كان قبـله من العمّال والولاةِ ووعدوهم الإحسانَ إليهم ليقعدوا عنـه ، وجُهِّزَ لحربه من مصر جعفر ابن فلاح فى عسكر من المغاربة . وقد كان الحسنُ بن عبيد الله يكاتب شمولاً الذى خلفه على دمشق بأن يسـير إليـه بمن معه وبمن يستخدمه

---

(١) كذا ، والصواب « رحل »

ليجتمعوا على حرب المغاربة ، فكان يتقاعد عنه لما بينه و بين جوهر القائد من المكاتبات .

وكان أيضاً قد نفذ إلى الصباحى وهو والى بيت المقدس بأن يجمع له الرجال من تلك النواحى والجبال و يسير إليه . وقربوا[1] المغاربةُ منه وتقاعد عنه الفئتين[2] من دمشق والمقدس . فلما يأس ممن ينجده من نوّابه التقاهم بمن كان معه . فانهزم وأخذه السيف . فقتل كثيرٌ من أصحابه ، وأخذوه أسيراً . وتمكّن جعفر بن فلاح من الرملة وذلك فى النصف من رجب سنة تسع وخمسين وثلاث مئة .

---

(١) كذا ، والصواب « قرب » (٢) كذا ، والصواب « الفئتان »

ذكر سنة تسع وخمسين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هـذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وسبعة عشر أصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وإحدى عشر أصبعاً[2] .

ما لُخّص من الحوادث :

الخليفةُ ببغداد والعراق مع الشرق كلّه إلى حدود الشام المطيعُ لله أمير المؤمنين .

ومصر يومئـذ فى ولاية المعز لدين الله مع سائر المغرب خلاَ الأندلس ، وقد اتصل أمره إلى أطراف الشام .

(ص ٨٥) وجوهر القائدُ الأميرُ يومئـذ بمصر من قبل المعزّ المذكور .

والوزير بها أبو الفضل جعفر بن حِنزابة على ما كان عليه فى أيام الإخشيدية .

والقاضى بمصر يومئذ أبو طاهر .

---

(١) كذا : والصواب « خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وإحدى عشرة إصبعاً » . وفى النجوم « وتسع عشرة إصبعا » ٤ / ٥٧

وفيها فى الثامن من شهر جُمادى الأولى يوم الجمعة حضر القاضى النعمان المغربى والقائد جوهر إلى جامع ابن طولون وأمّر أن يؤذّن[١] بحىّ على خير العمل . وهو أوّل يوم أُذِّن بذلك فى مصر .

وفيها كان النواح على الحسين ببغداد على الرسم والعادة على ما تقدّم من شرحه فى الجزء الذى قبله .

وفيها وَجَّه القائد جوهر الإخشيديّة إلى المغرب .

ولما انكسر الحسنُ بن عبيد الله بن طغج وأُسر انتقل جعفر بن فلاح من الرملة إلى طبرية . وابتدأ[٢] يبنى قصراً عند جسر الصيرة وكان بها يومئذ فاتكا[٣] غلام مُلهم ، والياً عليها من قبل كافور الإخشيدى رحمه الله . وقد كان ابن فلاح راسله وخدعه حتى قعد عن نُصرة الحسن بن عُبيد الله — وكانت بنو عقيل على حوران والبثنيّة من قبل الإخشيدية حين ولى كافور مروان وظالماً ومُلهماً تلك الديار . فلما تمكن جعفر بن فلاح من طبرّية ومن الملاهمة أراد أن يقلع الجميع من تلك الديار . فاستجلب إليه مُرّة وفزارة من العرب وقرر معهم قتل فاتكاً[٤] غلام ملهم والى طبرية . فرتبوا له رجالة من المغاربة فظفروا به غفلة . فلما رآهم قد أحاطوا به يأس من الحياة . فجرّد سيفه وقال : غدرتم ونقضتم الأيمان . وضرب رجلاً منهم على وجهه فعبر السيف فيه فرمى نصف رأسه ، وأدركه بقيةُ القومِ فقتلوه .

---

(١) ص « يأذن » (٢) ص « وابتدى »

(٣) كذا ، والصواب « فاتك » (٤) كذا ، والصواب « فاتك »

ثم إنّ جعفر بن فلاح أظهر عدم الرضى بقتله ، وأنّ ذلك كان بغير إرادته ، وقبض على الذين (ص ٨٦) قتلوه فأوثقهم ، وبعث بهم إلى ابن مُلهم . وقال له : هؤلاء الذين قتلوا غلامك . فقال : هو غلامى وقد وهبتُه . وأطلق الذين قتلوه . وقد علم أنه هو الذى أمر بقتله ولو قتلهم قتله بهم .

وكان مما اتفق لدمشق من الأمر المذموم أنّ مشايخ من أهلها ساروا إلى طبرية يتلقّون جعفر بن فلاح ، فيهم عقيل بن الحسن بن الحُسين العلوى ، وابن أبى يعلى العبّاسى . فأدركوا يوم دخولهم طَبَرِيّة قَتْلَ فاتكٍ ، والفتنةُ ثائرة والمغاربة قد ركبوا يأخذون الناس . فوجدوا[1] القومُ المشايخَ الذين قدموا من دمشق . فأخذوهم وجرّدوهم عن ثيابهم وتواعدوهم وضربوهم . وقالوا : أو ذا نحن سائرين[2] إليكم . فرجعوا إلى دمشق فى أسوأ الأحوال وأخبروا بما جرى عليهم من قومٍ جُفاةٍ قباح المناظر والزىّ والكلام ، ليس لهم عقولٌ يرجعون إليها .

فلما سمع الناسُ ذلك ارتاعوا منه وتوحّشتْ قلوبُهم . وكان شمول قد سار من دمشق فلقى جعفر بن فلاح بطبرية قبل ذلك ، وخلا البلد من سلطان . فطمع الطامعُ وكثر الدعّارُ وحُمّال السلاح .

ولما قتل جعفرُ بن فلاح فاتكاً عمل على قلع بنى عقيل من حوران والبثنيّة . فأنفذ إليهم مُرّة وفزارة ليقلعهم من الدار ، وبعث

---

(١) كذا ، والصواب « فوجد » (٢) كذا ، والصواب « سائرون »

خلفهم عسكر من المغاربة . فلما التقى القوم كانت عقيل أقوى من مرّة وفزارة . فأنجدتهم المغاربةُ ، فانهزم العُقَيليّون ، فتبعوهم إلى أرض حمص ، ثم رجعوا عنهم . فمالوا على جبل سنير فنهبوا وهتكوا الحريم ، ونزلوا إلى الغوطة لجالوا فيها . فخرج إليهم أهلُها فمنعوهم النهب . فساروا حتى نزلوا على نهر يزيد نحو الدكّة ومعهم ما نهبوه من جبل سنير . فثار عليهم أهلُ البلد فقاتلوهم وقتلوا منهم كبيراً (ص ٨٧) من العرب يُقال له عيسى بن هواش الفزارى . وأهزموهم عن دمشق .

فلما كان لثمان خلون من ذى الحجّة من هذه السنة أقبلتْ طلائعُ ابن فلاح . فخرجت الناسُ إليهم مستعدّين للحرب فى خَيْلٍ ورَجْل . فاقتتلوا يومهم ذلك بأجمعه ، ثم انصرفوا ، ثم كانت بينهم حروبٌ شديدةٌ تشيّبُ الأطفال . وأهل دمشق صابرين[1] على ما نزل بهم من البلاء ، وأصبح القتالُ إلى يوم عيد الأضحى ، ولم يُعَيّد أحداً[2] ولا صلّوا صلاة العيد . والحرب قائمةٌ على ساقٍ وقدم . فانهزموا[3] أهلُ دمشق وتبعتهم المغاربةُ قتلا وأسرا ، وجرتْ أمورٌ يطول شرحها . وآخرُ الأمر أن اتفق بينهم المراسلة ، وأن فلاح لا يعفو عنهم أو تخرج النساء

(١) كذا . والصواب « صابرون »   (٢) كذا ، والصواب « أحد »
(٣) كذا ، والصواب « فانهزم »

مكشوفين الوجوه منشورين الشعور ففعلوا[1] . وهو مع ذلك لا يرتد إلى توعد وترهيب[2] .

ثم قَرّرَ على البلد جباية أموالٍ عظيمة . كانت سبب فقر البلد إلى آخر وقت .

ثم قال : نعبرُ يوم الجمعة نصلّى بالجامع . فدخل يوم فى عسكره ، وسار حتى صار فى سوق الدوابّ ، فوقف فى جماعةٍ من أصحابه . ودخل عسكره البلد . فلما خرجوا من الجامع وضعوا ينهبون ، حتى استوسقوا ، ثم عطفوا يريدون الأزقّةَ والدورَ . فثار الناسُ عليهم فقتلوا جماعةً من الرجالة .

ثم إنّ مشايخ البلد خرجوا بعد ذلك لابن فلاح . فرهّب عليهم وتوعّدهم بحرق البلد ووضع السيف . وقال لهم : دخل رجالُ أمير المؤمنين إلى الصلاة فقتلتموهم . فلطفوا به وداروه . فأومأ إلى مالٍ يأخذه[3] وقال : ديةُ رجالِ أمير المؤمنين . فأجابوه . وكان فى الجماعة أبو القاسم أحمد ابن الحسين العقيقى العلوى ، وابنُ هشام وكان يتولّى الكلام فى ذلك . (ص ٨٨) ثم قسط المال فعمّ الناسُ البلاءَ فيه .

---

(١) كذا ، والصواب « مكشوفات الوجوه ، منشورات الشعور ففعلن »

(٢) كذ ، والصواب « لا يزيد إلا توعداً وترهيبا »

(٣) ص « فأخذه » تصحيف

ثم إنه نزل الدكّة فوق نهر يزيد ، فأكثر فيها البنيان ، وبنى أصحابه من حوله مساكن ، وصار فيها أسواق .

ثم إنه بنىٰ بها قصرًا عجيبًا بالحجارةِ العظيمةِ ، ولم يزل حتى هدمه ابن أبى المنجّا لما ملكت القرامطةُ حسبما يأتى من خبرهم فى سنة ستين وثلاث مئة . ولما استقرّ بابن فلاح النزول طلب حُمّال السلاح ، فظفر بقومٍ منهم فَشَدّهم فى الأدم أياماً ، ثم ضرب أعناقهم وكانوا اثنى عشر إنسانا .

ذكر سنة ستين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة[1] أذرع فقط .

مبلغُ الزيادة سبعة عشر ذراعا واحد وعشرون إصبعا[2] .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ المطيع لله أمير المؤمنين .

ومدبّر الممالك الخليفية ببغداد عزُّ الدولة أبى[3] منصور بَخْتِيَار ابن معزّ الدولة ابن بُوَيْه الديلمى .

والمعزُّ صاحبُ المغربِ وديارِ مصر والشامِ ، وهو مقيم بالقيروان .

وجوهرُ القائد بمصر من قبله .

وجعفرُ بن فلاح بالشام من قبلهما إلى أن قُتل فى هذه السنة على يد القرامطة حسبما يأتى من ذكر ذلك .

وفى هذه الأيام الفتن[4] تغلّب نقفور الدمستق ملك الأرمن[5] على كثيرِ

---

(١) كذا والصواب « خمس أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعا »

(٣) كذا ، والصواب « ابو »

(٤) كذا

(٥) فى الأصل « ملك الروم » وصححت فى الهامش

من ثغور المسلمين . ومَلَكَ حلب ، وأقام بها أيّامًا . وسبى من المسلمين بضعة عشر ألفًا . وقتل ملك الروم وتزوّج زوجته . وعزم على أن يُخْصِي ولديه . فأدارت عليه الحيلة وقَتَلَتْه ليلة الميلاد فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع وخمسين وثلاث مئة .

وفيها سُلِّمَتِ الدواوينُ بالديار المصريَّة إلى عسلوج وأبو[1] الفرج يعقوب بن كِلّس ، والقاضى بمصر أبو طاهر . وابن ثوبان يقضى بين المغاربة .

(ص ٨٩) وفيها توفى أبو الفضل ابن العميد صاحب البلاغة ، وقد قيل : ابتدأت البلاغةُ بعبد الحميد وانتهتْ بابن العميد .

وفيها وصلت القرامطةُ دمشق .

---

(١) كذا : والصواب « وأبي » .

ذكر سبب خروج القرامطة إلى دمشق

وكان لما انهزمت أهلُ دمشق من المغاربة خرج ابن أبى يَعْلى إلى الغوطة ، ثم طلب البريَّة يريدُ بغداد يستصرخُ بالخليفة على المغاربة ، حتى إذا صار نحو تَدْمُر لحقه ابن عُلَيّان العَدَوِى فأخذه وَرَدّه إلى جعفر ابن فلاح . فشهره فى عسكره على جَمَلٍ ثم حمله إلى مصر .

وكان محمد بن عصودا انهزم وخفى أمرُه ، وتوصّل حتى صار إلى الأحساء إلى القرامطة . وقد كان استقرّ من أمرهم أن يأخذوا الخفائر من سائر الأقاليم ومن خليفة بغداد ، ويقال خفارة الحاج ، بعد أمورٍ كثيرة جرت لو أثبتها كانت عدة أجزاء . وكان قد صار إليهم قبل محمد بن عصودا ظالم العقيلى لمّا انهزمتْ بنو عقيل أوّلاً من حوران . وكان يحثُّهم على المسير إلى الشام . ورَدَفَه ابن عصودا فوقع ذلك منهم بالموافقة ، لأنّ المال الذى كان تقرر على الإخشيدية لهم بسبب الخفارة حسبما ذكرنا انقطع لمّا زالت دولتُهم وملكت المغاربةُ . فكانوا على المسير إلى الشام من غير محرِّكٍ ولا مُحِثٍّ .

وكان جعفرُ بن فلاح لما تمكّن من دمشق وأخذ منها الأموالَ ، وكبرت أحوالُه ، طمع فى أَخْذِ انطاكية . وظن أنّ ليس بها من يمنع . وكان لها نحو من ثلاث ستين مذ أخذها الروم من المسلمين . فأنفذ إليها عسكراً عليه غُلامٌ لهُ يقال له فتوح . وكان ذلك فى شهر صفر

أو فى ربيع الأوّل سنة ستين وثلاث مئة . وحشد الناس من أعمال دمشق وغيرها (ص ٩٠) وأنفذ عسكراً بعد عسكر . وكان ذلك بدوّ الشتاء . فقاسوا[١] الناسُ مشقّةً عظيمةً من قوّةِ البرد وانكلاب الشتاء . ولم يزالو كذلك حتى أقبل الربيع . وقاتلوهم[٢] أهلُ أنطاكية أشدّ قتالٍ ، فلم يبلغوا منها أرب . وكان على الإسكندرونة عسكرٌ للروم ذُكر أنّه عسكر الطبرباری[٣] . فجهّز إليهم ابنُ فلاح سرية فيها أربعةُ آلاف عليها كبيرٌ من المغاربة يُقال له عراس ، ومعه ابن الزيات أمير الطرسوسيّين . فساروا حتى أشرفوا على معسكرِ الروم . فنظروا إلى مضارب الرومِ فى مرجها وفيها خيمٌ من الديباج . فتسرّعوا إلى النهب . وكان الطبرباری أحسّ بهم فأخذ المقاتلة من عسكره وتنحّى عن السواد . فلما دخلت المغاربةُ الخيام للنهب حمل عليهم الطبرباری . فانهزموا وأخذهم السيفُ من كل جانبٍ . وادر[٤] ابن الزيات فأخذ عراس وصعد به الجبل فأفلت . وهلك مَنْ كان منهم فى المضيق . فكانت هذه أول خمولهم . وانكسرتْ قلوبُهم ، وبدأ أمرُهم ينحلُّ . وكانت الأخبارُ قد وردت على ابن فلاح أنّ القرامطة سائرون إلى الشام وأن ظالماً المقوّى لهم . فورد عليه من ذلك موردٌ عظيم .

---

(١) كذا ، والصواب « فقاسى »
(٢) كذا ، والصواب « وقاتلهم »
(٣) كذا
(٤) كذا ، ولعلها عامية « ندر »

ثم إن القرامطة خرجوا من بلدهم متوجهين إلى أرض الكوفة ، ثم كانت لهم إلى بغداد مراسلات . وأُنفذ إليهم خزانة سلاح من بغداد وتوقيعٌ بأربع مئة ألف درهم على أبى تغلب بن ناصر الدولة ابن حمدان . ورحل القرمطىّ عن الكوفة فنزل الرحبة . وكان عليها أبو تغلب المذكور فى قصة له . فحمل إليهم العلوفة ، وحمل إليهم المال الذى كتب لهم به ، وأرسل إلى سيد القرامطة — وهو يوم ذاك الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الجَنَّابى المقدَّم ذكره — يقول له : هذا شىء (ص ٩١) أردتُ أن أسير إليه بنفسى ، وأنت تقوم مقامى فيه ، وأنا مقيمٌ فى هذا المقام إلى أن يرد علىّ خبرك . فإن احتجت إلى مسيرى سرتُ إليك . ونادى فى عسكره : مَنْ أراد المسيرَ من الجند الإخشيديَّة وغيرهم إلى الشام فلا حجر عليه ، فليسرْ مع السيدِ الحسن ابن أحمد ، فالعسكران واحد .

فخرج إلى عسكر القرمطىّ جماعة كبيرة من عسكر أبى تغلب . وكان فيه كثيرٌ من الإخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين . ولما بلغ القرمطىّ ذلك سرّه وزاده قوّة . وسار إلى الرَّحْبَة طالباً لعسكر ابن فلاح .

فلما كان يوم الخميس لستٍ خَلَوْنَ من ذى القعدة سنة ستين

وثلاث مئة ، وهى بهذه السنة ، التقيا[١] القرمطىّ وجعفر بن فلاح . وكانت الكَسْرَةُ على المغاربة . وتمزقوا كلّ ممزّق ، وتفرقوا فرقاً ، وانهزم كثيرٌ منهم مع جعفر بن فلاح يريدون الدكّة بدمشق . فكثرتْ عليهم العربُ ، وثار العثار فلم يعرف الكبيرُ منهم من غيره ، وقُتل جعفرُ بن فلاح فى المعمعة وهم لا يعرفونه . ثم انهزم الذين كانوا معه ، يطلبون وادى الريح . وتسلّقوا فى الجبل واشتُغل عنهم بالنهب ، حتى استوسقوا ، حتى جنّهم الليل .

فلما كان بعد الوقعة عَبَرَ بجعفر بن فلاح مَنْ عَرَفَه وهو مقتولٌ مطروح على الطريق . فجاءه ابن عصودا فأخذ رأسه وصلبه على حائطٍ فى داره . أراد بذلك أخذ ثار أخيه الذى كان قتله مع تلك الجماعة من حُمّال السلاح .

ثم إنّ القرمطىّ نزل بعد الوقعة على ظاهر المزّة ، فجُبِىَ له مالاً[٢] من البلد ، وسار يريد الرَّمْلَة .

وكان قد أنفذ إليها جوهرٌ القائد من مصر رَجُلاً من المغاربة يُقال له سعادة ابن حِيّان ذكر أنّه فى إحدى عشر ألفاً . فلما بلغ

---

(١) كذا ، والصواب « التقى »   (٢) كذا ، والصواب « مال »

(ص ٩٢) ابن حيان الخبر تحصّن فى يافا . فنازله القرمطىّ بجيوشه وحصره بها . ثم ترك على حصاره أبا المنجّا وظالم[1] العقيلى وتوجّه
القرمطى يُريد مصر ، حسبما يأتى ذكره فى تاريخه . ٣

وفيها كان النواح ببغداد على العادة المستقرة حسبما ذكر .

---

(١) كذا ، والصواب « وظالماً »

ذكر سنة إحدى وستين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة[1] أذرع وعشرون إصبعا .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع[2] .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ المطيع لله أمير المؤمنين .

ومدبّرُ الدولة الملك بختيار بن بويه .

والمعزّ بالقيروان .

وجوهرُ القائد بالديار المصريّة .

وفيها بُنيت القاهرةُ .

ذكر بناية القاهرة المحروسة وخططها

وقعتُ على مسوّدة مجلّدة بخطّ يد القاضى ابن عبد الظاهر رحمه الله يقول فى أولها : « الروضةُ البهيّة فى خَطَط القاهرة المعزيّة » . جمعُ الفقير إلى الله تعالى فى سنة ٦٤٧ .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

ثم يقول بعد التحميدة والتوطئة ويذكر بدوّ نسب المعزّ ويذكرُ الخلاف فيه ، كلُّ ذلك ملخصاً . ولعلّه كان يريدُ بسط القول بعد ذلك فى ما أخلاه من البياض فى المسوّدة فأدركه أجلُه قبل ذلك رحمه الله .

قال : ولما تَحقّقَ المعزُّ وفاةَ كافور الإخشيدى رحمه الله واضطراب الأمور بمصر ، ومكاتبات الأعيان منها إليه ، جهّز جوهر ، وهو غلامٌ رومىُّ الجنس ، وصحبته العساكر . ثم برز بموضع يعرف برقّادة ، وخرج فى أكثر من مئة ألفٍ وبين يديه أكثر من ألف صندوق مال . ثم ركب إليه المعزُّ عند وداعه . فجلس ، وقام جوهر بين يديْه . فالتفت المعزُّ إلى المشايخ الذين وَجَّهَهم معه وقال : والله لو خرج جوهر هذا وحده (ص ٩٣) ليفتحن مصر ، وليدخلنّها بالأردية من غير حربٍ ولينزلنَّ فى خرابات ابن طولون ويبنى مدينةً تُسمّى القاهرة تقهر الدنيا .
قال القاضى ابن عبد الظاهر رحمه الله : هذا ما ذكره القاضى الأكرم ابن القفطى وزير حلب رحمه الله فى أخبار الديار المصرية .

ذكر أشياء من خَطَطِ القاهرة

مما لم يسبق إليها أَحد

قال[١] : ونزل القائدُ جوهر فى مُناخه موضع القاهرة الآن ، يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة . واختطّ فى تلك الليلة القصر . فلما أصبح المصريون حضروا للهناء ، فوجدوه وقد حفر الأساس بالليل . وكانت فيه ازورارات غير معتدلة . فلما شاهد جوهر ذلك لم يعجبه . ثم قال : دعوه . فإنه حُفر فى ليلةٍ مباركةٍ وساعةٍ سعيدةٍ . وتركه على حاله . وكان قصر الشوك قبل بناية القاهرة يُعرف بذلك ، وكان منزلاً لبنى عذرة ، فجُعل أحد أبواب قصر جوهر .

ثم خُطت خطط القاهرة بعد ذلك

وحدُّ القاهرة من مصر السبع سقايات .

ولما بنىٰ جوهر القصر أدخل فيه دير العظام . وهو الآن المعروف بالركن المخلّق قبالة حوضِ جامع الأقمر ، وبقربه بئر العظام . والمصريّون يقولون بئر العظمة . فكره جوهر أن يكون فى القصر ديرٌ فنقل

(١) نقل المقريزى بعض هذا النص ، عن ابن عبد الظاهر أيضاً ، عند كلامه على بناء القاهرة

العظام التى كانت به والرمم إلى ديرٍ فى الخندق ، لأنّه يُقال إنها عظام جماعة من الحواريّين . وبنى مكان الدير مسجدًا من داخل القصر .

ولما نزل جوهر هذه المنزلة وبنى القصر ، اختطتْ كلُّ قبيلةٍ خطةً عُرِفتْ بها . فأوّلُ مَنِ اختطّ أهلُ زُوَيْلة . فعُرفت بحارة زُوَيْلة . وكذلك البئر التى تُعرف بها وهى بئر زويلة بالمكان الذى تعمل فيه الروايا الآن . وكذلك البابان المعروفان ببابَىْ زُوَيْلَة .

البرقية : ثم اختطت أهلُ برقة خطةً فعُرفت (ص ٩٤) بهم .

حارة كُتامة : ثم جاورهم قبيلةُ كتامة فاختطّوا خطةً عُرفت بهم .

الباطليّة : قال ابنُ عبد الظاهر رحمه الله : هؤلاء قوم كان المعزُّ لما حضر إلى مصر قسَم العطاء للناس . فجاءت طائفةٌ فسألتْ العطاء . فقيل : فرغ ما كان حاضراً ، ولم يبق شىء . فقالوا : الحقُّ باطل . فسموا الباطليَّة ، فجاوروا كُتامة فعرفت بهم .

قلتُ : رأيتُ فى مسوّداتى أنّ هؤلاء قومٌ يعرفون بالباطنية وكانوا شديد[1] التشيُّع ، وكانوا يثبون على مَنْ جُهِّزوا له كالفداوية ، ويقتلون بالسكّين ، ويقولوا[2] فى حُب علىٍّ وبنيه . وكانت لهم أرزاقٌ سنيَّةٌ

(١) كذا ، والصواب « شديدى » (٢) كذا ، والصواب « ويقولون »

على الخلفاء المصريّين . ثم لما طال العهد قيل الباطليّة . فقلبت النون عيناً(١) والله أعلم .

حارة الديلم : هؤلاء قوم قدموا مع أفتكين غلام معزّ الدولة ابن بُوَيْه ديلميّة . وكان صحبته أولاد سيده . وجرى له مع العزيز بن المعزّ أمورٌ كثيرةٌ وحروبٌ شديدةٌ يأتى ذكرها فى مكانها فى تاريخها ، فنزلوا هذه الخطة فعُرفت بهم .

حارة الروم : قال ابن عبد الظاهر رحمه الله : هما حارتان . حارة الروم التى داخل باب زُوَيلَة ، وحارة الروم الجوّانية داخل باب النصر . فلما صار الناس يقولون حارة الروم الجوّانية خففت فقيل الجوّانيّة .

قال : وقال لى القاضى زين الدين رحمه الله الله(٢) : إنّ الجوّانية منسوبة للأشراف الجوانيّين . منهم الشريف النسّابة الجوّانى كما أنّ كُتامة منهم خير الكُتامى .

الوزيرية : منسوبة إلى الوزير أبى الفرج يعقوب ابن كِلّس كما يذكر من خبره فى تاريخه . وداره دار الديباج التى هى الآن مدرسة الصاحب صفىّ الدين عبد الله بن علىّ . أوقفها على المالكية .

(١) كذا ، والصواب « لاماً »   (٢) كذا فى الأصل ؛ ثلاث مرات .

حارة برجوان : منسوبة للأستاذ برجوان الخادم . وكان خادمَ القصُور فى أيّام العزيز . جعل ولده الحاكم فى حجره فتمكّن وكَثُرَتْ أمواله . فنزل هذه الحارةَ فعُرِفَتْ به وسيأتى ذكره فى تاريخه إن شاء الله تعالى .

قُلتُ[١] : هذا ما لخَّصتُه من كتاب الخطط . وهو مسوّدة بغير ترتيب ، ولا هى كلام متوالى[٢] .

وقصدى إن فسح الله فى الأجل بعد تكملة هذا التاريخ أن أنشئ كتاباً يتضمَّنُ خَطَطَ القاهرة أُسمِّيه « الروضــــة الزاهرة ، فى خطط القاهرة » ، آتى فيه بما لم أُسْبَق إليه من فنون ، تشنف السامع وتنزّه العيون ، وذلك لمَّا استضويتُ بهــذه الأنوار ، المفترعة من أبكار الأفكار ، فيكون ذلك أسساً للبناية ، ونوراً للهداية ، والمرجو من الله تعالى إدراك هــذه النيَّة ، وبلوغ هذه الأمنية ، إنه بالإجابة جدير ، وهو على كلِّ شيء قدير .

ولما بنى جوهر القصورَ وحضر المُعِزُّ وسكنها امتدحه بعضُ شعراء المغاربة بقصيدةٍ أوّلُها ، يقول :

---

(١) من هنا إلى قوله « إن شاء الله تعالى » السطر الرابع من الصفحة التالية مضاف فى الهامش بخط المؤلف .

(٢) كذا بدلا من « متوال » .

أعْلَيْتَ فى الدنيا القصورَ القاهرة   وكذا قصورك فلتكن ، فى الآخرة
وقررت عينك(١) بالأمانى والهنا   وسخنت عين حواسديك الساهرة

وهذه لم تكن فى مسوَّدة ابن عبد الظاهر . وستأتى بكمالها فى الكتاب الذى عزمت على إنشائه إنْ شاء الله تعالى .

(ص ٩٥) وفيها دخل النقفور دمستق(٢) إلى نَصيبين . وكانت سنة قران .

وفيها وصلت القرامطةُ الديارَ المصرية . وكان القائدُ جوهر قد خندق خندقاً عظيماً ظاهر السور ، وقد ارتفع البناء من القاهرة ما يُغطِّى الفارس ، وكان قدومُ القرمطىّ مستهلّ ربيع الأوّل من هذه السنة . فقاتلوا(٣) المغاربةُ الخندقِ أشدَّ قتال . وقُتل كثيرٌ من خارج الخندق . ودام القتالُ والمحاصرةُ ثلاثة أشهرٍ . ثم إنّ القرمطىّ رحل بغير سبب ، ولا عُلم له خبر .

فلما تيقّنتِ المغاربةُ وجوهر أنَّ القرمطىّ عاد إلى دياره أنفذ إبراهيم ابن أخته فى جيشٍ إلى يافا ليدرك ابن حيَّان وينجده . وبلغ مَنْ عليها من المحاصرين رحيل القرمطىّ عن مصر ، ومسير النجدة من قبل جوهر

---

(١) فى الأصل « عيناك » ولا يستقيم الوزن بها

(٢) هو المسمى Nicephore Domesticus

(٣) كذا ، والصواب « فقاتل »

إلى ابن حيَّان بيافا . فسار القوم عنها ، وتوجّهوا نحو دمشق ، فنزلوا بعسكرهم ظاهرها . ثم جرى بين أبى المُنجَّا وبين ظالم العقيلى كلامٌ وخلافٌ بسبب أخْـذِ الخراج . وكان كلٌّ واحدٍ منهما يريدُ أخذه لنفسه ، وللنفقة فى رجاله . وكان أبو المنجَّا له وجاهةٌ عند القرمطىِّ ، فتلقَّاه إلى الرَّمْلَة وعرَّفه ما كان من ظالم العقيلى . فقبض عليه وحبسه ، ثم ضَمِنَه شبلُ بن معروف فخلّى سبيله . فهَرب إلى شطِّ الفرات .

ثم إنَّ الحسن بن أحمد اعتدَّ للعودة إلى مصر . وقد كان جوهر يكتب إلى المعزِّ بكل ما جرى من القتال مع القرامطة ، وأنَّ الحسن ابن أحمد القرمطى قد أشرف على أخذ مصر . فقلق لذلك قلقاً شديداً ، وجمع مَنْ يقدر عليه وتوجَّه إلى نحو مصر ، وهو يظن أنَّها ستخرجُ عن يده قبل وصوله إليها . فلم يزل يجدُّ السير حتى دخلها فى سنة اثنتين وستين فى تاريخ ما يذكر .

ذكر دخول المعز بالله إلى مصر

فى سنة اثنتين وستين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

المــاء القديمُ : خمسة أذرعٍ وتسعة عشر إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفة المطيعُ لله أميرُ المؤمنين .

وفيها دخل المعزُّ بالله الديار المصرية .

قال القاضى ابن خلِّكان رحمه الله تعالى فى تاريخه[3] : لمـا قرب المعزُّ بالله من البلد أمر جوهر القائد وجوهَ المصريين بالخروج إلى لقائه ، فخرجوا جماعة من الأشراف الحقيقين الأنساب ، فيهم عبد الله بن أحمد ابن علىّ بن الحسن بن إبراهيم ابن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السّلام الحجازى الأصل. المصرى الدار والوفاة رحمة الله عليه .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وتسع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا . والصواب « خمس عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعا »

(٣) انظر ابن خلكان ٢/٢٦٨ ؛ والنص هنا يختلف اللفظ عنه فى ابن خلكان المطبوع .

وكان سيداً طاهراً كريماً فاضلاً عالماً صاحب رباع وضياع وسعادة ضَخْمَةٍ ونعمة ظاهرة وأموالٍ جزيلة وعبيدٍ وحاشية ، كثير النعم والأنعام . قال : فمن جملة سعة رزقه وسماحة نفسه أنه كان فى دهليزه رجل برسم كسر اللوز والفستق ، له كل يوم ديناران ، وذلك برسم الحلوى التى كان ينفذها لوجوه أهلِ مصر وأمرائها وكبارها من الإخشيديَّة وغيرهم .

وكان يرسلُ إلى كافور الإخشيدى فى كل يومٍ جامين حلوى ورغيفَ خبز . فحسَده عند كافور بعضُ مَنْ قال له : الجامين الحلوى لا بأس بهما فما الضرورة إلى الرغيف الخبز ؟ فنفذ إليه كافور يقول : يجرينى الشريفُ على العادة فى الحلوى ، ويترك الرغيف الخبز . ففهم السيّدُ أنّهم أغروه بذلك . فركب إليه وقال (ص ٩٧) : حفظك الله . إنى لم أنفِذِ الرغيفَ استكثاراً ولا استكباراً وإنما هى صبيَّةٌ حَسَنِيَّةٌ من الأشراف تعجنُه بيدها وتخبزُه بيدها ، فأحببْتُ لك بذلك البركة .

فقال كافور : والله لا عاد لى قوتاً سواه .

عاد القول إلى ذكر المعزّ بالله .

فلما تمادى فى السير مع المعز قال الشريفُ ابن طَبَاطَبَا للمعز : إلى من يَنْتَسِبُ مولانا أعزّه الله ؟

فقال له المعزّ : سنعقدُ مجلساً ونجمعكم فيه ونسرُدُ عليكم نسبنا إن شاء الله تعالى .

فلما استقرّ المعزّ بالقصر — وكان دخول المعزّ بالله إلى قصره بالقاهرة المعزية الخامس من شهر رمضان يوم الثلاثاء من هذه السنة .

فلما كان بعد ذلك واستقرّ بقصره جمع الناس فى مجلسٍ عام وجلس لهم . وقال : هل بقى من رؤسائكم أحدٌ ؟ فقالوا : لم يَبْقَ مُعْتَبَرٌ . فسَلّ عند ذلك نصف سيفه وقال : هذا نسبى . ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال : وهذا حسبى . فقالوا جميعاً : سمعنا وَأطعنا .

قلتُ : وقد رأيتُ فى بعض مسوّداتى أنّ الشريف الذى جرى للمعز معه هذا السؤال هو أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسينى والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسنى الزينبى . فإنّ وفاة السيّد ابن طَبَاطبا مقدّمة على جواز المعزّ مصر . فإنّ وفاته فى رابع رجب سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة ، وكانت ولادته سنة ست وثمانين ومئتين . وصُلّى عليه فى مُصلّى العيد لكثرة العالم ، ودُفن بالقرافة . وقبره معروفٌ مشهور بإجابة الدعوة . رحمة الله عليه . ولعلّ يَكون صاحب هذه الواقعة بعض ولده . والله أعلم .

< المعز والحسن القرمطى >

قال الشريف أبو الحسين المعروف بأخى محسن فى كتابه المختصّ (ص ٩٨) بذكر هؤلآء القوم : وكان المعزّ شديدَ الخوفِ من الحسن ابن أحمد القرمطىّ .

فلما نزل مصر واستقرّ بها ملكُه عَزَمَ على أن يكتب إليه كتاباً يُعرّفه فيه أنّ المذهب واحدٌ ، وأنّهم منهم استمدوا ، وهم ساداتهم فى هذا الأمر ، وبهم وصلوا إلى هذه الرتبة . ورهّب عليه فيه . وكان غرضه فى ذلك أن يعلم من جواب كتابه ما فى نفس الحسن بن أحمد هل خافه لما وافى مصر أم لا . وكان الحسن بن أحمد يعلم المذهب أنّه واحدٌ ، ولم يخف عليه شىء مما كاتبه به كونه يعلم الظاهر منهم والباطن . لأنّ مذهب الجميع متفقين على التعطيل والأخذ بالإباحة . وإذا تمكّن بعضهم من بعض يرى قتله ، ولا يبقى عليه ، لعدم الأمان بينهم . فهم كما قال الله عز وجلّ ﴿ كذلك نُوَلِّى بَعْضَ الظّالِمِينَ بَعْضاً بما كانوا يكسبون ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنعام ، ٦ ، الآية ١٢٩

ذكر نسخة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله ووليّه ، وخيرته وصفيّه ، معدّ أبى تميم ابن إسماعيل ، المعزِّ لدين الله ، أميرِ المؤمنين ، وسلالةِ خير النبيّين ، ونجلِ علىٍّ أفضل الوصيين .

إلى الحسن بن أحمد .

أما بعد ، فإنّ رسوم النطقاء ، ومذاهب الأئمة والأنبياء ، ومسالك الرسل والأصفياء ، السالف والآنف منا ، صلوات الله علينا ، وعلى آبائنا ، أولى الأيدى والأبْصار ، فى متقدّم الدهور والأكوار ، وسالف الأزمان والأعصار ، عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله ، الابتداء بالإعذار ، والانتهاء بالإنذار ، قبل إنفاذ الأقدار ، فى أهل الشقاق والآصار ، لتكون الحجّةُ على مَنْ خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسب ما قال الله عز وجلّ ﴿وما كُنّا مُعَذِّبين حتى نَبْعَثَ رسولا﴾(١) (ص ٩٩) وقوله سُبحانه ﴿ قُلْ هٰذِهِ سَبيلِي أدعُو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومَنِ اتّبعَنى وسبحانَ الله ، وما أنا مِنَ الْمُشْرِكين ﴾(٢) . ﴿ فإن تَوَلّوا فإنّما هُمْ فى شِقَاق ﴾(٣) .

---

(١) سورة الإسراء ، ١٧ ، الآية ١٥ (٢) سورة يوسف ، ١٢ ، الآية ١٠٨

(٣) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١٣٧

أمّا بعدُ أيّها الناس ، فإنا نحمد الله بجميع محامده ، ونمجّده بأحسن تماجِده ، حَمْدًا دائما أبدًا ، ومجدًا عاليًا سَرْمدًا ، على سُبوغ(١) نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغى إليه الوسيلة ، بالتوفيق والمعونة على طاعته ، والتسديد فى نُصْرَتِهِ ، ونستكفيه ممايلة الهوىٰ ، والزّيْغ عن قصد الهُدى ، ونستزيدُ منه إتمام الصلوات ، وإفاضة البركات ، وطيّب التحيّات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آبآئنا الراشدين المهديين ، المنتخبين ، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون .

أيُّها الناس ! قد جاءكم بصائر من رَبّكم ، ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فعليها(٢) ﴾ ليذّكر من يتذكر ، وننذر من أبصر فاعتبر .

أيها الناس إنّ الله جلّ وعزّ إذا أراد أمرًا أقضاه ، وإذا أقضاه أمضاه . وكان من قضائه فينا قبل التكوين أنْ خَلَقَنَا أشباحًا ، وأبْرَزَنا أرواحًا ، بالقدرة مالكين ، وبالقوّة قادرين ، حين لا سماء مبنيّة ، ولا أرضٌ مدحيّة ، ولا شمسٌ تُضىء ، ولا قمرٌ يسرى ، ولا كوكبٌ يجرى ، ولا ليلٌ يجنّ ، ولا أفقٌ يكن ، ولا لسانٌ ينطقُ ، ولا جناحٌ يخفق ، ولا ليلٌ ولا نهار ، ولا فلكٌ دوّار ، ولا نجم سيّار . فنحن أول الفكرة وآخر العمل ، بقدرٍ مقدور ، وأمرٍ فى القِدم مبرور . فعندما تكامل الأمرُ وصَحّ العزمُ أنشأ الله عز وجل

---

(١) فى الأصل « صبوغ »   (٢) سورة يوسف ، ١٢ ، الآية ١٠٨

المنشآت وأبدأ الأمّهات من هيولانا وطبعنا أنوارًا وظُلَمًا ، وحركةً وسكونًا . فكان من حكمِهِ السابق فى علمه ما ترون (ص ١٠٠) من فلكٍ دوّارٍ ، وكوكب سيّار ، ولَيْلٍ ونهار ، وما فى الآفاق من آثارٍ مُعْجِزات ، وأقدارٍ باهراتٍ ، وما فى الأقطار من الآثار ، وما فى النفوس من الأجناس ، والصور والأنواع ، من كثيفٍ ولطيف ، وموجودٍ ومعدوم ، وباطنٍ وظاهرٍ ، ومحسوسٍ وملموسٍ ، ودانٍ وشاسع ، وهابطٍ وطالعٍ .

كلٌّ ذلك لنا ، ومن أجلنا ، دلالةً علينا ، وإشارةً إلينا ، يهدى الله به من كان له لُبٌّ سجيح ، ورأى صحيح ، قد سَبَقَتْ له منا الُحسْنىٰ ، فدَانَ بالمعنى » .

ثم ذكر كلامًا كثيرًا واستشهد بآياتٍ من القرآن العظيم حرّفها عن مواضعها وفسّرها بخلاف معانيها .

ثم قال : وكتابُنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدرٍ مقدورٍ ، ووقتٍ مذكورٍ ، فلا نرفع قدمًا ، ولا نضع قدمًا ، إلاّ بعلم موضوعٍ ، وحكمٍ مجموع ، [وأجلٍ معلوم ، وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق . فلما دخلنا وقد][1] قَدّرَ المرجفون من أهلها أنّ الرجفة تنالهم ، والصَعقة تحلّ بهم ، تبادروا وتعادوا شاردين ، وخلّوا

---

(١) الزيادة من اتعاظ الحنفا ص ٢٥٨

عن الأهل والحريم ، والأموال والرسوم ، وإنّا لَـ ﴿ نارُ الله المُوقَدَة ، التى تَطّلِعُ عَلَى الأفْئِدَة ﴾[١] ﴿ يَعْلَمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ وما تُخْفِى الصدُور ﴾[٢] . فلم أكشف لهم خبرًا ، ولا قَصَصْتُ لهم أثراً ، ولكنى أمرت بالنداء ، وأذنت بالأمان ، لكل باقٍ ونافرٍ ، وبادٍ وحاضرٍ ، ولكلِّ مُنافقٍ ومشاقق ، وعاصٍ ومارق ، ومُعاندٍ ومسابقٍ ، ومن أظهر صفحته وأبدى إلىّ سوءته ، فاجتمع المخالفُ والموافق ، والمباين والمنافق ، فقابلتُ الوفىّ بالإحسان ، والمسيء بالغفران ، حتى [رجع النادّ والشارد ، و][٣] تساوى الفريقان ، واتفق الجمعان ، وانتشرت البركاتُ ، فتكاثرت الخيرات ، كلُّ ذلك بقدرةٍ ربّانية ، وأمور برهانيـة .

ثم قال : وأمّا أنت أيّها الغادرُ الخائنُ ، الناكثُ البائنُ ، عن هُدى آبائه وأجداده ، المنسلخ من دين (ص ١٠١) أسلافه وأنداده ، الموقدُ لنار الفتنة ، الخارجُ عن الجماعة والسنّة ، فلم أُغْفِل أمرك ، ولا خفى عنى خبرك ، ولا استتر دونى أثرك ، وإنّك منى بمنظر ومَسْمَع ، كما قال الله عز وجلّ ﴿ إنّنى معكما أسمع وأرى ﴾[٤]

---

(١) سورة الهمزة ، ١٠٤ ، الآية ٦ ، ٧ (٢) سورة غافر ، ٤٠ ، الآية ١٩

(٣) الزيادة من اتعاظ الحنفا ص ٢٥٨ (٤) سورة طه ، ٢٠ ، الآية ٤٦

﴿ ما كان أبوكِ امْرَءَ سَوْءٍ وما كانت أمُّكِ بغيّا ﴾(١) فعرّفنا(٢) على أيّ رأيٍ أنت ، وأيّ طريقٍ سلكت . أمَا كان لك بجدّك أبى سعيد أسوة ، وبعمّك أبى طاهرٍ قدوة ؟ أما نظرتَ فى كتبهم وأخبارهم ؟ أما قرأت وصاياهم وأسفارهم ؟ أكنت غائباً عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم أنّهم كانوا عباداً لنا أولى بأسٍ شديد ، وعَزْمٍ شديد ، وأمْرٍ رشيد ، وعملٍ حميد ؟ تفيضُ عليهم بركاتُنا ، وننشر عليهم موادنا ، حتى ظهروا على الأعمال ، وعادوا لنا عُمال ، ودان لهم كلُّ أميرٍ ووالٍ ، ولُقّبوا بالسادة فسادوا ، وبالمنحةِ منا واسمٍ من أسمائنا ، فَعَلَتْ أسماؤهم ، واسْتَغْلَتْ كلمتُهم ، واشتدَّ عزمُهم ، فسارت إليهم وفودُ الآفاق ، وامتدتْ نحوهم الأحداقُ ، وخضعت لهيبتهم الأعناقُ ، وحُسم بهم مادة الفساد والعناد ، فكانوا لبنى العباس أعداء وأضداد .

ثم قال بعد كلام كثيرٍ : فيا أيها الناكثُ الحانثُ ، ما الذى أرداك ، وصدّك وأغواك ؟ أشىء شككت فيه ، أم أمرٌ اسْتَرَبْتَ منه ؟ أم كنت خالياً من الحكمة ، وخارجا عن الكلمة ، فأزلك هذا وصَدّك ، وعن سبيلِ الحقّ ردّك ، إن هى إلا ﴿ فتنةٌ لكم ومَتَاعٌ إلى حين ﴾(٣)

---

(١) سورة مريم ، ١٩ ، الآية ٢٨

(٢) ص « فتعرفنا » : التصحيح من اتعاظ الحنفا

(٣) سورة الأنبياء ، ٢١ ، من الآية ١١١

وأيم الله لقد كان الأعلى لجدك ، والأرفع لقدرك ، والأفضل لجدك ، والأوسع لرفدك ، والأبصر لغورك ، والأحسن لعذرك ، الكشف عن أحوال سلفك وإن خفيت عليك ، والقفو لآثارهم وإن عَمِيَتْ لديك ، لتجرى على سُنتهم (ص ١٠٢) وتدخل فى مهنتهم ، وتسلك فى مذهبهم ، أخذاً بأمورهم فى وقتهم ، وفى زيّهم فى عصرهم ، فتكون خلفاً قفا سلفاً بجدٍ ، وعَزْمٍ مؤتلف ، وعَزمٍ غير مختلف . لكن غلب الران على قلبك ، والصدى على لبّك ، فأزالك عن الهُدى ، وأزاغك عن البصيرة ، والضياء ، وأمالك عن مناهج الأولياء ، وكنت من بعدهم كما قال الله عز وجلّ ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فسوف يَلْقَوْن غَيّاً ﴾(١)

ثم ذكر كلاماً كثيراً جداً لا حاجة لنا بإثبات جملته ، وقرّعه فيه بقتل جعفر بن فلاح ، ومُحاصرة ابن حِيّان بيافا ، ومأتاه إلى الفسُطاط .

ثم قال بعد ذلك : وإن كنت على ثِقةٍ من أمرك ، ومهلٍ فى أَمْنِ عصرك ، وعمرك ، فاستقرّ بمركزك ، فليأتينّك منّا وينالك من جندنا ، مانال مَنْ كان قبلك ممن تمرّد تمرّدك ، كعادٍ وثمودٍ ﴿ وأصحاب

---

(١) سورة مريم ، ١٩ ، الآية ٥٩

الأيكة وقوم تُبع ، كُلٌّ كَذّب الرُّسُلَ فَحَقّ وَعِيد ﴾(١) ، ﴿ فلنأتينكم بجنودٍ لا قِبلَ لكم بها ، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون ﴾(٢) . بأولى بأسٍ شديدٍ وعزمٍ شديد ﴿ أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين ﴾(٣) . بقلوب نقيّة ، وأرواح تقيّة ، وأنفسٍ أبية ، يقدمهم النصر ، ويشملهم الظفر ، وتمدّهم الملائكة الغلاظ الشداد ﴿ لا يَعْصُون الله ما أمَرَهُم وَيَفْعَلُون مَا يُؤمرون ﴾(٤) فما أنت وقومك إلا كمناخ نِعَم ، أو مراح غنم ، ﴿ فإمّا نُرِيَنّك ما نعدهم فإنّا عليهم قادرون ﴾(٥) . وأنت فى القفص مفصودًا ، وسوقتك فالينا مرجعهم ، فعندها تخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴿ وأنذرهم نارا تَلَظّى ، لا يَصْلاها إلاّ الأشقىٰ الذى كَذّب وتَوَلّى ﴾(٦) ، ﴿ كأنهم يوم يَرَوْن ما يوعدون لم يلبثوا إلاّ ساعةً من نهارٍ ، بلاغٌ فهل يُهْلَكُ

---

(١) سورة ق : ٥٠ ، الآية ١٤ . والآية فى القرآن « وأصحاب الأيكة وقومُ . . ؛ على الرفع »

(٢) اقتباس من سورة النمل ، ٢٧ ، الآية ٣٧ . وهى فى القرآن « فلنأتينهم بجنود . . ولنخرجنهم . . . وهم صاغرون »

(٣) سورة المائدة ، ٥ ، الآية ٥٤

(٤) سورة التحريم ، ٦٦ ، من الآية ٦

(٥) كذا ، وليست هذه الآية صحيحة ، وفيها خلط بين آيتين هما : ﴿ وإن ما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك ﴾ سورة الرعد ١٣ ، الآية ٤٠ - ﴿ وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ﴾ المؤمنون ٢٣ ، الآية ٩٥

(٦) سورة الليل ، ٩٢ ، الآية : ١٤ - ١٥

إلاّ القومُ الفاسقون ﴾[١] (ص ١١٣) فليتدبر من كان ذا تدبيرٍ ، ويتفكّر مَنْ كان ذا تفكير ، يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ﴿ أنْ تقولَ نَفْسٌ ياحسرتا على ما فَرّطْتُ فى جَنْبِ الله ﴾[٢] وياليتنا ﴿ نُرَدُّ فنعملُ غَيْرَ الذى كُنّا نَعْمَلُ ﴾[٣] . هيهات غلب عليكم شقاؤكم ، وكنتم قوماً بورًا ﴿ وَالسّلامُ على من اتبع الهدى ﴾[٤] وسلم من عواقبِ الردىٰ ، وانتهى إلى الملأ الأعلى ، وحسبنا الله وكَفَىٰ ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير . الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على جدّنا محمدٍ وآله الطيبين وسلم تسليما[٥] .

الجـــــواب

بسم الله الرّحمن الرّحيم .

من الحسن بن أحمد القرمطىّ الأعصَم . أمّا بعـد فقد وصل إلينا كتابك الذى كثر تفصيله وقلّ تحصيله ونحن سائرون على إثره والسّلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) سورة الأحقاف ، ٤٦ ، الآية ٣٥

(٢) سورة الزمر ، ٣٩ ، الآية ٥٦

(٣) سورة الأعراف ، ٧ ، الآية ٥٣ ، وهى « أو نردّ فنعمل . . . »

(٤) سورة طه ، ٢٠ ، الآية ٤٧

(٥) فى نص هذا الكتاب هنا زيادة على مافى اتعاظ الحنفا وفيه أيضاً نقص عنه . فليقارنا .

وفيها لم يكن النواح ببغداد على الحسين عليـه السّلام . وسببُ ذلك ما جرى على المسلمين من ملك الروم ، فإنه فتح فى هـذه السنة الجزيرة وأكثر مدنها وبلادها ، واستأسر ما يزيد عن مئة ألف أسير . وكان الحاجب سبكتكين مع عزّ الدولة ابن معزّ الدولة بن بويه بواسط ، ولم يكن ببغداد جيوشٌ تخشى الروم منها . وكان أيضاً الخليفة المطيعُ معهما فى قتالِ الدّيْلَم بواسط ، فحصل الطمعُ من الروم بسبب ذلك .

ذكر سنة ثلاث وستين وثلاث مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة[١] أذرع فقط . مبلغ الزيادة ستة عشر[٢] ذراعاً وأربعة عشر[٣] إصبعًا .

ما لُخّص من الحوادث

(ص ١٠٤) الخليفةُ المطيعُ لله أميرُ المؤمنين إلى حين خَلَعَ نفسه من ولاية الأمر فى يوم الثلاثاء الثالث عشر من ذى القعدة من هذه السنة .

وذلك أنه استدعى فى هذا التاريخ القاضى عبيد الله بن أحمد المعروف بابن معروف وكبارَ عُدولِ بغداد وأشهدهم على نفسه أنه قد خلع نفسه من الخلافة ، وجعلها فى ابنه عبد الكريم . وذلك عند انحداره مع سبكتكين مولى مُعِزّ الدولة ، لمّا وقع الخلف بينه وبين عز الدّولة بختيار ، وتغلّب على الأمر عضد الدولة حسبما يأتى من تلخيص ذكر ذلك فى تاريخه .

والمعزّ بمصر .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع » (٢) كذا ، والصواب « ست عشرة » .

(٣) كذا ، والصواب « أربع عشرة »

وعسلوج ويعقوب بن كِلِّس إليهما أمرُ الوزارة شركةً .

وفيها سُلِخَ ابنُ النابلسى وصُلب .

وفيها توفى القاضى النعمان . وكان يلى القضاء بالقاهرة . وولى ولده مكانه . وأبو ظفر يلى قضاء مصر بحاله .

وفيها وصل الحسنُ بن أحمد القرمطىّ إلى الديار المصرية بجيوش عظيمةٍ . فنزل بعساكِرِهِ عين شمس ، وناشب المغاربة القتال ، وانبثت سراياه فى أرض مصر ، وبعث عُمّالاً على الصعيد لجبى جميع خراجه وضَيَّقَ على المعزّ والمغاربةِ ضيقةً عظيمة ، وداومهم القتال على خنـدق مدينتهم ، ولزمهم حتى ألجأهم إلى خلف الصور ، وعَظُمَ ذلك على المعزّ وحار فى أمره ، ولم ينفعه كتابه ولا ترهيبه ، ولم يجسر يخرج إليـه برّا السُور .

وكان ابن الجراح الطائى فى عسـكر القرمطىّ . وكان قوة عسكره معه ومقدمه ، فـكاتبه المعزّ ورَغّبه فى المال وبذل له مئة ألف دينار على أن يغلّ لهم جيشه ، فأجابهم إلى ذلك .

ثم إنّ المُعِزّ فـكّر فى المال فاستعظمه . فعملوا دنانير من نحاس وطَلَوها بالذهب الـكثير وجعلوها فى أكياس ، وجعلوا على رأس كلّ كيس منها (ص ١٠٥) دنانير يسيرة ذهب تُغَطّى ماتحتها ، وحملوها إلى ابن الجرّاح بعدما استوثقوا منه بالأيمان . فلما صحّ له المالُ عمل

فى فَلِّ العسكر . فلما كان من الغد واشتدّ الحربُ وَلّى ابن الجراح منهزمًا ، واتبعه أصحابه . فلما نظر ابنُ القرمطى إلى ذلك تحيّر ولزمه أن يقاتل وهو وأصحابه ، واجتهد فى القتال حتى يخلص هو ومَنْ معه ، وانهزم وتبعوه[1] قومه . ودخل المغاربة عسكره فظفروا بتبيع وباعةٍ نحو من ألف وخمس مئة نفرٍ فأخذوهم أسرى وضربوا بعد ذلك أعناقهم .

وذلك فى شهر رمضان فى هذه السنة .

ثم إنّ المُعزّ جرّد خلف القرمطى أبا محمود بن جعفر بن فلاح فى عشرة آلاف فارس وثقّل السير خوفًا أن يرجع عليه القرمطى .

ثم نفذ أبا المنجّا فى طائفةٍ من الجند إلى دمشق . وقد كان لما علموا المغاربة قصة ظالم وقبض القرمطى عليه حسبما تقدم فى القول من ذلك ، ثم خلص ظالم وهرب إلى حصنه بحافة الفرات ، واتفقت هذه الأمور ، راسلوه ليسوسُوا به أمرهم . فسار إلى أن وصل بعلبكّ ، فبلغه هزيمة القرمطىّ . ونزل أبو المنجّا دمشق . وسار القرمطىُّ يريدُ بلده وفى نيته المعاودة . ونزل أبو محمود أذرعات ، وسار ظالم نحو دمشق ، وذكر أن كان بينه وبين أبى محمود مراسلات على أن يتّفقا على أبى المنجّا . وبلغ أبا المنجّا مَسير ظالم إليه ، وكان فى شرذمة يسيرة ، وربما أنّ الجند كانوا طالبوا لأبى المنجا برزقهم . فسوّف بهم ، فحقدوا

---

(١) كذا ؛ والصواب « تبعه قومه »

عليه ، ونزل ظالم عَقَبَة دُمَّر ، وراسل لأبى المنجا إنى لم آت مقاتلا ، (ص ١٠٦) ولكنّى مستأمنًا .

ثم إنّ جماعةً من الجند خرجوا فأتوا إلى ظالم مستأمنين ، وتبعهم قومٌ بعد قومٍ ، فطمع ظالمٌ فدخل دمشق ، وقبض على أبى المنجّا وابنه ، وانقلب العسكرُ إلى ظالمٍ وملك البلد .

وذلك لعشرٍ خَلَوْنَ من رمضان من هذه السنة .

ثم إنّه قبض على جماعة من أصحاب أبى المنجّا واستأصل أموالهم .

ثم إنّه طلب ابن النابلسى المقدّم ذكره أنه سُلِخ وصُلب ، وهذا ابن النابلسى يُقال له أبو بكر . وهو رجل عالمٌ فاضلٌ من أهل الرملة كان يرى بقتال المغاربة وبغضهم أنه واجبٌ على كل مسلمٍ . وكان قد انهزم من مصر لمّا ملكوا[1] المغاربة خوفاً منهم ، فطلبه ظالم واعتقله تقرّباً للمغاربة .

ونزل بعد ذلك أبو محمود بن جعفر بن فلاح على دمشق يوم الثلاثاء لثلاثٍ بقين من شهر رمضان المعظّم . فلقيه ظالمٌ ، وأنس به أبو محمود لِما كان فى قلبه من خوف رجوع القرمطى .

ثم إنّ أبا محمود نزل الدكّة . فأخرج إليه أبا المنجّا وابنه وابن النابلسى . فتقرّب بذلك إلى جميع المغاربة . فعُمل لكل واحدٍ منهم قفص من خشبٍ ، وحملهم إلى مصر . فحُبِسَ أبو المنجّا وابنه

(١) كذا ، والصواب « ملك »

وأخذ ابن النابلسى فقالوا له : أنت قلت : لو أنّ معى عشرة أسهمٍ لرميت تسعةً فى المغاربة وواحد[1] فى الروم ؟ فاعترف بذلك . وسبّ المعزّ وشتم . فأمر به فسُلخ وحُشى جلدُه تِبْناً وصُلب .

ولما نزل أبو محمد البلد <ة> اضطرب أهلُها ، ومدّت المغاربةُ أيديهم فى أخذ مَنْ يلقونه فى الطرق من الناس . ثم امتدوا إلى نهب القوافل والقُرى والضّياع . وقصرتْ يدُ أبو محمود عن دفعهم ، فإنّه لم يكن معه مالٌ يُعطيهم . ثم كثُر النهْبُ والأذى والقتـلُ . ولم يزل ذلك البلاء على الناس من المغاربة إلى السابع عشر من ذى القعدة . فوقعتِ الحربُ بين أهْلِ (ص ١٠٧) مدينة دمشق والمغاربة ، وحصلت بينهم من الوقائع والحروبِ ما يطولُ شرحه ، وقُتل بينهم خلقٌ عظيم . وأحرقوا أكثر دمشق بالنار ، ولم يزالوا كذلكَ فى أشد الحروب يقتتلون فى كل صباح إلى أن هلّتْ سـنة أربعْ وستين وثلاث مئة حسبما يأتى من بقية الـكلام فى ذلك .

وفيها أعاد عزُّ الدولة النواحَ على الحسين على ما جرت به العادة .

وتوفى الإمامُ المطيعُ لله أمير المؤمنين بواسط . ورُدّ تابوته فى ثامن عشر المحرّم من سنة أربع وستين وثلاث مئة .

وكانت خلافتُه تسعاً وعشرين سنة وأشهراً .

وله يوم مات ثلاث وستون سـنة وأيام ، واستقرّ بالخلافة الطائعُ لله حسبما يأتى من ذكره .

---

(١) كذا ، والصواب « واحداً »

وزراؤه

أبو الحسن علىّ بن محمد بن محمد بن علىّ بن مُقْلَة .

ثم : أبو أحمد الشيرازى .

وكان يتولّى الأمورَ كتّاب مُعِزّ الدولة بن بويه . وهم : أبو جعفر الضمرى . ثم أبو أحمد المهلبى . ثم أبو الفضل الشيرازى . وأبو الفرج محمد بن العباس الشيرازى .

ثم كتب لابنه بختيار بعد هذين : محمدُ بن محمد بن بقيّة ، ولُقِّبَ الناصح .

حاجبُه : عبدُ الواحد بن أبى عمرو .

صفتُه : أبيض تعلوه صفرة ، أقنى ، جميل الوجه .

ذكر سنة أربع وستين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ أربعة[1] أذرع فقط . مبلغُ الزيادة ستة عشر[2] ذراعا وعشرون إصبعاً .

ما لُخِّص من الحوادث

ذِكْرُ خلافة الطّائع لله ابن المطيع لله وما لُخّص من أخباره وسيرته .

هو أبو بكر عبد الكريم الطائع لله بن أبى العبّاس الفضل المطيع لله وباقى نسبه قد تقدم .

أمّه أمّ ولد يقال لها عُتْب .

بويع له فى (ص ١٠٨) يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة . ولم يزل خليفةً سبع عشرة سنة وتسعة أشهر ، إلى أن خُلع فى تاريخ مايأتى من ذكره إن شاء الله تعالى .

كان مدبّر الملك فى أول خلافته عزّ الدولة بَخْتيار بن معزّ الدولة ، إلى أن غلبه ابن عمّه أبو شجاع فنا خسرو الملقّب بعضد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه فى هذه السنة . واستمرّ فى الملك إلى أن مات فى ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة .

(١) كذا ، والصواب « أربع » (٢) كذا ، والصواب « ست عشرة »

وولى الملك بعده ولده صمصام الدولة أبو كاليجار .

ثم قبض عليه وسُمل .

وولى بعده أخوه شرف الدولة أبو الفوارس إلى أن توفى .

فولى أخوه بهاء الدولة أبو نصر . وهو الذى قبض على الإمام المطيع وخلعه فى تاريخ ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

والمعزّ لدين الله بالديار المصرية .

وابن كِلّس الوزير بها .

وابن النعمان القاضى بالقاهرة .

وأبو طاهر القاضى بمصر .

وكان المعزّ قد أخفى نفسه أربعين يوماً بعد ما جعل له فى بيت كلّ كبيرٍ ورئيسٍ من أهل مصر عيناً من جهته يخبروه بما يتجدّد لذلك الرجل فى بيته من سائر أحواله .

ثم ظهر لهم وقال لهم : إنّنى رُفعت إلى السماء الدنيا ، وكنتُ أُشاهد جميع ما صنعتمُ . وذكر لكلّ واحدٍ ما فعله . فنهم من صدّق زعمه ، والعقلاء من الناس راءوه فى الظاهر وكفّروه فى الباطن .

وكانت له أشياء من هذه الخزعبلات[1] يرجع إليها أولى[2] العقول الناقصة ، وينكرُها أصحابُ العقولِ الوافرة .

---

(١) ص « الخزعلبات » (٢) كذا . والصواب « أولو »

هذا ودمشقُ في أسوأ الأحوال . وقد ماـكوهم[١] المغاربة بعد حرب شديد تجرّت فيه الشُطّار والمشالح والحراميّة ، ولم يبق لأهل دمشق مع الطائفتين لا مالٌ ولا حريمٌ ولا روحٌ . والناسُ (ص ١٠٩) تحت رحمة اللهِ تعالى . وجرت أمور يطول شرحها .

وكان كبيرُ الشُطّار بدمشق يُعرف بابن الماورد ، وقد التفّ عليه جماعة من نظرائه .

ثم إنّ قوماً من مشايخ دمشق خرجوا إلى أبي محمود وتضرّعوا له وعرّفوه ما الناس فيه من البلاء والجورِ . وكان قد ولى الشرطة بدمشق رجلٌ مغربي يُعرف بابن حمزة . ففعل كلّ قبيح في البلد . فصرفه عن البلد وولّى رجل كردى[٢] يقال له أبو الثريا . ومعه جماعةٌ من الأكراد يرمون بالنشّاب . وقرّر معه مَسْكَ ابنَ الماوَرْدِ رأسَ الشُطّار . وكان ذلك في شهر صفر من هـذه السنة . وبلغ ابنَ الماوَرْدِ ذلك فـكمن هو وأصحابُه في الدكاكين التي عند فندق ابن زُكريا . فلما وصل إلى هناك ذلك الرجل الـكردى المسمّى بأبي الثريّا وَثَبَ عليه ابن الماورد مع أصحابه ، فوضعوا على أصحاب أبي الثُرَيّا القتل . فوَلّوا منهزمين ، وكذلك هو نفسه ، وخرج إلى أبي محمود وعَرّفه ، فـكانت بعد ذلك

---

(١) كذا ، والصواب « ملكهم »

(٢) كذا ، والصواب « رجلا كردياً »

حروبٌ وقتالٌ شديدٌ بين المغاربة وأهلِ دمشق وعاد الحاكمُ فى دمشق الشاطر ابن الماورد . وجرَتْ أحوالٌ يطول الكلام فيها .

وكان لمّا جرت الفتنُ أيضاً ببغداد بين بنى بُوَيْه وبين سُبُكْتِكين الحاجب ، وكانت الأتراكُ تتعصّب مع سبكتكين يجمعهم على ذلك الجنسية ، وغلب على بغداد وأخرج بختيار منها قهرًا ، وانتصر بختيار بابن عمّه عضد الدولة ، وحضر إليه فى الديالمة ، وخرج المطيع لله مع سبكتكين ، وكان قد ولّاه تدبيرَ المُلْكِ ولَقَّبَه نصيرَ الدولة وطوّقه وسوّره ، ثم قُهر سبكتكين وقُتل ، وخُلعَ المطيعُ ، وتولّى الطائعُ حسبما تقدم .

وكان سبكتكين قد أقام خليفتَه على الأتراكِ هفتكين الشرابىّ وكان فيه شجاعةٌ وشِدّةٌ وبَأْسٌ (ص ١١٠) . فلما انتصرت الديلمُ على الأتراك تشتت شملُهم ، فأخذ قومٌ منهم نحو أبى تغلب بن حَمْدان إلى المَوْصِل فاستأمنوا إليه ، وقومٌ منهم استأمنوا إلى عضد الدولة فناخسرو . وبقى هفتكين فى نحوٍ من أربع مئة فارسٍ من الأتراك ، وهم شجعانُهم . فأخذ على الفُرات حتى نزل الرحبة ، ثم انتقل فى البرِّ حتى نزل على جوسِيَة . وكان يسايره فى البرّ خلقٌ كثيرٌ من العرب طَمَعاً فى أخْذِه ، فكان فيه من الضبطِ واليقظةِ والشجاعةِ والهيبةِ ما لم يجسر عليه أحد .

وكان ظالمٌ أيضاً لمّا رأى تغلّب المغاربةِ على دِمشق قد انزوى فى بَعْلَبَكّ ، فى حديثٍ طويلٍ . فبلغه خبر الهفتكين التركىّ . فطمع فى أخذِه . فجمع إليه من انضوى من العرب . وأنفذ إلى أبى محمود بدمشق يقول له : إنّ تركيًّا قد جاء من بغداد وهو يريدُ عملك . فأنْفِذْ إلىّ عَسْكَرًا حتى آخذه به من قبل أن يدخل عملك . فأنفذ إليه أبو محمود عسكراً . فاجتمع له نحوٌ من ألفين[1] فارس . فسار بعضُهم إليه بخبر الأتراكِ ونزولهم جوسية ، وسار ظالمٌ إلى قرب منه . ولبس هفتكين وأصحابُه الحديدَ وتطرّحوا على خيلهم التجافيف . فلمّا وقَعَتْ عينُهم عليهم أرموا عليهم النشّاب . وكان قد وصل إلى هفتكين التركىّ من جهة أبى تغلب بن حَمْدان بشارة الخادم فى ثلاث مئة رجل ، بكلامٍ لطيف من جهة ابن حمدان . فوصل إليه وقد صَفّ خيلَه لظالم العقيلى . فلما رآه فى زىٍ حَسَنٍ ظنّ أنّه ابن حمدان نفسه . فتلقّاه . فكان بينهما (ص ١١١) كلامٌ حسنٌ . وأوعده عن الأمير أبى تغلب بكلّ جميلٍ . وأنفذ بشارة من وقته رسولاً إلى ظالم يقولُ له : لا تُفْسِدْ فى عملنا ولا تدخله . فقال : ما جئتُ لأفسد فى عملكم ، وإنما جيتُ من أجل هذا التركىّ لأصدّه . فردّ عليه : هـذا رجلٌ فى عملنا ، وإلينا قَصَدَ ، ونحن ما نتخلّى عنه . ونظر ظالم إلى جماعة هفتكين وما هم عليه

---

(١) كذا ، والصواب « ألفى »

من الشدّة والبأس والحديد وقد انضمّ بشارةُ فى تلك العدّة . فانقطع طمعُه ورجع طالب(١) بَعْلَبَكّ .

ثم إنّ بشارة الخادم أخذ هفتكين التركى وأتى به إلى أبى تغلب ابن حمدان فأقبل عليه وأقطعه المعرّات وكَفْر طاب ، وأن يكون تبعاً لأبى تغلب . فلم يلبث هفتكين أن ورد عليه رسُولُ ابنِ الماورد رأسِ الشُّطّار بدمشق يقولُ له : تسيرُ إلينا ، فنخرجُ نحن من داخل البلد ، وأنت من خارج على المغاربة وتملك البلد . فوقع ذلك الكلام بالموافقة لغرض هفتكين ..

وكان لما بلغ المعزّ أحوال دمشق مع أبى محمود قد سَيَّر إلى نائبه بطرابلس يسمى ريّان الخادم يقولُ له : تتوجه إلى دمشق وتعزل عنها أبى(٢) محمود ، وتأمره أن يكون بطرابلس . فلما وصل هفتكين إلى دمشق لم يجد بها أحدًا من المغاربة .

وكان قد وردت الأخبارُ أنّ العدوّ من الروم وهو ابن الشمشقيق وهو يومئذ دمستق الرُّوم ، قد خرج يريدُ البلاد . ووصل هفتكين إلى ظاهر دمشق .

وذلك لأيّامٍ بقيت من شعبان من هذه السنة ، وهى سنة أربع وستين وثلاث مئة .

---

(١) كذا ، والصواب « طالباً » (٢) كذا ، والصواب « أبا محمود »

ونزل حول مسجد إبراهيم . وخرج إليه الناس واستبشروا به ، وكذلك ابنُ المـاورد ، وأخرجوا له الإقامة والعلوفات ، وفرحوا به لإزاحة المغاربة عنهم .

وأقام هفتكين أيّاماً بدمشق . وشاع خبرُ العدو . ووصل بعلبك جيوشُ الروم وافتتحتها . وأُخذ أهلها أسرى . فلما بلغ هفتكين الخبر وعلم أنه لا قِبَلَ له بجيوش الروم أحسن التدبير والسياسة ، واجتمع بالدمستق وعرّفه أنّ دمشق بلد خراب من المغاربة وإنما له بها أيام قليلة . وأحسن الكلام والتلطّف . فأعجب الدمستقَ أدبُه ومخاطبتُه ، وقرّر مال[1] يأخذه ، ولا يتعرّضُ لأهل دمشق . فكان ذلك . وأقام الدمستقُ على دمشق أيّاماً من غير أن وصلتْ منه أذية لأهلها ، حتى جُبي له ثلاثون ألف دينار ، فأخذها وترك الباقى لهفتكين ، وعاهده وهَادَنَه . فأعجب ذلك أهلُ دمشق من فعل هفتكين وحسنِ سياسته .

ورحل الدمستق ونزل ببيروت . وكان بها خادم من جهة المغاربة يُقال له نصير فى سبع مئة رجلٍ من المغاربة . فاستعدّوا للقتال على الأسوار . فلما عاينوا كثرة جيش الروم علموا أنْ لا طاقةَ لهم بذلك .

---

(١) كذا ، والصواب « مالا »

فراسلهم الدمستقُ : إنى لا أُحِبُّ خراب بلدكم ، ولا أريدُ قتالكم ، وإنّما أريدُ أن تسلّموا إلىَّ هـذا الخادم ومَنْ معه ، وأجعل عندكم من جهتى ذروار يكون يدفع عنكم من يطمع فيكم . فوجد الخادم ومن معه فى ذلك فرجاً كبيرًا يمنعهم القتل . فنزل إليه الخادم من ذاته وجميع من معه . وتسلّم الدمستقُ البلدَ وجعل فيها ذروارًا من قبله . وسار عن بيروت فنزل على طرابلس ، وكان بها ريّان الخادم المقدّم ذكره الذى أخذ أبو محمود من على دمشق ، وهو يومئذٍ فى خلقٍ كثير من المغاربة . فقاتلوا أشَدَّ قتالٍ . فعمل على أن يبنى حولها ويرفع عليها العرّادات والمناجيق ، وابتدأ فى البناية . فلحقته علّة ، فرحل عنها إلى بلده ، فهلك فى الطريق .

ولما تمكّن هفتكين من دمشق وكان قد نمّ (ص ١١٣) على ابن الماورد عند ملك الروم وقال هذا الذى لا يمكّنى من جباية مالك ، فقبض عليه الدمستق واستصحبه معه فى حديث طويل أيضاً هذا ملخصه .

فلما صفا أمرُ دمشق للهفتكين نفذ شِبْلَ بنَ معروف نحو طبرية . فهرب مَنْ كان بها من المغاربة إلى الرملة ، وقائدُهم أبو محمود . فسارت العرب تطلب الأعمال ، واجتمعوا وكثروا ، وكان معهم رجالا[٢] من

---

(١) كذا ، والصواب « رجال »

جهة هفتكين معونةً لشبل بن معروف المقيلى . وكانت المغاربةُ أيضاً قد التقوا وتجمعوا ، فالتقوا بأرضِ بيتِ المقدس . فظهرت على المغاربة ، فانهزموا ، وأخذهم السيفُ فقُتل منهم خلقٌ كثير ، وأخذ من ظفر به ٣
فسيّروه إلى دمشـق فطوّفوهم فى الأسواقِ على الجمال وملّوا[1] منهم الحبوس ، ثم ضربوا أرقاب كثير منهم والله أعلم .

---

(١) كذا ، يريد « ملأوا »

ذكر سنة خمس وستين وثلاث مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماءُ القديمُ أربعة أذرعٍ وواحد وعشرين[1] إصبعا .

مبلغُ الزيادة ست عشرة ذراعاً وأربعة[2] وعشرون أصبعا .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ الطائعُ لله أميرُ المؤمنين .

ومدبّر الممالك الخليفية عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه . وقد استقامت أمورُ المملكة فى أيّامه بحسن ضَبْطِهِ وسياسته .

وتوفى المعزُّ لدين الله فى الحادى عشر من ربيعٍ الآخر ، وقيل لسبعٍ منه من هذه السنة . وكانت مملكتُه أربعاً وعشرين سنة منها بمصر منذ دخول جوهر القائد ستُّ سنين وثمانية أشهر إلا أيام ، ومنذ دخوله سنتين وستة أشهرٍ وأيامٍ .

عمرُه ثمان وأربعون سنة وخمسة أشهرٍ .

وقيل خمس وأربعون سنة وسبعة أشهر وأيامٍ .

وزيرُه يعقوب بن كِلّس .

قاضيه ابن النعمان .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « أربع » وفى النجوم « ثلاث وعشرون إصبعا » ١١٢/٤

ذكر خلافة العزيز بالله بن المعز لدين الله بمصر

وما لخص من سيرته

هو أبو منصور نِزَارُ بن معدّ المعزّ لدين الله ، وباقى نسبه قد عُلم .

وُلد فى المحرّم لسبعٍ بقينَ من ربيعٍ الآخر سنة خمسٍ وأربعين وثلاث مئة .

بويع بولاية الأمر يوم وفاة أبوه[1] . وقَلّدَ الوزارةَ أبو[2] الفرج ابن كلّسَ .

وقلّد القضاء لأبى الحسين على بن النعمان .

وقُلّد السيف الذهب والطوقَ الذهب . وحُمل على مركوبٍ بمحمل ذهب . وقُرِئ سجلّه بالقاهرة . فكان فى جملته : وإذا تداعى الخصمين[3] ، إليك أحدهما والآخر إلى غيرك رُدّا إليك جميعاً من أقصى الآفاق .

فلما بلغ ذلك أبو طاهر ، وهو يومئذ قاضى مصر ، فرفع يده عن الأمر .

---

(١) كذا ، والصواب « ابيه » (٢) كذا ، والصواب « أبا »

(٣) كذا ، والصواب « الخصمان » .

وركب العزيزُ إلى المقياس بالمظلّة ، وعبر على الحمرا ، فأمر ببناء القنطرة التى كانت متهدِّمةً . فشرع فيها . وهذه القنطرةُ كان بناها عبدُ العزيز بن مروان فى سنة تسعٍ وستين ومئة . فتهدّمت . فجدّد العزيزُ بناءها .

واستقرّ بالوزارة أبو الفرج بن كِلّس . وكان أصله كاتباً يهوديًّا ضامناً لنفسه . وخدم كافور الإخشيدىّ ، فحمد خدمته . وأسلم فى خدمته ثم سار إلى المغرب ، وخُصَّ بخدمة المعزّ فقدم حتى وزر .

وفيها مات القاضى أبو طاهر رحمة الله عليه .

وفيها قدمت القرامطة على هفتكين بدمشق . وكان الذى وافى(١) منهم إسحاقُ وكسرىٰ وجعفر . فنزلوا على ظاهر دمشق نحو الشماسيّة . ووافى(١) معهم كثيرٌ من العجم ممن كان من أصحاب هفتكين وقد تشتّتوا فى البلاد فى وقتِ وقعته على نهر دالى مع الديلم . فاجتمعوا إلى القرامطة بالكوفة فأكرموهم وأركبوهم معهم ، وساروا بهم إلى دمشق ، فكساهم هفتكين وأركبهم الخيول (ص ١١٥) وقوّى عسكره بهم . ولقى هفتكين القرامطة وحمل إليهم وأكرمهم وفرح بهم ، وأمن من الخوف . وأقاموا على دمشق أيّاماً ثم رحلوا متوجّهين إلى الرملة ، وكان بها أبو محمود إبراهيم ابن جعفر الذى تقدم ذكره . فلما علم بهم تحصّن بيافا . فسارت

---

(١) ص « وافا »

القرامطةُ فنزلوا الرملةَ ، ونصبوا للقتال على يافا ، حتى كَلَّ الفريقان من القتال . وصار يحدِّثُ بعضهم بعضاً . واستقرّ القرامطة بالرملة يجبون المال . فلما أمن هفتكين من نحو مصر والرملة ، وعلم أنّ القرامطة كفوه ذلك الوجه ، عمل على أخذ الساحل . فسار بمن اجتمع إليه ونزل صيدا . وكان بها ابن الشيخ والياً ومعه رؤساء من المغاربة ، ومعهم ظالم العقيلى . فقاتلوا هفتكين أشدّ قتال . وكانوا كثرةً . فاحتال عليهم هفتكين أنه جزعاً[1] منهم وأظهر لهم أنه مهزوماً[2] منهم . فخرجوا يتبعونه . فقال لهم ظالم : لا تتبعونه لئلا يكون مكيدة منه ليستخرجكم من حصنكم . فسمعه ابن كرامة المغربى فقال له : يا شيخ أنت دسيسٌ على أميرِ المؤمنين . فلما استدرجهم هفتكين من حصنهم أميالاً عطف عليهم عطفةً ، فلم يسلم منهم غير المُخفّين . وانهزم ظالمٌ إلى صُور . وقُتل شيخُهم ابن كرامة . ثم عدّ القتلى منهم فكانوا أربعة آلاف نفرٍ . فحُملت رؤوسهم وأتوا بها دمشق ونُصبت .

ثم إنّ هفتكين طمع فى أخذ عكّا . وكان بها جمعٌ من المغاربة . فقاتلوه من خلف الأسوار . وكان العزيزُ بالله قد ندب القائد جوهر للقتال والخروج إلى الشام . فسار فى جيوشٍ كثيفة لم يخرج لهم قبل ذلك مثلها ، وتواترت الأخبار على هفتكين بسيره وهو على عكّا .

---

(١) كذا ، والصواب « جزع » (٢) كذا ، والصواب « مهزوم »

والقرامطةُ بالرملة . وأرسلوا إلى هفتكين يخبروه[1] بعظم الجيش (ص ١١٦) القادم مع جوهر القائد . وليس معهم من الرجال ما يلقونه . فسار هفتكين من ظاهر عكّا ، فنزل طبرية . وانطردت القرامطةُ من الرملة ونزلها جوهر . وسار من القرامطة إسحاق وكسرى إلى الأحساء ، بلدهم . وبقى جعفر منهم لم يَسِرْ . وصار إلى هفتكين التركى فاجتمعوا بطبرّية ، وجمع هفتكين غِلالَ حوران والبثنيّه ونفذها إلى دمشق . وقرب جوهر من طبرية . فرحل هفتكين طالباً دمشق . وسار جوهر حتى نزل بظاهر دمشق بالشماسيّة لثمانٍ بقين من ذى القعدة من هذه السنة .

وجمع هفتكين حُمّال السلاح من أهل البلد ، وأحسن إليهم من الشُطّار والدعرة . ولم يكن فيهم أقدم ولا أشجع من المعروف بقسّام . وكانت له الرياسة على حُمّال السلاح من الشُطّار والدُعّار ، وكان ذكره قديماً فى هذا الشأن . ثم انتشب القتالُ بين الفريقين بقية شهر ذى القعدة وشهر ذى الحجة إلى آخر هذه السنة .

(١) كذا والصواب « يخبرونه »

ذكر سنة ست وستين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع[1] فقط .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة أصابع[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الطائع لله أمير المؤمنين .

ومدبّرُ ممالكه عضد الدولة فناخسرو بن بُوَيْه .

والعزيز بمصر .

ووزيره أبو الفرج ابن كِلّس .

والقاضى على مصر والقاهرة أبو الحسن على بن النعمان

والخراجُ بمصر لابن العدّاس .

وجوهر القائد فى الحرب مع هفتكين التركى على دمشق إلى الحادى عشر من شهر ربيع الآخر من هذه السنة كانت الكسرة على هفتكين وأهل (ص ١١٧) دمشق فى حديث طويل . وهَمَّ هفتكين

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

بالهروب إلى أنطاكية فى تلك الليلة . ثم إنّه استظهر بعد ذلك وقوى . ونظر جوهر إلى أحواله تَنْقصُ وقد هجم الشتاء . وقد ذهب ما كان معه من الأموال ، وصار أكثرُ جيشه رجّالة ، وهالكت دوابُّهم ، ولم يصل إلى شىء . فراسل يطلبُ الصلح والمهادنة من هفتكين ، فلم يجبه إلى ذلك . ثم اتفق الحالُ بينهم على أن يرحل جوهر ولا يتبعه أحد . وكان قد اتصل بجوهر خبرُ الحسنِ بن أحمد القرمطىّ أنّه سائر إلى الشام . ووردَ إلى ابن عمه جعفر القرمطى كتابا[1] من عنده بذلك .

ورحل جوهر عن دمشق يوم الخميس الثالث من جُمادىٰ الأولىٰ من هذه السنة . فلما صار إلى طبرية خرج الحسن بن أحمد من البرّية إلى نحو طبرية . وكان خبره قد وصل إلى جوهر . فقحم خيله حتى صار بالرملة . ثم نزل زيتون الرملة متحصّناً به من الحسن بن أحمد ، وكان هفتكين قد سار من دمشق إلى الحسن بن أحمد . فلحقه وهو مريض . وتوفى الحسن بن أحمد فى الرملة . وقام بأمر القرامطة بعده ابن عمه جعفر ، ثم اقتتلوا مع جوهر بقية سنة ست وستين . ثم انفسد الأمرُ بين هفتكين وبين جعفر القرمطىّ . فأخذ جيوشه وعاد إلى بلاده بالأحساء . وكان ابن الجرّاح محاديا[2] لجوهر . فلم يرَ مع هفتكين

---

(١) كذا ، والصواب « كتاب » (٢) كذا

ما يُحبّ ، فانصرف عنه . وراسلته المغاربةُ فما يلهم . ولما اشتد الأمرُ بجوهر وكثُر القتلُ فى رجاله خاف أن يهلك . فسار يريد الدخول إلى عسقلان ليكون المددُ يجيئه فى البحر . وسار هفتكين يريدُه . فالتقوا ، فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل (ص ١١٨) ثم انصرفوا وأصبحوا فى اليوم الثانى فاقتتلوا إلى الليل ، وأصبحوا اليوم الثالث فاقتتلوا . فانهزم جوهر وأصحابُه وأخذهم السيف . فخلّوا عن عسكرهم ودخلوا عسقلان . فأخذ من عسكرهم ما عظم قدرُه . فاستغنى منه ناسٌ كثيرٌ . ونزل هفتكين على عسقلان فحاصر جوهر بها ، ووردتِ الأخبارُ إلى العزيز نزار خليفة مصر ، بذلك . فقال لوزيره : ما ترى ؟ قال : أرى أن تخرج أنت بنفسك وإلاّ هَلَكَتِ العساكرُ . فأقبل يجمعُ الجموع ويستخدمُ الجند المعطّلين من الإخشيدية وغيرهم ، وأخرج الأموال وأنفق فى الجيوش .

ذكر سنة سبع وستين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذْرُعٍ ، وثلاثة وعشرون[1] إصبعاً . مبلغ الزيادة ستة عشر[2] ذراعاً وأربعة أصابع .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفة الطائع لله أميرُ المؤمنين .

وعضدُ الدولة مدبّرُ المملكة بحاله .

< الدولة السامانية >

وفيها قام بأمرِ المملكة السامانية المقدّم ذكرها فى الجزء الذى قبله الرضى بن منصور بن نُوح . كنيته أبو القاسم . < اسمه > نوح ابن منصور بن نوح بن عبد الملك بن نصر بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل السامانى المقدّم ذكر دولتهم وملوكهم .

ولى مملكة خراسان بعد أبيه بولاية عهده له ، وهو صغيرٌ غيرُ بالغ ، وحُمل إليه اللوآء والتقليدُ والخِلَعُ من جهة الطائع لله أميرِ المؤمنين ، وأُخْرِجَ مع الخلع خادمٌ من خدم الخلافة .

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع ، وثلاث وعشرون إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

وولّى حجبته لأبى العبّاس تاش . وعقد الإصفهسلاريّة لأبى الحسن السيمجورى ولقّبه ناصر الدولة .

وولّى الوزارة لأبى الحُسَيْن عُبَيْد الله بن أحمد العُتْبى .

وأقام أبو الحسن[1] فى (ص ١١٩) الإصفهسلارية إلى أن مات سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة . فقام بأمرها أبو على الأكبر من ولده . واضطر الرضىّ إلى تولية أبى علىّ بجميع ما كان إلى أبيه ، ولقّبه عماد الدولة . وذلك فى شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة .

واتفق خروج الخان وهو أبو موسى هارون من أيلك من أرض الترك طالباً مملكة الرضىّ . وكان أبو علىّ قد طرد فائق عن ولاية هراة . فتوجّه إلى الخان واستأمن له . وسار معه إلى بُخَارى . فهرب الرضىّ ووزيرُه العتبى . ودخل الخان بُخارىٰ فى سنة اثنتين وثمانين ، وهرب الرضى إلى آمُل . ثم مرض الخانُ وعزم على العود إلى بلاده وكان فى غاية العدلِ . فدعا عبد العزيز بن نصر الساماني فسلّم إليه البلادَ ، وسار فمات فى الطريق . وفيه قيل :

يا قاهراً لملوكِ الأرضِ مَنْ قهركْ ؟ ويا عماد جميع الأرضِ مَنْ قبركْ ؟

عجبتُ ممّن أطاعتْـــهُ أناملُه حتى سفى من تُرابِ القبرِ ما سترَكْ

وعاد الرضىُّ إلى بُخارى ، ولم يتم لعبد العزيز ولاية .

---

(١) فى الأصل « أبو الحسين » خطأ

وكان أبو عليّ الاصفهسلار ، قد زاد تبسّطه ومكره حتى إنّه كان يُسمّى الرضىّ والى بخارى . وكان يُخاطب مرّةً بسيّدِ الأُمراءِ المؤيّدِ من السماء ، ومرّةً يُخاطَبُ بصاحب العالَم ، ومرّةً بوالى الدنيا ، ومرّةً بأمير جهان ، ومعناه أمير الدنيا . فلما رأى الرضىّ ما قد صار إليه أبى على[1] استنجد بسُبُكْتكين الغازى أبى منصور . وكان قد تَغَلّب على غزنة وبُسْت والرُخَّج . واجتمع معه ، والتقوا مع أبى عليّ في شهر رَمَضان سنة أربعٍ وثمانين وثلاث مئة فانهزم منهما ، وأخذ جميع عسكره . ولقب الرضىُّ سُبُكْتكين[2] ناصر الدولة ، وابنه محمود سيف الدولة . ثم كانت بين أبى عليّ وبين السبكتكين (ص ١٢٠) حروبٌ يطولُ شرحُها . وآخرُ الأمر أنّه قبض على أبى عليّ وسُلِّم لسبكتكين فكان آخر العهد به .

توفى الرضىّ فى رجب سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مئة .

وكانت مُدّةُ مملكته إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهرٍ .

أبو الحارث منصور بن الرضىّ

وقام أبو الحارث منصور بن الرضى نوح . ولّى بعد أبيه بعهده إليه . وكان سبكتكين قد توفى ، وقام بالأمر ابنه إسماعيل . وسار من غزنة طالباً للاصفهسلاريّة على ما كان عليه أبيه[3] ، وكان قد وليها

(١) كذا ، والصواب « أبو على »

(٢) فى الأصل « لسبكتكين »   (٣) كذا والصواب « أبوه »

بكتورون غلام أبي الحارث . وجرى لهما حروب ومكايد ، آخرها أن خُلع أبو الحارث وسُمل فى صفر سنة تسع وثمانين .

فكانت مدةُ مملكته سنةً ونصف [سنة]

ثم قام بالمملكة السامانية :

أبو الفوارس عبد الملك بن الرضى نوح

ولما خُلع أبو الحارث وُلى أخوه المذكور . فأظهر محمود الغضب للمخلوع ظُلماً ، وزحف إلى بكتورون (؟) طالباً بثأرِ أبي الحارث المخلوع . فصالحوه على كور خراسان قاطبةً بلخ وهراة . فانصرف ، فاتّبعوه غادرين ، ومعهم ابن قابوس وابن سمكين . فعطف عليهم أبو المظفر نصر بن سبكتكين فهزمهم هزيمةً فاضحةً . فكانت هذه الهزيمةُ معفيةً لآل سامان . ووصل أبو الحسن أرسلان آيلك وهو نصر بن على أخو الخان < بـ > بخارىٰ فى شهر ذى القعدة سنة تسع وثمانين وثلاث مئة . وقبض على جماعة آل سامان منهم أبي الحارث[1] المخلوع ، وإبراهيم المنتصر ، وعلىٌّ أبي يعقوب أخي[2] أبي الفوارس ، وعلىّ أبي[3] الفوارس فلم يتجاوز ملكه السنة .

---

(١) كذا ، والصواب « أبو الحارث »

(٢) كذا ، والصواب « أبو يعقوب أخو . . . »

(٣) كذا ، والصواب « أبو الفوارس »

ثم قام :

المنتصر إسماعيل بن الرضى بن نوح

وكان قد قبض عليه فى جملة مَنْ قُبض عليه من آل سامان . فاتفق له (ص ١٢١) أنه لبس جلد جارية وخرّج من محبسه ، وسار إلى الجرجانيّة ، وتجمّع إليه الجند السامانيّة فسار بهم ، وكبس على الأتراك الخائنة فانهزموا عن بخارى ، ودخلها المنتصرُ . وكانت بينهم أوجع حروبٍ حتى استفحل أمرُ المنتصر إلى أن كرّ عليه الخانُ فقُتل فى سنة خمس وتسعين وثلاث مئة .

وانقطعت الدولة السامانية بقتله .

فجميعُ ملوكِ آل سامان عشرة ملوك . أوّلهم إسماعيلُ بن أحمد ابن أَسد بن سامان خداه وآخرهم المنتصر هذا .

وجميعُ مدّةِ مملكتهم دون ولايتهم مئة سنةٍ وستة أشهرٍ وعشرة أيام .

وكان لهم من البلاد فى أكثر الأوقات خراسان ، وما وراء النهر ، وسجستان ، وغزنة ، وبُسْت ، والرُخَّج ، وكَرْمان ، وجُرْجَان ، وطَبَرِسْتَان ، والرىّ ، وقومس .

وفيهم يقول أبو الطيبّ الطاهرى :

أَوْدَىٰ ملوكُ بنى سامانَ فانقرضوا ‏ ‏ ‏ وأصْبَحَ الحبلُ ماينفكّ يَنْتَقِضُ

أضْحَتْ إمارتُهم فيهم وجوهرها عَبيدُهُمْ وهم فى عرضها عَرَضُ
فَلْيَبْكِ مَنْ كان فيهم باكياً أبَدًا فما لما فاتهم من مُلْكِهِمْ عِوضُ

وما أحسن ما وصف دولتهم بعض البلغاء فقال :

« كانت الدولة السامانية كالدولة الساسانية طولَ مدّةٍ وقِلّة كَفاء . وما أشبَّهها إلاّ بالسماء التى رفعها الله بغير عَمَد » .

قلتُ : قد أنهيت القول فى جميع ملوك آل سامان كما انتهى القول فى جميع من تقدمهم من الملوك أرباب الدول وأصحاب الحول . وسُقْتُ هؤلآء الملوك من آل سامان على التوالى حتى لا يعود لنا التفاتٌ إلى غيرِ ملوك مصر ، كون هـذا الجزء مختصٌ بذكرهم دون غيرهم ، إذِ الشرطُ أنْ يكون كلُّ جزء من هذا التاريخ يختصّ بدولة .

(ص ١٣٢) ولنعود[١] إلى ما كنا عليه بمعونة الله وحسن توفيقه .

وفيها انتصر عزُّ الدولة بَخْتيار بأبى تغلب بن حمدان على قتال عضد الدولة فناخسرو . وسار فناخسرو إليهم ، ولقيهم ، فانهزموا وأخذ بختيار أسيراً فقتله . وانهزم أبو تغلب فدخل الزوزان . وسارا[٢] أخو بختيار أبو إسحاق وأبو طاهر ومرزبان بن بختيار إلى دمشق منهزمين من فناخسرو ، وكانوا فى عسكرِ حسَنٍ . وكان هفتكين التركى

---

(١) كذا ، والصواب « ولنعُدْ » (٢) كذا : والصواب « وسار »

بطبريّة . فبعث إليهم بوزيره ابن الحمارة . فأنفق فيهم الأموال وحمل إليهم الإقامات وسيّرهم إلى الهفتكين . فاجتمع العسكران بطبرية فى اثنى عشر ألفاً . فساروا يريدون الرملة ، وسار العزيزُ يريدُهم بجموعه . فالتقوا بين اليهوديّة وكفر ساب . فحمل عليهم الهفتكين حملة بعد حملة . فقتل منهم نحواً من مئة رجل . فأقبل عليه عسكرُ العزيزِ فى نحوٍ من سبعين ألف[1] ، فلم يكن إلاّ ساعة حتى دخلوا عسكره وملكوا رحاله . فصاحتِ الديلمُ الذين كانوا معه : بهار بهار ، يريدون الأمان الأمان . واستأمن أبو إسحاق ومرزبان بن بختيار ، وقُتل أبو طاهر ، وأُخِذَ كثيرٌ منهم أسرى . ولم يكن القتل فيهم بكثير . فلما انهزم عسكرُ هفتكين طلبوه فى القتلى أو الأسرى فلم يجدوه . فخفى عليهم أمرُه . وكان فى وقت الهزيمة أخذ نحو الجبل ببيت المقدس . فوقف به فرسه فنزل عنه . وجلس تحت شجرةٍ ، فعبر به رجل من العرب يقال له راهِبٌ لا حال له ولا شجاعة فيه . فأخذه أسيراً وسار به إلى ابن الجرّاح الطائى فَشَدّ عمامته فى عُنُقِه وساقه إلى نحو العزيز .

قال صاحب هذا النقل : حدثنى أبو القاسم جعفر بن إسماعيل أنّ ابن الجراح قال : لما جئتُ بهفتكين إلى نزار (ص ١٢٣)

---

(١) كذا ، والصواب « ألفاً »

قام قائماً فقبّلَ هامتى . ونال ابن الجراح بذلك نائلاً كثيرًا . وشهر
هفتكين فى العسكر وتَلَطّمتِ المغاربةُ وجهه وأخذوا لحيته ورأى فى نفسه
٣ العِبَر . وكانت هذه الوقعة يوم الخميس لسبعٍ بقين من المحرّم سنة ثمان
وستين وثلاث مئة .

وفى سنة سبع وستين وُلد أبى[1] حامد الغزالى .

---

(١) كذا ، والصواب « أبو »

ذكر سنة ثمان وستين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وخمسة عشر[1] إصبعاً .

مبلغُ الزيادة سبعة[2] عشر ذراعاً وإصبع .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الطائعُ لِلّٰه أمير المؤمنين .

وعضدُ الدولة مدبِّرُ المملكة الخليفية .

والعزيزُ قد انتصر على الهفتكين التركى .

وكان قد استخلف على مصر والقاهرة خير بن القاسم . وكان على الخَرَاج علىُّ بن عمرو ، وعبدُ الله بن خلف .

وسار العزيزُ بهفتكين ومَنْ معه من الأسرى عائداً إلى مصر . وكان قد اصطنعه ومَنْ معه وأحسن إليهم وجمعهم إلى هفتكين . وصار له بمصر عسكرًا[3] على رسم عسكر العراق . فلما نظر ابن كِلّس الوزير ذلك خافه على نفسه فقتله بالسم على ما ذكر .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وخمس عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً »

(٣) كذا ، والصواب « عسكر » . والضمير فى صار له يرجع إلى هفتكين .

وكان العزيزُ قبل عوده إلى مصر نفذ إلى دمشق والياً من العرب يقال له حُميدان بن خراش العقيلى فى نحوٍ من مئتى رجلٍ . وكان بها يومئذٍ قَسّام رئيسُ الشُّطّار المقدّم ذكره . وكانت كتب العزيز قد وردت عليه من قبل الانتصار على هفتكين . فلما جرى ما جرى أظهر قسّام الكتب وقرأها بالجامع ، يَعِدُ فيها الرعية بالإحسان ، ويتركُ الخراج إنْ هم منعوا هفتكين من الدخول إلى البلد . ثم ولى حُمَيْدان العقيلى ، حسبما ذكرنا ، وأتى دمشق . فكان (ص ١٢٤) من تحت أوامر قسّام ، ثم إنه وقع بينه وبين حُمَيْدان ، فطرده من البلد وأخرجه أقبح خروج ، ونهب دارَه ، وخرج هارباً لا يلوى على شىء . وقوى أمرُ قَسّام ، واجتمع إليه الرجالُ ، وكَثُرَ ما كان بيده ، وقوى طمعُه فى البلد ، وتسمّى بملكِ الرّجال . وكان معه عاملٌ من جهة السلطان يقال له الآمدى .

ثم ولى البلد بعد حُميدان أبو محمود . ودخل دمشق فى نفرٍ يسير . وعاد يقفُ على باب قسّام يمتثلُ أوامره .

ذكر سنة تسع وستين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وخمسة أصابعٍ[1] . مبلغ الزيادة سبعة عشر[2] ذراعا فقط .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ الطائع لله أمير المؤمنين .

وعضدُ الدولة فناخسرو مدبّر الممالك الخليفيّة .

وكان قد تقدّم القولُ أنّ أبا تغلبٍ لما كُسِرَ هرب إلى زوزان ، فأنفذ خلفه عضد الدولة العساكر ، فهرب من زوزان إلى آمد ، ثم سار إلى الرحبة ، وكتب إلى العزيز بمصر يطالبُ الدخولَ إلى عمله والإقامة فيه . ثم سار فى برارى[3] وجبالٍ وأودية حتى خرج من حوران ، ثم سار حتى نزل دمشق . فقال قسّام : لا يدخل أحدٌ من أصحابه دمشق . وكان جوابُ كتاب أبى تغلب قد ورد عليه بما يحب ، وكتب إلى قسّام أن يمنع أبا تغلب من البلد . فسأل أبو تغلب الآمدىّ عاملَ الخراج أن تكون أصحابه يتسوّقون من البلد . فكان ذلك . وكان

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وخمس أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً »

(٣) كذا ، والصواب « برار »

أبو تغلب قد طمع أن يُولّيه العزيزُ دمشق . وكان قسّام قد خاف من ذلك . وكان لمّا نزل أبو تغلب من ظاهر دمشق قال ابنُ كِلّس الوزير (ص ١٢٥) للعزيز : إنّ هذا الرجل إن تمكّن عَظُمَ شرُّه . والصوابُ أن نعمل فى هلاكه . فكانوا يكتبون إليه بكلّ ما يُحب ، ويكتبون إلى قسّام : لا تمكّن هذا من شىء فيطمع فى البلد . فضربوا بينهما . وأقام أبو تغلب بظاهر المزّة شهورًا . فثقل على قسّام مقامه . فلما كان فى بعض الأيّام وقف رجلٌ أعجمىٌّ فى باب الجابية وكان متنبّذًا وهو من أصحاب أبى تغلب ، فحرّك سيفه وقال : أين هذا العيّار ؟ فعظم على قسّام ، وتخوّف أن تكون لأبى تغلب سلطنةٌ عليه فيُهلكه ومَنْ معه . فانفسد الحال بينهما . وقال قسّامٌ لأصحابه : إذا دخل أصحابُ أبى تغلب فخذوهم . فأخذوا منهم تقدير سبعين رجلاً ، وقتلوا جماعةً منهم ، وخرج الذين أفلتوا إلى أبى تغلب وقد أُخِذَتْ ثيابُهم ودوابُّهم . فلم يقدرْ على شىء يفعله . وكتب إلى مصر بذلك . فأعجب ذلك الوزير ابن كلّس وحسّنه للعزيز .

ولمّا جرى على أصحاب أبى تغلب ما جرى طلبوا قومًا من أصحاب قسّام فى الغوطة كانوا يأخذون الخفارات . فهربوا وقوى خوفهم . وكتب قسّام إلى مصر يذكر أنّ أبا تغلب قد حاصر البلد ، وقد مدّ يده فى الأعمال ونحن فى الحرب معه . فخرج من مصر غلامٌ للوزير

ابن كلّس يقال له الفضل فى عسكرٍ كبير للحيلة على أبى تغلب وعلى العمل فى هلاكه . فنزل الرملة ، وأرسل إلى ابن الجرّاح سِجِلاًّ بولاية الرملة ، وقال : إنّ هذا أبا تغلب يُرِيدُ أنْ يَسِيرَ إليها فيأخذَها بسيفه ، وأنا معينٌ لك عليه .

وكان أبو تغلب قد سار من دمشق فترك الفوّار . وسار الفضلُ فنزل طبرية ، وأرسل إلى أبى تغلب : نريدُ نجتمعُ . وكان الفضلُ فى القديم يهودياً ، وكان أبوه طبيباً . فكبرت (ص ١٢٦) نفس أبى تغلب أن يجلس معه على سرير من جهة أنّه يهودىّ الأَصل . فاتفق الحالُ بينهما أن يجلس كلٌّ واحدٍ على سرير . فكان ذلك . فجرت بينهما مخاطبة على أنّ ولاية الرملة له . وأخرج له بذلك سِجِلاًّ ، وأنه يقلع ابن الجراح منها . وقال له : أنا معينٌ لك على ابن الجرّاح إذا كان بينكما حرب .

وسار الفضلُ إلى دمشق لجَبْى الخراجَ ، وقَبَّضَ الجندَ ، وزادهم فى العطاء ، وزاد فى عسكره رجالاً كثيراً . وسار عن دمشق وأخذ طريق السّاحل . وكان أبو تغلب قد نزل الفوّار وفتح أهراءً كانت بحوْران والبَثَنيّة فى مواضعَ كان أبو محمود عمرها وجمع فيها . وكان قد اجتمع إلى أبى تغلب العربُ من بنى عقيل ومعهم شِبْلُ بن معروف ، فسار بهم إلى الرّمْلَة . فهرب ابنُ الجرّاح منها . وأقبل يجمع من أمكنة من

العرب وهو واثق أن الفضل معينا[1] لهُ . وكذلك كان ظنّ أبو تغلب . وسار الفضل فنزل عسقلان وعسكر بها . وأقبل ابنُ الجرّاح بجموعه والتقى مع أبي تغلب ، واصطلى القتال بين الطائفتين من العرب ، وأبو تغلب قائم فى مصافه لم يكن جنده بالكثير . وكان معه أيضاً جماعة من المغاربة صاروا إليه . فلما حملت عربُ ابن الجرّاح على عرب أبي تغلب تقهقروا ، وسار الفضلُ من عسقلان فاجتمع عسكره مع عسكر ابن الجرّاح بالاتفاق الذى كان بينهما . فقالوا لأبى تغلب : إنّ عسكر الفضل صاروا إلى عسكر ابن الجرّاح . فقال : على هذا كانت الموافقة بينى وبين الفضل . فلما رأى مغاربةَ الفضلِ قد حملوا على جيشه ، تحقّق المكيدة ، وانهزم جميعُ مَنْ كان معه ، ثم انهزم هو فلم يَدْرِ أين يأخذ . وكان عليه حديدٌ مانع وسيفٌ قاطع . وهو من الفرسان المعدودين فى الحرب (ص ١٢٧) وتحته فرس سابق . فذُكر أنّه لم يتقدّم إليه رجلٌ إلاّ قَدَّهُ ، وهو مولٍّ[2] . فتبعه رجلٌ من أصحاب ابن الجرّاح يُقال له مشيع ، فصاح إليه : يا إنسان ! اسمع منى يا إنسان . أنا أنجو بك . فظَنّ أنّ كلامه حقٌّ . فسمع كلامه ، وهو منه على بُعدٍ ، فقال له : هذه الخيلُ التى أمامك هى خيلنا ، وهذه الخيلُ التى حولك هى لنا ، ولو وقفتَ علىّ لنجوتُ بك ، وتحلف

---

(١) كذا ، والصواب « معين »   (٢) كذا ، والصواب « مولٍّ »

لى على مالٍ تُعْطِينى إيّاه . وعاد يُكَلِّمهُ وهو يقرب منه ، وهو يظنُّ أنه لا يقدر عليه . فلم يشعر به حتى طعن عرقوب فرسه . فوقف به الفرسُ ، وأخذه أسيراً وأتى به إلى ابن الجرّاح . فأركبه جملاً وأشهره بالرملة . ثم حُبس فى مكان ، فطلب شىء[١] يتوسّد عليه فأتوه بشوكٍ وقالوا له : يقول لك الأميرُ توسّد هـذا . فأغلظ لهم فى القول وشتم ابن الجرّاح . فبلغه ، فقتله صبرًا وأحرقه بالنار .

وذلك لليلتين خَلَتَا مِنْ صَفَر من هذه السنة .

وفيها كانت الفتنةُ بين عَضُدِ الدولة فناخسرو و بن أخيه . ونفذ إليه الجيوش . وذلك الذى أشغله عن الشام ومصر وأخبارها .

فلمّا أمِنَ العزيزُ العساكر من جهة عضد الدولة نفذ إلى دمشق سلمان بن جَعْفَر بن فلاح فى أربعـة آلاف من المغاربة ، ووصـل إلى دمشق فوجد قسّاماً غالباً عليها . فنزل بستان الوزير فى زقاق الرُمّان ، وعسكرُه حوله . فثقل أمره على قسّامٍ ورأى أميران تحكم[٢] فى البلد . وقد كان قسّام طمّع آماله وصنع أعلاماً وطوارقاً[٣] عليها صفة قحفٍ . قيل إنه كان ترّاباً زبّالاً فجعل ذلك القحف رنكه .

وكان قسّام هذا أصله من قرية من جبل سَنِير يقال لهـا تلفيثا . وكان من قومٍ يُقال لهم الحارثيّون من بطن من العرب . فنشأ (ص ١٢٨)

---

(١) كذا ، والصواب « شيئاً » (٢) كذا ، والصواب « أميرين يحكمان »

(٣) كذا ، والصواب « طوارق »

بدمشق . وكان يعمل على الدواب فى التراب والزبل وغيره . ثم إنّه صحب رجلاً يقال له ابن الجسطار ممن كان يطلب الباطل ويحمل السّلاح . فصار من حزبه ، وترقّى أمره إلى ما ذكرنا .

وطال المقام على سلمان بن جعفر فى غير شيء ، وليس فى يده ما يُنْفِق . فأراد أن يُظهر صرامةً ليتمكّن من البلد . فقال لقسّام : لا تُحمّلن أحداً سلاحاً . فأبوا عليه ذلك . فبعث إلى الغوطة من يسير فيها ويَنْهَى من يأخذ الخفارة أو يحمل السلاح . فعرّفوا قسّاماً فقال : هذا ما لا يفكر فيه .

ثم إنّ أصحاب سلمان بن جعفر وجدوا رجلاً يقال له حُميد ومعه ثلاثةٌ يحملون السلاح . وكان ممن يأخذ الخفارة لقسّام . فأخذوا رؤوسهم . فكان ذلك سبب الحرب والقتال بين سلمان وبين قسّام .

ثم إنّ قسّاماً جمع مشايخ البلد وكتب محضرًا أشهد فيه على نفسه أنّه يحمى البلد ممن يحضر إليها من جهة عَضُدِ الدولة فناخسرو ، ويمنعها منه . وأنفذه إلى مصر . فوقع ذلك بغرض العزيز بالموافقة . وأنفذ رسُلاً من كتامة إلى سلمان أن يرتحل عن دمشق . فرحل عنها . وكان مقامه بها شهورًا من هذه السنة .

ورجع أبو محمود بعد مسير ابن فلاح إلى دمشق فى رسم والٍ ، من طبرية ، فى نفر يسير . وعاد أمرُ دمشق مستقّلاً لقسام .

وفيها كانت عدة زلازل عظيمة فى عدّة أماكن ، حتى ظنّوا[1] الناس أنها القيامة قد قامت .

وفيها توفى أبو عبد الله الحسين بن على البصرىّ ، شيخ المعتزلة ، ٣
رحمه الله .

---

(١) كذا ، والصواب « ظن الناس »

ذكر سنة سبعين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة : (ص ١٢٩)

الماء القديم أربعة وعشرون[1] إصبعاً .

مبلغ الزيادة خمسة[2] عشر ذراعا وأربعة أصابع .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الطائع لله أمير المؤمنين .

وعضدُ الدولة فناخسرو بحاله .

والعزيزُ خليفة مصر .

والوزيرُ مدبّر الدولة ابن كلّس بحاله .

وابنُ العدّاس على الخراج .

والقاضى ابن النعمان مستمر على ولايته .

ولمّا تمت للفضل الحيلة على أبى تغلب وقُتل ، عمدوا على الحيلة بابن الجرّاح وقسّام . فسار الفضلُ فى جيوشه وأظهر أنّه يريدُ حمص وحلب ليأخذهما من أيدى بنى حمدان . وكانتا[3] ، حمص وحلب ، فى مدّة

---

(١) كذا ، والصواب « أربع وعشرون ذراعاً » وفى النجوم ٤ : ٣٧١ « الماء القديم ذراع واحدة »

(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً » .

(٣) كذا ، والصواب « كانت »

هذه السنين فى أيدى بنى حمدان حسبما يأتى من ذكرهم بعد ذلك . فلم يزل الفضلُ حتى نَزَل دمشق . وعلم ابنُ الجرّاح أنّ المكيدة به واقعة . فتلطّف من جهة العزيزِ حتى عفا عنه ، بعد أنْ أشرف على الأخذ فى حديث طويل .

وذلك فى صفر من هذه السنة .

وكانت البلادُ قد خربتْ مع ابن الجرّاح ، حتى كان الإنسانُ يدخل الرملة فيطلب شيئاً يأكُله فلا يجده ، ويرى الفلّاحين والمزارعين فى الأسواق يسألون الناسَ . وكان هذا الخرابُ والمجاعة فى أكثر بلاد الشام ما خلا حمص وحلب . فإنّه كان بحمص غلام تركى يسمى بكجور فأحسن السياسة فعمرت بلاده .

ذكر شيء من حديث بنى حمدان وبكجور

قد تقدم القولُ فى ذكر بنى حمدان ، وكان أول مَنْ ملك حلب منهم الحسين بن سعيد أخى أبى فراس ، انتزعها من أحمد بن سعيد الكلابى صاحب الإخشيد . ثم ملكها سيفُ الدولة أبو الحسن علىّ ابن عبدالله بن حمدان فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة . ثم صارت إلى ولده سعيد الدولة أبى المعالى .

(ص ١٣٠) وكان من حديث بكجور أنّه كان مملوكاً لقرعُويَهْ التركى مملوك سيف الدولة بن حمدان . وكان قرعُويه قد تغلّب على حلب بعد سيف الدولة وأخرج ابن أستاذه منها فى حديث طويل . فسار ابنُه أبو المعالى لمّا غلبه قرعُويَه فنزل ما بين حماة وحصن بَرْزُوَيْه بعسكره . وكانت حمص فى ذلك الوقت قد أخربها الروم ، فنزل أرقطاش التركى غلام سيف الدولة من حصن بَرْزُوَيْه فلقى أبا المعالى مولاه ، وأخرج له أموالاً عمّر بها حمص ، ونزلها أبو المعالى ، وعمرت حمص . وكانت الرومُ دخلوها فى سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة وهى الدخلةُ الأولى ، وزادت العمارة سنةً فى سنة ، وأبو المعالى يقوى بها . وكان قرعُويَهْ قد استناب غلامه بكجور . فلما قوى قبض على قرعُويَه وحبسه فى قلعة حلب . وملك حلب . وأقام بها نحواً من خمس أو ست سنين . وكوتب أبوالمعالى من حلب وطُمع فى أخذ البلد من رجالٍ من أعوان قرعُوية أن يكونوا معينين له

على تسليم البلد من بكجور . فجمع بنى كلاب ومَنْ أمكنه وسار حتى إذا صار على مَعَرّة النُّعْمان فتحها ، وأخذ منها غلاماً يقال له تُوزين[1] فقتله . وسار فنزل على حلب . وذلك فى سنة ست وستين وثلاث مئة . فأقام بها نحواً من أربعة أشهرٍ . ثم فتحها بالحيلة فى حديثٍ طويل . وتحصّن بكجور فى القلعة ، ونزل عليها أبو المعالى ، ثم توسطوا بينهما أن ينزل من القلعة بكجور ويولّيه حمص . وتعاهدا على ذلك . فنَزَلَ بكجور من القلعة ، فوفى له بالعهد وولاّه حمص فى هذه السنة المذكورة . فعمّر وزاد وأحسنَ السياسة . وكان أمره كل يوم فى (ص ١٣١) زيادة . وعَمّر الطرقات من حمص إلى دمشق . وضربت إليه بنو عدى فأحسن إليهم وأنزلهم من أرض حمص إلى أرض دمشق . وكانت تنزل خيلهم فى أطراف الغوطة فى أوقات . والناس معهم تحت الخوف إلاّ قافلة تسير فى طريق حمص . وعمد بكجور إلى الأماكن المخيفة فعمر فيها أماكن وأبرجة منها الغسولة . وكذلك فى طريق طرابلس من حمص . فحسُن حال بلده ، وكثُر المسافر إليه . وأمنت المواضعُ المخيفة . وكان الناس يعدمُون ذلك فى غير عمله . وكان بكجور يُكاتب العزيز نزاراً بمصر ويُكاتبه . وكان قد سَيّر إليه أن يوليه دمشق . وكان العزيز قد رغب فى الجند وحملة السلاح فاصطنعهم وأجرى لهم أرزاقاً وقدّمهم على المغاربة . وكان وزيرُه ابن كِلّس قد أسّس له ذلك .

وفيها توفى عضد الدولة فناخسرو ، وقيل فى سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة .

---

(١) اسمه عند القلانسى « زهير » ص ٢٨

ذكر سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وسبعة عشر[1] إصبعاً .

مبلغ الزيادة خمسة عشر[2] ذراعا وإصبعان .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الطائع لله أمير المؤمنين .

وعضدُ الدولة مدبّر المملكة إلى حين توفى فى هذه السنة فى شوّال .

وولى الملك مكانه ولده صمصام الدولة أبو كاليجار[3] .

وورد الخبر بموته على الوزير ابن كِلِّس . فدخل إلى العزيز فبشّره فخلع عليه . وكان يخشاه ويخافه . فلما أمن من جهة عضد الدولة جهّزوا إلى الشام عسكرًا وجعلوا (ص ١٣٢) عليه غلام[4] يقال له المصطنع .

---

(١) كذا والصواب « ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعا »

(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً »

(٣) فى الأصل « كالنجار » وهو خطأ

(٤) كذا ، والصواب « غلاماً »

وكان قد اتّفق لهم أنّ بشارة الذى تقدم ذكره فى هذا الكتاب انفسد أمرُه مع مولاه أبى المعالى بن سيف الدولة بحلب . فهرب ومعه مئة رجلٍ من أصحابه إلى مصر . وكان ذلك موافقاً لابن كِلِّس . فأحسن إليه وأكْرَمَه وولاّه طبرية فى هذه السنة . فلما ولى بشارة طبرية استجلب إليه الرجال من جُنْدِ حلب ، وضبط وعمر ، وقوِى أمره بها . وابنُ الجرّاح فى فلسطين يخربه ويأخذ أمواله . ولم يزل الحال كذلك حتى دخلت سنة اثنيْن[1] وسبعين وثلاث مئة .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين »

ذكر سنة اثنين[1] وسبعين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وسبعة عشر إصبعاً[2] . مبلغ الزيادة سبعة ـر ذراعاً وأربعة أصابع[3] .

وكان النيل فى سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة قد بلغ من الزيادة إلى خمس عشرة ذراعاً وإصبعين . ثم نزل حتى بلغ أربعة عشر[4] ذراعاً لعشرٍ خلون من توت . ثم ردّ زيادته وبلغ ما ذكرناه بعد الخوف والوجل ، ووقع الهَيْجُ فى الناس .

٩ ما لُخِّص من الحوادث

الخليفة الطائعُ بحاله حسبما تقدّم من ذكر ذلك فى السنة الخالية . والعزيزُ كذلك بمصر .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين »

(٢) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

(٤) كذا ، والصواب « أربع عشرة ذراعاً »

وفيها كان الغلاء والوباء بمصر . وفنِيَ عالمٌ عظيم لا يعلم عدّتهم إلاّ الله عزّ وجلّ . والعساكرُ مهتمّين للخروج وهم وجلين[1] من ابن الجرّاح .

ثم إنّ ابن كِلّس الوزير انتدب صبيّاً من الأتراك يقال له بلتكين التركى كان قد أهداه له هفتكين المقدّم ذكره . فولاّه أمر الجيش ، وعزل المصطنع . فسار الجيشُ من مصر يجمع أجناس[2] متفرّقة من عربٍ وعجم وتركٍ ودَيلمٍ ومغاربة ومصريّين وغيرِ ذلك . فنزل الرملة ، وهم تحت خوفٍ وَوَجَلٍ . وتباعد ابنُ الجرّاح . وكان قد قوى جداً ، ومعه أيضاً عجمٌ وجندٌ يرمون بالنشّاب . وقد اجتمع إليه عَرَبٌ كثيرٌ . وسار بشارة من طبرية . فاجتمعت العرب من قيس مع المغاربة . ثم انتشب الحربُ بين الفريقين (ص ١٣٣) فجرى بينهم قتال يُشَيِّبُ الأطفال .

ثم إنّ بلتكين التركىّ ، وهو مقدَّمُ الجيش ، انتدب معه جماعةً من الترك وخرج على أصحاب ابن الجرّاح من خلفهم لمّا اشتد القتال . فانهزموا ، وأخذهم السيفُ ، ونُهِبَ عسكرُهم . وانهزم ابنُ الجرّاح نحو الشمال حتى أخذ إلى أرض حمص فى البرّيّة . وأخذ فى جبل ابن مسعود حتى نزل على أنطاكية فاستجار بصاحبها فأمّنه .

(١) كذا ، والصواب « مهتمون .. وجلون »
(٢) كذا ، والصواب « أجناساً »

وكان قد اتفق أنّ بادرس[1] ملك الروم خرج من قسطنطينية فى عسكر عظيم يريد أرض الإسلام . وكان ابنُ الجرّاح لما نزل على أنطاكية خاف من الروم أن يقبضوا عليه ويشدّوه ويبيعوه إلى المغاربة أوْ لأبى المعالى ابن حمدان فيأخذه بما أسدى إليه من قتله أبى تغلب وإحراقه . فكاتب عند ذلك بكجور خوفاً على نفسه . وكان قد علم بخروج الرُوم . وكان بلتكين قد سرى خلف ابن الجرّاح حتى وصل عسكره إلى دمشق . وعلم أنّ ابن الجراح وصل أنطاكية . فرجع عن دمشق إلى حصنٍ كان له فى أيام هفتكين نحو جبال الشراة يُقال له الكَرَك . فأخذه ، وقتل مَنْ كان به . وكتب بذلك إلى مصر . فورد جوابه أن انزل على دمشق واجتهد فى أمر قسّام .

وتحقق قسّام ذلك وهو بدمشق . فجمع الرجال من الغوطة وغيرها ورمّ شعث السّور ، وضَبَطَ الأبواب ، ونصب العرّادات . ونزل بلتكين التركى دمشق ، وذلك فى ذى الحجة من هـذه السنة . وكان على العطاء بالجيشِ ميشا[2] بن الفُرّار اليهودى . فتلطّف فى أمر قسّام أن يجرى أمره على غير قتال فلم يمكنه . وكان مع قسّام بدمشق جيشٌ من الصمصامة شبه والى (كذا) من تحت أوامر قسّام ، ومعه طائفةٌ من المغاربة

---

(١) هو المسمى عند القلانسى ص ٢٩ « بارديس » وهو دمستق الروم وليس ملكهم.

(٢) كذا ، وفى تاريخ القلانسى « منشا بن الفرار ، كاتب الجيش » ، ص ٢٩ .

وكان قد ولى (ص ١٣٤) البلد بعد وفاة خاله أبو[1] محمود سنة سبعين وثلاث مئة . فلما نزل بلتكين على ظاهر المِزّة خرج إليه فسلّم عليه وعرّفه ما هو فيه من الضيقة مع قسّام، وأنّه قد انتدب للحرب . وكان بلتكين فى جيش كبير ، ولم يكن خرج للمغاربة قبله أقوى منه ، أكثرهم يرمون بالنّشاب . ثم كانت مراسلة بين ابن الفُرّار وبين قسّام فى أن يُسلِّم البلد ويكون آمنًا هو ومَنْ معه ، فلم يوافق على ذلك . ولم يزل الحالُ كذلك حتى دخلت سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاث مئة .

---

(١) كذا ، والصواب « أبى محمود »

ذكر سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع[١] فقط

مبلغ الزيادة ستة عشر[٢] ذراعاً وَ إصبعان .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفة الطائع لله أمير المؤمنين .

وبنى[٣] بويه على ماهم عليه بعد خُلفٍ كثير وقع بين أولاد عضد الدولة على الملك والرياسة . والمستقرّ منهم فى هذه السنة شرف الدولة أبو الفوارس .

وقُبض على صمصام الدولة وسُمل .

والعزيزُ بمصر .

وقُبض فى هذه السنة على الوزير ابنِ كِلّس وعلى سائر أصحابه ، وعاد التدبيرُ إلى أبى محمد بن عمشار المغربىّ . والخراجُ إلى ابن العدّاس ، والقاضى ابن النعمان بحاله .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً »

(٣) كذا ، والصواب « بنو »

فلما كان التاسع عشر من المحرّم وقع الحربُ بين عساكر بلتكين وبين قَسّام وأصحابه . وكان قد وَرَدَ كتابٌ من العزيز على بلتكين بحصارِ دمشق . فلما كان يوم الخميس ركب بلتكين وركب الجيشُ ووقع القتالُ ، ولم يقاتل مع قسّام إلاّ مَنْ كان من حزبه من العيّارين ورجّالة القُرى الذين جمعهم ، وتنحوا (ص ١٣٥) عند أهلِ البلد لما فى قلوبهم منه ، واستمرّ القتالُ والحصارُ إلى يوم الخميس الآخر . فكان مدةّ هذا الحصار ثمانية أيام . ووقع الاتفاق أن يتسلم بلتكين البلد ، ولا يتعرّض لقسّام ولا لأحدٍ من أصحابه . وولّى البلد فى ذلك النهار حاجباً يسمى خطلخ فى خَيْلٍ ورجلٍ .

ثم إن قسّام تخوّف فاختفى . ونودى عليه بالمدنية فلم يوجد . فدلّوا على زوجته وولده فوجدوهم فى كنيسة اليهود فأخذوا . وكان قسّام قد اختفى عند رجلٍ فقيرٍ لا يؤبَهُ إليه . فلما دخل الليل خرج إلى العسكر فوقف على خيمة ابن الفرّار اليهودى . فقال لمن حوله : رجلٌ يريدُ الاجتماع بالريّس . قالوا : ومَنْ هو ؟ قال : قسّام . فدخل بعضهم فعرفه . ودخل عليه على أمانٍ . ثم بعث إلى بلتكين : قد جاءنى قسّام مستأمناً . فانفذ بلتكين من ساعته حاجبه فى جماعة معهم قيد ، فأخذوا قسّاماً وقالوا له : مُدّ رجليك . فقال : أناجئتكم فى أمان . فرفع الحاجب الدبّوس فضربه به ثلاثاً ، وقيّد . ثم حُمل بعد ذلك إلى مصر فعُفى عنه على ما ذكر .

وقد تقدّم ذكره وأصله وسبب توصّله . وهذا هو الرجل الزبّال الذى يعنون الناس[١] عنه أنّه ملك دمشق . وربما آثار رنكه القحف على الطوارق ، وُجِدَتْ بدمشق إلى حين عُبور قازان البلاد ، والله أعلم .

عاد القولُ إلى ذكر بكجور

ثم إنّ بكجور وقع بينه وبين أبى المعالى بن سيف الدولة فى هذه السنة . وكان تحت وعد العزيز أن يولّيه دمشق . وكان العزيزُ قد رضىَ على وزيره ابن كِلّس وأعاده إلى ما كان عليه ، ووهبه خمس مئة غُلامٍ من الباسية وألف[٢] من المغاربة . وكان العزيز قد كتب إلى بكجور بولاية دمشق وكتب إلى بلتكين أن يسلّمه (ص ١٣٦) دمشق . فتقاعد بلتكين عن تسليمه .

وكان قبل ذلك قد كتب بكجور إلى العزيز : أنفِذْ لى جيش[٣] آخذ لك حلب . فنفذ له . وكان بكجور قد جمع خلقاً من بنى كلابٍ ، فسار بجميع الجيوش حتى نزل حلب لحاصرها مدةً يسيرة ، وبادريس ملك الروم على أنطاكية . فعمل على أن يكبس على بكجور ، وهو على حصار حلب . فكتب إليه ابنُ الجرّاح يحذّره ذلك . فارتحل عن حلب . وسارَ عسكرُ الرومِ خلفه . وسبق بكجور حتى نزل حمص . وشال جميع ما كان يعزّ عليه ويتماسكه إلى بعلبكّ . وارتحل إلى جوسية

(١) كذا ، والصواب « يعنى الناس » (٢) كذا ، والصواب « ألفاً »
(٣) كذا ، والصواب « جيشاً »

ومعه خلقٌ مُجْفلين . وسار بادريس فى إثْر بكجور فنزل على ميماس حمص فلم يعرض للبلد ، ودخل المدينة ونظر الكنيسة وخرج من البلد ، ورحل يريد البقعة(١) طالباً طرابلس . فذكر أنه أنفذ إلى حمص رسولاً يقول لهم : نريدُ مالاً . فقال أهلُ حمص : هذا بلدٌ خراب ليس فيه مال . فرجع ونزل حمص وقال لأهلها : مَنْ خرج من البلدِ فهو آمنٌ . فخرج قومٌ وجلس قومٌ . فدخل عسكره البلد فنهب وسبى وأحرقَ الجامع . ودخل كثيرٌ من الناس فى مغاير نحو الباب الشرقى ، فدخّن عليهم فقتلهم الدخان . ولم يعرض للقرى ، ولا لمن هَرَبَ إليها . وكان دخولُ الروم حمص يوم الثلاثاء التاسع عشر من جُمادى الأولى من هذه السنة ، وهى دخلةُ الروم الثانية حمص .

وقال قوم : إنّ أبا المعالى ابن سيف الدولة خاف بكجور فبعث إلى بادريس أنْ أخربْ حمص ، فإنّ الروم كانوا مهادنين حلب وهى فى خفارتهم .

ولم يزل بلتكين يُسَوِّف بكجور الأوقات فى تسليم دمشق بمكاتبات الوزير ابن كِلّس إلى بلتكين . وكان الوزيرُ لا يودّ أن يكون بكجور بدمشق ، فلما علم العزيزُ أنّ بكجور ممنوع من التسليم (ص ١٣٧) وفهم أنّ ذلك من مكر الوزير أنفذ رجلاً من الكتّاب يُقال له ابنُ غياث ومعه خلع ، وكتب إلى بلتكين وبكجور وسائر القوّاد . فخلع على بكجور

(١) عند القلانسى « البقيعة » ص ٢٩

وبلتكين وأمره بالمسير والتسليم لبكجور ، فسلّم إليه البلد وعاد بلتكين متوجّهاً إلى مصر يوم الأحد مستهل رجب من هذه السنة .

ودخل بكجور يوم السبت لسبعٍ خلَوْن من رجب . وكان قد علم أنّ الذى كان صَدّه هذه المدّة عن ولاية دمشق ابنُ كِلّس الوزير . وكان لابن كِلّس بأعمال دمشق ضياعٌ ، ووكيله بها رجلٌ يقال له ابن أبى العَود . وكان يهودياً . فشرع فى معاندة الوكيل ، وحطّ على جميع أملاك الوزير ابن كِلّس ، وعمل على الوكيل حتى ذُبح فى بيته . فلما بلغ الوزير ذلك غمّه وقال للعزيز : هذا أول عصيان بكجور وسوف ترى ما يكون منه . وكان ابنُ الجرّاح قد قدم معه وصار فى جملته . وأقام بكجور بالبلد يظلم ويجورُ ويعسفُ بالناس ويجمعُ الأموال لنفسه مدّةَ سنةِ أربعٍ وسبعين وسنة خمسٍ وسبعين إلى سنة ستٍ وسبعين حسبما يأتى من ذكر ذلك .

وفيها غلت الأسعارُ جداً بمصر والشام والعراق ، وجاع الناسُ مجاعةً عظيمة ، وبلغ الكَيْلُ الحنطة مالاً جزيلاً لا يُصَدَّقه العقل .

وفيها توفى مُعين الدولة بجرجان والله أعلم .

ذكر سنة أربع وسبعين وثلاث مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

المـاء القديم أربعة أذرع[1] فقط مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً[2] وأربعة أصابع .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفة الطائع لله أمير المؤمنين .

وشرفُ الدولة بن بُوَيْه مدبّرُ المملكة (ص ١٢٨) .

والعزيزُ بمصر .

والوزيرُ ابن كِلِّس مدبّر الدولة . وقـد قوى أمره كأعظم مما كان .

والغلاء مستمراً[3] ، والناسُ فى مجاعة لا رأوا مثلها فى سائر الأقاليم . وعَمّ الغلاء حتى جزائر الفرنج مع بلاد الروم ، وكانوا[4] سنين صعبة .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « مستمر » .

(٤) كذا ، والصواب « وكانت سنين » .

فنعوذ بالله من أمثالهم[1] ونسأله الإعانة على ما بقى إنَّه ولىُّ ذلك والقادر عليه .

٣ وفيها توفيا[2] عقيل وتميم ولدى المعز بالله فى ذى القعدة منها .

وفى سنة أربع وسبعين توفى القاضى علىّ بن النعمان وَولى مكانه أخوه أبو عبد الله محمّد .

---

(١) كذا ، والصواب « أمثالها »

(٢) كذا ، والصواب « توفى عقيل وتميم ولدا »

ذكر سنة خمس وسبعين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع[1] واثنين وعشرين إصبعاً .

مبلغ الزيادة ستة عشرة[2] ذراعا وعشرة أصابع .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الطايعُ لله أمير المؤمنين .

وتوفى شرفُ الدولة ابن عضد الدولة .

وولى الأمر بتدبير الممالك الخليفية بهاء الدولة أبو نصر .

والعزيزُ بمصر .

والوزيرُ ابن كِلِّس مدبِّر دولته .

وفيها ولد الحاكم منصور ابن العزيز فى تاريخ ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا، والصواب «أربع أذرع» (٢) كذا، والصواب «ست عشرة»

ذكر سنة ست وسبعين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ستة أذرع[1] فقط .

مبلغ الزيادة سبعة عشر[2] ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الطائع لله أمير المؤمنين .

وبهاء الدولة أبو نصر مدبّر المملكة .

والعزيزُ بمصر .

والوزيرُ ابن كِلِّس مدبّر الدولة العزيزية .

والخراجُ لابن العدّاس .

وصاحبُ الشرطة ميمون بن دية ، وخليفته ابن سعد الحلولى المغربى .

والقاضى أبو عبد الله محمد بن النعمان . والله أعلم .

(ص ١٣٩) وفيها توفى شاذى الكردى صاحب آمد ، وملك ابن أخيه مروان .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعا »

وفيها أنفذ حاجبٌ كان بالرقّة ، ممن ولّاه فناخُسْرو ، إلى بكجور بأن يُسَلِّمَ الرَقّة إلى العزيز خليفة مصر . وذلك أنّ أولاد فناخسرو لما اختلفوا من بعده خشى هذا الحاجبُ على نفسه من بهاء الدولة الذى تولّى منهم . فأنفذ إلى بكجور بسبب ذلك . فأنفذ بكجور إليها غلامه وصيفاً فى عسكرٍ فأخذها . ووجد الحاجبُ الذى بها عليلاً فلم يلبث إلّا القليل حتى مات الحاجبُ . فأخذ وصيف موضعه ، وأقبل بكجور يسير إليه بما يجمعه بدمشق من الأموال والسلاح وغيره .

ذكر سنة سبع وسبعين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع[1] فقط .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الطائع لله أميرُ المؤمنين .

وقيل فى هذه السنة توفى شرفُ الدولة بن عضد الدولة وتولى أخوه بهاء الدولة حسبما تقدم من ذلك .

والعزيزُ خليفة مصر والشام .

وبكجور بدمشق من قبل العزيز .

وقصد الوزير ابن كِلِّس أن يتحيّل على بكجور بمن يقتله غيلة . فأنفذ إلى غلام نصرانى عطّار يُسمى ابن السكويّس[3] من أهل دمشق فوعده أن يرفعه إنْ هو احتال على قتل بكجور . فاطّلع بكجور على ذلك . فقبض على ابن السكويّس مع جماعةٍ من أصحابه فأكلهم وصَلَبَ

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشر ذراعاً وعشر أصابع »

(٣) فى تاريخ القلانسى ص ٣٠ « ابن أخى الكويس »

ابن الكويّس ، بعد ما استصفى ماله ، ومعه رجلان يقال لأحدهما السويق والآخر يُعرف بابن البازل صاحبهما أيضاً فماتوا جميعاً . وذلك فى شهر رمضان ، (ص ١٤٠) وضيّق على وكلاء الوزير ابن كِلّس ، فكانت أمورهم معه تجرى على ذُلٍّ عظيم ، وهم يكتبون بذلك إليه .

وكان المتولّى لأمور السلطان بدمشق ابن أبى العود الصغير . وكان قد ولى الأمر بعد قتل أخيه . وكان بكجور قد جار بدمشق جَوْرًا عظيماً . وكان مُذْ وُلّى لم يترك القَتْلَ والصَّلْب . وكانت الكتب تَرِدُ عليه من العزيز فيعمل بضدّها .

ولم يزل كذلك إلى أن دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة .

وفى سنة سبع خرجت العساكرُ إلى الحجاز من مصر وعادت الحجاز بيد المصريّين . وعاد الجيشُ من الحجاز فى سنة ثمانٍ وسبعين ومعهم رأس ابن أبى حازم .

وفى سنة سبعٍ كانت الزلزلة بمصر ، وكذلك بالموصل ، وهُدِمَتْ آدرٌ[1] كثيرة من الإقليمين .

وفيها تأخرت الأمطار إلى نصف كانون وتلف جميع ما بدروه[2] الناس

(١) يقصد « دور »

(٢) كذا ، والصواب « بدره الناس » .

ذكر سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع[1] فقط . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً[2] .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ الطائع لله أمير المؤمنين .

وبهاء الدولة ابن عضد الدولة مدبّرُ الممالك الخليفية .

والعزيزُ بمصر .

والوزير ابن كِلِّس بحاله مدبِّرُ الدولة .

وفيها خرج منير الخادم من مصر فى جيشٍ عظيم بسبب بكجور وابن الجرّاح . وكتب إلى العرب من قَيْس وغيرها بالمسيرِ مع منير وقَلْع ابن الجرّاح . وكانت العربُ من قَيْس تنزل أرض عَمّان . وسار منير فنزل الرملة ، وجمع إليه الولاة والنوّاب من سائر الأعمال . وكان بكجور قد وقع بينه وبين بشارة والى طبرية . فأنزل ابن الجرّاح

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعا »

السواد وطمعه فى ضياع ابن كِلِّس الوزير وكاشف بالعصيان . وأخلى بشارةُ لابن الجراح السوادَ خوفاً منه . فلما قارب منير السوادَ تباعد ابن الجرّاح إلى أعمال دمشق .

ثم إنّ بكجور جمع إليه بنى كلب واستعد للقتال . ونفذ منيرٌ سريةً من بنى عقيل وفزارة فوقعوا على فرقةٍ (ص ١٤١) من عرب ابن الجرّاح فأتوا عليها . ونزل منير الخادم على الفوّار شهرين ليس له جَسَارَةٌ على بكجور ولا على ابن الجرّاح . وكان ابنُ الجرّاح انهزم من سريتهم فطمعوا فيه . وكان المدبّرُ لعسكرهم ابن الفرّار اليهودى المقدم ذكره . فراسل بكجور : إنّا لم نجئْ لقتالك ، وإنما جئنا لنُخْرِجَ ابنَ الجرّاح من العمل لفساده . فالواجبُ أن تكون أنت معين[1] للسلطان عليه ، ونسيرُ بعد ذلك إلى حلب وأنطاكية .

فعلم بكجور أنّ ذلك خديعة له . وكان قد اشتدّ خوفُه وقلقه من أهل البلد لما كان أسداهم من قبيح السيرة فيهم . فسيّر إلى ابن عُلَيّان العدوى ، فأتاه فى خيل ورَجْلٍ . وأضاف إليهم بكجور ثلاث مئة رجل من <بنى> جعفر بن كلاب . وأنفذهم ولم يخرج من المدينة خوفاً من أهلها لا يمنعونه من العَوْد إليها . وبلغ منير وبشارة مسير القوم إليهم ، فقدّروا أنّ بكجور وابن الجراح والجمع بأسره يأتيهم . فشدّوا

---

(١) كذا ، والصواب « معيناً ».

عليهم . وتقدّمت كلّ طائفة إلى الأخرى ، فحملوا بجمعهم على الكلبيين والعَدَوِيّين فلم يثبتوا لهم . فهزموهم حتى لحقوهم بحيطان داريا . فرجعوا فى أسوإ حالٍ إلى بكجور . فاشتدّ عند ذلك خوفُه ، وراسل القوم : إنى أسلم إليكم البلد وأرحل عنها . واتفق الحالُ بينهم على ذلك . فخرج ليلة الثلاثاء النصف من رجب من هذه السنة وسار بماله ورجاله إلى الرقّة ، ورجع عنه عليّان العدوى وابن الجرّاح فدخلوا البرية . وكان منير وبشارة وابن الفرّار قد نفذوا إلى نزّال والى طرابلس بأن يأتيهم ليكونوا يداً واحدة على بكجور ، فلم يأتيهم إلى يوم الخميس بعد خروج بكجور . وكان هذا سبب موافقتهم لبكجور على الخروج .

فلما بلغ الوزير ابن كِلّس ذلك (ص ١٤٢) وأن بكجور خرج سالماً وصار بالرقة خشى عاقبته . ثم بلغه أنه قد ولى حمص من قبل أبى المعالى صاحب حلب فقال : يجاورنا بكجور وقد جاهرناه بالعداوة ؟ وكان بكجور قد عاد إلى حمص بولاية أبى المعالى له . فكاتبه ابن كِلّس بمكره وخديعته : إنّا لم نريد[1] انتزاحك عن دمشق ، وإنما كان المقصود ابن الجرّاح فتستمر على ضياعك وما كان مقرراً لك بدمشق على عادتك ، فإنّ أمير المؤمنين لم يأمر فيك بعزلٍ .

فقبض بكجور تلك السّنة مغلّاته وخراجه مع جميع ما كان له بأعمال دمشق من غير معارض له فى ذلك .

---

(١) كذا ، والصواب « نرد »

ذكر سنة تسع وسبعين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع[١] فقط .

مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً[٢] .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ المطيع لله أمير المؤمنين .

وبهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة فناخسرو ابن بُوَيْه مدبّر الممالك الخليفية .

والعزيزُ بمصر .

ومدبّر دولته الوزير ابن كِلِّس بحاله .

والجيوش مع منير الخادم ، وبشارة على دمشق .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعا »

وبكجور بحمص من قبل أبى المعالى سعد[1] الدولة بن سيف الدولة ابن حمدان .

فلما تحقّق ابن كِلّس إقبال صاحب حلب وهو أبو المعالى المذكور على بكجور شرع فى الفتنة بينهما بمكاتباته وحِيَلِهِ ، حتى حصلت الوحشةُ بينهما حسبما يأتى من ذكر ذلك فى تاريخه إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى الأصل « سعيد » وهو خطأ .

ذكر سنة ثمانين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

(ص ١٤٣) الماء القديمُ ثلاثة أذرع[١] فقط .

مبلغ الزيادة ستة عشر[٢] ذراعاً وعشرون إصبعاً .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الطائع لله أمير المؤمنين .

ومدبّر ممالكه بهاء الدولة ابن عضد الدولة ، وقد وقع الوحشة بينهما .

والعزيزُ خليفةُ مصر على حاله .

وفيها توفى الوزيرُ أبو الفرج يعقوب بن كِلِّس ليلة الاثنين لخمسٍ خَلَوْن من ذى الحجة . وصلّى عليه العزيزُ بنفسه . وكان إقطاعُه من العزيز فى كلِّ سنة مئة ألف دينار ، وَوُجد له من الجوهر بتركته ما قيمته أربع مئة ألف دينارٍ ، ومن الذهب العين خمس مئة ألف دينار ، ومن الأوانى والمصاغات والمركوب والملبوس ما قيمته مثلها .

---

(١) كذا والصواب « ثلاث أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً »

ووُجد له من المماليك والعبيد والغلمان أربعة آلاف غلام ، وثمان مئة حَضِيّة[1] خارجاً عن جوارى الخدمة .

وكان ابن كِلِّس هــذا أصلُه يهودياً من أُهل بغداد ، صاحب دهاء ومكرٍ ، خبيراً بأحوال الناس ، ذو[2] ذكاء وفطنة وكتابة وعبارة . ثم إنه خرج إلى الشام فنزل الرملة فجلس وكيل[3] للتجار بهــا . فلما اجتمعت عنده جملة من أموال التجار أخذها وهرب إلى مصر . وكان ذلك فى أيام كافور الإخشيدى صاحب مصر يومئذ . وكان إذا دخل ضيعةً تعرّف جميع أحوالها على صحّة . ثم كثرت أحوالُه بمصر فــكان لا يُسألُ عن شىء من أمور القُرى والضياع فى إقليمَى مصر والشام إلاّ أخبرَ بذلك عن صحّة . فبلغ خبره كافور . فقال : لو كان هــذا مسلماً لصَلُحَ أن يكون وزيراً . فبلغه ذلك . فطمع فى الوزارة . فدخل يوم جمعة الجامع بمصر وقال : أنا مسلمٌ على يد الأستاذ كافور . (ص ١٤٤) فبلغ الوزير ابن حِنزابة ما هو عليه ، وما قصد أن يكون ، وما قد طمع فيه ، فقصده بالمــكروه . فهرب منه إلى المغرب وقصد إلى يهوداً[4] كانوا مع أبى تميم ، وهم المتولّين على أمره ، فصارت لهُ عندهم

---

(١) هذا هو اللفظ العامى لحظية

(٢) كذا ، والصواب « ذا »

(٣) كذا ، والصواب « وكيلا »

(٤) كذا ، والصواب « يهود »

(٥) كذا ، والصواب « المتولّون » .

درجة . ونظروا منه إلى رجلٍ فيه تدبيرٌ وفطنةٌ وذكاءٌ . فكان عندهم مقدّماً . ولم يزل معهم إلى أن أخذ أبو تميم وهو المعزُّ مصراً . فسار معه إليها . فلما توفى أبو تميم وجلس ولده نزار وهو العزيز على الأمر استوزره فى سنة خمسٍ وستين وثلاث مئة ، فلم يزل مدبّراً لأمره حتى توفى فى ذى الحجة من هذه السنة .

قلت : وهذا هو الصحيح . فإنّ ابن كِلّس لم يلِ الوزارة إلاّ فى أيّام نزار ، ولم يكن له فى أيّام المُعِزّ وزارة . والله أعلم .

ذكر سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديمُ ثلاثة أزرع واثنا عشر[١] إصبعاً .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الطائع لله أمير المؤمنين إلى أن خُلع فى هذه السنة ، قبض عليه بهاء الدولة أبو نصر ابن عضد الدولة يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة . وهى هذه السنة المذكورة ، وخلع نفسه بعد أن بُويع للقادر بالله . وقُطع شئ من إحدى أذنيه فيما يُذكر .

وتوفى يوم الثلاثاء سلخ شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة .

مدّةُ ولايته الأمر سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام .

صفتُه : ربعةٌ ، أبيضُ إلى صفرةٍ ، أجعدُ ، كثٌّ ، والله أعلم .

نقشُ خاتمه : الطائع لله مطيع .

وقد تقدم ذكر وزرائه .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع واثنتا عشر إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً »

ذكر خلافة القادر بالله بن إسحاق بن المقتدر
وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر جعفر . وباقى نسبه قد تقدّم .

أمّه أمّ ولدٍ تُسمّى تمنى . بُويع له لتسع بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاث مئة هذه السنة ، وأحضر من البطايح ، وأُدخل إلى دار الخلافة ، وجُدّدت له البيعةُ فى شهر رمضان من هذه السنة المذكورة . ولم يزل خليفةً إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر .

دبّر ممالكه فى أيامه بهاء الدولة إلى أن توفى . فولى ابنه سلطانُ الدولة إلى أن توفى . فولى أخوه أبو على مشرف الدولة حتى توفى . فولّى أخوهما جلال الدولة بغداد خاصّةً ، وباقى الأعمال أبا كاليجار[1] ابن سلطان الدولة .

والعزيزُ بمصر خليفة . والقاضى بها محمد بن النعمان . وولاةُ الخراج علىّ بن عُمر ، وموسى بن سهل ، وجبريل .

وفيها ضمن علىّ بن عمر المعروف بابن العدّاس مالَ الدولة والنفقات . فنظر فى الأمور جميعها ، وجلس فى القصر فى حُجرةٍ أُفرِدَتْ له ، وفُرِشَ له مرتبةُ ديباج .

---

(١) كذا ، والصواب « أبو »

وفيها قُتل بكجور . وسبب ذلك أنّ القول تقدم أن ابن كِلّس كان قد ألّبَ بين أبي المعالى بن سيف الدولة صاحب حلب وبين بكجور ، حتى طمع كلٌّ واحدٍ منهما فى أخذ الآخر . فاحتال أبو المعالى على بكجور ، وكتب إليه بعضُ أصحابه من خاصة أبي المعالى بأذنه له فى ذلك : أنْ سِرْ إلينا حتى نأخذ حلب ونحن معك على صاحبنا . فظن أنّ ذلك حقٌّ . فجمع وسار إلى حلب . وخرج إليه أبو المعالى فالتقوا فى موضع يُقال له دوّارة الحمار . فاقتتلوا ، وانهزم بكجور . فأخذه رَجُلٌ من العرب وأتى به إلى أبي المعالى فضَرَب عنقه .

وكانت هذه الوقعة يوم السبت مستهل (ص ١٤٦) صفر من هذه السنة . ثم سار أبو المعالى إلى الرقّة فأخذ ما كان لبكجور بها ، وملك فى هذه السنة الرحبةَ ورجع إلى حلب .

وتوفى أبو المعالى بن سيف الدولة المذكور فى هذه السنة فى شهر رمضان ، وطمع منير الخادم فى أخذ حلب كما يأتى ذكر ذلك .

ذكر سنة اثنين[1] وثمانين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع واثنا عشر إصبعاً[2] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً[3] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادر بالله أمير المؤمنين .

ومدبِّر ممالكه بهاء الدولة ابن عضد الدولة .

والعزيزُ خليفةُ مصر .

وقُبض على ابن العدّاس واعتُقل . وفوّض الأمر فى تدبير الدولة إلى أبى الفضل جعفر بن الفرات ، ثم رُفِعَتْ يدُه فى شعبان ، وتفرّق تدبيرُ الأموال والأحوال جماعةً من الكتاب .

منهم ابن مهلون ، وعيسى بن نسطورس ، ويحيى بن تمام ، وإسحاق بن المَنْشَا وغيرهم .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين »

(٢) كذا ، والصواب « أربع أذرع واثنتا عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً »

وفيها غلت الأسعارُ بالعراق حتى أُبيع الرطلُ الخبزُ بالبغدادى بأربعين درهم[1] . وهلك عالم عظيم من الجوع ، وانكشفت فى هذه السنة أحوال كثيرةٌ من مساتير بغداد .

وكان بدمشق ابن أبى العود الصغير من قِبَل السلطان على الأموال ، وكان شديد المعاندةِ لمنير الخادم . ويُكاتب فى حقّه أنه عاصى[2] ، وأنه يُكاتب بغداد . فلما كَثُرَتْ مكاتبتُه بذلك إلى العزيز ، وكان العزيز قد اصطنع تركيًّا يقال له منجوتِكين ، فجهّزه بعسكرٍ كثيفٍ إلى الشام . فلما صحّ عند منير أن ابن أبى العود قد استجلب عليه عسكراً قتله ، وكاشف (ص ١٤٧) بالعصيان ، ونزل العسكرُ مع منجوتِكين التركىّ الرملةَ ، ووافاهم بشارة والى طبريّة ، وكتبوا إلى نزّال وَالى طرابلس أن ينزل على دمشق .

وكان منير الخادم قد جمع رجاله من أهل دمشق ممن يطلبُ الباطلَ وأُعْتَدّ للحرب . والتقى منير ونزّال بمرج عذرا . فانهزم منير ، وذلك <فى> التاسع عشر من رمضان هذه السنة . ولما انهزم منير أخذ فى الجبال حتى خرج إلى أرض جوسية يريد حلب . فخرجتْ عليه أحلاف العرب فأخذوه ، وأتوْا به إلى منجوتِكين وهو بدمشق . فشهّره منجوتكين على جملٍ ، وأركب معه قِرْداً ، وشهر معه من أصحابه نحو مئة رجل

(١) كذا ، والصواب « درهماً »   (٢) كذا ، والصواب « عاصٍ »

على الجمال ، وعليهم الطراطير . وذلك أنهم انقطعوا فدخلوا بعلبكّ ، فأخذهم وَالٍ بها يقال له جُلّنار فأحضرهم . وكان من أمرهم ما ذكرنا . وأقام منجوتِكين بدمشق . وطمعوا فى أخذ حلب بعد موت سعيد[1] الدولة أبو المعالى . ثم نزل منجوتكين حلب بعد ما اجتمع إليه خلقٌ كثير من جبل السمّاق وغيره ، وأجلب بخيله ورجله ، وذلك فى سنة أربع وثمانين وثلاث مئة حسبما يأتى من ذكره إن شاء الله تعالى .

(٢) كذا ، والصواب « سعد الدولة »

ذكر سنة أربع وثمانين وثلاث مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماءُ القديمُ أربعة أذرع واثنان وعشرون إصبعاً[١] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة أصابع[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادر بالله أميرُ المؤمنين .

ومدبّرُ ممالكه بهاء الدولة ابن عضد الدولة .

والعزيزُ خليفةُ مصر ، وولاةُ الأمور على ما تقدم .

(ص ١٤٨) وفيها كان الحصار على حلب ، والحمدانيين[٣] بها من قبل أبو المعالى بعد وفاته ، ومنجوتكين المحاصر لها . فحاصرها نحو[٤] من شهرين فى هذه السنة . فتجمّعَتْ الروم بأنطاكية مع واليها البرجي يريدون النجدة لحلب ، لما كان بينهم من المهادنة والشروط . وكان قد خرج إليهم من داخل الروم رئيس لهم فى جمع كثير يُقال

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع واثنتان وعشرون إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعا وسبع أصابع »

(٣) كذا والصواب « والحمدانيون »

(٤) كذا ، والصواب « نحواً »

له أصابع الذهب[١] ، فساروا بجموعهم حتى نزلوا على الروج نحو فامية
على النهر المقلوب[٢] . فسار منجوتكين إليهم ، ونزل مقابلهم ، وكان
٣ عسكره أكثر من عسكر الروم . فلما نظرت الرومُ إليهم قال البرجي
لأصابع الذهب : الصوابُ أن لا نبرز إليهم لأنهم أكثر منا . وقد
كانت الروم فى القديم يُخرجون لكلّ رجلٍ من المسلمين عشرة منهم
٦ فى الحرب . فخالفه أصابع الذهب لجهله بذلك . فكانت الكسرةُ على
الروم ، وكسبوا منهم أموالاً عظيمة . وقُتل منهم نحوٌ من خمسة آلاف
رجل ، وانهزم البرجي إلى أنطاكية ، وعاد منجوتكين إلى حصار
٩ حلب ، واشتدّ بأهلها الحصار وأكلوا الميتات ، وخرج منها خلقٌ كثير
من الضُرّ فاستباحتهم المغاربةُ . ولم يزل البلاء والحصارُ على حلب بقيّة
سنة أربع إلى أن دخلت سنة خمس حسبما يأتى من ذكر ذلك .

---

(١) كان اسم والى انطاكية **Michel Bourtzès** وهو المسمى فى المصادر العربية البرجى
انظر **Brehier, p. 227**

(٢) يعنى نهر العاصى

ذكر سنة خمس وثمانين وثلاث مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وخمسة عشر إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين .

ومدبّرُ الدولة بهاء الدولة بحاله .

(ص ١٤٩) والعزيز خليفةُ مصر .

وغلب حمدان على الصعيد ، فخرج إليه ابن الزُّبَيْر وواقعه وأخذه أسيراً ، ودخل به مصر على جَمَلٍ وعلى رأسه طرطور .

وفيها توفيتْ السيّدةُ والدةُ العزيز .

وعُزِلَ الجعفريُّ عن إمامة الجامع ، ووليه سليمان بن رستم . والقاضى محمد بن النعمان بحاله .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وخمس عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً » وفى النجوم ١٧٤/٤ « وسبع أصابع »

وفيها وصل صاحبُ الروم إلى نجدةِ أهلِ حلب ، بعد أن كادوا يهلكون جميعاً . وقطع ملكُ الروم وهو بسيل[١] الملك من قسطنطينية إلى حلب فى سبعة عشر يوماً مسافةً تقطعُها القوافلُ فى شهرين ، ولم يُعْلَمَ أنّ أحدًا من ملوك الروم فعل ذلك .

ولما أحسّ بذلك منجوتِكين رحل إلى حلب وسبق نزول بسيل الملك عليها بيومين ، وأغاث الله أهْلَ حلب بنزول الروم عليهم فخرجوا ، وكثر الداخلُ والخارجُ ، وأَتَتْهم القوافل بالطعام ، وعاشوا بعد موتٍ . لكن حصل الجَفْلُ فى سائر تلك الأراضى خوفاً من الروم . وكانوا[٢] المغاربة الذين مع منجوتِكين على الناس أصعب من الروم فى النهب والفساد .

(١) هو المسمى Basilell انظر Brehier ص ٢٢٧

(٢) كذا ، والصواب « وكان »

ذكر سنة ست وثمانين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وخمسة أصابع[1] .
مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين .

وفيها توفى بهاء الدولة .

وولى ولده سلطانُ الدولة أبو شجاع ، وعاد مدبّر الممالك الخليفيّة .

والعزيزُ خليفةُ مصر ، وهو مبرّز على العباسيّة ، وصحبته القاضى ابن النعمان ، وخليفته بالقاهرة ياس الأستاذ .

وفيها توفى العزيزُ (ص ١٥٠) ببلبيس فى الحمّام لليلتين بقيتا من شهر رمضان من هذه السنة . وله إحدى وأربعون سنة وشهور .

وكانت خلافته مصر وما معها إحدى وعشرون[3] سنة وخمسة أشهرٍ وعشرة أيام .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وخمس أصابع »
(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعا »
(٣) كذا ، والصواب « وعشرين »

وقيل كان عمره اثنان وأربعون[1] سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام والله أعلم .

قلتُ : قد تقدّم القولُ فى ذكر مدائح من تقدمه من آبائه وجدوده . ولنذكر الآن ها هنا طرفاً مما مُدح به المعزّ والده ، وما مُدح هو به أيضاً مما اخترناه من حُرّ المديح الذى إليه قلب كل ذو[2] لب يستريح .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين وأربعين »

(٢) كذا ، والصواب « ذى »

المعـــــزّيات

ابن هانئ الأندلسى محمد

الذى فضل فى الإحسان أبناء جِنسه ، وسلك فى مدح الخلفاء طريقاً لم يأنس فيها بغير نفسه ، وأتى من المجالس الباهرة بما لم يعرف من قبله ، وأبان بإعرابه عن غزارة طبعه وسعة فضله . فمن ذلك قوله مِن قصيدةٍ افتتحها مِنها :

هل[1] كانَ ضَمّخَ بالعبير الرّيحا ... مُزنٌ يُهَزُّ البرقُ فيـــه صفيحا

ومنها :

ولقد تَجَهّمَنى فِراقُ أحبّتى ... وعدا سَنيحُ المُلْهيات بَرِيحا
وبَعُدْتُ شأوَ مطالبٍ وركائبٍ ... حتى امتطيتُ إلى الغمامِ الرّيحا
حجّت بنا حَرَمَ الإمامِ ركايبٌ[2] ... ترمى إليـه بنا السُّهوبَ الفِيحا
فتمسّحَتْ لِمَمٌ به شُعْثٌ وَقَدْ ... جئنا نُقَبِّـلُ رُكنَه المسوحا
هل إلى الفردوس من أربٍ[3] وقد ... شارفتُ باباً دونهـا مفتوحا
فى حيثُ لا الشّعراء مُفْحَمَةٌ ولا ... شأوُ المدايح يُدرِكُ الممْدوحا

---

(١) انظر تبيين المعانى فى شرح ديوان ابن هانى ص ١٤٣ ، وقد نشير إليه باسم الديوان

(٢) فى المصدر السابق « نجائب » ص ١٤٧ .

(٣) المصدر السابق « إذن » ص ١٤٩

يَمضى العَطَايا والمنــــايا وادعاً   تَعبت له عَزَماتُه وأريحا
وأميّةٌ تُخْفى السؤال وما لِمَنْ   أودى به الطوفانُ يذكرُ نوحا

قلتُ : وعلى ذكر الطوفان فلقد أحسن القائل ولا أرويه فى مدح عامل طرابلس الشام .

والمشهور من ذلك قول أبى الطيّب المتنبى :

وخشيتُ منك على البلادِ وأهْلِها   ما كان أنْذَرَ قَوْمَ نوحٍ نوحُ

ومن قصيدة ابن هانى :

أنفِذْ قَضَاءَ اللهِ فى أعــــدائه   لِتُراحَ من أوتارها وتُريحا
بالسّابقــــين الأوّلين يؤمُّهم   جبريلُ يعتنقُ الكماةَ مُشيحا
فكأن جَدَّك فى فوارسِ هاشمٍ   منهم بحيثُ يرى الحسينَ ذبيحا

وقلتُ : وهذا أبلغ ما قيل فى إغراء .

وقصائد ابن هانى ومدائحه كثيرة ، وإنما نتبع ما قيل من حُرّ المدائح . فمن ذلك قوله(١) :

أغيرَ الذى قد خُطّ فى اللوح أبتغى   مديحاً له إنّى إذاً لعنــــودُ

ومن أخرى(٢) :

إذا أنْتَ لم تعلمْ حقيقة فَضْلِهِ   فسائلْ به الوحىَ المنزّل تَعْلَمِ

---

(١) تبيين المعانى ص ٢٣٠ ، البيت ٢٣

(٢) انظر المصدر السابق ص ٦٦٦ ، الأبيات ٣٣ ، ٣٥ ، ثم ١٩٥

فأُقْسِمُ لو لم يَأخُذِ الناسُ فضله(١)   عن الله لم يُعْقَلْ ولم يُتوهَّمِ
وأىَّ قوافى الشِّعْرِ فيك أحوكُها   وهل تركَ التنزيلُ من مُتَرَدَّمِ

يقال ردم ثوبه إذا رقعه . والمعنى هل ترك التنزيل قولاً لقائل .
وقوله(٢) :

من يَشْهَدُ القرآنُ فيـه بفضله   وتُصَدِّقُ التوراةُ والإنجيـــلُ
فافْخَرْ فِمنْ أنسابِكَ الفِرْدَوْسُ إنْ   عُدَّتْ ومن أحسابِكَ التنزيلُ

قلتُ : وكان سبب صلة محمد بن هانى بالمعزّ حكاية من أطرفِ ما يُسمع وألطف حديث يُرفع ، وإن كان فيه طولٌ وخروج عن القصد فى تلخيص التاريخ فإنه كما قيل : (ص ١٥٢)

إن كانَ طال فإنّه   ليلُ الوصال بأنسه قد قصرا (كذا)

وذلك أنّ محمد بن هانى الأندلسى المذكور لما بلغه سماحة جعفر ملك الزاب واشتماله على الشعراء والفضلاء قصده وقطع إليه البحر ، وصنع فى طريقه القصيدة التى لم تجد(٣) قصيدة جمعت < من > أوصاف النجوم ما جمعته ، مع ارتفاع الطبقة وسعادة الطالع فى اطّراد النظمِ وحسن التأتّى . وها أنا أثبتها إلى أول بيت مخلصها وأردفه بما حَسُنَ من مديحها ، وإنها إلى

(١) فى المصدر السابق « وصفه »
(٢) المصدر السابق ص ٥٥٨ ، البيت ١٠٤ ، ثم ١١٠
(٣) كذا ، والصواب « توجد »

هنالك كالبيت الواحد ، حُسْنَ نسقٍ وخفّةَ مؤنةٍ على السمع واتصالَ غوص ، وهى هذه[1] :

أليلتنا إذْ أرسلَتْ وارداً وَحْفا   وبتنا نرى الجوزاءَ فى أذنها شَنْفَا ٣
وبات لنا ساقٍ يصُول[2] على الدجى   بشمعة صبحٍ[3] لا تُقَطّ ولا تُطْفا
أغنّ غضيضٌ[4] خَفّفَ اللِّينُ قَدَّه   وأثقلتِ[5] الصهباءُ أجفانه الوُطْفا
ولم يُبقِ إرعاشُ المُدامِ له يَداً   ولم يُبْقِ إعْناتُ التثنّى له عِطْفا ٦
نزيفٌ قضاه السُّكْرُ إلاّ ارتجاجةً   إذا كَلَّ عنها الخصرُ حَمّلها الرِّدْفا
يقولون حِقْفٌ فوقه خَيْزُرانةٌ   أما يعرفون الخَيْزُرانَةَ والحِقْفا
جعلنا حشايانا ثيابَ مُدامنا   وقَدَّتْ لنا الظلماءُ من جِلْدِها لُحْفا ٩
فمن كَبِدٍ تُدْنى إلى كبدٍ هَوًى   ومن شَفَةٍ توحى إلى شَفَةٍ رَشْفا
بعيشِك نبّــه كأسَه وجفونَه   فقد نُبِّــهَ الأبريقُ من بعد مَا أغْفى
وقد فــكّتِ الظلماءُ بعضَ قيودها[6]   وقد قام جيشُ الفجر للّيلِ واصْطفا ١٢
وولّتْ نجــومٌ للثريّا كأنّها   خواتيمُ[7] تبدو فى بَنَانِ يدٍ تَخْفى

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٤٣٨ ، وفيه : قال يمدح جعفر بن على

(٢) المصدر السابق « يقوم »

(٣) المصدر السابق « نجم »

(٤) فى الأصل « غليظ » التصحيح من الديوان

(٥) فى الديوان « ثقلت »

(٦) فى الديوان « وقد ولت الظلماء تقفو نجومها » ص ٤٤٠

(٧) فى الأصل « خواتم » . أثبتنا رواية الديوان

ومرّ على آثارها دَبَرَانُها　　كصاحبِ رِدْءٍ كُمِّنَتْ خيلُهُ خَلْفا

وأقبلتِ الشِّعْرى العَبُورُ مُلبّةً(١)　　بمِرْزَمِها اليَعْبوب تَجْنِبُه خلفا(٢)

٣ وقد بادرتْها أختُها من ورائها　　لِتَخْرُقَ من ثِنْيَيْ مَجَرَّتِها سِجفا(٣)

تخافُ زئيرَ اللَّيْثِ قَدَّم نَثْرَةً　　وبَرْبَرَ فى الظلماء يَنسِفُها نَسْفا

كأن السِّماكَيْنِ اللَّذَيْنِ تظاهَرا　　على لِبْدَتَيْه ضامنان له حَتْفا

٦ فذا رامحٌ يُهْوِى إليه سِنَانَهُ　　وذا أعْزَلٌ قد عضّ أنْمُلَه لَهَفا

كأنّ رقيبَ النجمِ أجْدَلُ مَرْقَبٍ　　يُقَلِّبُ تحت الليل فى ريشه طَرْفا

كأنّ بنى نَعْشٍ ونَعْشاً مَطَافِلٌ　　بوجْرَةَ قد أضْلَلْنَ فى مَهْمَهٍ خَشْفا

٩ كأن سُهَيْلاً فى مطالعِ أُفْقِه　　مفارقُ إلفٍ لم يجد بعده إلْفا

كأنّ سُهاها عاشقٌ بين عُوَّدٍ　　فآونَةً يبدو وآونةً يَخْفَى

كأنّ مُعلَّى قُطْبِها فارسٌ له　　لِواآن مركوزان قد كَرِهَ الزحْفا

١٢ كأنّ قُداما النّسْرِ والنسرُ واقعٌ　　قُصِصْنَ فلم تَسْمُ(٤) الخوافى به ضَعفا

كأنّ أخاه حين دَوّم طائراً　　أتى دون نِصْفِ البدرِ فاختطف النصفا

كأنّ الهزيع الآبنُوسِيَّ وهنةً(٥)　　سرى بالنسيج الخُسْرُوانِيّ مُلْتَفّا

---

(١) فى الأصل « مليثة » تحريف . ورواية الديوان « مكبة » وهى وملبة بمعنى .

(٢) فى الديوان « طرفا »

(٣) فى الأصل « لتحرق عن يثنى مجرّتها سخفا » . اثبتنا رواية الديوان

(٤) فى الأصل « تسموا »　　(٥) فى الديوان « لونه »

كأنّ ظلامَ الليل إذْ مال ميلةً   صريعُ مُدامٍ بات يكرعها(١) صِرْفا
كأنّ عمودَ الفجرِ خاقانُ معشرٍ(٢)   من الترك نادىٰ بالنجاشيّ فاستخفى
كأنّ لواءَ الشمسِ غرّةُ جعفرٍ   رأى القِرْن فازدادتْ طلاقتُه ضِعْفا

ومن مليح مديحها الذى يهزّ الجماد قوله :

إذا أصْلَدوا أوْرىٰ وإن بَخِلوا ارتأى   وإن بخلوا أعطى وإن غدروا وفّا(٣)
فللمجد ما أبقى وللجودِ ما أفْتَنىٰ   وللناسِ ما أبْدىٰ ولله ما أخفى

قلتُ : ولاشتهار هـذه القصيدة واشتغال القلوب بحفظها والآذان بسماعها عمل الخفاجى قصيدة على وزنها ومعناها ، فمن غزلها : (ص ١٥٤)

وهاتفـــةٍ فى البانِ تُملى غرامَها   علينا ، وتتلو من صباباتها صُحفاً
عجبتُ لهـا تشكو الفراق جَهَالَةً   وقد جاوبت من كُلِّ ناحيةٍ إلْفَا

ومن مدحها :

ولو صدقتْ فيما تقولُ من الجوىٰ   لما لَبِسَتْ طَوْقاً ولا خَضَبَتْ كفَّا
وأبلجَ أحيا دارسَ العَدْلِ بعد ما   ثوى ، وشفى المعروف من بعد ما أشفا
جرى سابقاً فى حلبةِ المجدِ وحده   وقال المُعدّى كان الغمام لهُ ردفاً

---

(١) فى الديوان « يشربها »   (٢) فى الديوان « عسكر »
(٣) فى الديوان « اوفى »

ولنعود[١] إلى حكاية ابن هانى مع جعفر ملك الزاب . وكان لجعفر وزير يحسد من يقرب منهُ من أهل الفضلِ البارع . فعلم ابنُ هانى أنه إنْ علم بمقدار فضله حجبه أو أبعده قبل الوصُول إليه . فاحتال أن لبس ثياب البُداة الُجفاة والتفّ فى كسائه وأخذ فى يده كَتِفَ دابة باليًا وكتب متمسخراً[٢] :

اللَيـــلُ لَيْلٌ والنهارُ نهارُ والبغــلُ بَغْلٌ والحمارُ حمارُ
والديكُ ديكٌ والدجاجةُ زوجه وكلاهما طيرٌ له مِنْقـــارُ

ووقف على باب الوزير واستأذن أحد الحجاب وقال : قُلْ للوزير شاعرٌ قد جاء بقصيدة للملك . فقال : وأين قصيدتكُ ؟ قال : تراها فى هذا العظم . فضحك الخادمُ من زِيّه ، وأطرف بذلك الوزير فقال : ما نطرف الملك بشىء مثل هذا . وأحضره وسمع شعره . فكاد يغشى عليه من الضحك . وأعْلَمَ به جعفراً . فقال : أدرِكنا به . فأدخله ووقف لينشد ما فى العظم . فأنشد هذه القصيدة الفائيّة المتقدّم ذكرها من صدره . فبُهت جعفر وكلٌّ مَنْ حضر . وكان مجالس جعفر محشورًا من ولد سامٍ وحام ، فإنّ المَنْهَلَ العذْبَ كثيرُ الزحام . فلما وصل إلى أوّلِ بَيْتٍ من مخلصها لم يصبر عليه جعفر حتى (ص ١٥٥) قال له : بحياتى

---

(١) كذا ، والصواب « ولنعد »

(٢) لا توجد هذه الأبيات فى تبيين المعانى

أنت ابن هانى ؟ قال : نعم . قال : وما حملك على هذا ؟ قال : هذا الوزيرُ الذى لا يترك ذا أدَبٍ يقرب منك . فقال : والله لقد أحْسَنْتَ فى التحيّل والتوصّل أضعافَ إحسانك فى قصيدك . ثم خلع عليه من ملبوس نفسه وصَيّره من أقرب جلسائه إليه .

وقال له يوماً : أريد منك غزلاً ومدحاً فى بيتين فقال[1] :

المُدْنَفانِ من البرِيّةِ كُلِّها جسدى وطرفٌ بابلىٌّ أحْوَرُ
والمُشْرِقاتُ النيّراتُ ثلاثةٌ الشمسُ والقمر المنيرُ وجَعْفَرُ

وأكثرَ مِنْ مَدْحِهِ ومَدْحِ أخيه يحيى . وفيهما يقولُ هذه القصيدة المشهورة على ألسنة الناس التى منها[2] :

فُتِقَتْ لكم ريحُ الجِلادِ بعنبرٍ وأمدّكم فَلَقُ الصباحِ المُسْفِرِ
وجَنَيْتُمُ ثَمَرَ الوقائعِ يانعاً بالنصرِ من وَرَقِ الحديدِ الأخْضَرِ
أبَنِى العوالى السَّمهرِيّةِ والسيو فِ المَشْرَفِيّةِ والعديدِ الأكْثَرِ
مَنْ منكمُ الملكُ المطاعُ كأنّهُ بين الكتائب[3] تُبّعٌ فى حِمْيَرِ
جيشٌ فوارسُه الليوثُ وفوقها[4] كالفيلِ من قَصَبِ الوشيجِ الأسمر

---

(١) انظر الديوان ص ٣٦٤

(٢) انظر الديوان ص ٣٢١

(٣) فى الديوان « تحت السوابغ » ص ٣٢٢

(٤) فى الديوان « جيش تقدمه الليوث وفوقها » ص ٣٢٣ .

فى فتيةٍ صَدأُ الحديدُ عليهمُ[١] … وخَلوقُهم خلق النجيعِ الأحمرِ

لا يأكل السِّرحانُ شِلْوَ صريعهم[٢] … مِمّا عليه من القنا المتكسّرِ

٣ فبلغ المعزّ عنه وهو يوم ذاك بالقيروان ، فأمر بوصوله إليه . فوصّل ، وامتدحه بمدائح جليلة غاص فيها كُلَّ الغوصِ وأبْدَع فيها أحسن إبداع . وقد تقدم من ذلك ما يؤيد القول فيه . ومن ذلك أيضاً[٣] :

٦ وطفقتُ أسألُ عن أغرَّ مُحَجَّلٍ … فإذا الأنامُ جِبِلّةٌ دَهْماءُ

حتى دُفِعْتُ إلى المعزِّ خليفةً … فعلمتُ أنّ المطلب الخُلفاءُ

هو عِلّةُ الدنيا ومَنْ خُلِقَتْ له … ولعلّةٍ ما كانتِ الأشياءُ

٩ فاستيقِظوا[٤] من غَفْلةٍ وتنبهوا … ما بالصباح عن العيونِ خَفَاءُ

ليست سماءُ الله ما ترَوْنَها … لكنّ أرضاً تحتويه سماءُ

الشمسُ تَرْجَعُ عن سناهُ جفونُها … فكأنّها مطروفةٌ مَرْهاءُ

١٢ هذا الشفيع لأمةٍ تأتى غدا[٥] … وجدُودُه لجدودِها شفعاءُ

للناس إجماعٌ على تفضيله … حتى استوى اللؤماءُ والكرماءُ

ضرّابُ هامِ الرومِ منتقماً وفى … أعناقهم من جُوده أعباءُ

١٥ لولا انبعاثُ السيفِ وهو مسلّطٌ … فى قَتْلِهم قَتَلَتْهُمُ النعماءُ

جَهِلَ البطارقَ أنّه الملكُ الذى … أوصى البنينَ بسلمه الآباءُ

---

(١) فى الديوان « فى فتية صدأ الدروع عبيرهم » ص ٣٢٤

(٢) فى الديوان « طعينهم » .

(٣) انظر الديوان ص ١٤

(٤) فى الديوان « فتيقظوا » ص ١٧

(٥) فى الديوان « يأتى بها » ص ١٨

فى الله يَسْرى جودُه وجدوده[1]   وعـــديدُهُ والعزمُ والآراء
نزلت ملائكةُ السماء بنصره   وأطاعـــه الإصباحُ والإمساء
ملكٌ إذا نطقتْ عُلاه بمحفلٍ   خَرِسَ الوفودُ وأفحم الخطباء
والدهرُ والأيّامُ فى تصريفها   والناسُ والخضراء والغـــبراء
أين المفرُّ ولا مفرَّ لهـــاربٍ   ولك البسيطانِ الثّرى والمـــاء

قلتُ : وهذا من أجمع ما جاء فى معناه وأمدحه . والأصل الذى تفرع منه قول النابغة الذبيانى يخاطب النعمان :

فإنكَ كالليلِ الذى هو مُدْرِكى   وإن خلتُ أنّ المنتأى عنكَ واسعُ

ومن قول ابن هانى يمدح المعزّ أيضاً[2] :

هذا أبنُ وَحْى الله يأخذ هديه[3]   عنـــه الملائك بُكرةً وأصيلاَ
والشمسُ حاسرةُ القِناعِ وَوُدّها   لو تَسْـتطيعُ لتُرْبه تقبيـــلاَ
وعلى أميرِ المؤمنـــين غمامةٌ   نشأتْ تُظلِّلُ تاجَه تظليـــلا
أمُديرَها من حيث دار لشَدّما   زاحمتَ تحتَ[4] ركابه جِبْريلاَ
ذَعرَتْ مواكبُه الجبال فأعلمت[5]   هضباتُها التـكبيرَ والتهليـــلاَ
وكأنّما الجُرْدُ الجنايبُ خُرّدٌ   سفرتْ تَشُوقُ متيّماً متبولاَ

---

(١) فى الديوان « وجنوده » ص ٢٤   (٢) انظر الديوان ص ٥٦٤
(٣) فى الديوان « تأخذ هديها » ص ٥٦٤   (٤) فى الديوان « حول »
(٥) فى الديوان « فأعلنت »

يبـــدو عليها للمعزّ جلالة   فيكون أكثر مشيها تختيلاَ[1]
ويَجِلُّ عنها قدرُه حتى إذا   رَاقَتْه كانت نائلاً مبـــذولاَ

الأصل فى هذا قوله تعالى ﴿ ويُطْعِمون الطعامَ على حُبِّهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾[2] .

وهى الجرائم والرغايبُ ما التقتْ   إلاّ لتَصْفَح قادراً وتُنيـــلاَ

قلتُ : لقد أحسن فى الحشو بقوله قادراً ، وقد أجاد البُحترىّ فى قوله :

ولم يُرَ يوماً قادِراً غَيْرَ صافحٍ   ولا صافحاً عن زلّةٍ غَيْرَ قادرِ

قد جُدتَ حتى أمَاتَتْكَ أُميّة   لو أن وِتْراً لم يضِعْ تأميلا
عجباً لمُنْصِلك المقــلّد كيف لم   تَسِلِ النفوسُ عليك منه مسيلاَ[3]
سماه جدّك ذا الفقار وإنّما   سمّاه من عاديتَ عزرائيلاَ
وكأنْ به لم يُبْقِ وِتْراً ضائعاً   فى كربلاء ولا دَمًا مطلولاَ
لعلمتَ[4] من مكنونِ عِلْمِ الله ما   لم يُؤتِ جبريلاً وميكائيلاَ

---

(١) فى الديوان « تبجيلا » ص ٥٦٩   (٢) سورة الإنسان ، الآية ٨

(٣) فى الأصل « عجباً لمنصلك المقدر كيف لم . . . تسل النفوس عليه منه مسيلا »

(٤) فى الديوان « وعلمت »

ولقد براكَ فكنتَ مَوْثقه الذى　　أخذَ الكتابَ وعهدَه المسئولاَ

حتى إذا استرعاكَ أمْرَ عبـــاده　　أدنى إليـــه أباكَ إسْماعيلا

وَوَرِثْتَهُ البرهانَ والتِّبْيَانَ وال　　فُرْقانَ والتوراةَ والإنجيلاَ

لو كنتَ آونَةً نبيًّا مُرْسَلاً　　نُشِرَتْ لمبعثِك القرونُ الأولى

أوْ كنتَ نوحاً مُنْذِراً فى قومه　　ما زادهم بدعائه تضليـــلاَ

لولا حجابٌ دون علمك حاجزٌ　　وجدوا إلى علم الغُيُوبِ سَبيلاَ

لولاكَ لم يكن التفكُّرُ واعظاً　　والعقلُ رُشْداً والقياسُ دليلاَ

لو لم تكن سببَ النجاة لأهلها　　لم يُغْنِ إيمانُ العبادِ فتيلاَ

وقوله :

لو لم تُعَرِّفْنا بذاتِ نفوسِنا　　كانت لدينا عالَماً مجهُولاَ

وقوله(١) :

ألم تَرَيا الروضَ الأريضَ كأنّما　　أسِرّةُ نورِ الشمس فيه سَبائِكُ(٢)

وما تُطْلِعُ الدنيا شموساً تُرِيكَها　　ولا للرياض الزُّهْرِ أيدٍ حوائكُ

ولكنما ضاحَكْنَنَا عن محاسنٍ　　جَلَتْهُنّ أيّامُ المعزِّ الضواحكُ

سقى الكوثرُ الخُلْدِىُّ روضةَ(٣) هاشمٍ　　وحَيّتْ مُعِزَّ الدين عنّا الملائكُ

---

(١) انظر الديوان ص ٥٠٨

(٢) فى الأصل « سنابك » خطأ . أثبتنا رواية الديوان

(٣) فى الديوان « دوحة » ص ٥٠٩

له نَسَبُ الزهراءِ دِنْياً يَخُصُّه   وسالفُ ما ضَمّتْ عليه العواتِكُ

العواتكُ : اللاتى ولدن سيّدنا رسُول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَالِ أبيه وأمّه ، وهُنّ اثنتا عشرة عاتكة ، اثنتان من قريش ، وواحدة من بنى مخلد بن النضر ، وثلاثٌ من سُلَيْم ، وأسديّة ، وهذليّة ، وقضاعيّة ، وأزْدِية . وأسماء آبائهن فى كتب الأنساب فأضربتُ عن ذكرهم للتلخيص .

إمامٌ رأى الدنيا بمؤْخِرِ عينه   فمن كان منها آخذاً فهو تارِكُ
ولم يَحوه طولُ البلادِ وعرضُها[1]   ولـكنّه فى مسلكِ الشمسِ سالكُ
وما كُنْهُ هـذا النورِ نورُ جبينه   ولـكنّ نورَ الله فيـه مُشارِكُ
لـكم دولةُ الصدقِ التى لم يَقُمْ بها   نُتَيْـلَةُ والأيّامُ هُوجٌ ركائك

نُتَيْلَة بنت حباب بن كليب امرأة عبد المطلب . ولدت منـه العباس ، رضى الله عنه ، وضراراً . ومات ضرار قبل الإسلام . فعرّض فى قصيدته ببنى العباس .

تُرَدُّ إلى الفردوس منكم أرُومةٌ   يُصلّى عليكم قدسُها ويُباركُ[2]

وقوله :

ثنائى على وحى الـكتاب عَلَيْـكُمُ   فلا الوحىُ مأفوكٌ ولا أنا آفكُ

---

(١) فى الديوان « وما سار فى الأرض العريضة ذكره »

(٢) فى الديوان « يصلّى عليكم ربها والملائك »

وقوله[١] :

ولقد أتيْتَ الأرضَ من أطرافِها   ووطئتَها بالعزمِ فهى ذَلولُ
واسْتَشْعَرَتْ أجبالُها لك هيبةً   حتى حسبنا أنّهـا ستزولُ
نامت ملوكٌ فى الحشايا وانثَنَتْ   كَسْلَى وطرفُكَ بالسُّهاد كحيلُ
لمن يُنصرَ الدينَ الحنيفَ وأهله   مَنْ بعضُهُ عن بعضِهِ مشغولُ
لا تَعْدَمَنَّكَ أمةٌ أغنَيْتَهَا   وهديتها تجلو العمى وتُنيلُ
وكأنّ دولتك المنـــيرة فيهم   ذهبٌ على أيامهم محـــلولُ
شهد البريّة كلُّها لك بالعُلى   إنّ البريةَ شاهدٌ مقبولُ

وقال من قصيدة طويلة أوّلها[٢] :

تَجَهّزْ إلى بغدادَ قد فُتِحَتْ مصرُ   وأَنْجَزَ صرفُ الدهرِ ما وَعَدَ الدهرُ
تقولُ بنو العبّاسِ قد بَلَغَ المدى   فقل لبنى العبّاس قد قُضِىَ الأمرُ
وقد جاوز الإسكندريّةَ جوهرٌ   تُطالعُهُ البُشْرى ويَقْدُمُه النصرُ

وقولُه من أُخرى[٣] :

المدحُ فى ملكٍ سواكَ مُضيَّع   والقولُ فى أحدٍ سواكَ تقوّلُ

والمليح فى هذا المعنى قول التونسى وهو على بن محمد الايادى :

(١) انظر الديوان ص ٥٥٦

(٢) الديوان ص ٣٣٥ . وليس هذا البيت الأول فى الديوان بل المطلع فيه :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر   فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

(٣) انظر الديوان ص ٦٢٨

كأنّ ملوكَ الأرضِ حَوْلَ بساطه   كواكبُ فى ضوء النهار غوارقُ

والسابقُ إلى هذا المعنى النابغةُ بقوله فى النعمان :

فإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ   إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

قلتُ : ومدائحُ ابن هانى كثيرة جداً فى المُعِزّ متى استوعبناها خرجنا عن الغرض فى التاريخ . وسيأتى من شعره شيئاً آخر فى باب المرقص آخر هذا الجزء .

ومن أحسن ما وقع له فى النسيب وهو الذى أخلّ به حتى قُتل[1] :

يا عاذلى لا تلُمْنى إنّنى   لم تُصْبِنى هِنْدٌ ولا زَيْنَبُ
لا كنّنى أصبو إلى شادنٍ   فيه خِصالٌ جَمّةٌ تُرْغَبُ
لا يرهبُ الطَّمْثَ ولا يشتكى   حَمْلاً ولا عن ناظرٍ يُحْجَبُ

أراد بقوله غلام[2] كان الأمير تميم يهواه ، فتحيّل عليه حتى وُجد فى بعض الأودية مخنوقاً بتكته .

وقيل : إنّه حسده لجودةِ شعره فقتله لذلك .

والله أعلم بأمره .

---

(١) ليست فى الديوان   (٢) كذا ، والصواب « غلاماً »

المدائح العزيزيّات

مقداد بن حسن يقول :

هــــذا الإمامُ وبغيةُ الله التى   ما جلّها خلقٌ ولا مقضــوبُ

حَرَبَ الجيوشَ وعادَ يحربُ مالَه   بعطائه فــكأنّه المحـــــرُوب

ومن هــذا التركيب قولُ ابن شرف صاحب كتاب « أبكار الأفــكار » (ص ١٦٠) :

ولقــد نعمتُ بليــلةٍ جمد الحيـا   بالأرضِ <فيها> والسماء تذوبُ

والــكأس كاسيةُ القميصِ كأنّها   لونًا وقدًّا مِعْصَمٌ مخضـــوبُ

مشروبة للبِّ شـــاربة وما   شىءٌ ســـواها شاربٌ مشروبُ

ولمقداد بن حسن أيضاً فى العزيز :

إمامٌ إذا ما قَدّرَ الأمرَ أبْرَمَتْ   سوابقُ عِـلْمِ الله ما كان قدّرَا

تَرَدّى رداءَ النّصْرِ حتى كأنّما   تــكنّى أبا المنصور حَتْماً ليُنْصَرَا

وقوله :

إمامٌ تتـــوّجَ تاجَ الفَخَا   ر فوافَقَ مَفْرِقَه واعتـــدلْ

يعـــزُّ الترابُ إذا مَشَىٰ   عليه فتــكثرُ فيـــه القُبَلْ

سلمان بن فلاح يقول فى العزيز :

فَلَأَنْثُرَنّ فَرَائدَ الدهرِ التى   مِنْ حَقّها فى وصفه أن تُنْثَرَا

بَلْ لا أزالُ مدىٰ حياتى داعياً   أنْ لا يزالَ مُمَلّـكاً ومعمّرَا

واللهُ أهلٌ أنْ يُجيبَ دعاء مَنْ   لو أنّه يهـــديه كونًا قَصّرَا

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله ابن العزيز بالله وأخباره وما لُخِّص منها

هو أبو على منصور الحاكم بأمر الله ابن نزار العزيز بالله بن مَعَدّ المعزّ ، وباقى نسبه قد تقدّم .

أمّه : ... ...[1]

وُلد فى شهر ربيع الأوّل من سنة خمسٍ وسبعين وثلاث مئة ، أوّل ساعة من يومِ الخميسِ لسبعٍ بقين من الشهر المذكور ، بالقاهرة المعزية . بويع له يوم وفاةِ أبيه ، آخر شهرِ رمضان من هذه السنة . وقيل كانت بيعتُه يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان المذكور .

وله يوم ذاك أحد عشر سنة[2] .

وكان أمره راجع[3] إلى الأستاذ أبى الفرج برجوان ، وقيل إنه < إلى > ابن عمّار ، وكان كبيراً فى المغاربة . وكان العزيزُ قد أوصى إليه بولده . فقام بالأمر (ص ١٦١) ودبّر الأحوالَ ، وساس أمور الجند من المُصْطَنَعين والمغاربة ، وأنفق الأموالَ ، وأرضى جميع الطائفتين

---

(١) بياض فى الأصل مقدار ثلاث كلمات

(٢) كذا ، والصواب « إحدى عشرة سنة »

(٣) كذا ، والصواب « راجعاً »

بعد أن كادت تكون فتنة بين الجند المُصْطَنَعين و بين المغاربة . فلما همّوا أن يتواقعوا أخرج الأستاذُ برجوان الأموالَ وأرضى الجميعَ ، وأصلح ذات البين ، ورفع المغاربةَ وجعلهم فى ولاياتِ الجند من الترك والعجم وغيرهم ، وساس أيضاً أمورَ التركِ والعجم ، ودبّر أحسن تدبيرٍ .

ولم يزل الحاكمُ من صِغَرِه يشتغلُ بالآداب والدروس ، والنظر فى دقائقِ العلوم : مثلِ علم النجوم والأرصاد والكيمياء والعزائم والطِلّسْمات وسائرِ علوم الرياضيّات ، حتى حصل له ما شاع وذاع .

هذا فى ابتداء أمره ، وأمّا فى نهايته وتمام أيامه فصدرت عنه أمورٌ تلى إلى الجنون ، لا بل هى الجنون بعينه ، من خرافاتٍ دينيّة ودنياوية .

فأمّا الدنياوية السيّئة التى صَدَرَتْ عنه فتلخيص ذلك أنّه منع من بيع الزبيب ، وأن لا يتّجر أحداً[1] فيه . وجمع كلّ زبيب كان فى سائر ممالكه وأعماله وأمر بإحراقه فأُحْرِقَ .

قال المؤرِّخون من الثقاتِ المصريّين : حُسِبَ جملة ما أُنفق على إحراق الزبيب فى ثمنِ الأحطاب التى أحرق بها فكانت ألفَ دينار عيْناً ، ولم يَبْقَ للزبيب أثَرٌ فى سائر الأقاليم .

---

(١) كذا ، والصواب « أحد »

ومنها أنه أمر بقتلِ الكلاب ، فلم يَبْقَ فى مَدّةِ أيّامه كَلْبٌ يُرىٰ . وقيل أحصى عدّتهم فكانوا ثلاثون[1] ألف كلب الذين قُتِلوا . (كذا)

ومنها أنه مرّ على حمام الذهب بمصر فسمع بها غوغاءَ النساء ، فأمَرَ ببابها فبُنى عليهم[2] فسُدّ ، وَأمر أن يُحْمىٰ عليهنّ ، فلم يبرحوا حتى مُوِتّن[3] عن آخرهن من غير جرم فعلونه[4] ، وعاد كل من له أهل بتلك الحمام أتى وأخرجهن وغسلوهنّ ، ودُفِنّ .

(ص ١٦٢) ومنها أنّه حَرّم بَيْعَ العنبِ فى سائر أعماله . وأمر بقطعه ، وهو حصرم . ثم إنّه أمر بقطع سائر الكروم . فقطع ذلك من جميع أعمال مصر .

ومنها أنه نهى عن طبخ الملوخيّة ، ومَنْ وُجدتْ عنده قُتِلَ . وأمر أن لا تُزْرَعَ بأرضِ مصر البتّة . وقتل على ذلك جماعة ممن وُجدت عندهم .

ومنها أنّه منع من بيع الكبب اللحم ، ومن بيع الفُقّاع . وأمر بشنق مَنْ يبيعه ، وربما أنه شنق عليه .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاثين » (٢) كذا ، والصواب « عليهن »

(٣) كذا ، والصواب « فلم يبرحن حتى متن »

(٤) كذا ، والصواب « فعلنه »

ومنها أنه كان يحب مملوكاً له يُقال له عين[١] . وهو صاحب جامع الجزيرة . فغضب عليه فأمر بقطع يده ، فقُطِعَتْ ثم ندم . ثم أمر بقطع رجله ، فقُطِعَتْ ثم ندم. ثم أمر بقطع اليد الأخرى ثم الرجل الأخرى ، ثم سَمَلَ عينيه .

وأشياء كثيرة من هذا النسق وضروبه .

وأمّا الأمرُ الديني فإنّه تمرّد وبغى ، وادّعى دعوى فرعون لعنه الله . وسَبَبُ ذلك أنه صحبه إنسانٌ يُقال له الدرزى . فنبّهه على أشياء من دعاوى أسلافه الكاذبة ، حتى عاد يسلِّمُ عليه الخصّيصين[٢] به فيقولون : السلامُ عليك يا مُعْطِي يا مانع ، يا مُحيي يا مميت !

فلما شُهر عنه هـذا الأمر وقام الناس على ذلك الملعون الدرزى ، جَهَّزَه بالأموال إلى الجبال لإقامة الدعوة الخبيثة . فجميعُ الدرزيّة الآن من ذلك الدرزى الملعون داعى الحاكم .

وله أشـياء منكرة أعظمُ من جميع ذلك ، أضربتُ عنها صيانةً للكتاب ، فنعوذ بالله من مكر الله .

وأما ما يُذكر من محاسن سيرته فى ابتداء أمره فإنه أقام شعائر الإسلام ، ورَفَعَ مَنَارَ الدين ، وأمر أن يُبنى على كُلِّ كنيسة من الكنائس مسجداً طويلَ البناء يعلو تلك الكنيسة . وكذلك سائر الدِيَرَة فى سائر أعمالِ مصر ، فَفُعِلَ وهو إلى الآن باقٍ .

---

(١) ورد اسمه عند المقريزى فى الخطط ٤ : ٧٢ « غين »

(٢) كذا ، والصواب « الخصيصون »

ومنها أنّه منع اليهودَ والنصارَىٰ (ص ١٦٣) من ركوب الخيل والبغال فاستمرّ ذلك .

ومنها أنه أفرد لِلذمّة من اليهود والنصارىٰ حماماتٍ غير حمامات المسلمين ، وجعل على أبواب حماماتهم الصلبان والقرابين ، وجعل فى أعناقهم الأجراسَ والصلبان من الخشب الكبار .

ومنها أنّه رفع المكوس والظلامات .

ومنها <أنّه> منعَ كلَّ مُسْكِرٍ وشدّدَ فيه وغَلَّظ وقَتَلَ عليه .

ومنها أنه منع النساء من الخروج ، فلم تكن فى أيّامه امرأةٌ تلوح .

وكان مترهّدًا متعبّدًا ، يلبس الصوف ، ويركب الحمار ، ويدور الشوارع بنفسه .

ومن بنائه . . . . [1] وجامع راشدة ، والرصد ، والجامع الكبير المعروف به .

وكان سبب غيبته ما يأتى ذكره فى تاريخه إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة توفى الصاحبُ بن عَبّاد [2] رحمه الله ، وكذلك توفى أبو طالب مكى [3] صاحب كتاب « اعتلال القلوب » رحمه الله .

---

(١) كلمتان غير واضحتين

(٢) فى النجوم الزاهرة ، ٤ : ١٦٩ وسائر المصادر أنه توفى سنة ٣٨٥

(٣) كذا ، والصواب أنه «أبو طالب محمد بن على بن عطية المكى» (انظر النجوم الزاهرة ٤ : ١٧٥)

ذكر سنة سبع وثمانين وثلاث مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديمُ ثلاثة أذرع وإصبع واحل واحد[1] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة أضابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين .

وبنى[3] بويه أرباب الأمور بالشرق كلِّه ، وكلُّهم على كلمة الخليفة .

والحاكمُ خليفة مصر .

والأستاذُ برجوان مدبّر أمر المملكة . فإنّ ابن عمّار كان مدبّر المملكة فاستعفى فى هذه السنة . وعاد الأمرُ للأستاذ برجوان وهو الصحيح .

وفيها كان بمصر غلاء . وبلغ التليس القمح أربعة دنانير عين مِصْرية . وأطلق الحاكم ألفى دينار لعمارة الجامع العَتيق بمصر ، وعمر المنارة الكبيرة التى به (ص ١٦٤) .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وإصبع واحدة »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « بنو »

ذكر سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وإثنا عشر إصبعا[1] .

مبلغُ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثمان أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين .

وبنى[3] بويه الحكّام على الأمر .

والحاكمُ خليفةُ مصر وما معها .

والأستاذُ برجوان مدبّرُ دولته ، والقاضى ابن النعمان بحاله .

وفيها كانت ريحٌ سوداء فى شهر صفر هالت الناس ، وأظلمت لها الأقطارُ .

وفيها نزل الحاكمُ إلى مصر وخطب يوم جمعةٍ فى الجامع العتيق ، وصلّى بالناس ، وبَلَّغ التكبيرَ عنه القاضى أبو عبد الله محمد ابن النعمان .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع واثنتا عشرة إصبعا »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً »

(٣) كذا ، والصواب « بنو »

وفيها توفى أبو عبد الله الجوهرىُّ الواعظُ رحمه الله .

وفى[1] سنة ثمان وثمانين توفى ابن حجّاج رحمه الله صاحب الديوان الهزلى .

وفيها عُمِلَ النواحُ على الحسين عليه السلام على الرسم والعادة . واجتمع أهلُ باب البصرة وباب الكرخ ومَضَوْا إلى قبر مُصْعَبِ ابن الزبير وبدا منهم فى حقِّ آل البيت ما لا يليق ذكره وقالوا : هذا[2]

... ...

الشيعة ... ويطبخون فيه كل الأطعمة ، ويقولون هذا يوم واخى فيه النبى صلّى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام . فيخرجون كل سنة فى ذلك اليوم ويفعلون كفعلهم ويقولون : يوم كان فيه النبى صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه فى الغار .

---

(١) قوله « وفى سنة . . . إلى النهاية مضاف فى الهامش بخط المؤلف »

(٢) يوجد سطر لم يظهر فى التصوير

ذكر سنة تسع وثمانين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

(ص ١٦٥) الماء القديمُ أربعة[١] أذرع وعشرون إصبعاً . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً[٢] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والحاكمُ خليفةُ مصر وما معها .

والأستاذُ برجوان بحاله . وتوفى القاضى ابن النعمان رابع شهر صفر ، وصلى عليه الحاكم فى داره .

وولّى الحاكمُ مكانه ابن أخيه الحُسَيْن بن علىّ بن النعمان فى الثالث والعشرين من صَفَر ، وأسقط عدّة أربعة عشر عَدْلاً منهم ابن الجوهرى وابن الطوسى .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً ، وثلاث وعشرون إصبعاً »

ذكر سنة تسعين وثلاث مئة

النيلُ المباركُ فى هــذه السنة :

(ص ١٦٥) الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة عشر إصبعاً[١] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً[٢] وإصبعان .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والحاكمُ خليفة مصر ، وأبو الفتوح برجوان إلى أن توفى فى هذه السنة ، وقُلّد الأمر مكانه أبو علىّ الُحسَيْن بن جوهر القائد ، ولقب بالقائد الأجَلّ ، وقُلّد عبد العزيز بن النعمان المظالم .

وفيها تزوّج الحاكم جارية السيّدة بتاريخ رابع عشر جُمادىٰ الآخرة .

وفيها كثُر ركوبُ الحاكم .

وقُتل برجوان الخادم ، ووُجد له من جملة ما خلّف ألفُ سراويل دبيقى بألف تكّة حرير ، وألفُ نافجة مسك ، ومن الجواهر والأوانى والملابس والمتاع ما قيمتُه خمسُ مئة ألف دينار ، وأربع آلاف دابة .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً »

وفى سنة تسعين وقع بحلب بَرَداً[1] عظيماً . قيل وزن منها
حجراً[2] واحداً فكان رطل[3] بالدمشق ، وأهلك ناساً كثيرةً ودوابَّ
ووحش وطير[4] . ٣

(١) كذا ، والصواب « برد » (٢) كذا ، والصواب « حجر واحد »

(٣) كذا ، والصواب « رطلا »

(٤) كذا ، والصواب « وحشاً وطيراً » . وقوله « وفى سنة تسعين . . طير » مضاف فى الهامش بخط المؤلف

ذكرى سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ أربعة أذرع[1] وإصبعان .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

الحاكمُ خليفة مصر . وقائد القوّاد الحسينُ بن جوهر .

والقاضى بمصر الحسينُ بن علىّ بن النعمان . والمظالمُ لعبد العزيز ابن النعمان .

وجلس الحاكمُ بنفسه للمظالم ، وأمر أن لا تُغلق الأسواقُ ليلاً ولا نهاراً . وحصل البيعُ والشراء فى الليل والنهار . وأكل الناسُ فى الأسواق ، وسمعوا الغناء على الإجهار ، وكثُر ركوبُ الحاكم ليلاً ونهاراً واستمر الحال على ذلك .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

ذكر سنة اثنين[1] وتسعين وثلاث مئة

(ص ١٦٦) النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماءُ القديمُ ستة أذرع وسبعة أصابع[2] ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابع[3] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين .

وبنى[4] بويه الحكام . والأمرُ راجعٌ فيهم إلى سلطان الدولة ابن عضد الدولة .

والحاكمُ الخليفةُ بمصر وما معها .

وكذلك قائد القوّاد الحسين بن جوهر مدبّر الممالك الحاكميّة ، والقاضى الحسين بن على بن النعمان مستمرّا[5] على محل قضائه .

والحاكمُ يلى المظالم بنفسه .

وفيها كان ابتداء عمارة الجامع الكبير بباب الفتوح ، وأنفَقَ عليه أموالاً جزيلة كما يأتى بيانه .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين »

(٢) كذا ، والصواب « ست أذرع وسبع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع »

(٤) كذا ، والصواب « بنو » (٥) كذا ، والصواب « مستمر »

ذكر سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة[1] أذرع وعشرون إصبعاً .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفة القادرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بويه ، حسبما ذكرنا .

والحاكمُ خليفةُ مصر .

والحكّام حسبما ذكرنا ،

وأمَرَ فى هذه السنة ببناء جامع راشدة .

وكُمِّل الجامعُ الكبيرُ الذى بباب الفتوح . وحُسب ما نفق عليه فكان أربعين ألف دينار . وذلك أُصْرِف على تكملته .

وفيها وقع برَداً عظيماً[3] بمصر ، حتى عاد على الأرض ارتفاع شبرٍ وأزيد . وأُبيع على الدواب كما يُباع فى الشام . ولا كان يُعرف البرَدُ فى مصر قبل ذلك .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعا »

(٣) كذا ، والصواب « برد عظيم »

ذكر سنة أربع وتسعين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع[1] فقط .

مبلغُ الزيادة سبعة عشر ذراعاً[2] وثلاث أصابع .

< ما لُخِّصَ من الحوادث >

(ص ١٦٧) الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين .

وبنى[3] بويه بحالهم .

والحاكم خليفة مصر ، وقائد القواد بحاله .

وعزل القاضى الحسين ابن على بن النعمان فى سادس رمضان ، وولى الحكم مكانه عبدَ العزيز ابن أبى عبد الله محمد بن النعمان .

وفيها أمر بهدم كنيسة مرقص التى كانت بجوار جامع راشدة ، فهُدِمتْ وبُنِيَتْ مسجداً .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً »

(٣) كذا ، والصواب « بنو »

< ذكر دمشق >

وأمّا دمشق فكان المتولى عليها منجوتكين التركى حسبما سقناه من ذكره ، فلم يزل عليها إلى سنة سبع وثمانين . فوليها علىّ بن فلاح فى حديثٍ طويل ونفد منجوتكين إلى الحاكم فاصطفاه وعاد فى عدته .

ثم استقرّ بدمشق سلمان بن جعفر بن فلاح .

ثم عُزِلَ ووليها جيش بن الصمصامة المقدّم ذكره ففعل فى دمشق وأهلها ما لا تفعله الفرنج ، حتى كانوا[١] الناس يجتمعون فى سائر المساجد ويدعون عليه تصريحاً . فلم يزل حتى أهلكه الله بالجذام فى سنة تسعين وثلاث مئة .

ثم وليها رجل من المغاربة يُقال له فحل بن تميم . فلبث شهوراً ثم هلك .

ثم وليها علىّ بن فلاح الولايةَ الثانية فبقى إلى سنة اثنين[٢] وتسعينَ وثلاث مئة .

ثم عُزل ووليها رجلٌ أسود بربرىٌّ يُقال له طزملت بن بكّار . وكان عبداً لابن زيرى والى القيروان . فلم يزل وَالياً إلى هذه السنة ، وهى سنة أربع وتسعين وثلاث مئة .

---

(١) كذا ، والصواب «كان الناس»

(٢) كذا ، والصواب «اثنتين»

فوليها خادماً[١] أتى من مصر يُقال له مُفلح اللحيانى . وسار طزملت يريد مصر . فتوفى بِدَارَيّا . وذلك يوم الاثنين الثانى مِن شهر صفر من هذه السنة .

قلتُ : وهذا آخرُ ما كان بخطّ الشيخ أبى القاسم علىّ بن محمد ابن يحيى السلمى السُّمَيْسَاطى رحمه الله . فاستنسختهُ منه فى أخبار الشام . ومهما أتى بعد ذلك فمذيَّلٌ عليه من المسوّدات . والله الموفق بكرمه .

وفى سنة خمس وتسعين ولد الظاهر ابن الحاكم كما يأتى فى تاريخه .

وفيها[٢] كانت فتنةٌ عظيمةٌ بين الشيعةِ والسنّةِ ببغداد . وسببُ ذلك أنّ أبا حارثة الواسطى أحضر مصحفاً إلى دار الخلافة وزعم أنّه مصحف ابنِ مسعُود . فقوبل به مصحفُ عثمان نخالفه . فأجمع القضاةُ والفقهاء على حريقه . فأمر بذلك . فبادر أهلُ الكرخ ووقعت الفتنة بين الشيعة والسنة . وصاح الشيعة : يا حاكم يا منصور ! وبلغ القادرُ ذلك فأرسل الخيولَ التى على بابه لمعونة السُّنّةِ . فنزلت الأتراكُ ، وأحرقوا الكرخ ، ونهبوا الأسواق ثم عفا عنهم وسكنتِ الفتنة .

---

(١) كذا ، والصواب « خادم »

(٢) قوله « وفيها كانت . . . الفتنة » مضاف فى الهامش بخط المؤلف

سنة خمس وتسعين وثلاث مئة

(ص ١٦٨) النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ سبعة أذرع وخمسة وعشرون إصبعا[١] . مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادر بالله أمير المؤمنين .

وبنو بويه الحكّام . والأمْرُ فى هذه السنة إلى شرف الدولة ابن عضد الدولة .

والحاكمُ خليفة مصر . وقائد القواد بحاله . وكذلك القاضى

وفيها سخط < الحاكم > على النساء ، وأمر أن لا تلوح امرأة فى طريقٍ فكان ذلك ، وسخط على الكلاب وأمر بقتلهم (كذا) ، فقتِلوا حسبما تقدّم من ذكرهم .

وفيها وُلد له ولدين[٣] ، فسمّى أحدهما الحارث والآخر علىّ .

وكثر طلوعه إلى الجبل المقطم .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وخمس وعشرون إصبعا »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث أصابع »

(٣) كذا ، الصواب « ولدان »

ذكر سنة ست وتسعين وثلاث مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وعشرة أصابع[١] . مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين . وشرفُ الدولة مدبّرُ الممالك الخليفية . والحاكمُ خليفة مصر . وقائد القواد الحسين بن جوهر مدبّر الدولة . والقاضى بحاله .

ووقع فى هذه السنة برَداً عظيما[٣] قدر بيض الحمام . ووزنت فكانت أوقيتين بالمصرى . وقتلت طير كثير وغنم ومعزى[٤] .

وفى[٥] سنة ست وتسعين قذفت الريحُ برجل من يأجوج إلى أن رمته قُدّام السدّ الذى تقدّم ذكره فى أول آخر ٤ من هذا التاريخ . فأخذوه[٦] الحرّاسُ الذى هناك ، ونفذوه إلى الخليفة القادر بالله . فأحضر القضاةَ والفقهاء ، فنظروه ميتاً ، طولُه ذراعٌ وربع ذراع ، ولحيته شبران ، وله أذنان كالدرق .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وعشر أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « برد عظيم »

(٤) كذا ، والصواب « طيراً كثيراً وغنما ومعزى »

(٥) قوله « وفى سنة ست . . . كالدرق » مضاف فى الهامش بخط المؤلف

(٦) كذا ، والصواب « فأخذه الحراس الذين »

ذكر سنة سبع وتسعين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع[1] .

مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعا[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

(ص ١٦٩) الخليفةُ القادرُ أمير المؤمنين .

وشرفُ الدولة بن بويه على حاله .

وفيها الحاكمُ بحاله خليفةُ مصر وما معها .

وقائدُ القوّاد بحاله ، وكذلك القاضى .

وفيها شُهد فرس البحر بمنية القائد . وعُرِفَتْ بذلك كونها كانت فى جملة إقطاع هذا القائد حسين بن جوهر ، وكان يكْثُر الحلول بها .

وفيها ارتفع سعرُ الدراهم ، وصُرِفَ كلّ دينارٍ بثمانية عشر درهم[3] .

وفيها كان خروج الوليد بن هشام من بنى أمية مروان (كذا) مُلاّك الأندلس ، المعروف بأبى رَكْوَة المقدّم ذكره فى الجزء المختص ببنى

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وأربع أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « أربع عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « درهما »

أُمَيّة . وكان خروجه بالفيّوم . فقُبِض عليه وأُحضر إلى القاهرة . وقُتل بها بعد ما كان هرب من الفيّوم إلى بلاد النوبة . فمُسك وأُحْضِر ، وجُعِلَ فى قفصٍ من حديد ، وقال له الحاكمُ : ما حملك على هذا ؟ قال : سموٌّ همتى لو ساعدتْنى الأقدارُ . قال : فلو ساعدتْكَ ما كنتَ تفعل ؟ قال : كنتُ أجعلك موضعى الآن . فأمر به فقُتل وصُلِبَ بباب زويلة .

وفيها كانت فتنةٌ بين الشيعة والسنّة ببغداد .

وفيها زادتْ دجلة زيادة ما عُرِفَتْ من قبلها بحيث وصلت الأمياه إلى رؤوس النخل ، وهربت الناسُ إلى غربىّ بغداد وأقام كذلك عشرين يوماً .

ذكر سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة[1] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعاً وتسعة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين .

وشرفُ الدولة بن بويه على حالة .

والحاكمُ خليفة مصر وما معها . وكذلك ولاة أموره بحالهم .

وفيها كان غلاءٌ عظيم . ولحق الناسَ مجاعةٌ شديدةٌ . وولى مسعود أمر ذلك فضرب قوماً من الخزّانين بالسياط ، وأخرج القمح ، وصُبّ فى العراص فانصلح الحال .

ووقع بين القرويين والريحانيّة ، وقتل من القرويين واحداً[3] ، فقتل الحاكم قاتله .

وفيها عزلَ < الحاكمُ > القائد حسين بن جوهر عن ما كان عليه ، وقلّد مكانه صالح بن على ، وعزل عبد العزيز وولّى مكانه مالك ابن سعيد .

وبلغ القمح ثلاثة دنانير التليس . (ص ١٧٠)

---

(١) كذا ، والصواب « خمس »

(٢) كذا ، والصواب « أربع عشرة ذراعاً وتسع أصابع » .

(٣) كذا ، والصواب « واحد »

ذكر سنة تسع وتسعين وثلاث مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

٣ الماء القديم ذراعان وستة عشر[1] إصبعاً .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

٦ الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين ،

وبنى[3] بويه الحكّام ، والمتحدثُ فيهم فى هذه السنة شرفُ الدولة بن عضد الدولة .

٩ والحاكمُ خليفةُ مصر .

وشيخُ الشيوخ صالحُ بن عليّ مدبرُ الدولة الحاكمية .

وفيها أمر الحاكمُ مَنْ وُجِدَ سكران يُقتل بلا معاودة .

١٢ وفيها نهى عن بيع الفُقّاع ، وأمر بصلاة التراويح فى شهر رمضان وصلاة الضحى . وقلّد شيخَ الشيوخ صالح بن على السيفَ والقلمَ ، ولقّبه ثقة الثقات ، وأمر بهدم الكنيستين اللتين كانتا بالحمراء .

---

(١) كذا ، والصواب « ست عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً ، وثلاث وعشرون إصبعا »

(٣) كذا ، الصواب « بنو »

وفيها حصل بمصر وباءٌ كثيرٌ ، وارتفع سعرُ العطر ، وأبيع كل أوقية دهن بنفسج بدينارٍ عينٍ .

وكان قد أمر فى سنة خمسٍ وتسعين بسبِّ الصحابة رضوان الله عليهم وكتب بذلك على حيطان المساجد والجوامع والقياسر والشوارع . ثم إنه أمر فى هذه السنة أنْ يُمْحَى جميع ما كتب ، وتأديب مَنْ يسبّ الصحابة .

وأمر أن لا تُباع الملوخيّة ولا تُطبخ ، ولا يُباع السمك الذى بغير قشرٍ ولا يُؤكل ، ولا يُباع الترمس والجرجير ، ومن هذه الخرافات وأنظارها . وقد تقدم ذكر ذلك . وسيأتى أشياء غيرها متناقضة الأحوال فى تواريخها .

ذكر سنة أربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة[1] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعا[2] .

< ما لُخّص من اوادث > (ص ١٧١)

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين .

وبنو بويه ولاة الأمور .

والحاكم خليفة مصر .

وشيخ الشيوخِ مدبّر الدولة ، والأمور ومصالح الدولة إليه راجعة .

وفيها أمر أنّ < كلّ > باب مفتوح لا يُغلق ، و< كلّ > باب مغلوق لا يفتح و < كلّ > شيء مُغطّى لا يُكشف .

حكاية مستطرفة

قيل لما أمر الحاكم بأنّ < كلّ > شيء مُغَطّى لا يُكشف خرج إنسانٌ سكران فى بعض تلك الليالى متوجّهاً من مكانٍ كان به

---

(١) كذا ، والصواب « أربع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً »

إلى منزله . فصدف الطائفَ فأخذ عمامته وأسبلها على نفسه ، ونام وهو قد تغطّى بالعمامة . فوكزه بعض الشرطيّة وقال : إيش أنت ؟ فقال : أنا شيء مُغَطّى ، وأميرُ المؤمنين الحاكم قد أمر أن لا يُكشف شيء مُغطّى قال : فاستطرف الطائفُ كلامه وتركه .

وفيها صَرَفَ < الحاكم > شيخ الشيوخ صالح بن على وولّى أحمدَ ابن محمود المعروف بالقصورى بعضَ ما كان يتولاّه صالحُ بن على وهو النظر فى أمر الدولة .

ذكر سنة إحدى وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرعٍ وثمانية عشر إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين .

وبنو بويه متولين[3] الأمور على ما هم عليه .

والحاكمُ خليفةُ مصر .

وفيها قبض الحاكمُ على عبد العزيز بن النعمان متولّى المظالم ، وعلى قائد القوّاد ثم أطلقهما وعفا عنهما .

ومنع من الركوب فى الخليج ، وأمر بسدّ سائر طاقاته التى تُشرف عليه .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وثمانى عشرة إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثمانى عشرة إصبعا »

(٣) كذا ، والصواب « متولو الأمور »

وأُضيف إلى القاضى مالك بن سعيد النّظر فى المظالم ، وذلك ما كان يتولاّه عبد العزيز بن النعمان .

وفى[1] سنة إحدى وأربع مئة خطب معتمد الدولة أبو المنيع قِرْوَاش ابن مُقَلَّد للحاكم بالمَوْصِل والأنْبَارِ وقَصْرِ ابن هُبَيْرة والمدائن ، وذلك فى خلافة القادرِ ، وهو يومئذ ببغداد .

وكان أبو المنيع المذكور فاضلاً أديباً جَيِّد الشعر حسنه .

فمن شعره يقولُ :

مَنْ كان يحمدُ أو يذمّ مورّثاً　　للمال من آبائه وجدودِهِ
إنى امرؤٌ لله أشكرُ وحْدَهُ　　شكراً كثيراً طالباً لمزيده
لى أشقرٌ سَمْحُ العنان مغادرٌ　　يُعطيك ما يُرضيك من مجهوده
ومهندٌ عَضْبٌ إذا جَرّدْتَهُ　　خِلْتَ البروقَ تلوحُ فى تجريده
ومثقفٌ لَدْنُ السنانِ كأنّما　　أمُّ المنايا رُكِّبَتْ فى عوده
وبذا حويتُ المال إلاّ أننى　　سلّطْتُ جودَ يدى على تبديده

ذكر ذلك صاحب كتاب « دُمْيَة القصر » .

وفى سنة إحدى وأربع مئة فتح محمود بن سُبُكْتِكين المولتان من بلاد الهند . وأنفذ إلى الخليفة القادر بالله صنماً من ذهب زنته أربع مئة رطل بالبغدادى . ولعبة ياقوت أحمر زنتها ستون مثقالاً تشتمل كالقنديل ، لم يُرَ مثلها أبداً .

---

(١) قوله « وفى سنة إحدى . . . مثلها أبداً » مضاف فى الهامش بخط المؤلف .

ذكر سنة اثنين[1] وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ ذراعان وثمانية[2] أصابع .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وعشرة أصابع[3]

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين .

وبنو بُوَيْه بحالهم .

والحاكمُ خليفةُ مصر .

وسخط على قائد القوّاد ، وعلى بن عبد العزيز بن النعمان وقتلهما ومعهما مسرور .

وتوفى الشريف الرضى .

وفيها نهى عن بَيْع العنب وأمر بقطعه ، وحُرِثَتْ جميعُ أراضى الكروم بالديار المصرية ، وكذلك فيها كان إحراقُ الزبيب وإهراق العسل فى النيل ، حتى عاد لو طُلِبَ وقية عسل بدينار لم يُوجد .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين » (٢) كذا ، والصواب « ثمانى »

(٣) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وعشر أصابع »

ذكر سنة ثلاث وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

المـاء القديم ذراعان وثلاثة[1] وعشرون إصبعا .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً واثنا عشر إصْبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفة القادر بالله أميرُ المؤمنين .

وبنو بويه بحالهم .

والحاكمُ خليفة مصر .

وقيل فى هـذه السنة كان سخطه على العسل فأهرق ما أحصى عدته ما بين ظروفٍ وزيرٍ وخابيةٍ إحدى عشر ألف قطعة .

وفيها حُمل إلى الجامع العتيق بمصر ختماتٌ كبارٌ مذهبةٌ عدةُ أربع مئة وأربعون ختمه ، وربعاتٌ مذهباتٌ بخطوطٍ منسوبة ، عدّة ذلك أربعة[3] وسبعون ربعة ، وتنورُ فضّة زنتُه مئة ألف درهم حجر .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث وعشرون »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعا »

(٣) كذا ، والصواب « أربع »

وفيها كملت عمارةُ الجامع الحاكمى الكبير بباب الفتوح ، وحُمل إليه (ص ١٧٣) أربع تنانير (*كذا) فضّة حجر ، وقناديل فضّة مذهبة عدّة أربع مئة قنديل بسلاسل فضة . وعلّق على أبوابه الستور الدبيقى ، وفُرش أحسنَ فرش ، وأُقيمت الجمعة فيه ثالث عشر رمضان ، وخَطَبَ فيه بنفسه ، وهى أوّلُ خطبةٍ خُطِبَتْ فيه . وأمر أن تقطع الخطبة من جامع الأزهر ، فقُطعت من ذلك اليوم إلى حين ما استجدّتْ فيه فى تاريخ ما يأتى ذكره . وكذلك أُقيمت الجمعةُ فى هذه السنة فى جامع راشدة وخَطَبَ فيه أيضاً الحاكمُ بنفسه

وفيها ولّى النظرَ فى الأموالِ والدولةِ الحسنَ[1] بن طاهر الوزّان .

وفيها أمر برفع المكوس عن جميع الغلالِ الواردة إلى الساحل ، ثم أمر برفع مكوسِ دارِ الضرب ، وكذلك رَفَعَ مكوسَ دارِ الفاكهة . ثم أمر النصارى واليهود بلبس العمائم السود ، وحَمْلِهم فى أعناقهم الصلبانَ الثِّقالَ ، ولا يركبوا شىء[2] من الدوابّ غير الحمير ، ولا يركبوا لمسلم حمار[3] ، وأن يكون طولُ الصليب فى عنق النصارى ذراعاً من

(١) كذا ، وعند المقريزى فى الخطط « الحسين »

(٢) كذا ، والصواب « شيئاً »

(٣) كذا ، والصواب « حمارا »

الخشب ، وزنته خمس[1] أرطال . وقرامى اليهود كذلك . وأشياء من هذه الضروب .

وفى[2] سنة ثلاث وأربع مئة أخذ أهل الكوفة جدرى حتى عمى منهم ألف وخمس مئة نفر ، والجميع من نسل مَنْ حضر قتالة الحسين صلوات الله عليه ، وهذه آية عظيمة .

---

(١) كذا ، والصواب « خمسة »

(٢) قوله « وفى سنة ثلاث . . . عظيمة » مضاف فى الهامش ص ١٧٢

ذكر سنة أربع وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة[١] أذرع فقط . مبلغ الزيادة سبعة عشر[٢] ذراعًا فقط .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين .

وبنو بويه وُلاةُ الأمور بحالهم .

والحاكمُ خليفةُ مصر ، وهو متولّى الأمور بنفسه ، ويركب الحمار ويطوف الأسواق ويأخذ القصص[٣] بنفسه .

وفيها أعتق جميعَ ما كان فى ملكه من الرقيق بالقاهرة ومصر ، مع سائر مماليكه من عبيدٍ وإماء ، وملّكهم (ص ١٧٤) ما كانوا يملكونه فى حال الرِّق من الأموال .

وفيها جعل الحاكمُ ولايةَ العهد إلى أبى القاسم عبد الرحيم بن إلياس ابن أحمد بن المهدى ، ودُعى له على جميع منابر الديار المصرية .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة »

(٣) فى الأصل « التصاص »

ذكر سنة خمس وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وعشرة أصابع[١] .

مبلغ الزيادة ستة عشر[٢] ذراعاً وإصبعان .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادر بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بويه بحالهم .

والحاكمُ خليفة مصر .

وفيها قُتِل القاضى مالكُ بن سعيد يوم السبت سادس عشرين ربيع الآخر . وفى الحادى والعشرين من شعبان تولّى الحكم بمصر والقاهرة وسائر الأعمال بالديار المصرية القاضى أبو العباس أحمدُ بن محمد بن عبد الله ابن < أبى > العوّام .

وفى جُمادى الآخرة ركب الحسن[٣] بن طاهر بن الوزّان مع الحاكم على عادته ، فلما خرج من باب القاهرة ضُرِبَتْ رقبتُه ودُفِنَ فى موضعه .

وولّى < الحاكم > النظرَ والتدبيرَ الحسنَ وعبدَ الرحيم ولدى أبى السّيد ، ثم قُتلا فى الخامس عشر من شوّال .

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وعشر أصابع » وفى النجوم ٤/٢٣٩ « ثلاث أذرع سواء »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً »

(٣) كذا ، والصواب « الحسين »

ثم وَلّى بعدها أبو[1] العباس الفضل بن جعفر بن الفرات في ثانى ذى القعدة ، فأقام خمسة أيام ، وقُتل سادس ذى القعدة .

٣ ثم وَلّى بعده قطبَ الدولة أبى[2] الحسن على بن جعفر بن فلاح المقدم ذكره فى أخبار دمشق .

---

(١) كذا ، والصواب « أبا العباس »

(٢) كذا ، والصواب « أبا الحسن » ، وسمّاه المقريزى « قطب الدين »

ذكر سنة ست وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ذراع وإحدى وعشرون إصبعاً .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وتسعة أصابع[١] .

< ما لُخِّصَ من الحوادث >

(ص ١٧٥) الخليفة القادرُ بالله أمير المؤمنين

وبنو بويه بحالهم .

والحاكمُ خليفة مصر . وعُرِضُ عليه فى هذه السنة استيماراً[٢] باسم المتفقّهين والمؤذِّنين والقُرّاء بالقاهرة ومصر المحروستين ، فكان جملةُ المقدّر لهم فى كلّ سنةٍ أحد وسبعين ألف وسبع مئة وثلاثة وثلاثين ألف[٣] ، وثلثى وربع دينار . فأمر بإطلاق جميع ذلك .

---

(١) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وتسع أصابع » وفى النجوم ٤ : ٢٤٠ « الماء القديم ذراع وعشرون إصبعاً . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وإصبعان » .

(٢) كذا ، والصواب « استيمار »

(٣) كذا ، والصواب « واحداً وسبعين ألفاً . . . ألفاً »

ذكر سنة سبع وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة[1] أذرع فقط . مبلغ الزيادة سبعة عشرة ذراعاً وأربعة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين . وبنو بويه بحالهم .

والحاكمُ خليفةُ مصر .

وفيها أُضيف إلى القاضى أحمد بن < أبى > العوّام حكم الشام مع سائر الأعمال الحاكمية .

وفيها شدّد فى أمر النساء وعدم خروجهم[3] لا فى الليل ولا فى النهار ، ومَنَعَ الإسكاف عن عمل سائر ما فى أرجلهن .

وكان فى سنة أربع وأربع مئة قد أمر لا يتحدّثُ أحداً[4] فى علم النجوم . وأمر أن يُنفىٰ المنجّمون فى إقليم مصر . فاجتمعوا ووقفوا للقاضى ابن < أبى > العوّام . فتحدّث لهم ، فأُعفوا من النفى لا غير .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « خروجهن »

(٤) كذا ، والصواب « أحد »

ذكر سنة ثمان وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة[1] أذرع وعشرون إصبعاً . مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعا[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين . وبنو بويه بحالهم .

والحاكم (ص ١٧٦) خليفة مصر . والوزيرُ بها علىّ بن فلاح .

وفيها أمَرَ بهدمِ كنيسةِ قمامة ، وجميع الكنائس بمصر وأعمالها ، ونَهْبِ ما كان فيها من الآلات والمتاع .

وفيها أمَرَ أن لا تُقبَّل الأرضُ بين يديه ، وأن يجعل عوض ذلك : السّلام على أمير المؤمنين .

وفيها ظهر بدمياط سمكةٌ عظيمة لم يَرَ الناسُ أعظم منها فى طول الأعمار . قيل إنّ طولها مائتى وستون ذراع[3] ، وعرضها قريب من

(١) كذا ، والصواب « خمس »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعا »

(٣) كذا ، والصواب « مئتان وستون ذراعاً »

مئة ذراع . وكانت حمير الملح تدخل فى جوفها موسقةً فتفرّغ وتخرج موسقةً شحماً . وكان خمسةٌ من الرجال وقوف(١) فى تحفها مع عينها ، بأيديهم المجارف يجرفون الشحم ويناولونه قوم(٢) أُخر . وأقام أهل دِمْياط والبشْمور وبلاد أشموم والشرقيّة يأكلون من لحمها وشحمها أيامًا عديدة .

وفيها وقعت صاعقة بحصن فامِيَةَ فأحْرَقَتْ سائر مَنْ كان به إلاّ القليل منهم .

وفيها ولد رجلٌ خنثى من دبره بنتاً ميتة ، بمنية زفتى ، من عمل الغربية ، من ديار مصر ، وأُحضرتْ إلى الحاكم بالقاهرة ، والرجل الخنثى الذى ولدها . وكانت دون الشبر ، كاملةَ جميع الأعضاء . فأمر الحاكمُ بقتل الرجل الخنثى . فقُتل .

وكان الحاكمُ يركب حمارَه ويقفُ عند رجلٍ مراوحى بزقاق القناديل ، فيتحادثان طويلاً ، ولا يعلم أحدًا(٣) ما بينهما إلاّ الله تعالى ، ثم يدعه ويتوجّه إلى الجبل المقطّم فيغيب اليومَ واليومَيْن والجمعة ، ولا يُعلمُ أين يكون ثم يعود .

---

(١) كذا ، والصواب « وقوفا »

(٢) كذا والصواب « قوماً آخرين »

(٣) كذا ، والصواب « أحد »

ذكر سنة تسع وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة .

المـاء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع[(1)] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً[(2)] .

ما لُخِّصَ من الحوادث (ص ١٧٧)

الخليفةُ القادر بالله أمير المؤمنين . وبنو بويه بحالهم .

والحاكمُ خليفةُ مصر .

وفيها ركب الوزيرُ علىُّ بن فلاح من داره ، فلما صار فى قرب البرك التى تلى الخليج لقيـه فارسان متنكّران ، فطعنه أحدُهما برمحه وأرماه ، وهَرَبَا فلم يُدْرَكا . وعاد إلى داره مجروحاً ، فتوفى فى صبيحة يومه ، يوم الثلاثاء تاسع شوّال من هذه السنة .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وثمانى أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعا »

ثم وُلّى الأميرُ الظهيرُ صاعدُ بن عيسى بن نسطورس ، ولُقِّبَ قسيم الخلافة ، فقُتل فى رابع ذى الحجّة .

٣ ثم وُلّى الأمير شمسُ الملك مسعودُ بن طاهر الوزّان .

وفيها تعاظم الحاكم فى نفسه وادّعى ما تقدم من ذكره عندما صحبه الدرزى ، وقيل إنّه ذلك الرجل المراوحى المقدّم ذكره .

ذكر سنة عشرة[1] وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هـذه السنة :

الماء القديم ستة[2] أذرع وعشرون إصبعاً .

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع[3] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين . وبنو بويه الحكام .

والغالبُ فى هذه السنة على بغداد خاصّةً جلالُ الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بعد وفاة مشرّف الدولة ، و < على > باقى الأعمال كاليجار بن سلطان الدولة .

ومشرّفُ الدولة أبو علىّ الذى توفى هو الملكُ الذى وزر له أبو القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ ، بغير لقب الوزارة ولا بفارعة (كذا) الدرّاعة .

وفيها الحاكمُ خليفةُ مصر .

---

(١) كذا ، والصواب « عشر وأربع مئة »

(٢) كذا ، والصواب « ست أذرع »

(٣) كذا ، والصواب « تسع عشرة ذراعاً وثمانى أصابع »

ونزل جماعة من القصريّة وعبيد الشرآء ، والخاصّةُ من المغاربة فكسروا دكاكين البزّازين ونهبوا جميع ما فيها ، مع سوق النحاسين ، وأحرقوا قيسارية الخليع مع عدة دور (ص ١٧٨) . وخرج النساء مهتّكاتٍ إلى الجامع العتيق ولم يتعرض لهم[١] متعرض .

وفيها فى شعبان منها أمر الحاكم أن يُبنى جميع ما كان هُدم من كنائس النصارى ، وردَّ ما كان قد أخذ لهم من كنائسهم . وتنصّر جماعة ممن كان أسلم منهم .

وذكر ابن دِحْيَةَ فى « تاريخه » أن الحاكم لبس الصُّوف سبع سنين ، وامتنع من دخول الحمام . وأقام ثلاثَ سنين فى ضوء الشمع ليلاً ونهاراً يعبد المرّيخ سِرًّا وجهراً ، ثم رجع إلى عبادة زُحَل . وكانت أحواله نَكِرَةً متناقضةً لا يعبّرها القياس . والله أعلم .

---

(١) كذا ، بدلا من « لمن »

ذكر سنة إحدى عشرة وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثمانية أذرع وخمسة أصابع[1] . مبلغُ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين . وبنو بُوَيْه بحالهم .

وفيها كانت غيبةُ الحاكم فى الرابع عشر من شوال من هذه السنة .

وقال صاحب « تاريخ القيروان » : إن الحاكم خرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوّال — وهو الصحيح فى تاريخ ذكر غيبته — يطوفُ على حماره كجرْيِ عادته ، وأصبح عند قبر الفقّاعى ، ثم توجّه إلى شرقى حلوان ، ومعه ركابيّان عاد أحدهما ومعه تسعةُ نَفَرٍ من عرب السويديين إلى بيت المال ، فأمر لهم بجائزة ، ثم حضر الركابى الآخر

(١) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع وخمس أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وثلاث أصابع »

وذكر أنّه تركه عند المقصبة(١) والقبر ، وأنه أمره بالانصراف . وصار الناسُ يخرجون فى كلِّ يومٍ مع الموكب ينتظرونه يرجع . فلما كان يوم الأحد ثالث ذى القعدة خرج صاحبُ المظلّة ونسيم الخادم وابنُ يشكن التركى (ص ١٧٩) صاحبُ الرمح وجماعة من الأتراك والقاضى ابنُ <أبى> العوّام فلم يزالوا حتى بلغوا دَيْرَ القَصِير وأمعنوا فى الجبل ، فرأوا حمارَه على بُعْدٍ ، فأتوه فوجدوه وقد ضُرِبَتْ يداه بسيفٍ ، ثم وجدوا جِباب الحاكم فى البركة التى هناك ، ونظروا فى الأرض إلى أثرِ رجُلَيْن أحدُهما أمام الحمار والآخر خلفه ، ثم تَتَبّعوا آثار الأرجلِ إلى البركة ونزلوها ، فوجدوا جِبابَه ، وهى أربعُ جبابٍ من صوفٍ مزرّرة لم تُفَكّ أزرارُها ، وفيها آثار السكاكين . فتيقّنوا أنه قُتِلَ لا محالة .

قلت : ورأيتُ فى مُسَوّداتى أنّ الذى تسبّب فى قتله أختُه ستُّ الملك . وكانت ذات أدبٍ وعقلٍ ودينٍ وعقيدةٍ حسنةٍ فى الإسلام ، على غير ما كانوا عليه أهاليها(٢) ، وكانت كثيرة الصلاةِ والصومِ وتلاوةِ القُرآن والبرِّ والصدقةِ على المساكين . فلما اشتهر لها أمرُ الحاكم بدعواه الملعونة أنكرت عليه ذلك ونصحته . فقال لها : ويلك يا فاجرة !

---

(١) فى تاريخ ابن إياس ١ : ٥٧ « القصبة » ويقصد وسط القرافة . (انظر النجوم الزاهرة ٤ : ١٩٠)

(٢) كذا ، والصواب « ما كان عليه أهلوها »

ما كفاك ما أنت عليه من صحبة الخدّام الذين تعوّضت بهم عن الرجال حتى تُدخلى نفسك فيما لا يُعنيك ؟ فوالله لأفوزنّ بقتلك .

فعلمت أنّه قاتلُها لا محالة . فجرّدت له عبدين اسمُ أحدهما فلاح ، والآخرُ رزين ، وكانا عندها كأولادها تربيةً ومحبّةً . ورتّبَتْ لهما ما يفعلاه(1) ، فأكمنا له فى ذلك المكان الذى كان كثيراً ما يتعهده ، فقتلاه كما ذُكر ، والله أعلم بأمره(2) .

وفى هذه السنة عُزل ابن الوزّان وولى الأمر بعده الأمير المظفر على ابن عمّار فى جُمادىٰ الآخرة .

ومن غريب حكايات الحاكم ما تضمّنه كتاب « حلّ الرموز فى علم الكنوز » وهو كتابٌ جليلُ القدرِ نادرُ الوقوع حسنُ الأخبارِ كثيرُ الفائدة ، (ص ١٨٠) منسوباً(3) إلى محمد بن عبد الرزاق بن عبد الأعلى القيروانى . ذكر فيه مصرَ وقِدَمَها فى العالم وما فيها من العجايب والحكم . وجمع فى هذا الكتاب أسماء أربعين كنزاً من كنوز مصر مما اتخذوا ذلك ملوكُ(4) القبط الأول بعد الطوفان ، وما فتح منها

---

(1) كذا ، والصواب « يفعلانه »

(2) انظر الروايات المختلفة فى قتله عند ابن تغرى بردى ٤ : ١٨٥ — ١٩٢

(3) كذا ، والصواب « منسوب »

(4) كذا ، والصواب « مما اتخذ ذلك ملوك »

وما لم يُفتح . وذَكر فى هذا الكتاب أشياء مِلاح(١) ، تصل إلى العقل وتقبلُها الطباع السالمة ، تدلّ على تمكّن صاحبها من علومٍ كثيرة . ورمز فى كتابه هذا رموزاً لا يصل إلى حلّها إلاّ كل ذهنٍ رائق وفكرة قادحة ، ولعلّ جميع ما ذكره صحيح والله أعلم .

فمن جملة ما ذكر أنّ هذه الكنوز مختصة بصُوَرٍ ، لا يفتح ذلك الكنز إلا تلك الصورة ولو اجتمع عليه أهلُ الأرض . فإذا حصل ذلك الشخص صاحبُ تلك الصورة إلى ذلك الكنز فُتح له من غير كدٍّ ولا تعبٍ . وذكر كلام كثير(٢) من الفلك وأحواله يؤيّدُ ما برهنَ عنه ، أضربتُ عن جميع ذلك ، إذ لا حاجة لنا فيه فى هذا التاريخ ، وليس المقصود إلاّ بما يتعلّق بذكر الحاكم العُبيدى وما فُتح فى زمانه من هذه الكنوز .

كنز الدُبّ

قال محمد بن عبد الرزاق فى كتابه المعرف « بحلّ الرموز فى علم الكنوز » : إنّه كان بمصر فى خلافة الحاكم العبيدى شخصٌ يُسمّى وردان جزاراً ، وكانت تأتيه فى كلّ يومٍ امرأةٌ حَسَنَةٌ فتُصَبّحه وتُعطيه

(١) كذا ، والصواب « ملاحاً »

(٢) كذا ، والصواب « كلاماً كثيراً »

دينارين ذهب عدد[1] ، وتأخذ منـه خروف[2] وتأمره أن يشقّه شقتين ، وتأتى بحمّالٍ يحملُه على قفصه وتنصرف . فأقامت على ذلك برهة من الزمان . فأفـكر ذات يوم وردانُ فى حال تلك المره[3] ، وكشف ذلكِ الذهب الذى اجتمع عنده منها فوجده بجميعه ضرب[4] عتيق لا يُفهم ما عليه . فاختلج فى باطنه منها أنها (ص ١٨١) واصلة لا محالة . فاجتمع بذلك الحمّال الذى يحمل معها الخروف وسأله عن أمرها . فقال : والله يا معلم ْبأرى[5] من هذه المرأة العجب ، وذلك أنها لما تحمّلنى من عندك الخروف اللحم تأتى بى إلى إنسانٍ راهبٍ بقصرِ الشمع فتُعطيه دينارين . وتأخذ منه مروقتين خمر ، وتُعطيه ديناراً آخر فيزن لها عشرين درهم[6] ، فتتحوّج بعشرة الدراهم < من > فاكهة ونقل وشمع وخبز قايل وحوايج طعام ما بين خضر وأبزار وحطب وتحمّلنى جميع ذلك إلى طرف بساتين الوزير من ناحيـة الجبل . فتشـدّ عينىَّ بعصابتين شـد جيد[7] وتقبض بيـدى وتمشى بى تقدير ساعة فلـكيّة فى حوادث وعرة ، وأضـع القفص على صخرةٍ

---

(١) كذا ، والصواب « ذهباً عدداً »

(٢) كذا ، والصواب « خروفا »

(٣) كذا ، وهى عامية « مرأة »

(٤) كذا ، والصواب « ضرباً عتيقاً »

(٥) كذا وهى عامية « أرى »

(٦) كذا ، والصواب « درهما »

(٧) كذا ، والصواب « شداً جيداً »

كبيرةٍ وآخذ من هناك قفص فارغ[١] ، وتعود بى إلى المكان < الذى > شدّتْ فيه عينىّ . فتحلّ العصايب وتعطينى العشرة الدراهم وتقولُ لى : لا تقطع رزقك بيدك . فلما سمع وردان ذلك تحقّق عنده أنها واصلة بلا خلاف . فقال للحمّال : يا أخى والله لقد صدقتك بالله ، لا تقطع رزقك بيدك ، فنحن بنِكْسَبْ عليها ما بنِغرَم . فأمسِكْ ما معك .

ثم إن وردان تجهّز لها إلى حين ما حضرت إليه وأخذت الخروف اللحم على عادتها وانصرفتْ . فأوقف وردان صبيّه مكانه وتبعها بحيث احترز كلّ الاحتراز من أن تشعر به إلى حيث قَضَتْ سائر حالها ، وخرجتْ من مصر وهو يتبعها محترزًا ، حتى إذا شدّت عينى الحمال وقادته وهو يتبعهما ، حتى وصلت به إلى تلك الصخرة . فتوارى وردان خلف صخرة أخرى حتى أوصلت الحمال إلى مكانه ، وعادت فنقلتْ جميع ما كان فى القفص وانقطع خبرها . فوثب وردان إلى (ص ١٨٢) تلك الصخرة التى كان عليها القفصُ فوجد إلى جانبها طابق[٢] بسرداب بدرج نازلة . فنزل فيهم[٣] إلى دهليزٍ مظلم ، وفى آخره ضوءٌ ظاهرٌ . فمشى حتى وصل إلى ذلك الضوء ، فوجد على يمينه بابَ قاعةٍ نيِّرةٍ ، مليحةٍ لا يُعلم من أين يأتيها ذلك النور . فجلس فى حَدّ الباب فى تلك الظلمة ينظر إلى صَدْرِ القاعة ، فإذا فى صدرِ القاعةِ دُبٌّ أسودُ كأنّه

---

(١) كذا ، والصواب « قفصاً فارغاً » (٢) كذا ، والصواب « طابقاً »
(٣) كذا ، والصواب « فيها »

بعيرٍ من عِظَم خلقه ، والمرأةُ قد أخذتْ شقة ذلك الخروف قطعتْ منها أطايبها تقدير أربعة أرطال ، وأرمت بقية الشقّة لذلك الدّبّ . فبرك عليها حتى أتى على آخرها ، وصار يكسر فى ذلك العظم بأنيابه كأنها أصاطير . ثم إن تلك المرأة علّقت قدرة وطبخت ذلك اللحم الذى قطعته من تلك الشقة التى أرمتها للدب ، بعدما علّقت الشقة الأخرى فى كُلاّب مُعَلّق تحت مكانٍ تلعبُ فيه الريح ، لا يُعلم من أين تأتى . فلما استوى طعامها غَرَفَتْه فى زبادى مينا لا يقدر على مثلها ، ثم أكلتْ كفايتها ورفعتْ الباقى ، ثم مدّتْ تلك الفاكهة والنقل ، وصبّتْ من ذلك الخمر فى أوانى بلّور مجزّع وجوهر تأخذ بالبصر ، ثم شربتْ وعادت تسقى ذلك الدبّ وهو يكرع كلّ ما تسقيه ، حتى أتت على المروقة الواحدة . فنهضت ونزعتْ سراويلها وانقلبت ، وقام إليها ذلك الدبّ ينكحها الواحد ثم يثب ويعاوذها ، ثم يثبْ ويعاوذها عدة عشرة على طلقٍ واحد ، وعاد له ولها شخيراً[1] حتى أقلب السكان ووقع من عليها كالميت ، وكذلك هى أيضاً .

قال وردان : ما قعادى ؟ ما هو إلا أن يستفيق هذا الدبّ ويرانى فيبضعنى بضعاً . فجذب من وسطه سكين[2] (ص ١٨٣) تبرى العظم قبل اللحم ، و< هو > جزار عارف بالدبيحة ، ومسك منحر الدّب ، وجرّ عليه السكين ، فخلّص رأسه عن بدنه ، فشخر الدبّ كالرأس البقر

(١) كذا ، والصواب « شخير » (٢) كذا ، والصواب « سكينة »

وأعظم . فاستيقظت المرأة على حسّ شخيره كالمجنونة ، فنظرت وردان قايم[١] على جثة الدبّ وفى يده السكين ، ونظرت الدب وقد زالت[٢] رأسه عن بدنه . فصرختْ صرخة كادت نفسها تفيض وقالت : وردان عملتها ولا بُدّ ؟ فقال لها وردان : يا عاهرة ! وما حملك على هذا الخراف ، فرغت الرجالُ من الدنيا ؟ فقالت : يا وردان هـذا هو المكتوب والكائن المقدّر . وقد انتهى أجلى فاذبحنى كما ذبحتَ هذا الدبّ ، فما بقى لى بعدها حياة فى الدنيا . فقال وردان : خافى الله عزّ وجلّ وتوبى إليه ، وأنا أتزوجك فى الحلال ونعيش بقية عمرنا فى هذا الكنز ، ويردّ الله عاقبتك إلى خير . فقالت : يا وردان لا تتعبْ واذبحنى ولا تطيل (كذا) ، فلو أنّ غيرك من ساير خلق الله تعالى لما قدر أن يصل إلى هاهنا ، ومتى لم تفعل ما أمرتك به أتلفتك ، وإن فعلت نجوتَ بنفسك وبجميع ما فى هذا الكنز .

فقاتُ : وما فى قدرتك أن تفعليه بى ؟ فنهضت إلى صحنٍ فى وسط المكان فيه قليل ماء . قال : فتكلمتْ عليه ، ففار الماء من ساير أجناب المكان ، وصار فى لحظة إلى الخلخال . فقالت : وردان أدركْ نفسك واذبحنى كما أمرتك وإلّا هلكتَ بالغرق .

فقال وردان : أمسكى أيتها المرأة فأنا فاعلٌ ما تأمرين .

---

(١) كذا . والصواب « قائماً »   (٢) كذا ؛ والصواب « زال »

قال : فتكلّمتْ فعاد المـاء إلى ما كان عليه . وقالت : هيـه وردان . افعل بى كما فعلت بالدبّ . فعندها مسكتُ بذوآئبها وذبحتُها وتركتُها إلى جانب الدُّب .

ثم إنه أخذ من ذلك الدرّ والجوهر والذهب طاقة (ص ١٨٤) حمله ، وجعله فى القفص الذى للحمّال ، وغطّاه بخلقانه ، وطلب الطريق . فلمّـا صار بباب مصر إذ وَثَبَ له عشرة حرسيّة وقالوا له : وردان لا تروّع ، بل أجِبْ الحاكم . وأحضروه إلى بين يدىْ الحاكم ، فلما رآه قال له : وردان ذَبَحْتَ الدبَّ والعاهرة ؟ فبُهِتَ وردانُ لذلك وقال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : أرينى قفصك . فنظره ثم غطّاه بما كان عليه ، وقال : يا وردان هذا القفصُ نصيبك لا يعارضكَ فيه معارض ، وإنما توجّه معى وسلّمنى الـكنز .

ثم إنه ركب حماره وتوجّه معه إلى الـكنز . فقال : يا أمير المؤمنين ! انزل لتراه وتنظر إلى هَوْل خلقة هـذا الدبّ . فقال الحاكم : هيهات يا وردان ! إنّك لا عدتَ تَنْظُرُ لا الدبّ ولا المرأة ، وهما كانا قربان هذا الـكنز حتى تَسَهّلَ عليك الأخذ منه ، وهو كان فتحُه على صورتك ، ولا يطيقُ ينزل له غيرك . انزل الآن واطلع لى بجميع ما فيـه ، ولا تتعرّضْ لصاحبِ السرير . قال وردان : فنزلتُ فلم أجد لا للدبّ ولا للمرأة أثراً ولا دماً .

ثم إنّ وردان نقل منه ما كان فيه من الذخاير والجواهر والأموال . فتسلّم جميع ذلك الحاكم ، ونقله إلى رصده المطلّ على بركة الحبوش ، وودعه هناك فى كنزٍ صنعه الحاكمُ ، وزبر عايه بحكمته ، وهو باقٍ بالمرصد ،
٣ والله أعلم .

ثم إنّه أعطى وردان ذلك القفص ، وأمر أن لا يعارضه فيه معارض . فبنى منه وردان جميع هذه الدكاكين المعروفة بسوق وردان
٦ بمصر . والله أعلم .

انتهى القول فى أخبار الحاكم . ولنُتبع ذلك بما قيل فيه من المدايح حسبما اشترطنا .

المدائح الحاكميات

حسين بن أحمد الواسطى : (ص ١٨٥) .

مَنْ مِثْلُكمْ يا آلَ طه أنتمُ   سببٌ إلى البركاتِ والغُفْرانِ
بكمُ عرفنا الله جلّ جلاله   وضمانكم للحقّ خيرُ ضمانِ

محمد القيسى يقول عند وفاة العزيز :

إنْ كان قد غابَ العزيزُ فلم يغبْ   حتى أقام لنا الإمامَ الحاكما
إن سارَ سارَ الفخرُ تحت ركابه   والعزُّ(١) يعزم إنْ رآهُ عازما
مَنْ لم يكنْ مُسْتَمْسِكاً بلوائه   وبحبّه فى الحشر أصبح نادما

وقوله :

تألّقَ برقُ الحقِّ فى سُحبِ الهدىٰ   فسحَّ علينا منهُ غَيْثاً وأمطرا
وأشرقتِ الأحكامُ بالحاكم الذى   به عادَ غُصْنُ الدّينِ ريّانَ أخْضَرا
تكلّمَ هـذا الدهر عنه بعَدْلِهِ   وأفصحَ بالقولِ الزمانُ وخَبرّا
وأصبحتِ الأيّامُ بيضاً نواضراً   وعاد غنيًّا كلُّ مَنْ كل مُقْتِرا

ووقف أبو القاسم الحسين بن على المغربى خطيباً بين يدى الحاكم فقال(٢) : السلامُ على أميرِ المؤمنين بقدر استحقاقه من ربّه لا بقدر مقالِ عبده ، ولا زالت الدنيا بعزّه حَاليةَ الأجياد ، والأعوامُ بسناء

---

(١) فى الهامش كتب « والدهر » بخط المؤلف

(٢) لم نجد نصّ هذه الخطبة فى مصدر آخر كى نعارضه به .

دولته مصقولةَ الأطراف ، حتى تعودَ الأعيادُ بين أيامه فى عموم المسرّة وإشراقِ نورِ الخلافة ، وحتى أقف بين يديه خطيباً بنعمة الله جلّ وعزّ فى إنجاز ما وعده من مُلْكِ المشرِقَيْن والمغربين ، وحتى أرى سيوف انتقامه تشكو الظماء وتتعلّل بالأمانى ، لا عدوًّا أبقتْ بتلهلها علقًا (؟) ، ولا عن باغٍ ذهلت ، رويتْ برويها دمًا صبيبًا . (كذا)

هذا الطاغى ملكُ الرومِ بقسطنطينيّة قد كان خرق إزار السِّلْمِ ، وهَتَكَ حجابَ الأمْنِ ، وأطلقَ مقالَ الحرب ، وظنّ أنّ ما أجرى من (ص ١٨٦) الحديد ، وصَوَّب من مجارى الجنود ، عاصمًا له من جند الله وملائكته المسوّمين ، وستراً على ما أنزله الله من الفتح المبين ، حتى ضَعْضَعَهُ زلزالُ الحرُوب ، وأذابتْه نارُ الوقايع ، فعاد يفتل حَبْلَ الهدنة ، ويمدّ إليك أمير المؤمنين كفَّ الرغبة ، فلمّا أفْرَشْتَهُ مراقد الإمهال ، وأسكنته تحت ظلِّ القرار ، عاد يستسرى ويمترى ، فهبّ يشعب قصد القنا ، ويستنّ فلول القضب ، فكيف بنبش الرسمِ وإحياء الموتى ، ألا وإنى أقول لكم يا قومنا معشرَ أنصارِ أمير المؤمنين . كما قال أخو خزاعة :

قاتلوا القــــومَ يا خزاعَ ولا يدخلـكم من قتالهم فَشَلُ

القــومُ أمثالـكم لهم شــعرٌ فى الرأسِ لا ينشرون إن قتلوا

﴿ قاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدينُ كلّه لله ﴾[١] ، ﴿ ولاتَهِنُوا فى ٱبْتِغَاءِ القَوْمِ إنْ تكونوا تَأْلَمُونَ فإنَّهُمْ يأْلَمُونَ كما تألمون وتَرْجُون من الله ما لا يرجون ﴾[٢] و ﴿ عَسَىٰ أنْ يكون رَدِفَ لكم بعضَ الذى تستعجلون[٣] ﴾ .

هلمّوا رحمكم الله ، هلمّوا نصركم الله ، هذا بابُ الزُّلفىٰ مفتوح ، هذا رواقُ الجنّة ممدود ، هذا أميرُ المؤمنين لكم أمير ، هذا جبريلُ وفئته لكم ظهيرٌ ونصير ، ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾[٤] ﴿ فإنّ حِزْبَ الله هم الغالبون ﴾[٥] وايْم الله يا أمير المؤمنين ، لو لم يكن لك إلا هيبتَك جندٌ ، وإلّا فرسَك معقلٌ ، وإلاّ ذا الفقار سلّة ، وإلاّ عدنتى (؟) لوائك ظلالٌ ، لدَمَغَهم سلطانُ الحق ، ورَشَقَتْهم سهامُ النصر ، والتقتْ عليهم خيلُ الله بالظفر ، ولكان الرعبُ فى القلوب خليفة سيفِك فى قصر الهامات ﴿ وإنّ لك موعداً لن تخلفه[٦] ﴾ و ﴿ إنّ نَصْرَ الله قريب ﴾[٧] .

---

(١) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١٩٣

(٢) سورة النساء ، ٤ ، الآية ١٠٤

(٣) سورة النمل ، ٢٧ ، الآية ٧٢ وأول الآية (قل عسى . . .)

(٤) سورة الحج ، ٢٢ ، الآية ٤٠ ، وتتمة الآية (إن الله لقوى عزيز) .

(٥) سورة المائدة ، ٥ ، من الآية ٥٦ . وأول الآية (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن . . .)

(٦) سورة طه ، ٢٠ ، من الآية ٩٧

(٧) سورة البقرة ٢ ، من الآية ٢١٤ ، وصوابها : (ألا إن نصر الله قريب)

ثم إنى يا أمير المؤمنين عبدُك (١٨٧ ص) ووليّك ابنُ أوليائك ، إن شئتَ كنتُ جمرةً تسعرُ فى صدُورهم ، أو سحابةً تفيض على القتال ، وأجلو عن بصائرهم بالمواعظ ، وأحلل عقدَ صدورِهم بسحر البيان ، وإنْ شِئْتَ فأقِمْنى بحضرةِ سريرِ عِزِّك خطيباً بِنِعَمِ الله عليك ، وناظماً بسيرة أيّامك ، وسِناناً تدْرَأُ به نَحْرَ كلّ خطيبٍ أشرق فى مُلكٍ غير مُلْكِك . فوالذى أقامك بالحقّ إماماً ، ما سرّنى بنظرةٍ نظرتُها إليك مِلء الأرض ذهبًا . ولئن كنتَ نِعْمَ الإمام ونعم الراعى ، لأنا بئسَ المؤتمّ وبئس الرعيّة ، وإنّى لأصْدَقُ الناسِ قولاً حيث أقول فيك يا أمير المؤمنين :

أعطيتنى كتابًا إلى رضوان حتى أجزنى بخـيرَ الجزَاء (؟)
وسَقَتْنى يداك من علل الـكو ثر كأسًا شَفَتْ غَليلَ ظمآئى
أتمنّى لو راسَلَتْك الأعادى ببليغٍ يوفى على البُلغـاء
لِترىٰ موقفى هنـاك وسَهْلٌ دون شأوى وواصلُ بن عطاء

وهذه الخطبة لم تُثْبت فى رسائل أبى القاسم إلّا أنها ثابتة فى سيرة الحاكم . والله أعلم .

ذكر خلافة الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم بأمر الله

وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو الحسن على بن منصور بن نِزار بن مَعَدّ ، وباقى نسبه تقدّم . ولد ثالث ساعة من ليلة الأربعاء لعشرٍ خَلَوْنَ من شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاث مئة .

أمّه أم ولد . . .

بويع له يوم عيدِ الأضحى سنة إحدى عشرة وأربع مئة وهى هذه السنة .

استوزرَ جماعة منهم : عمار الخطير ، وشمس الملك علىّ بن أحمد الجرْجرَائى وكان أقْطعَ اليدين من المرافق ، قطعَهُما الحاكمُ فى أيّام خلافته بسبب (ص ١٨٨) خيانة ظهرت عليه ، وكان يتولّى بعضَ الدواوين ، ثم وُلى بعد ذلك ديوان النفقات سنة تسع وأربع مئة ، ثم وزر للظاهر فى سنة ثمانى عشرة وأربع مئة .

وكان يكتب عنه العلاّمةَ القاضى أبو عبد الله القضاعى صاحب كتاب « الخطط المصرية » وكتاب « الشهاب » . وكانت علامتُه : « الحمدُ لله شكراً لنعمته » . واستعملَ الأمانة الزائدة التى لا نظير لها .

وفيه يقولُ جاسوس الفلك الشاعر :

---

(١) بياض فى الأصل مقدار كلمتين

يا أحمقًا اسمع وقــــل ... وَدَعِ الرقاعةَ والتحامق
أأقمتَ نفسك فى الثقاة ... وَهَبْكَ فيما قُلْتَ صادق
فمنَ الأمانةِ والتقى ... قُطِعَتْ يداكَ من المرافق

ووزر له أيضاً ابن أبى العوّام ، والقاسمُ بن عبدِ العزيز ، وعبد الحاكم ابن بقية .

وكان الظاهرُ ذو[1] سيرة حميدة وأفعالٍ مرضيّةٍ ، حَسَنَ المذهب ، عفيفاً تقيًّا . وكان جميع ذلك بتدبيرِ عمّته ست الملك له . وكان يجلسُ فى قصرها ويرجع فى سائر أموره إليها . وكانت من الخير إلى الغاية . رحمهما الله تعالى .

(١) كذا والصواب « ذا »

ذكر سنة اثنتى عشرة وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

المـاء القديم خمسة أذرعٍ وستة وعشرون إصبعاً[(١)] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع[(٢)] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنيـن . وبنو بُوَيْه بحالهم .

والظاهرُ خليفةُ مصر . وأخلع على خطير الملك للوزارة يوم السبت تاسع عشرين ربيع الأول . وقُتل يوم السبت لعشرٍ بقين من ذى القعدة . ونظر أبو الفتوح موسى بن الحسن . وقَتَلَ عبـدُ الرحيم بن إلياس نفسَه ، وكان (ص ١٨٩) وليّ عهد الحاكم .

وفيها رسم لابن عمّار عن أمير المومنين أن يوقع علامَتَه « الحمد لله ربّ العالمين »

وفيها كَسَرَ الحجرَ الأسودَ رجلٌ عجمى ، وقُتِل هو وجميع من كان معه ، ثم طُيِّبَ الحجرُ الأسودُ وأعيد مكانه .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وست عشرة إصبعاً » انظر النجوم الزاهرة ٤ : ٢٥٧

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وثلاث أصابع » وفى النجوم « ست عشرة ذراعاً وثلاث أصابع »

ذكر سنة ثلاث عشرة وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وعشرون إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعا[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين . وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفة مصر .

وفيها توفيت السيدة ستُّ الملك رحمها الله تعالى .

وفيها نظر القائد عزُّ الدولة فى العساكر . وقُتل موسى بن الحسن ، وولى الوساطة داود بن إسحاق .

وفيها قُتل عزيزُ الدولة صاحبُ حلب ، وتسلّمها سديدُ الدولة علىّ ابن أحمد ، وحصل صفىُّ الدولة فى البلد ، ويمينُ الدولة فى القلعة واستقرّوا كذلك .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثمانى عشرة إصبعاً »

ذكر سنة أربع عشرة وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وثمانية أصابع[1]

مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين . وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفة مصر .

وفيها نظر شمسُ الملك مسعودُ بن طاهر فى الوساطة ثانيةً . وتقلّد أبو القاسم بن عبد العزيز بن النعمان الدعوة . ونظر أبو عبد الله بن المدبّر فى ديوان الخراج .

قال ابن زولاق فى تاريخه : (ص ١٩٠) إن رجلاً من أهل الجزيرة الخضراء من أعمال الأندلس صادَ جاريةً من بنات البحر لم يكن لها نظيرٌ فى الحسن ، فكتفها وعاد ينكحها ، فولدت منهُ ولدًا لم يُرَ أحسن منه ، فوثق بها بعد ذلك ، وفكّ كتافها لمحبّته لها وإشفاقًا

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وثمانى أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « أربع عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً »

عليها . ثم إنّه أرَاد سفراً فلما أراد أن يعدّى إلى مدينة سبتة والجاريةُ بصحبته لشغفه بها ، وولدُها قد صار له من العمر أربع سنين ، فلما توسّط البحرَ احتملت الجارية الولدَ وقذفت نفسها فيه . فكاد أن يرمى بنفسه ورآءها لولم يمسكوه أهلُ[1] المركب ، وحزن عليها وعلى ولدها حزنًا شديداً . فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له الجاريةُ من من البحر ، ورَمَتْ إليه عدة صدفًا (كذا) فيه جوهرٌ نفيسٌ ، وسلّمتْ عليه بإصبعه (كذا) وغَطَسَتْ ، فكان آخر العهد بها وبولدها .

وفيها انقضّ كوكبًا عظيماً[2] له دوىّ كالرعد العاصف ، حتى وجلت منه القلوب .

---

(١) كذا ، والصواب « يمسكه أهل المركب »

(٢) كذا ، والصواب « كوكب عظيم »

ذكر سنة خمس عشر وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديمُ ذراعان وخمسة أصابع[١] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً فقط[٢] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين . وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفةُ مصر .

وفيها نهبتِ العربُ مدينة الرملة وأكثر الشام . وكان ذلك فى شهر رجب من هذه السنة .

وفيها مات باسل[٣] ملك الروم .

وفيها كانت فتنةٌ عظيمةٌ ببغداد بين الشيعة والسنّة ، وقُتل منهم خلق كثيرٌ . ومنعوا السنة للشيعة من النوح على الحسين عليه السلام ، كما كانت عادتهم ، حسبما تقدّم من ذكر ذلك فى السنين المتقدّمة .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً ... »

(٣) هو Basile II . انظر Brehier,

ذكر سنة ست عشرة وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة[1] أذرع وعشرون إصبعاً .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادر بالله أمير المؤمنين .

وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفة مِصر . وولى عميد الدولة الحسن بن على الوساطة .

وفيها أخذ سديد الدولة قلعة حلب ، وقتل عين الدولة الصقلى ، واستقلّ سديدُ الدولة بملك حلب .

وفيها أكل الفار زرع مصر حتى أتى عليه .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

ذكر سنة سبع عشرة وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وأربعة عشر إصبعاً[١] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة أصابع[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين .

وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفةُ مصر . ووَزَرَ [أبو] الحسن <علىّ> بن صالح الرُّوذبارى .

وحَجّ بالناس فى هذه السنة ابن الجَفّال بغير زيارةٍ حصلت للناس .

وفيها حصل لأهل واحات جدرىٌّ عظيم ، فمات به خلق كثير من أهلها .

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا »

(٢) كذا والصواب « ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع »

ذكر سنة ثمانى عشرة وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع[1] وعشرون إصبعاً .

مبلغُ الزيادة ستة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أميرُ المؤمنين... وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ (ص ١٩٢) خليفةُ مصر . ونَظَرَ صفىُّ أمير المؤمنين ، وقُبض على خسنون بن صالح ، ونَظَرَ داوذ بن إسحاق فى ديوان الخراج .

وتوفى قاضى القضاة أبو العباس بن العوّام ، وتقلّد القضاء قاسمُ بن عبد العزيز بن النعمان مع الدعوة ، وذلك فى جُمادى الأولى .

وصرِف أبو الحسن على بن صالح الروذبارى ، وولى الأمر بالوزارة صفىُّ أمير المؤمنين ، وهو أبو القاسم علىّ بن أحمد الجرجرائى الأقطع من المَرَافِق المقدم ذكره .

وقيل فى هذه السنة كان دخول أبو طاهر جلال الدولة بن بويه

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعا »

بغداد وتغلّبه على الأمر بعد وفاة شرف الدولة . وكان حكم جلال الدولة فى بغداد خاصةً ، و <فى> باقى الأعمال أبا[1] كاليجار بن سلطان الدولة ابن عضد الدولة بن بويه .

وفيها توفى أبو القاسم المغربى صاحبُ الرسائل ، وتلك الخطبة ، المقدم ذكره فى خلافة الحاكم رحمة الله تعالى .

(١) كذا ، والصواب « أبو »

ذكر سنة تسع عشرة وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديم سبعة[1] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع[2] .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ القادر بالله أمير المؤمنين . و بنو بويه بحالهم . والظاهرُ خليفة مصر .

وكان قد وُلّى حلب مرتضى الدولة لؤلؤ الجراحى غلام أبى الفضائل الحمدانى نيابةً من قِبل الظاهر بن الحاكم . فغلب عليه فى هذه السنة صالح بن مرداس الكلابى وانتزع حلب من يده ، وهو أولُ ملوكِ بنى مرداس .

وتغلّب أيضاً حسّان بن مفرّج بن دغفل البدوى ، وهو يومئذ صاحب الرملة ، على أكثر بلاد الشام ، وتَضَعْضَعَتْ دولةُ الظاهر ، وجَرَتْ أمورٌ يطُول شرحُها .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

وفيها ولد المستنصر (ص ١٩٣) بن الظاهر .

وفيها مات عيسى بن علىّ النحوىّ .

وفيها صُرف قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء ، وولِيه أبو الفتح عبد الحاكم بن سعيد الفارِقى ، وهو أخو مالك بن سعيد الذى قتله الحاكم فى أيام خلافته .

وفيها خرج قائد الجيوش لطرد العرب عن الشام وصحبته أبو نصر الفلاحى ناظر الأموال .

ذكر سنة عشرين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

٣ الماء القديم أربعة[1] أذرع وعشرون إصبعاً .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً فقط[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

٦ الخليفة القادرُ بالله أمير المؤمنين . وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفةُ مِصر .

وفيها غرق جماعةٌ من أهل مِصر على الجسر ليلة الغطاس .

٩ وفيها وصل أسارَى من صيدًا ، فقتل منهم أربعة نفرٍ وصلبوا .

وفيها قُتل صالح بن مرداس الكلابى ووصلت[3] رأسه إلى القاهرة وطيف بها على عودٍ .

١٢ وفيها زلزلت دمشق زلزالاً شديدًا حتى خرب ما يزيد على نصفها ، وهلك تحت الردم خلقٌ كثير .

وقيل فى هذه وُلد المستنصر بن الظاهر . والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً »

(٣) كذا ، والصواب « ووصل . . وطيف به »

ذكر سنة إحدى وعشرين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وثلاثة وعشرون إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة وأصابع[2] .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين .

وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ (ص ١٩٤) خليفةُ مِصر . ومدبرى[3] دولته على ما تقدم من ذكرهم .

وفيها كانت فتنةٌ عظيمةٌ ببغداد بين الشيعة والسنة . وسببُ ذلك أنّ الشيعة أرادوا يوم عاشوراء قيام النوح على الحسين عليه السّلام ، كجارى عادتهم ، فمنعوهم السُّنّةُ . فوقعت الفتنةُ بينهم . وكذلك بين الهاشمين[4] والأتراك ، ورفعوا الهاشمين[5] المصاحف على رؤس الرماح ،

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وثلاث عشرون إصبعا »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وست أصابع

(٣) كذا ، والصواب « ومدبرو »

(٤) كذا ، والصواب « الهاشميين »

(٥) كذا ، والصواب « رفع الهاشميون »

ورفعوا الأتراك[1] الصلبان على الرماح . وكانت الفتنة أوّلا بين أهل باب الكرخ وباب البصرة ، وانتصرت الأتراك لأهل باب البصرة وانتصرت الهاشمين[2] لأهل باب الكرخ ، وقتل بينهم جماعة ، وجرح خلقٌ كثير من الفئتين[3] .

وقال صاحب « تاريخ بغداد » : إن فى هـذه السنة بنى عينُ الدولة السلطان محمود ابن سبتكين[4] قنطرة على جيحون أصرف عليها ألفى ألف دينارٍ ، فكانت من عجائب الدنيا .

---

(١) كذا ، والصواب « ورفع الأتراك »

(٢) كذا ، والصواب « انتصر الأتراك . . . وانتصر الهاشميون . . . »

(٣) انظر عن هذه الحوادث المنظم لابن الجوزى ٨ : ٤٦ و ٥٠

(٤) كذا ، والصواب « سبكتكين »

ذكر سنة اثنين[1] وعشرين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

المـاء القديم ثلاثة أذرع وعشرين إصبعاً[2] .

مبلغُ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة أصابع[3] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين . إلى أن توفى فى هـذه السنة < فى > الحادى عشر من ذى الحجّة من هـذه السنة . وله ست وثمانون سنة وأشهر . وكانت خلافتُه إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهرٍ .

صفته : ربعةٌ ، حسنُ الوجه ، قصيرُ العنق ، أسمر اللون ، شجاعًا مقداماً ناهظاً[4] .

وزراؤه :

محمد بن أحمد الشيرازى ، ثم سعيد بن نصر ، ثم أبو العلاء سعيد النصرانى (ص ١٩٥) ، ثم على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان ، ثم ابنه أبو الفضل محمد ، ثم أبو طالب محمد بن أيوب .

نقش خاتمه : الحمدُ لله على كلّ حال .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين »

(٢) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وعشرون اصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وست أصابع »

(٤) كذا ، والصواب « شجاع ، مقدام ، ناهض » وفى النجوم الزاهرة أنه كان أبيض لا أسمر اللون ٤ : ٢٧٥

ذكر خلافة القائم بأمر الله بن القادر بالله

وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو جعفر عبد الله القائم بالله ابن أبى العباس أحمد القادر بالله ابن إسحاق المقتدر بالله . وباقى نسبه قد تقدّم .

أمّه أمُّ ولدٍ تُسمى بدر الدُّجىٰ .

بُويع له فى ذى الحجّة عند وفاة أبيه رحمه الله .

والملكُ يومئذٍ ببغداد جلالُ الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ابن بُوَيْه الديْلمى .

ولم يزل القائمُ بالله خليفةً أربعة[1] وأربعين سنة ، وثمانية أشهرٍ ، وتوفى فى تاريخ ما يأتى من ذكره فى تاريخه .

وهو الذى أخرجه البَساسيرى حسبما يأتى من ذكره ملخّصاً إن شاء الله تعالىٰ .

وكان للقادرِ ولدٌ يُسمّىٰ ذخيرةُ الدين أبو العباس محمد ، وقيل أبى القاسم[2] محمد ، وهو الصحيح . وكان يُدعىٰ له مع أبيه على المنابر . فتوفى فى حياة أبيه ، فدُعِيَ لأبى جعفر عبد الله . وكان

---

(١) كذا ، والصواب « أربعاً »   (٢) كذا ، والصواب « أبو القاسم »

حَسَنَ السيرةِ ، جميلَ الأوصاف ، مجتهداً فى إصلاح الدين ، وكان فاضلاً عالماً أديباً شاعراً ، فمن شعره مَا ذكره صاحب كتاب دمية القصر » :

القَلْبُ من خمر التصَابى منتشى   من ذا عذيرى من شرابٍ مُعطشِ
والنفسُ من أسرِ الغرامِ قتيلةٌ   ولكم قتيلٍ فى الهوى لم ينعشِ
جُمِعَتْ علىَّ من الغرام عجايبٌ   خَلّفْنَ قلبى فى إسارٍ موحشِ
خِلٌّ يصدّ وعاذِلٌ متنصّحٌ   ومُنازعٌ فَدْمٌ ونَمَّامٌ يشى

ودُعِىَ له بأفريقية ، أقام بدعوته بها المعزُّ بن باديس الصنهاجى .

وكان المعزُّ أبو تميم لما توجّه إلى الديار المصريّة ، استخلف على أفريقية والقيروان باديسَ بن يعقوب الصنهاجى . فأقام باديس بدعوة المعزِّ أبى تميم طولَ حياته . ثم توفى وولّى ولدُه المعزُّ بن باديس ، فرفض دعوة الفاطميّين ، وأقام الدعوة للعباسيّين ، وخطب ودعا للإمام القائمِ بأمر الله أميرِ المؤمنين أبى جعفر عبدِ الله بن أحمد القادرِ بالله خليفة بغداد . وكتب القائمُ بالله إلى المعزِّ بن باديس من مدينة السلام يأمره بذلك . فكان يُدْعىٰ بأفريقية للقائم بالله أمير المؤمنين ، ثم يُدْعىٰ للمعزِّ بن باديس بعده . واستقرّتْ الدعوةُ لبنى العباس بأفريقية كما كانت أوّلاً ، ولم تَزَلْ كذلك حتى خرج بالمغرب محمد بن تومرت الملقّبُ بالمهدى ، فقطع الدعوةَ عن بنى العباس . ثم استخلف بعده

عَبْدَ المؤمن الآتى ذكره فى تاريخه إن شاء الله تعالى . وكان فى خلافة
المقتفى لأمر الله بن المسترشد بالله ، فقطع الدعوة البتّةَ عن بنى العبّاس
٣ ودعا لنفسه ، وتَسَمَّى بأميرِ المؤمنين ، واستقَرّ عبدُ المؤمن المذكور
خمسين سنة إلى سنة تسع وخمسين وخمس مئة ؛ حسبما يأتى من ذكره
إن شاء الله تعالى .

ذكر سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ أربعة[1] أذرع وعشرون إصبعا .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعًا وأربعة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه على ما هم عليه .

والظاهرُ خليفة مصر .

وفيها كان النوحُ على الحسين عليه السّلام على عادة أهلِ باب الكرخ .

وفيها تسلّمتِ الرومُ الرُّهَا .

وفيها توفى على بن هلال[3] المعروف بابن البواب الكاتب الذى لم يأت الزمان بمثله رحمه الله تعالى .

وكانت سنةً شديدةً على الناس من الغلاء والقحط .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

(٣) فى الأصل « بن خليل » وهو خطأ . وقد اختلف فى سنة وفاته ، والأرجح أنه توفى سنة ٤١٣ هـ . انظر ابن خلكان

ذكر سنة أربع وعشرين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

٣ الماءُ القديمُ أربعة أذرع وعشرة أصابع[١] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعًا وإصبعان[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

٦ الخليفةُ القائم بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفة مِصر .

وفيها ظهرت الدرزيّة بجبل السُّمّاقِ ، الذين أصلهم ذلك الرجل

٩ المراوحى الذى كان يقف عنده الحاكم المقدّم ذكره فى هذا الجزء . وكان قد جهزه الحاكمُ فى آخر أيّامه بالأموالِ والخزائن ونفذه إلى الجبال يدعو للحاكم ويُفْسِدُ عقولَ هؤلآء الأقوامِ من أهل الجبال ،

١٢ كونهم ضعيفين[٣] العقول ، بعيدين عن العلوم ، أولى طباعٍ قاسية لسكنهم الجبال < ك > قساوةِ الأحجارِ ، فتمكّن من عقولهم الفاسدة ، ولم يزل يدعوهم وهم ينجلبون إليه إلى هذه السنة فكان ظهورهم .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وعشر أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً »

(٣) كذا والصواب « ضعيفى »

ذكر سنة خمس وعشرين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً[١] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وواحد وعشرون إصبعاً[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفةُ مصر .

وفيها خَرَجَ سلجوق إلى ماوراء النهر وإلى بُخارى .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وخمس عشرة إصبعا »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا »

ذكر بنو سلجوق ونسبهم وبدو شأنهم

(ص ١٩٨) قال صاحبُ « تاريخ بغداد » : إنّ آل سلجوق تركان ينزلون الخراكىُ والبرارى من وراء النهر . فتزوج ساجوق ابنة رجلٍ من ملوك التركان يُقال له يكرخان وقيل طقزدكين وهو الصحيح فى اسمه . وكان الملك يومئذ ملك البــلاد محمود بن سبكتكين[1] فأفسد عليه سلجوق نظام ملـكه لما قوى أمره فى تلك الأراضى بمصاهرة طقزدكين ، وعاد فى عالم كثيرٍ من التركان شجعانٍ أبطالٍ . وإنّ سلجوق يرجع فى أصله إلى بيتِ ملكٍ يُقال إنّه من نسل الملوك الساسانيّة ملوك فارس .

هذا ما ذكره صاحبُ « تاريخ بغداد » ولم يبرهن على الأصل أكثر من هــذا الـكلام ، وسيأتى بيان صحة أنّ ساجوق من آل ساسان من وجهٍ آخر .

قال صاحبُ « تاريخ بغداد » : فلما قوىَ عزمُ سلجوق على أخذ البلاد وحرّكته الهمّةُ الملوكيّة وأفْسدَ نظامَ الملك على ابن سبكتكين[1] محمود ، قصده محمود بن سبكتكين[1] فتوفى ، وأدركته المنية قبل أن يلقى سلجوق بحرب ، ورجع الملك إلى مسعود بن محمود ، وكان صبيّ

---

(١) فى الأصل « سبتكين » وهو خطأ .

السنّ والرأى ، وكان ذلك كلّه لما يريده الله عزّ وجلّ من سعادةِ آل سلجوق ، وكانوا ينزلون فى أربعة آلاف خركاه ، وانتشا طغريل بك وهو < ابن > ميكائيل بن سلجوق والتزق إليه عالمٌ عظيم من التركمان وغـيرهم ، فنزل نيسابور وهو قاصد مسعود ، وتفلّلت جموع مسعود لما عَظُم سلطان طغريل بك . فهرب مسعود وأخلى البلادَ ، فتسلّمها طغريل بك من غير حربٍ ولا قتالٍ ، وملك خراسان ، وجلس على سريرِ المُلْكِ ، وذلك فى سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة حسبما يأتى من ذكرهم فى تاريخه إن شاء الله تعالى . فهذا طرفا كافياً(١) من بدوّ شأن هؤلآء القوم ، وسيأتى من ذكرهم فصلا جيداً(٢) من وجهٍ آخر إنْ شاء الله تعالى . (ص ١٩٩)

وفيها كانت وقعة سلجوق مع جيوش محمود ، وهى وقعة داغان المعروفة ، وانكسرتْ جيوشُ محمود بن سبكتكين(٣) ، ثم تجهّز بنفسه فأدركتْه منيّتُه حسبما ذكرناه ، وقوى سلطانُ سلجوق .

وفيها كان بالشام زلازل ، وانحطّ البحرُ ثلاث فراسخ ، فنزل الناسُ يلتقطون السمك فعاد البحر عليهم فغرّقهم ، وعاد لما كان عليه .

---

(١) كذا ، والصواب « طرف كاف »

(٢) كذا ، والصواب « فصل جيد »

(٣) ص « سبتكين » خطأ . والمعروف أن محمود بن سبكتكين توفى سنة ٤٢١ هـ . انظر المنتظم ٨ : ٥٢

ذكر سنة ست وعشرين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة[1] أذرع وعشرون إصبعاً .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائم بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفة مصر ، وولاةُ أموره على ما تقدّم من أمرهم .

وفيها توفى محمود بن سبكتكين[3] ، وجلس ولده مسعود ، وسنُّه ثلاث عشرة سنة[4] .

وفيها عَظمَ سلطانُ سلجوق ، وتكاثَفتْ جموعُه وقوى عزمه .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع »

(٢) كذا الصواب ست عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً »

(٣) ص « سبتكين » خطأ

(٤) فى النجوم الزاهرة ٤ : ٢٧٤ والمنتظم ٨ : ٥٢ أنه توفى سنة ٤٢١ ﻫ .

ذكر سنة سبع وعشرين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ستة أذرع[1] وعشرون إصبعاً .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائم بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بويه بحالهم .

والظاهرُ خليفةُ مصر إلى أن توفى هذه السنة ليلة الأحد النصف من شعبان ، وقيل من شوّال ، من هذه السنة .

وكانت خلافتُه خمس عشرة سنة وأَحَد عَشَرَ شهراً وخمسة أيامٍ . وعمره يومئذ إحدى وثلاثون سنة .

وزراؤه : عمار الخطير ، شمس الملوك على بن أحمد الجرجرائى الأقطع ، ابن أبى العوّام ، القاسم بن عبد العزيز بن النعمان ، عبد الحاكم ، والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً »

المدائحُ الظاهريّات

ابن أبى حُصَيْنَة :

ما[1] قصرُه المعمورُ إلاّ كعبة ويمينه ركنٌ لنا ومَقامُ
تُمْحىٰ ذنوبُ المذنبين إذا سَعَوْا من حوله وتُمَحّصُ الآثامُ
يا آلَ أحمد ثُبّتَتْ أقدامُكم وتزلزلتْ بعُداكُمُ الأقدامُ
لستم وغيركم سواء ، أنتمُ للدّينِ أرواحٌ وهُمْ أجسامُ
فجُزِيتُمُ خَيْرَ الجزاء فحُبُّنا لكمُ أمانٌ من اظّى ودِمَامْ

وقال محمد بن سُلطان بن حَيّوس[2] جامعاً بين التعزية عن الظاهر والتهنئة بالمستنصر :

وليس يعلو قَرَا الغَبْرَاء من أحَدٍ ولا[3] يكونُ لأضيافِ المنون قِرى

قلتُ : والمنونُ مما اختلف فيه ، فقومٌ يجعلونه جمعاً لا واحدَ له وقوم يجعلونه واحداً لا جمع له .

حوادثُ لم تُمَيِّزْ فى تَصرّفها مَنْ ضَيَّعَ الحزْمَ مِمَّنْ أكثرَ الحذَرَا
قَضَىٰ وما إنْ قَضى[4] من لذّةٍ وطراً وكم قَضَتْ منه آمالُ الورىٰ وَطرَا

---

(١) لم أجد هذه القصيدة فى ديوانه المطبوع بدمشق ، ١٩٥٦

(٢) انظر ديوان ابن حيوس ١ : ٢٨٤ . والقصيدة قيلت فى مدح أمير الجيوش الدزبرى وتهنئته بجلوس المستنصر وتعزيته بوفاة الظاهر

(٣) فى الديوان « حتى يكون » ص ٢٨٤

(٤) فى الديوان « حتى قضى ما قضى . . . » ص ٢٨٤

وراغبٍ[١] عن سريرِ الملك فَارَقَهُ ... فعَاضَهُ اللهُ من[٢] جنَّاته سُرُرَا

دَمْعٌ تَرَقْرَقَ فى الأجفانِ حين[٣] رَقَا ... ولو تأخَّرَتِ البُشْرىٰ إذاً لَجرَى

لو لم يكن لدموعِ العينِ عاقلةٌ ... لأطْلَقَ الحزنُ دَمْعاً طالَ ما أُسرَا ٣

فَلْيُرْغَمِ الدّهْرُ أنفاً إنَّ حادِثَهُ ... أرادنا بِسُهادٍ فاسْتَحَال كرىٰ

رَزِيَّةٌ جَلَبَتْ نُعمىٰ وزَنْدُ هُدى ... لم يَكْبُ إلاَّ كرجْعِ الطَّرْفِ ثُمَّ وَرَى

وصارمٌ حَمَتِ الدنيا مضاربُهُ ... ما قيل أُغْمِدَ حتى قيل قد شُهِرَا ٦

أئمةٌ لم يَغِبْ فينا[٤] لَهُمْ قَمَرٌ ... إلاَّ وأعْقَبَنا من سِنْخِهِ قمرَا

وإنَّ آلاءهم[٥] ما لا يُحيطُ بها ... وصفٌ ، على أنها تستَنْطِقُ الحجرَا

---

(١) فى الأصل « وراغباً » أثبتنا رواية الديوان

(٢) فى الديوان « فى »

(٣) فى الديوان « ثم رقا »

(٤) فى الديوان « عنا » ص ٢٨٥

(٥) فى الديوان « آلاءة » والخطاب للدزبرى

ذكر خلافة المستنصر بالله ابن الظاهر لإعزاز دين الله

وما لُخص من سيرته

هو أبو عبد الله معدّ[1] بن أبى الحسن علىّ الظاهر لإعزاز دين الله ، وباقى نسبه قد تقدم .

أمّه أمّ ولد تسمى . . .[2] .

ولد فى سنة عشرين وأربع مئة ، يوم الثلاثاء السادس عشر من جمادى الآخرة بالقاهرة المحروسة .

بويع له يوم الاثنين السابع عشر[3] من شعبان من هذه السنة . وله من العمر يوم ولى الأمر سبع سنين وأشهر[4] .

دبّر الملك فى بداية أمره الوزير أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى الأقطع المقدّم ذكره .

ثم استخدم من يأتى ذكره من الوزراء ، حتى استقدم أمير الجيوش حسبما يأتى من ذكره فى تاريخه .

---

(١) ص « محمد » وهو خطأ ، انظر النجوم ١ : ٥

(٢) بياض فى الأصل

(٣) فى النجوم ١ : ٥ « ولى الخلافة فى يوم الأحد منتصف شعبان . . . »

(٤) فى النجوم ١ : ٥ « سبع سنين وعشرين يوماً »

أقام المستنصر بالله خليفة ستين سنة وأربعة أشهرٍ ويومان . وجرت
فى أيامه أحوالٌ وأمورٌ ومكائد يأتى ذكرها فى سنيها .

وأقيمت له الدعوةُ ببغداد فى سنة إحدى وخمسين وأربع مئة ، ٢
وأُخْرِجَ الإمامُ القائمُ من بغداد فى نوبة البساسيرى ، كما يأتى من ذكر
ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر سنة ثمان وعشرين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وتسعة أصابع[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، والوزير مدبِّرُ الدولة أبو القاسم على ابن أحمد الجرجرائى ، وهو الذى أخذ البيعة للمستنصر ، وأقام بأموره فى مبتدأ أمره إلى أن وَزَرَ له بعده أبو البركات البابلى . (ص ٢٠٢)

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وثمانى عشر إصبعاً » . وفى النجوم ٥ : ٢٧ « أربع أذرع وثمانى عشرة إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً وتسع أصابع »

ذكر سنة تسع وعشرين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السّنة :

المـاء القديمُ أربعة أذرع وخمسة أصابع[١] .

مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً[٢] وعشرون إصبعاً .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفة مصر ، ووزيره الجرجرائى مدبّرُ دولته .

وفيها استولوا بنو[٣] سلجوق على خراسان ، وتوفى سلجوق وقام بأمر الملك ولده الأكبر ميكائيل < جدّ > طغريل بك الملك العادل . وجلس على كرسى مملكة خراسان ، وتفرّق إخوتُه بممالك البلاد ، وهرب مسعود بن محمود بن سبكتكين[٤] إلى غزنة .

وفى هذه السنة كان أول مملكة آل سلجوق .

وقيل بل كان جلوس طغريل بك على سرير مملكة خراسان فى سنة ثلاثين . وقيل فى سنة إحدى وثلاثين ، والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وخمس أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً . . . »

(٣) كذا ، والصواب « استولى بنو سلجوق »

(٤) ص « سبتكين » خطأ . وقد جعل ابن تغرى بردى هرب مسعود وظهور آل سلجوق فى العام القادم . نجوم ١ : ٢٩

ذكر سنة ثلاثين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وستة أصابع[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً[2] وعشرون إصبعاً .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، والوزيرُ بها الجرجرائى مدبِّرُ الممالك المصرية وما معها .

وقيل فيها جلس طغريل بك على سرير الملك بخراسان ، وعَظُمَ سلطانُه وقَوِىَ مُلْكُه وكَثُرَتْ جيوشُه ، وهادنوه سائر[3] الملوك المجاورة له ، وهَادَنَه وهاداه الخانُ الكبير ملكُ الترك ، ومَلَكَ فى هذه السنة عِدَّةَ ممالك من (ص ٢٠٣) الأعمال الخراسانيّة ، واتصل ملكه بطبرستان والجبل والكرج وغير ذلك .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وست أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً . . . »

(٣) كذا ، والصواب « وهادنه سائر »

ذكر سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة أذرع وعشرة أصابع[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُويْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، والوزيرُ الجرجرائى بحاله .

وفيها خُطِبَ لألب أرسلان السلجوقى على المنابر .

وفيها قدم على طغريل بك رُسُلُ الخان الكبيرِ وهديةٌ حسنة ، ومعهم رجلٌ بغير رأسٍ ولا عنق ، ووجهه فى صدره ، وعيناه كالسرج ، وفمه فى صدره ، وصحبته ترجمان يفهم كلامه . فأُوْقف بين يدى طغريل بك وسأله عن أصله ، فقال على لسان الترجمان : إنه من بلاد قراطاغ ، وإنه من قومٍ كثيرة ليس يحصى عددهم إلاَّ الله ، وإنّهم على شاطئ البحر المحيط ، وليس لهم ملكٌ ولا دينٌ يرجعون

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وعشر أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع »

إليه ، وإنهم كالوحشِ لا يعرفون شيئاً مما يعرفونه الآدميين[١] ، وهم من نسل يافث بن نوح .

ثم إنّ طغريل بك سأل من الرسول عن ذلك الشخص فقال : هؤلآء يسمون عندنا : باشى بق أُغْلى ؛ معناه ابن بلا رأس .

ويُحكىٰ أنّ أصلهم كان أبوهم ضُرِبتْ رقبته مظلوماً فى أول زمان فعاش<ت> جثته ولم يمت ، فكان يمشى ويروح ، وإذا جاع ظهر وريدُه بين كتفيه فيُعلم أنّه جاعٍ ، فيُطْعَمُ ويُسْقَىٰ . ثم إن بنوه[٢] جميعهم أتوا على هذه الصفة . وبين بلاد الخان وبلادهم سنتين[٣] جدّ فى أراضى (كذا) وجبالٍ وأوديةٍ ورمال (ص ٥٠٤) وإن الملك المحاذى لمملكة الخان الذى يقال له كُمش خان بن الطرخان الكبير سَيّر هديّةً إلى الخان وسَيّر هذا الرجل مع هديته للتعجب ، فَسَيَّره الخان إليك للتعجّب فى عظيم قدرة الخالق .

---

(١) كذا ، والصواب « يعرفه الآدميون »

(٢) كذا ، والصواب « بنيه »

(٣) كذا ، والصواب « سنتان »

ذكر سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة أذرع وعشرة أصابع[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً[2] وعشرون إصبعاً .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القائم بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفة مِصر ، والوزيرُ الجرجرائى مستمرًا .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بأرض القيروان ، ووصلت إلى إفريقية ، وخُسف ببعض قرىً بأرض القيروان ، وطلع من ذلك الخسف دخان عظيم متّصل بالعيان .

وفيها نزل ميكائيل ملك الروم[3] عن المُلْك ، وولّى درى[4] فى حديث طويل .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وعشر أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً »

(٣) هو المسمى ميخائيل الرابع Michel ١٧ . انظر : Brehier, p 242 .

(٤) كذا ، غير منقوطة فى الأصل . والذى خلف ميخائيل الرابع هو ميخائيل الخامس . انظر المصدر السابق .

ذكر سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع[1] وعشرون إصبعًا .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعا[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائم بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْهْ بحالهم .

والمستنصرُ خليفة مِصر ، وكان بمصر وباء توفى فيه جماعةٌ من الأشراف .

وظهر بالقرافة شىء لا يُعرف ما هو ، حتى قيل إنه القطرب واختطف جماعة من أولاد سكان القرافة ، وخافوه الناس[3] على أولادهم ، وَرَحَلَ مَنْ كان يسكن القرافة . وقيل إنّه كان ينحدر من الجبل المقطّم ، (ص ٢٠٥) وكثُرت فيه الأقوال .

وذُكر أن شخص[4] من أهل كبارِ مِصر يسمى حُميد الفوّال كان

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « خاف الناس »

(٤) كذا ، والصواب « شخصاً »

خرج من اطفيح على حمارةٍ له وتحته خرج فيه فولٌ قد أحضره معه للمعيشة . فأذّنتْ عليه المغرب عند حلوان ، فوجد امرأةً مُبَرْقعةً ملتفّةً بِرداء مسّاق (كذا) ، جالسةً على قارعة الطريق . فلما قرب منها كلّمتْهُ بكلامٍ ليّنٍ ، وقالت : إنى امرأة ضعيفةٌ وأرملة ، وعندى صغارٌ أيتام ، وخرجْتُ أستعطى لهم من قُرى اطفيح حتى لا أُعرف بمصر فإنى من بَيْتٍ ، وقد أعييت هاهنا ، وأمسى علىّ الليل وأخشى من وَلد زنا أو وَحشٍ يفترسُنى ، وأسألك أنْ تردفنى على دابتك إلى طرف مصر . فرَقّ لها الرجلُ وأردفها خلفه ، وهو لا ينظرُ إليها حياءً من الله عز وجلّ . فلم يشعر إلاّ ردابته تقمص من تحت . ثم إنها سقطت من تحته فنظرها فإذا بها قد أخرجتْ جوفها بمخالبها . فلما رآها الرجل كذلك لم يتمالك دون الهرب والنجاة بنفسه ، واشتغلت فى الدابة عنه . ولم يزل الرجلُ على وجهه إلى أن دخل مصر ، وهو لا يصدق بالنجاة . ثم بلغ خبره والى البلد فركب فى جَمْعٍ له والرجلُ صحبته ، وأتوا إلى المكان فوجدوا الدابة طريحةً والخرج الفول إلى جانبها وقد أُكِلَ جميعُ جوفها .

ثم إن الناس اختشوا ذلك ، وصنعوا الدروب على حارات مصر ، وأوثقوا أبوابهم ، ونفروا[1] أهل ضواحى مِصر .

ثم إنها عادت تتبع الموتى من الناس الطريّين فتنبش قبورهم وتمزّقُ أكفانهم وتأكل أجوافهم ، ويأتوا[2] أصحاب الميت فيجدون ميتهم

(١) كذا ، والصواب « ونفر أهل » (٢) كذا ، والصواب « يأتى »

منبوشاً موكولاً (كذا) على شفير قبره . فامتنعوا[1] الناسَ من الدفن بالقرافة لذلك ، وعاذوا يدفنون بصحراء الريدانية بظاهر باب النصر ، ولم يكن قبل (ص ٢٠٦) ذلك يُعرف هناك مقابر .

وكَثُرَتْ فى أحوال هذا الشيء الأحاديث والخرافات والأقاويل من ساير الناس أضربتُ عن كثيرٍ منه .

وهذا الكلام وقعت عليه من كتاب يسمى « تحفة القصر ، فى عجايب مصر » ، منسوباً إلى العاضد آخر الخلفاء الفاطميين ، وقعتُ عليه فى جملةٍ معه وهو محروق أكثره ، أظنه من كتب الخزانة التى احترقت ، وذُكر فيه من العجايب بمصر شيء كثير غير أن أكثرها مخرومة بالحريق . وهو كتابٌ حسنٌ بخطٍ منسوبٍ جيّد التذهيب ، وهو تأليف خليفةٍ مطّلع فاضل لا يجمع فيه غير ما ثبت عنده .

وذكر فيه العروس التى كانوا[2] أهل مصر يهدونها فى كل عامٍ للنيل ، وذلك فى الوقت الذى يرمون فيه إصبع الشهيد ، وأنْ لم يزل ذلك مستمرّاً عند القبط إلى حين ملكت المسلمين[3] . فكتب بذلك عمرو ابن العاص إلى الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فأنفذ الإمام عمر ورقة أو قال قطعة من أدم مكتوب فيها بخط يده أو قال بخط الإمام على بن أبى طالب كرّم الله وجهه .

---

(١) كذا ، والصواب « فامتنع » (٢) كذا ، والصواب « كان »

(٣) كذا ، والصواب « ملك المسلمون »

هكذا ذكر صاحب هذا الكتاب أن الورقة كانت قطعة من أدم بخط الإمام علىّ عليه السلام يقول فيها :

بسم الله الرّحمن الرحيم   أمّا بعد :

أيّها النيل المبارك ، إنْ كُنْتَ تجرى بأمر الله فاجْرِ لما أمرك الله ، نفع الله بك .

قال : ورُمِيَتْ هذه الورقة عوضاً عن تلك العروس التى كانوا يزينوها ويلبسوها[1] أفخر الملابس ويرمونها ، قال : فكان النيل فى تلك السنة أعمّ من كلّ نيل كان من قبله . فاستمر ذلك .

وذكر فى هذا الكتاب من عجايب مصر وكهنتها وسحرتها بصعيدها وبرابيها وعمايرها أشياء كثيرة ، أكثرها مخرومة (ص ٢٠٧) بالحريق الذى حصل فى الكتاب ، وآمل أنى أذكر بعض شىء فى هذا التاريخ من عجايب هذا الكتاب ممّا له أول وآخر بغير خرمٍ إن شاء الله تعالى .

على أنى قد ذكرت فى أول جزء من هذا التاريخ من أحوال مصر مَا فيه الكفاية ، لما تضمنه ذلك الجزء الأول من العجايب التى لم تقع لأحَدٍ من قبل من أرباب التواريخ ، وذلك لما كنت أيضاً وقعتُ عليه من الكتاب القبطى الذى وجدتُه بالدير الأبيض بالوجه القبلى واستنسختُ منه ما ضمنته لذلك الجزء ، والواقف عليه يعلم صحة الدعوى إذا لم ينظر بعين الهوى .

---

(١) كذا ، والصواب « يزينونها ويلبسونها »

ذكر سنة أربع وثلاثين وأربع مئة

النيل المبارك فى هــذه السنة :

الماء القديمُ خمسة أذرع وسبعة وعشرون إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة عشر إصْبَعاً[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصِرُ خليفة مِصر ، والوزير الجرجرائى بحاله ، وكذلك القاضى أبو الفتح عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقى .

وفيها فتح معزّ الدولة ثمال بن صالح بن مرداس حلب وملكها ، وهو الثانى من ملوكِ بنى مرداس بحلب .

وفيها ولد بصنعاء اليمن مولودٌ عن عشرين شهراً كأطولِ مايكون من المولودين ، وعيناه كالشرج وهلكت أمه .

وفيها كانت الزلزلةُ العظيمةُ بتوريز[3] فهدمت قلعتها وسورها ودورها ، وأُحصى عدة من هلك تحت الردم من الناس فكانوا نيف[4] وخمسين ألفا . وإنّ أميرها لبس السواد و< جلس على > المُسوح لعظم هــذه النازلة . ذكر ذلك صاحب « تاريخ بغداد » وعَدّها من النوازل العظام والنكت الغريبة والمصيبة العميمة (ص ٢٠٨) .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وسبع وعشرون إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « بتبريز » كما فى المنتظم لابن الجوزى ٨ : ١١٤ ، والنجوم ٥ : ٣٥

(٢) كذا ، والصواب « نيفاً »

ذكر سنة خمس وثلاثين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماءُ القديمُ ستة أذرع واثنان وعشرون إصبعاً[١] .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وستة أصابع[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مِصر ، والوزيرُ الجرجرائى بحاله .

وفيها دخلت الأتراك الموصل ولم يكن قبل ذلك دخلوها . فكان ذلك أول دخولهم .

ذكر سنة ست وثلاثين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماءُ القديمُ ثمانية أذرع وسبعة عشر[١] إصبعا .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرون إصبعاً[٢] .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع واثنتان وعشرون إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وست أصابع »

(١) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع وسبع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً . . . »

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .
٣ والمستنصرُ خليفةُ مِصر .

وفيها توفى الوزير الجرجرأئى المقدّم ذكره . وتولّى الوزارة تاج الرياسة أبو نصر صَدَقَة بن يوسف الفلاحى ، وكان يهوديا فهداه الله
٦ تعالى للإسلام ، والقاضى عبد الكريم بحاله .

وفيها ظهر بحمص رجل كذّاب وادّعى النبوة ، وأنه من ولد مُسَيْلمة الكذّاب . فقتله صاحبُ حمص وصَلَبه ، وقتل جماعة كانوا قد تبعوه
٩ على الضلالة :

ذكر سنة سبع وثلاثين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :
١٢ الماء القديم سبعة أذرعٍ وسبعة أصابع[١] .
مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعا عشرون إصبعًا[٢] .

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وسبع أصابع »
(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً . . »

ما لُخِّصَ من الحوادث (ص ٢٠٩)

الخليفةُ القائم بالله أمير المؤمنين . وبنو بويه بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مِصر ، وقُبِضَ على الوزير تاج الرياسة صدقة ثم قُتل .

وتولّى الوزارة بعده ظهير الأئمة أبو البركات الحسين بن عماد الدولة محمد ، وهو أخو الوزير الجرجرائى . فأقام إلى سنة إحدى وأربعين وأربع مئة كما يأتى .

ذكر سنتى ثمان وتسع وثلاثين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هاتَيْن السنتين :

الماءُ القديمُ لثمانٍ ستة أذرع وعشرة أصابع[١] . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وتسعة أصابع[٢] .

الماء القديم لتسعٍ سبعة أذرع وعشرة أصابع[٣] مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة أصابع[٤] .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع وعشر أصابع »

(١) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وتسع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « سبع أذرع وعشر أصابع » وفى النجوم « سبع أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً » ٥ : ٤٤

(٤) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع » . ولم يذكر المؤلف ما لخصه من الحوادث

ذكر سنة أربعين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديمُ أربعة أذرع وثلاثة وعشرون إصبعاً[١] . مبلغُ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً[٢] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين

وفيها دخل البَساسيرى بغداد[٣] وملكها من قبل المستنصر خليفة مصر ، وأمر بنهْبِ القصرِ ساعةً ، ثم كَفَّ عنه ، وأخرج الإمام القائم بالله راكباً على فرسٍ أدْهم ، وعليه حلّةٌ سوداء وعمامة سوداء . فنزل ووقف بين يدى البَساسيرى . ثم أمر بِقَتْلِ الوزيرِ وقاضى القضاة فقُتلا[٤] . وخُطب للمستنصر خليفة مِصر فى بغداد . وكان ذلك فى شهر رجب من هذه السنة فى حديث طويل جداً هذا ملخصه .

وقيل : إنما أقيمت دعوةُ المستنصر ببغداد فى سنة إحدى وخمسين وأربع مئة ، وهذا فرط كثير بين التاريخين ، والقريبُ من الصحيح أنّ ذلك كان فى هذه السنة والله أعلم . (ص ٢١٠)

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً »

(٣) ذكر ابن الجوزى هذه الحادثة فى سنة خمسين وأربع مئة ، وأن البساسيرى دخل بغداد فى عاشر ذى الحجة من هذه السنة . (المنتظم ٨ : ١٩٦) وكذا فى النجوم ٥ : ٦٢

(٤) يذكر ابن الجوزى أن قاضى القضاة ، وكان الدامغانى ، لم يقتل ، بل أفرج عنه . (المنتظم ٨ : ١٩٧)

ذكر سنة إحدى وأربعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة[١] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وتسعة أصابع[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مِصر . وقبض على الوزير أبى البركات فى شوّال . وكان قد كثر جورُه وظلمُه وعَسْفه ، وتسلّط على أخْذ أموال الناسِ بالجور والمصادرات .

وفيها صُرف القاضى أبو محمد القاسم ابن النعمان وتولّى القضاء مكانه أبو محمد الحسن بن على اليازورى ، ثمّ تولّى النظرَ والتدبير فى مصالح الدولة أبو الفضل صاعد بن مسعود .

وفيها كان مطرٌ بتمّوز فى القيظ وبردٌ ، ونزل مع المطر ضفادعُ ورَمْلٌ أصفرُ ، أقام كذلك يوم كامل[٣] ، وأكثر ما كان كذلك بدمشق .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وتسع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « يوماً كاملا »

ذكر سنة اثنين[1] وأربعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة[2] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة سبعة عشرة ذراعًا وستة عشرة إصبعًا[3] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفة مِصر .

وفى المحرّم من هذه السنه صُرِف أبو الفضل صاعد بن مسعود عن النظر .

ووزر أبو محمد الحسن بن على اليازورى القاضى ، وجُمِع له بين القضاء والوزارة .

وهـذا القاضى كان أبوه من أهل يازور ، وهى ضيعة من عمل الرملة ، فترقّى به الحالُ حتى ولى هاتيْن الرياستين ، (ص ٢١١) وكان

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين »

(٢) كذا ، والصواب « خمس أذرع »

(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعا »

فاضلاً ، لا يستبدّ برأيه ، ولا يأنفُ من مشاورة ثقاته . وكان إذا
ركب يغمض عينه الواحدة فقط لفرط حيائه . هكذا ذكر القاضى
ابن خلّكان[1] . وولى الوزارة فى السابع من المحرم من هذه السنة ، ٣
واستخلف ولده الأكبر فى الحكم ، وهو أبو الحسن محمد ، ولم يزل
أمره مستمرًا حتى قُبض عليه فى تاريخ ما يأتى من ذكره إن
شاء الله . ٦

(١) لم أجد ترجمته فى طبعة محيى الدين عبد الحميد من الوفيات . وهى فى ١ : ١٣٩
طبعة بولاق .

ذكر سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

٣ الماء القديم خمسة[١] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا . واثنا عشر إصبعاً [٢]

ما لُخِّصَ من الحوادث

٦ الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، والوزيرُ أبو محمد الحسن بن على اليازورى القاضى .

٩ وفيها فتح السلطان ركن الدين طغريل بك بن سلجوق إصبهان وكرمان ، واتصل سلطانُه بتلك الديار إلى ما وراء النهر وغيره .

ذكر سنة أربع وأربعين وأربع مئة

١٢ النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وأربعة عشر[٣] إصبعاً .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع[٤] .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا »

(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وخمس أصابع »

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفة مصر ، والوزيرُ القاضى اليازورى مستمرّا[1]

وفيها ولدت بغلةٌ بنابلس بغل[2] أبيضَ ومُهْرَةً ، وهما فى بطنٍ واحد . ذكر ذلك العاضد فى كتابه « تحفة القصر فى عجايب مصر » والله أعلم . (ص ٢١٢)

ذكر سنة خمس وأربعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة أذرع وأربعة عشر إصبعاً[3] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً فقط[4] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفة القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، والوزيرُ القاضى اليازورى مستمرا[1] على الحكم والوزارة .

---

(١) كذا ، والصواب « مستمرٌ »

(٢) كذا ، والصواب « بغلا »

(٣) كذا ، والصواب « خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً »

(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً . . . »

ذكر سنة ست وأربعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة[1] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو بُوَيْه بحالهم .

المستنصرُ خليفةُ مصر ، والوزيرُ القاضى اليازورى بحاله .

وفيها ظهر ناووسًا[3] بمدينة حمص ، وفيه ميتٌ ، وفى رأسه ضربة ويده على رأسه . فإذا رفعوا يده عن رأسه يقطر الدم من تلك الضربة ، وإذا أعادوا يده عليها انقطع الدم . فقال المسلمين[4] : هذا منا . وقال النصارى : هـذا منا . فحرّروا أمره فوجدوه من أصحابِ الإمامِ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . فأخذوه المسلمين[5] ليحفروا له

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « ناووس »

(٤) كذا ، والصواب « المسلمون »

(٥) كذا ، والصواب « فأخذه المسلمون »

ويدفنوه ويبنوا عليه مسجدًا ، فسرقوه النصارى[١] ورموه فى العاصى .

وفيها دخل السلطان ركنُ الدين طغريل بك ابن سلجوق بغداد[٢] وقَتَلَ الملك العزيز[٣] بن بويه الديلمى ، وهو آخر ملوك بنو بويه . وانقرضتْ دولتُهم حتى كأنهم ما كانوا ، واستولى على دار السلطنة ببغداد طُغْريل بك بن سَلْجوق ، وهو أوّلُ ملوك آل سَلْجوق (ص ٢١٣) ببغداد ، ثم استمرّ حكمهم على حكم الخلفاء بأعظم مما كانوا[٤] عليه بنو بويه .

---

(١) كذا ، والصواب « فسرقه النصارى »

(٢) فى المنتظم لابن الجوزى ٨ : ١٦٣ أن طغرلبك دخل بغداد فى رمضان سنة سبع وأربعين وأربع مئة . وكذا فى النجوم ٥ : ٥٧

(٣) الصحيح أن اسمه « الملك الرحيم » ويقول ابن الجوزى « واستأسره . . . وحمل إلى القلعة فاعتقل فيها اعتقالا جميلا » (المنتظم ٨ : ١٦٤)

(٤) كذا ، والصواب « كان »

ذكر عدّة الملوك من بنى بويه

الذين ملكوا بغداد

٣ فأولهم : مُعزُّ الدولة أبو الحسن أحمد بن بُوَيْه[١] .

الثانى : عزُّ الدولة أبو منصور بَخْتِيار ولده[٢] .

الثالث : عضد الدولة[٣] أبو شجاع فنّاخُسْرو بن ركن الدولة .

٦ ثم ولده صمصام الدولة أبو كاليجار[٤] .

الرابع : شرفُ الدولة أبو الفوارس شيرزيك ولد عضد الدولة أخوه . < صمصام الدولة >[٥]

٩ الخامس : بهاء الدولة أبو نصير فيروز خره أخوهما[٦] .

السادس : سلطان الدولة[٧] أبو شجاع فناخسرو بن بهاء الدولة .

---

(١) مات سنة ٣٥٦ هـ (نجوم ٤ : ١٤)

(٢) مات سنة ٣٦٧ هـ (نجوم ٤ : ١٣١)

(٣) مات سنة ٣٧٢ هـ (نجوم ٤ : ١٤٢)

(٤) كذا . وأسمه الصحيح صمصام الدولة المرزبان ، وكنيته أبو كاليجار بن عضد الدولة . انظر النجوم ٤ : ١٩٨ . وقد توفى سنة ٣٨٧ هـ .

(٥) توفى سنة ٣٧٩ هـ . (نجوم ٤ : ١٥٦)

(٦) بقى إلى سنة ٤٠٣ هـ (زامبور ص ٣٢٢)

(٧) توفى سنة ٤١٥ هـ (نجوم ٤ : ٢٦١)

السابع : جلال[١] الدولة أبو طاهر فيروز خره بن بهاء الدولة .

الثامن : [عماد الدولة] الملك أبو كاليجار[٢] [المرزبان] ابن سلطان الدولة .

التاسع : الملك الرحيم أبو نصر بن أبى كاليجار .

العاشر : شرف الدولة أبو على الملك العادل تغلبك .

الحادى عشر : الملك العزيز صمصام الدولة الموراني آخرهم وهو الذى قتله السلطان بركوب طغريل بك بن سلجوق حسبما ذكرناه والله أعلم[٣] .

---

(١) توفى سنة ٤٣٥ هـ . نجوم ٥ : ٣٧

(٢) توفى سنة ٤٤٠ هـ . (نجوم ٥ : ٤٦)

(٣) ذكر Zampaur البويهيين الذين حكموا بغداد بالترتيب التالى :

معز الدولة
عز الدولة أبو منصور بختيار
عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو
صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان
شرف الدولة أبو الفوارس
بهاء الدولة أبو نصر فيروز
سلطان الدولة أبو شجاع
مشرف الدولة أبو على الحسن
جلال الدولة أبو طاهر
عماد الدين أبو كاليجار المرزبان
الملك الرحيم أبو نصر خسروفيروز

ذكر سنة سبع وأربعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وستة عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفة القائم بالله أمير المؤمنين .

وسلطان بغداد طغريل بك بن سلحوق ، وجلس ألب أرسلان ابن سلجوق على تختِ الملك بخراسان .

ذكر سنة ثمان وأربعين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعا[3] ، مبلغ الزيادة سبعة عشر إصبعاً[4] .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وست عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « أربع أذرع وخمس عشرة إصبعاً »

(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً »

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وسلطانُ بغداد طغريل بك .

وفيها كان الوباء والقحطُ ببغداد والشآم ومصر وساير الدنيا ، حتى كانوا الناس[١] يأكلون الميتة . وهبط نيلُ مصر سريعًا قبل الانتفاع به ، وكان أول الغلاء العظيم بمصر كما يأتى من ذكره فى تاريخه . وكان مع الغلاء وباء عظيم لم يُعهد بمثله ، حتى كان يموت ببغداد فى كلّ يوم ما يزيدُ عن خمسين ألف نفسٍ . ثم ارتفع من الشرقِ ووقع بديار مصر ، كما يأتى من ذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر سنة تسع وأربعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة[٢] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعًا وثلاثة أصابع[٣]

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين . وسلطانُ بغداد طغريل بك بن سَلْجوق .

---

(١) كذا ، والصواب « كان الناس »

(٢) كذا ، والصواب « خمس »

(٣) كذا والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث أصابع »

وفيها بلغ الخبزُ ببغداد كلّ اثنى عشر رُغيفاً بدينارين ، واشتد بالناس الغلاء والقحط حتى كادوا الناس يفنوا[1] جميعًا .

٣ وفيها توفى أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان المَعَرِّى الشاعرُ صاحبُ كتاب « سقط الزند » ، وسيأتى ما استُطْرِفَ من شعره الداخل فى طبقتى المرقص والمطرب آخر هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

ذكر سنة خمسين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وسبعة أصابع[2] .

٩ مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعًا[3]

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سَلْجوق الحكام .

١٢ والمستنصرُ خليفة مصر ، وقُبض على الوزير القاضى اليازورى ونُفِىَ إلى مدينة تنّيس وقتل بها .

---

(١) كذا ، والصواب « حتى كاد الناس يفنون . . . »

(٢) كذا ، والصواب « خمس أذرع وسبع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً »

وفيها اشتدّ الغلاء بمصر وكَثُر الوباء ، وكان يموتُ فى كلّ يوم مما يُحصيه ديوان المواريث نحو العشرة آلاف خارجًا عمن لا يُعرف من صعاليك الناس . وبلغ القمحُ بثمان الدنانير عين[1] مصرية الأردُبّ المصرى ، وبلغ الشعيرُ والفول خمسة دنانير والحمص تسع الدنانير[2] .

ورُوِىَ أنّ بمصر درب[3] فيه عدة دور مساكن يُعرف بدرب طبق . وإنما يعرف بذلك لأنّه أبيع فى هذه السنة بطبقٍ من خبز ، والدور التى فيه تُساوى ألوف[4] عدة ، وبمصر أيضًا دارا[5] تسمّى دار رغيف ، أبيعت أيضا فى غلاء المستنصر ، وهو فى هذه السنة المذكورة ، برغيف خبزٍ ، وأكل الناسُ فى هذه الأيّام جلودَ الكتبِ ، وعاد الكلاب يدخلون (كذا) بيوت الناس فيأكلون (كذا) الولد قدّام أبوه[6] وأمه ، وليس فيهم من المنعة أن يمنعوه (كذا) عن ذلك .

وعاد الحَمَامُ والعصفورُ واليمام وما شاكل ذلك يتساقط ميتًا من الجوع ، ولا يجد ما يأكله . وإنّ المستنصرَ انحلّ أمره وضَعُفَ سلطانُه وتقهقرت دولتُه ، حتى إنه ترك القصر وخرج إلى الجامع

---

(١) كذا ، والصواب « بثمان دنانير عينًا »
(٢) كذا ، والصواب « تسعة دنانير »
(٣) كذا ، والصواب « دربًا »
(٤) كذا ، والصواب « ألوفًا »
(٥) كذا ، والصواب « دار »
(٦) كذا ، والصواب « أبيه »

فى المقصورة التى على يمين المدخل من باب الأعمدة .
الك حتى أتاه (ص ٢١٦) بدر الجمالى المستنصرى
يش ، وكان عبداً أرمنيًا اشتُرى بثلاثة عشر ديناراً ،
الأحوال إلى أن نُعِتَ بأمير الجيوش حسبما يأتى من
خوله مصر .

ة تولّى الوزارة بالديار المصرية عميد الخلافة عبد الله
المحرّم منها ، ثم صُرِفَ بعد مدّة شهرين وأربعة

لفرج محمد بن جعفر المغربى فى شهر ربيع الآخر .
ذه السنة القاضى أبو على أحمد بن عبد الحاكم فى
ر . ثم صرف فى تاسع ذى الحجة .
عبد الحاكم بن وهيب بن عبد الرحمان .
سيرى ودخل الموصل وخطب للمستنصر بها .

ذكر سنة إحدى وخمسين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هـذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع واثنا عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعًا[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين . وطغريل بك بن سلجوق سلطان بغداد والمشرق بكماله ، مع خراسان إلى ما وراء النهر ، إلى حَدِّ الصين الأعلى فى ممالـكهم .

والمستنصرُ خليفـةُ مصر ؛ والوزير [محمد] بن جعفر المغربى ، والقاضى بحاله .

وفيها قَصَدَ البَساسيرى بغداد ، وخرج إليه طغريل بك وضرب معه مصافًا وكسره وانهزم البَساسيرى .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع واثنتا عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً »

ذكر سنة اثنين[1] وخمسين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة : (ص ٢١٧)

الماء القديم خمسة أذرعٍ واثنان وعشرين إصبعاً[2]

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وتسعة أصابع[3] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وطغريل سلطان بغداد .

والمستنصرُ خليفة مصر . وصُرِف الوزيرُ ابنُ جعفر المغربىّ فى شهر رمضان . وكانت العادةُ أنّ الوزراء إذا صُرِفوا لم يَتَصَرّفوا بَعْدَ الوزارةِ فى عملٍ ولا خدمةٍ إلّا إنْ أعيد (كذا) إلى الوزارة . فاقترح هذا الوزير المغربى عند صَرْفه وسأل أنْ يولّى بَعْضَ الدواوين . فوُلِّيَ ديوانَ الإنشاء . ثم صارت عادةً فى استخدام الوزراء بَعْدَ الصرف . وسُئل عن سبب سؤاله فى توليته فقال : فعلتُ ذلك حَقْناً لدمى ودمِ جميع مَنْ سار هذا السير من الوزراء .

ثم تولّى الوزارة بعده أبو الفرج [عبد الله بن محمد] البابلىّ المقدّم ذكره .

وفى الحادى عشر من رجب صرف القاضى عبد الحاكم بن وهيب ، ووُلِّيَ القضاءَ مكانه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى .

وفيها كانت زلازل وخسف .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين »

(٢) كذا ، والصواب « خمس أذرع واثنتان وعشرون إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وتسع أصابع » .

ذكر سنة ثلاثٍ وخمسين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة .

الماء القديم ثلاثة أذرع وأربعة عشر إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادر بالله أمير المؤمنين ، وطغريل بك سلطان بغداد .

والمستنصرُ خليفة مصر ، وصُرِفَ الوزير البابلى .

وولى الوزارة بعده بالديار المصريّة عز الدين عبد الله بن يحيى ابن مدبّر ، وذلك فى شهر صفر من هذه السنة . ثم صُرِف فى شهر رمضان .

وولى (ص ٢١٨) الوزارة فخر الوزراء قاضى القضاة عبد الكريم ابن عبد الحاكم ابن سعيد الفارقى فى شهر رمضان المذكور .

وفيها توفى القاضى أبو عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى سادس ربيع الأول . وَولى القضاء أبو على أحمد بن عبد الحاكم فى الرابع والعشرين من الشهر المذكور .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثمانى عشرة إصبعاً »

ثم صُرِف فى الرابع من رجب ، وأعيد الحاكم بن وهيب ولايته الثانية .

ثم صُرف فى الحادى عشر من رمضان ، وأضيف الحكم فى القضاء إلى الوزير عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقى .

وفيها كسفت الشمس بعقدة الرأس ، وظهرت النجوم ، والله أعلم .

ذكر سنة أربع وخمسين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ أربعة أذرع وستة أصابع[١] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر[٢] ذراعاً فقط .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وطغريل بك سلطان بغداد .

والمستنصرُ خليفةُ مصر .

وفى المحرّمِ منها وُلى القضاء أبو على بن عبد الحاكم ولايته الثانية ، ثم صُرف فى الثانى والعشرين من صفر .

وولى بعده عبدُ الحاكم بن وهيب الولاية الثالثة ، فى شهر صفر

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وست أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً . . . »

ثم ولى الوزارة أبو على أحمد بن عبد الحاكم الذى كان قاضياً ، فأقام فيها سبعة عشر يومًا وعُزل .

وَولى الوزارة مكانه معزّ الدين أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة الملقب بذى الكفايتين ، فى الثانى من ربيع الأوّل . وكان فى وزارته وقعةُ القَصْرِ المعروفة بين العبيد والأتراك ، وكانت فتنةً عظيمة .

ثم صُرِفَ فى شعبان .

وولى الوزارةَ بعده جلالُ الملك أبو الفرج بن عبد الله البابلى وهى وزارته الثالثة . ثم طلب الإعفاء فأعفى .

وولى بعده (ص ٢١٩) الوزارة أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم ولم يزل إلى السنة الأخرى .

ذكر سنة خمس وخمسين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعًا[2] .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين ، وطغريل بك بن سلجوق بحاله .

والمستنصرُ خليفة مصر ، وصُرف الوزير ابن عبد الكريم .

وولى الوزارة تاج الرياسة أبو غالب عبد الظاهر بن فضل المعروف بابن العجمى ، وذلك فى جُمادى الأولى ، وصُرف بعد ثلاثة أشهر .

وولى بعده قاضى القضاة الحسن ابن القاضى ثقة الدولة المعروف بابن أبى ذكيّة فى شعبان ، وصُرف فى ذى الحجة .

وفيها صُرف القاضى ابن وهيب فى سادس عشر المحرّم .

وَولى وأعيد ابن عبد الكريم ، وهى الولاية الرابعة . ولم يزل إلى أن قُبض عليه فى السابع عشر من ربيع الأول .

ثم أُعيد عبدُ الحاكم بن وهيب ولايتَه الرابعة .

وفيها توفى السلطانُ ركن الدين طغريل بك بن سلجوق إلى رحمة الله تعالى . وكانت قد زُفت له ابنة الإمام القائم بالله ، وكانت وفاته بالرىّ .

وجلس بالمملكة السلجوقية ألب أرسلان بن سلجوق .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وخمس عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « تسع عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً »

ذكر سنة ست وخمسين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع واثنا عشر إصبعًا[1] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعًا وثلاثة أصابع[2] .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ القادر بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والمستنصر (ص ٢٢٠) خليفة مصر .

ووُلّى الوزارة ذخيرةُ المُلْك أبو المكارم أسعد ، وذلك فى صفر ، وصُرف فى ربيع الأوّل .

ثم أعيد إلى الوزارة أبو غالب بن العجمى ، وهى الوزارة الثانية ، فى الشهر المذكور . ثم صُرِفَ بعد ثلاثة أشهر .

وولى العميد علم الكفاة أبو على الحسين بن إبراهيم بن سهل التسترى . وكان يهوديًا فأسلم . فأقام فى الوزارة عشرة أيام واستعفى فأُعْفى .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع واثنتا عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث أصابع »

ثم ولى الوزارة محمد بن هبة الله الرغبانى بقية هـذه السنة . وجميعُ هـذه الأحوال مع فتنٍ وشرورٍ وعدمِ تدبيرٍ وانحلال أمر مصر ، فى أشدِّ ما يكون من سوء الحال ، وكلُّ مَنْ قوىَ على صاحبه أكَلَه ، ولا يجد من يشتكى إليـه ، حتى كثير من المساتير نُهبوا . وعادوا الناس[1] فى بيوتهم لا يخرجون إلا لضرورة قادحةٍ ، لعدم من يشار إليه ، هـذا مع غلاء الأسعار وعدم الجالب من سائر الأصناف ، وتأخرت التجّار ، وانقطع الـكارم .

---

(١) كذا ، والصواب « وعاد الناس »

ذكر سنة سبع وخمسين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ أربعة أذرع وأربعة عشر إصبعا[1] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعًا وعشرة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق الحكام .

والمستنصرُ خليفة مصر ، وعُزل الوزير الرغيانى المقدم ذكره ، وَولى الوزارةَ الأثيرُ كافى الكُفاة أبو الحسن علىّ بن الأنبارى .

وتزايد الأمرُ فى فسادِ الأحوال وقلّة الحُرمة جداً ، حتى إن ولاة الأعمال استبدّ كلٌّ أحدٍ بما فى يده ، ولا عاد يرجع بما يؤمر به من قبل الخلافة ، وانحلّ نظامُ الملك إلى الغاية القصوىٰ ، والرعايا تحت لطف الله عزّ وجلّ (ص ٢٢١)

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وأربع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وعشر أصابع »

ذكر سنة ثمان وخمسين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ ثلاثة أذرع وأربعة وعشرون إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعا[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو سَلْجوق الحكام .

والمستنصرُ خليفةُ مصر . وصُرف الأنبارى ، ووُلى الوزارة علم الدين أبو على الحسن الماشكى ، وذلك عند استحكام فساد الدولة . وقلّتِ الهيبةُ واختلّ النظامُ إلى الغاية . فأقام أيام[3] قلائلَ ثم صُرف .

وولى الوزارة بعده أبو شجاع محمد ابن فخر الملك أبى غالب محمد ابن الأشرف البغدادى . وكان قد وصل إلى مصر . فتقرّرتْ له الوزارةُ . وكان والدُه قد وزر لبهاء الدولة أبى نصر ابن عضد الدولة فناخسرو ابن بويه سلطان بغداد .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وأربع وعشرون إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « أياماً »

قلتُ : وهذا فخرُ المُلْكِ جَرَتْ له حكايةٌ مُسْتَطْرَفَةٌ أيام وزارته لبهاء الدولة المذكور ، وذلك أنه كان فاضلاً أديباً يحب المديح ويُجيزُ عليه . فقدم عليه أعْرَابىٌ من البادية وامتدحه بأبياتٍ ، فلم يلتفِتْ إليه فَخْرُ الملك ولا عَبِأَ به ، ولا أجازه بشىء .

وكان فى عصره ابن نُبَاتَه السعدى الشاعر المشهور وهو غير ابنْ نباتة صاحب الخطب البليغة .

قال راوى هذه الحكاية : وكان ابنُ نُباتة الشاعر المذكور ذو(١) نباهةٍ ورياسة ، وهو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد ابن نُباتة بضم النون التميمى السعدى . فلم يشعر وهو جالس على باب داره بين حَفَدَتِه وجلسائه إلاّ وذلك الأعرابى وبصحبته رسولٌ من جهة قاضى الحكم يطلب ابن نُباتة إلى مجلس الحكم ، أو يخرج من حق ذلك الأعرابى . فلما رآه ابن نباته لم يعرفه ، وتعجّبَ من ذلك ، فإنّه لم يكن قَطُّ رآه قبل تلك الساعة . فقال له : يا أخا العرب ! مالى ولك ؟ هل تعرفنى قط قبل اليوم ؟ هل علىّ من طَلَبٍ أو دَيْنٍ ؟

فقال الأعرابىُّ : أطالبُك أصلحك الله بضمانٍ لم تَفِ به . فقال : وما هو ؟ فقال ألستَ القائل :

لكل فتى قرينٌ حين يسمو　　وفَخْرُ المُلْكِ ليس له قَرِينُ

---

(١) كذا ، والصواب « ذا »

أَنِخْ بفنائه وَأَحْلِلْ عليــه على حُــكْمِ المُنَى وأنا الضمينُ

فقال ابن نُباته : بلى والله ، أنا القائلُ ذلك .

فقال الأعرابى : فإننى قطعتُ إليه من بادية أرضِ كذا ، وسرت كذا ليلة ، وامتدحتُه بكيت وكيت فلم يلتفتْ إلىّ ، ولا أجازنى بشىء . وأنتَ الضامنُ وعليك الغرامة .

قال : فأَعْجِبَ ابن نُباتة من الأعرابىّ ذلك . وقال : ارفع الرسولَ ولك الرضا . وركب لوقتــه بصحبة الأعرابى ، وأتى إلى نخر الملك وقَصّ عليه خبر الأعرابى فاستملحه ووصله فوق أمله .

قلتُ : نسختُ هذه الحـكاية من مجموع . وابن نُباتة هذا كان معاصِرَ سَيْفِ الدولة ابن حمدان . وهو من الشعراء المعدودين فى الطراز المُذْهَب من شعراء المئة الرابعة . وله فى سيف الدولة ابن حمدان نخب القصائد . فمن ذلك وقد أنعم عليه بفرس أدْهَم أَغَرّ مُحَجَّل فقال :

يا أيُّهــا الملك الذى أخلاقه من خلقه ورواؤه من رأيه
قد جاءنا الطرف الذى أهديتَه هاديه يعقد أرضَــــه بسمائه

ومنها ولعله معنى مُبْتكر :

فــكأنّما لطم الصــباحُ جبينَه فاقتصّ منه نخاض فى أحشائه
متمهّلاً والبرقُ من أسمــائه متبرقعًا والحسنُ من أكفائه
لا تعلقُ الألحاظُ فى أعطافه إلاّ إذا كفــكفت من غلوائه
ما كانت النيرانُ تمكن حرّها لو كانت النيرانُ بعضَ ذكائه

لا يكمل الطرف المحاسنَ كلّها   حتى يكون الطرفُ من أسرائه

ولعمرى لقد أجاد فى وصفه . وأحسن منه قولُ الآخر يصفُ فرسًا :

خير ما استطرف الفوارس طرف   كل طرف لحسنه مبهوتُ
هو فى الجوِّ عقاب وفى الأ   جبالِ وَعْلٌ وفى المعابر حوتُ

فوصفه بأعظم ما فى الأربعة حيوانات (كذا) .

وكلّ ذلك يقصر عن قول امرئ القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مُدْبِرٍ معًا   كجلمودِ صَخْرٍ حَطّه السيْلُ من عَلِ

وهذا من التغالى والإعنات الذى لا يمكن أن يكون أبداً لقوله معًا . فإنّ معًا تكون فى وقتٍ واحدٍ لا يفرق بينهم شيئا[1] . حتى لو كان بين الحالتين طرفة جفن لم يكن معًا ، فلذلك أنه لا يمكن ذلك . والله أعلم .

ذكر سنة تسع وخمسين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ستة[2] أذرع وعشرون إصبعاً .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة أصابع[3] .

(١) كذا ، والصواب « شىء »
(٢) كذا ، والصواب « ست أذرع »
(٣) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع »

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، وصُرف الوزير ابن نخر الملك البغدادى .

ووُلّى الوزارة بعده أبو الحسن ظاهر بن زبر من أهل طرابلس الشام ، وصل إلى مصر وخدم كاتباً فى ديوان الإنشاء . فتقرّرت له الوزارة فأقام أيّامًا وانصرف .

وولى بعده العادلُ شمسُ الأمم أبو عبد الله محمد (ص ٢٢٤) ابن أبى حامد التّنيسى . وصل إلى مصر زمن الفتن فاستقرّتْ له الوزارة يومًا وَاحداً ثم قُتِلَ .

وولى بعده عميدُ الخلافة أبو سعيد منصور المعروف بابن زنبور . فأقام فى الوزارة أيام[١] قلايل ، ثم طالبوه الجند[٢] بأرزاقهم فوعدهم وهرب مع اللواتين وبطل أمره .

ثم ولى بعده مكينُ الدولة أبو العلاء عبد الغنى نصر بن سعيد الضيف . ونظر فى الأمور وساطةً لا وزارة ، إلى أن وصل بدر الجمالى أمير الجيوش .

هذا والغلاء مستمرًّا[٣] ، والهيبةُ ساقطةٌ والنظامُ محلول .

(١) كذا ، والصواب « أياماً »

(٢) كذا ، والصواب « طالبه الجند »

(٣) كذا ، والصواب « مستمر »

ذكر سنتى ستين وإحدى وستين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هاتين السنتين :

الماء القديم لستين أربعة أذرع وثلاثة أصابع[1]

ملبغ الزيادة خمسة عشر ذراعاً وستة أصابع[2] .

الماء القديمُ لإحدى وستين ستة أذرع وأربعة وعشرون إصبعًا[3]

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعًا[4] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

فى سنة ستين وأربع مئة زلزلت فلسطين زلزلة عظيمة .

وتوفى أبو جعفر الطوسى فقيه الشيعة .

والغلاء مستمرًّا[5] بمصر وعدم التدبير موجود .

فى سنة إحدى وستين وأربع مئة كثر الوخمُ والوباء بمصر ، وعاد الطير المعروف بالرخم كثيراً جداً ، حتى عاد فى سائر دور مصر يُطْرَدُ فلا يبرح .

وعاد الناس يطلع فى حلوقهم صفة التخمة فيموتون بها . فقيل سنة الوخم والرخم والتخم . فنعوذُ بالله من أنظارها .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وثلاث أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً وست أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « ست أذرع وأربع وعشرون إصبعاً »

(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً و ثمانى عشرة إصبعاً »

(٥) كذا ، والصواب « مستمر »

ذكر سنة اثنين[1] وستين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وعشرة أصابع[2] .

مبلغُ الزيادة سبعة عشر[3] ذراعاً فقط (ص ٢٢٥)

< ما لُخِّص من الحوادث >

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين . وبنو سَلْجوق بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، وناظرُ الدولة أبو العلاء بحاله .

وفيها أُحْرِقَ جامعُ دمشق[4] . وفتحت الرومُ مَنْبِجَ ، وتسلّم اقسيس دمشق من المصريّين[5] .

وفيها أشار صاحب حلب بالخطبة لبنى العباس . فلّما كان يوم الجمعة خرج الخطيب والمؤذنون السواد عليهم ، فلما رأوهم[6] الناس

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين »

(٢) كذا ، والصواب « أربع أذرع وعشر أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً »

(٤) الصحيح أن حريق مسجد دمشق كان سنة ٤٦١ . انظر القلانسى ص ٩٦

(٥) ذكر القلانسى أن اتسز ضايق دمشق وواصل الغارات عليها سنة ٤٦٣ هـ . ولم يتسلمها إلا سنة ٤٦٨ هـ . (انظر القلانسى ص ٩٩ و ١٠٨) .

(٦) كذا ، والصواب « رآهم الناس »

ارتاعوا لذلك ، فإنّ عهدهم كان بعيداً من ذلك . فلما ذُكر الإمامُ القائمُ نفروا وخرجوا من الجامع بغير صلاة . فلما كان الجمعة الأخرى رتّب محمود [بن صالح] صاحبُ حلب جماعةً على أبواب الجامع ، وقال لهم : مَنْ خرج من الجامع ولم يُصَلِّ اقتلوه . ثم خطب الخطيبُ وصلّى الناسُ من تحت القهر .

ثم إنّ العامة تعاونوا وأخذوا حُصُرَ الجامع وقالوا : هــذه حُصُرُ عليٍّ بن أبي طالب فأحْضِروا لأبي بكر وعمر وعثمان حصر(١) . وأقام الناس مدة طويلة يُصَلّون على الأرض بغير حُصُرٍ ، والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « حصراً »

ذكر سنة ثلاث وستين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

المـاء القديمُ أربعة أذرعٍ وعشرة أصابع[١] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق الحـكام .

والمستنصِرُ خليفةُ مصر ، وناظرُ دولته أبو العلاء عبد الغنى بحاله .

فيها فتح تاج الدولة دمشـق[٣] . وفتحت الرومُ صِقِلية وأخذوها من المسلمين[٤] .

وفيها كانت الوقعةُ العظيمة بين السلطان ألْب أرْسـلان السلجوقى وبين ملك الروم[٥] .

وذلك أنّ ألْب أرسلان لمـا توجّه من همدان فتح أرجيش وقصد (ص ٢٢٦) منازكرد إلى ميّا فارقين . فنزل بتلّ بغداد .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وعشر أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث أصابع »

(٣) هذا خطأ . فإن تاج الدولة تتش تسلم دمشق سـنة ٤٧١ هـ (انظر القلانسى ص ١١٢) .

(٤) الصحيح أن الروم استولوا على صقلية سنة ١٠٦٣م الموافقة لسنة ٤٥٥هـ . انظر : Brehier, r 283

(٥) كان ملك الروم Romain Diogène . وهذه الوقعة تسمى معركة منازكرد . انظر Brehier, p. 281

وكان يومئذ مدبّرُ الممالك الحليفية الوزيرُ نظام الملك نصر بن مروان ، فخرج إليه وهو خائفٌ يترقّب . فلما حضر بين يديه قرّر عليه مئة ألف دينار يحملها وخلع عليه .

ثم إنّ نظام الملك أخرج للسلطان من الإقامات والتقادم والعلوفات شيء كثير(١) . وكان ذلك على ميّافارقين . فبلغ السلطان أنّ جميع ذلك إنما أخذه الوزيرُ نظامُ الملك من أموال الرعيّة . فردّ الجميع عليه ، وقال : ما لنا فى أموال الرعيّةِ من حاجة . وأمره بردّه على أصحابه ، فأعاده ، حتى قيل إنه رَدَّ على فلاحٍ بيضة كانت أُخذت منه .

ثم حمل نظام الملك الإقامات للسلطان من ماله وصُلب حاله .

ثم إنّ السلطان ألْب أرسلان فتح السويدا وحصون(٢) كثيرة إلى حَرّان ، ثم نزل على الرُّها ، ونَصَبَ المناجيق ، ورَدَمَ خندقها . فبذلوا له خمسين ألف دينار على أنْ يُعفيهم ، فكَفَّ عنهم ، ثم غدروا ولم يوفوا . ورحل السلطانُ طالباً للفرات ، وتقاعدتْ عنه العساكرُ الذين كانوا من العراقَيْن ، وهو عسكرُ عمِّهِ طغريل بك المقدَّم ذكره ، وخبثتْ نفوسُهم لأجل تأخيرِ أرزاقهم ، ونزل على الفُرات فى شرذمةٍ يسيرةٍ الخِصيّصين به من عسكره . فلم يحفل به محمود صاحبُ حلب ، ولا نزل إليه . فأضربت العساكر فى بلاد حلب تنهب ، ووصلوا إلى القريتين من عمل دمشق أيضاً . ثم نزل على حلب وحاصرها ، فأرسل

---

(١) كذا ، والصواب « شيئاً كثيراً »

(٢) كذا ، والصواب « حصوناً »

إليه محمودٌ يطالبُ الموادعةَ ، ووعده أن يدوس البساط . ثم إنّه خرج إليه فى الليل ووالدتُه معه ومَسَكَتْه بيده وقَدّمَتْه للسلطان ألب أرسلان الملك العادل . وقالت : يا خوند هـذا ولدى ومهجة فؤادى قد سلمته إليك افعل فيه (ص ٢٢٧) ما أحببت من جميل إحسانك . فرَقّ لها وأكرمها وطيّب قلب ولدها . وقال : خد والدتك وعود إلى مكانك ، واخرج من الغد لترى ما أفعله معك . فعاد من الغد . فأمر الوزير نظام الملك والحجّاب أن يتلقوه ، ودخل على السلطان فأكرمه وأجلسه وأخلع عليه بما يَليق بمثله ، وأنعم عليـه بالخيولِ بالمراكبِ الذهب ، ورَكّبه بالـكوسات والصناجق .

ثم وردتِ الأخبارُ على السلطان ألب أرسلان أنّ ملك الروم خرج فى جموعٍ عظيمـة ، وَورد إلى مَنْبِج وأرْجيش ومنازكرد . فرجع السلطانُ . وعدّا الفرات . وَبلغ ملك الروم أنّ السلطان فى عسكرٍ خفيف . فطمع فى لقائه . وَوصل الخبرُ إلى السلطان بمَا عزم عليه ملك الروم وطمعه فيه لقلّة جيوشه . وكان قد بقى فى أربعة آلاف فارس . فقال لوجوه عسكره : أنا صابرٌ فى هذه الغزاة صَبْرَ المحتسبين ، وصابرٌ إلى مصير المخاطرين . فإنْ سلمتُ فذلك ظنّى بالله تعالى ، وإن تكن الأُخْرىٰ فأنا أعهد إليكم أن تسمعوا وتطيعوا لولدى ملك شاه ، وتُقيموه مقامى . فقالوا : سمعنا وأطَعْنَا . وقصد الروم جريدة ، مع كلّ غلامٍ فرسٌ يركبه وآخر يجنبه . وسار بنيّةٍ خالصةٍ لا يخالطُها كَدَرٌ لغزاةِ المشركين وقدّم قدّامه أحَدَ حجّابه فى جماعةٍ من الجند . فصادف عند

أخلاط مقدمة الروم فى عشرة آلافٍ من الروم ، فالتقاهم ذلك الحاجبُ ، وكان فى ثمان مئة فارس . فنصره الله عزّ وجل على تلك الجموع بمعونة الله تعالى ، وأسر مقدّم الجيش وكان من الرءوس ، وأخذ صليبهم وأنفذ الجميع إلى السلطان . فسرّه ذلك وعلم أنها علامة النصر .

ووصل ملك الروم إلى منازكرد فى تلك الجموع العظيمة مما يزيد (ص ٢٢٨) عن مئة ألف فارس ، ومئة ألف جرخى ، وأربع مئة عجلة تجرّها ثمان مئة جاموسة ، عليها نعالٌ ومساميرُ برسم الخيول ، وألف عجلة أخرى عليها السلاحُ والمناجيقُ وآلات الحصار . وكان فى خزائنه ألف ألف دينار ، ومئة ألف ثوب إبريسم . وخرج فى نيّة أنه يطأ الأرض ويفتح مصر والشام . واقتطعها للبطارقة . وأوصى على بغداد وقال : لا يتعرّضْ أحـدٌ إلى دار الشيخ الصالح ، يعنى الخليفة ، فإنّه صديقُنا .

وكان قد اجتمع مع السلطان ألب أرسـلان تقديرُ عشرة آلافٍ من الأكراد والمجتمعة من سائر الناس . فلما كان نهار الجمعة قال السلطانُ وقد جمع وجوه أصحابه : إلى متى هذا التأخير ؟ أريد أن أطرح نفسى عليهم هذا اليوم وقت الصلاة الذى الناس جميعهم من المسلمين يدعون لنا بالنصر على المنابر . فإنْ نصرنا اللهُ عزّ وجلّ عليهم وإلاّ متنا شهداء . فمن أحبّ أن يتّبعنى فليتّبع ، ومَنْ أحبّ الحياة فلينصرف ولا عتبَ عليه . فما هاهنا اليوم سلطان ، وإنما أنا واحدٌ منكم .

فقالوا جميعهم : لا حياة لنا بعدك ، ومهما اخترته لنفسك اخترناه لأنفسنا .

فلما كان وقتُ الصلاة اصطفت العسكرين[١] . فعندها قام السلطانُ في سرجه ورمى القوس من يده ؛ وتناول لُتّ حديد . وفعل جميعُ أصحابه كفعله . وصاحَ . اللهُ أكبر فَتَحَ اللهُ ونَصر . وحمل على الروم حملةً صادقة ، وحملوا جميع[٢] أصحابه بقلوب موافقة ، فلم يقفوا الروم[٣] قُدّامهم ولا طرفة عين لتلك الحملة المنكرة . ونَصَر الله الإسلام وكسروا عَبَدَةَ الصلبان والأشخاص والأصنام ، وركبوا أكتافهم قتلاً وَأسرًا ، وتبعهم السلطانُ بقيّة يوم الجمعة مع ليلة السبت (ص ٣٢٩) وهو يقتل ويأسر ، فلم يَنْجُ منهم إلاّ القليل النادر . وغنم جميع ما كان معهم ، ورجع إلى مكانه . فدخل عليه بعض الأمراء الذى له وقال : إنّ أحَدَ مماليكى أسرَ ملكَ الرُّوم . وكان هـذا المملوكُ قد أُعْرِضَ على نظامِ الملك فاحتقره ولم يجيز[٤] عرضه وأسقطه ، وقال مستهزئًا به : لعلّه يأتينا بملك الروم ! فأسرَ اللهُ ملكَ الروم على يده لـكسرِ قلبه .

فأمر السلطانُ بعضَ الخدّام الذين عنده ممن كان يعرف ملك الروم أن يتوجّه ويكشف عن حقيقة أمره فلما رآه عَرَفه . فعاد إلى السلطان وأخبره بذلك . فأمر له بخيمةٍ فضربتْ له ، ووكل به من يحفظُه ،

---

(١) كذا ، والصواب « اصطف العسكران »

(٢) كذا ، والصواب « وحمل جميع أصحابه »

(٣) كذا ، والصواب « فلم يقف الروم »

(٤) كذا ، والصواب « لم يجز »

وأحضر السلطانُ الغلامَ الذى أسره وأخلع عليه وأعطاه وقَدَّمه ، وأقطعه غزنة ، وجعله من خاصّته .

ثم إنّ السلطان أحضر ملك الروم يرفل بقيوده . فرفسه برجله . ثم قال له : ما الذى تريدنى أفعلُ بك ؟ قال : إحدى من ثلاث : الأولى قتلى وإعدامى الحياة . والثانية إشهارى وسجنى ، والثالثة : لا فائدة من ذكرها فإنّك لا تفعلها . قال السلطانُ : وما على ؟ قال : تعفو عنى وتصطنعُنى وتتّخذنى خادماً ما بقيت من عمرى . فقال السلطان : إنى لم أنوِ إلاّ العفو عنك . فاشترِ الآن نفسك . فقال : يقولُ السلطان ما شاء . فقال : ألف ألف دينار . ثم استقرّ بينهما الحال على ما أحبّ السلطان وهو ألف ألف دينار ، وللهدنة ثلاث مئة ألف . وأن يُسَيِّر فى كُلّ سنةٍ عشرين ألف دينار ، وأن يتقدّم إلى عساكر الروم بجميع ما يحتاج إليه المسلمون من سائر ما فى بلاد الروم . ثم حلّ وثاقه وأخلع عليه ونصب له سرير[1] إلى جانب سريره . فقال ملك الروم : تَجَّلْ بإنفاذى (ص ٢٣٠) قبل أن تقيم الروم لهم ملكاً غيرى . فقال له السلطانُ : أريدُ أن تُعيد إلينا ما أخذتَه من بلادنا ، وهو الرُّهَا ومَنْبِج ، ومنازكرد ، وتُطْلِق سائر[2] أسير عندك من المسلمين . فقال : أمّا البلادُ فإذا وصلتُ سالماً إلى بلدى أنفذتُ بتسليمها إليكم . فإنّ الآن لا يسمعون منى . وأمّا أسارى المسلمين فإنى فكنت عاهدتُ

(١) الصواب (سريراً) (٢) لعله يريد «كل أسير»

الله عزّ وجل ونذرتُ من قبل أن تعفو عنى ، أنى متى ردّيت إلى بلادى سالماً أعتقتُ كلَّ أسيرٍ عندى . وأنا فاعل ذلك .

ثم إن السلطان ردّه إلى خيمته ، ورتّب له ما يصلح لمثله من سائر ما يحتاج إليه . ثم إنه اقترض عشرة آلاف دينارٍ وفرّقها على الحاشية . فلما كان بعد ثلاثة أيام أحضره السلطان وتلقاه وقام له قائماً وأجلسه على سريره الذى كان له وكُسِب منه ، وأخلع عليه ثانياً بأحسن من الأولى ، وعقد له رايةً بيضاء مكتوب عليها بالسواد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأنفذ معه حاجبين ومئة غلام ، مع سائر ما يحتاجُ إليه الملوكُ من الآلات ، وركب معه بنفسه وشيّعه مقدار فرسخ ، وتعانقا وتودّعا وسار إلى القسطنطينية .

ثم إنّ السلطان كتب إلى الخليفة الإمامِ القائم بالله أمير المؤمنين يشرح له جميع ما جرى . وزُيِّنَتْ بغدَادُ ، وعملوا القباب وكان فرحًا عاما عند سائر الناس بجميع الأقاليم .

وأمّا ملكُ الروم فإنّه وصل إلى بلاده سالمًا ، وأوفى بجميع ما أوعد به ، وزاد فى هداياه أضعاف ما كان فى الظنّ ، واستقرّ حال المسلمين معه طول أيام حياته .

ذكر سنتى أربع وخمس وستين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه[1] السنتين (ص ٢٣١) :

الماء القديم لسنة أربع : أربعة أذرع وعشرة أصابع[2] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابع[3] .

الماء القديم لسنة خمسٍ : ثلاثة أذرع وسبعة عشر إصبعاً[4] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وسبعة أصابع[5] .

الحوادث

الخليفة القائمُ بالله أميرُ المؤمنين مستمرًّا فيهما (كذا) وكذلك المستنصر .

وفى سنه أربع كان زيادةُ الماء بكلِّ أرضٍ ، حتى خيف منه ، وظن أنه طوفانًا[6] .

وقيل بل كان ذلك فى سنة ستٍّ التى غرقت فيها بغداد حسبما يأتى من ذكر ذلك فى سنة ست .

---

(١) كذا ، والصواب « هاتين »

(٢) كذا ، والصواب « أربع أذرع وعشر أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع »

(٤) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعاً »

(٥) كذا والصواب « ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع »

(٦) كذا ، والصواب « طوفان »

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القائمُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق الملوك بحالهم . والمستنصرُ خليفة مصر .

وفيها دخل أمير الجيوش إلى الديار المصرية . وهو أبو النجم بدر الجمالى المستنصرى ، وكان قبل ذلك بصُور (ص ٢٣٢) وعكّا نايباً عن الظاهر بن الحاكم . فعقد يوم وصوله مجلسا عظيماً عامًّا اجتمع فيه أكثر الناس فاستفتح قارئًا وقرأ ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ولقد نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾(1) وقطع الآية . فقال المستنصر : لو أتم الآية أمَرْتُ بضرب عنقه(2) .

وممّا يُعتد من مبادئ سعادة أمير الجيوش أنه حضر من بيروت فى البحر وأقلع منها فوصل منها إلى دمياط ثانى يوم ، وصحت له هذه الصحوة حتى ضُرِبَ بها المثل ، فقيل : صحوةُ أميرِ الجيوش . ونُعِتَ بالسيِّدِ الأجلِّ كافلِ أميرِ المؤمنين ، وهادى قضاة المسلمين ، وناصرِ دُعاة الدين ، أمتع اللهُ ببقائه أميرَ المؤمنين .

ثم إنّه دبر الأمور أحسن تدبير ، وأرخص الأسعار بعد طول مدة غلائها فى تلك السنين الماضية . وذلك أنه نادى بإخراج الغلالِ وبيْعِها ،

---

(١) سورة آل عمران ٣ ، الآية ١٢٣

(٢) تمامها «وأنتم أذلّة»

وفى سنة خمسٍ توفى السلطان ألْب أرسلان الساجوقى إلى رحمة الله تعالى ، وجلس على تخت الملك السلطانُ مَلِكْ شاه أبو الفتح ابن السلطان ألب أرسلان ابن سلجوق ، وكان ملكاً شجاعًا همامًا جواداً ، وسيأتى من خبره طرفٌ فى مكانٍ يليقُ به إن شاء الله تعالى .

وفيها توفى محمود بن شبل الدولة صاحب حلب .

وقام بأمر حلب ولده نصر بن محمود .

وفيها استولى تاجُ الدولة على دمشق ، وأخرج الأقسيس منها من روايةٍ أخرى .

ذكر سنة ست وستين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعًا[1] .

مبلغُ الزيادة خمسة عشر ذراعًا وتسعة أصابع[2] .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع و . . . »

(٢) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً وتسع أصابع » وفى النجوم ٥ : ٩٧ « وانتهت زيادته فى هذه السنة إلى ست عشرة ذراعاً وثلاث أصابع » .

وعاد يهجم على كلّ من بلغه أنّ عنده غلة خزين . فإذا وجد ذلك طلبه وكشف عن ما يكفيه وجميع عائلته من تلك الغلّة مدة سنة كاملة ، ويأمر بالفاضل عنه فيباع ويُصب فى العِراص . فرخص السعر ، وطابت نفوسُ الناس ، ومشى الحالُ ، وقويتِ الهيبةُ ، وارتدع المفسدُ ، وأمِنَتِ الطرقُ ، وسافرت التجارُ ، وورد الجالب .

وفيها قُبض على أبى العلاء عبد الغنى المعروف بالضيف الذى كان ينظر فى الأمور ، وأمر بنفيه إلى قيسارية ثم نقل إلى تنيّس وقُتل بها .

وفيها ولى القضاء أبو العلا حمزة العرقى من قبل أمير الجيوش ، وعاد من متولى الحكم والدعوة من هذا التاريخ نائبًا عن أميرِ الجيوش ، وتقليدهم من مجلس حكمه . فكان نوابه فى القضاء من يذكر :

أبو يعلى حمزة العرقى وكان وليه أصلا .

أبو الفضل القضاعى .

أبو القاسم على بن أحمد بن عمار .

أبو الفضل بن نباتة .

أبو الفضل بن عتيق .

أبو الحسن بن الكحّال .

وفيها كانت غزقة بغداد .

٤٠١

قال القاضى ابن الأثير صاحب التاريخ[1] : إن فى هـذه السنة كانت غرقة بغداد . وذلك أنه جاءت أمطارٌ وسيُول ، وجاء بأرض الموصل والجبال أمطارٌ عظيمةٌ ، وزادت دجلة (ص ٢٣٣) زيادة لم يعهد بمثلها ، وعاد يأتى على وجه المـاء من الأفاعى من الحيّات والحشرات شىءٌ كثير ، حتى نظروا الناس على تلٍّ فى وسط المـاء سبع ويحمور[2] واقفيْن مذهولين عن بعضهما بعضًا . ودخل المـاء دار الخلافة من باب النوبى وباب العامة ، ودخل الجامع وخرج المـاء على الخليفة من تحت سريره ، فنهض إلى الباب فلم يجد طريقًا ، فحمله خادم على ظهره إلى التاج ، ولبس الخليفة البردة وأخذ القضيب بيده ووقف بين يدى الله تعالى يتضرّع ، ولم يطعم فى يومه وليلته ، وغرقت مقبرة أبرز وخرجت الموتى فى توابيتهم على المـاء ، وتهدّم الحريم وباب الأزج ، وخرج رجلٌ وعلى كتفه ولدٌ لهُ ، فاجتهد أن يتخلّص فلم يقدر فرمىٰ بولده وخاص بنفسه . وغرق من العالم والبهائم ما لا يحصى كثرة .

وفيها تسلطن السلطان سنجر شاه .

---

(١) انظر الكامل ١٠ : ٣١ وانظر الاختلاف الشديد بين النصين

(٢) كذا ، والصواب « نظر الناس ... سبعاً ويحموراً ... » .

ذكر سنة سبع وستين وأربع مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثلاثة أذرع وتسعة عشر إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادر بالله أمير المؤمنين ، إلى أن توفى فى هذه السنة يوم الخميس ثانى عشرين شعبان ، وعمره سبعون سنة . وكانت خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر .

وتولى الخلافة المقتدى .

ذكر خلافة المقتدر بأمر الله بن محمد بن القائم بالله

وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله القائم بالله ابن أحمد القادر بالله . وباقى نسبه قد تقدم ذكره .

---

(١) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع وتسع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا والصواب « ست عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً » وفى النجوم ٥ : ١٠١ « مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وسبع أصابع »

أمّه أمُّ ولدٍ تُسمّى شراب .

ومحمد والده يلقّب ذخيرة الدين . وكان ولى عهد أبيه القائم بالله فتوفى فى حياته (ص ٢٣٤)

والمستنصر خليفة مصر . وأمير الجيوش بدر الجمالى مدبّر الممالك المصرية بأحسن التدبير . وصلُحتْ أحوال الناس ، وزال جميع ما كان من الشرور والفِتن والخوف ، ورخصت الأسعار ، ومشت أحوال العالم . وكثُر الجالب من سائر الأصناف .

ذكر سنة ثمان وتسع وستين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة ثمانٍ : أربعة أذرع وإصبعان[1] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع[2] .

الماء القديم لسنة تسعٍ : ثلاثة أذرع وسبعة عشر إصبعاً[3] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة أصابع[4] .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث أصابع » . وفى النجوم « . . وأربع عشرة إصبعا »

(٣) كذا ، والصواب « ثلاث أذرع ، سبع عشرة إصبعا » ، وفى النجوم « . . وسبع أصابع »

(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وسبع أصابع » وفى النجوم « . . وثلاث عشرة إصبعا »

الحـــوادث

الخليفةُ فيهما المقتدى بأمر الله أميرُ المؤمنين . و بنو سلجوق الحكام . والمستنصر خليفة مصر ، وأمير الجيوش بدر الجمالى مدبّر الممالك المصرية .

وفى سنة ثمان قُتل محمود بن نصر بن شبل الدولة صاحب حلب ، وجلس أخوه سابق بن محمود .

ولم يتجدّد شىء فى سنة تسع بحكم التلخيص .

ذكر سنتى سبعين وإحدى وسبعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة سبعين أربعة أذرع واثنان وعشرون[1] إصبعاً .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً[2] .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع واثنتان وعشرون . . »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعا » وفى النجوم : « وفتح الخليج فى سابع عشر مسرى ، والماء على اثنتى عشرة إصبعاً من ست عشرة ذراعاً . . . » ولم يذكر فى الأصل ماء النيل لسنة إحدى وسبعين . وفى النجوم : « الماء القديم خمس أذرع وسبع وعشرون إصبعاً . وفتح الخليج فى سابع عشرين مسرى والماء على ثمانى عشرة إصبعاً من ست عشرة ذراعاً . . . » .

الحـــــوادث

الخليفةُ فيهما المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين ، و بنو سلجوق بحالهم حسبما تقدم .

والمستنصر خليفة مصر . وأمير الجيوش بدر الجمالى مدبر الممالك المصرية .

وفى سـنة سبعين حاصر تاج الدولة حلب ، وطمع فى أخذها من سابق .

وفيها ولد المستظهر .

وفى سنة إحدى وسبعين توفى نصر بن مروان صاحب ديار بكر (ص ٢٣٥) .

وفيها كانت عدة فتن بين الملوك يطول شرحها .

ذكر سنتى اثنتى وثلاث وسبعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة اثنتين : خمسة أذرع وثمانية أصابع[١] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابع[٢] .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وثمانى أصابع » وفى النجوم « الماء القديم لم يتحرر . . . . » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع » وانظر النجوم ٥ : ١١٠

الماء القديم لسنة ثلاث : أربعة أذرع واحد وعشرون إصبع[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع[2] .

الحـــوادث

الخليفةُ فيهما المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين . وبنو سلجوق بحالهم .

والمستنصر خليفة مصر ، وأمير الجيوش بدر الجمالى مدبر ممالكه .

وفى سنة اثنتى عاد تاج الدولة وحاصر دمشق وأخذها فى ربيع الآخر وقتل اتسز الذى كان تغلب عليها . وكانت مملكته بها ثلاث سنين وأربعة أشهر .

وفى سنة ثلاث أخذ شرف الدولة حلب من سابق بن محمود .

ذكر سنتى أربع وخمس وسبعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة أربع : خمسة أذرع وثمانية عشر إصبعاً[3] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصبعاً[4] .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع واحدى وعشرون إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وثمانى أصابع » وانظر النجوم ٥ : ١١٠

(٣) كذا ، والصواب « خمس أذرع وثمانى عشرة إصبعاً »

(٤) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً »

المـاء القديم لسنة خمس : ثمانية أذرع وأربعة عشر إصبعاً[١] .
مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وعشرة أصابع[٢] .

الحـــوادث

الخليفةُ فيهما المقتدى بأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .
والمستنصر خليفة مصر . وأميرُ الجيوش بها بدر الجمالى مدبّر ممالـكه .
وفى سنة أربع توفى محمد بن ثابت الجحدى صاحب آلة النجوم الرصـدية .

وفى سنة خمس فتح تاج الدولة أنْطَرْطُوس وبانياس من الفرنج .
وفيها سار السلطان ملك شاه السلجوقى إلى محاربة أخيه نقش[٣] شاه (ص ٢٣٦) وحصل بينهما الصلح من غير حرب ولا قتال .

---

(١) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع وأربع عشرة إصبعاً » وفى النجوم ٥ : ١١٦ « ثمانى عشرة ذراعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع » وفى النجوم « مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وعشر أصابع »

(٣) كذا ؛ ولعلها « تتش »

ذكر سنتى ست وسبع وسبعين وأربع مئة

النيل المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة ست خمسة أذرع وسبعة عشر إصبعًا[١] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وخمسة عشر إصبعًا[٢] .

الماء القديم لسنة سبع خمسة أذرع وأربعة عشر إصبعًا[٣]

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعًا[٤] .

الحـــــوادث

الخليفةُ فيهما المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والمستنصر خليفة مصر ، وأميرُ الجيوش بدر الجمالى بحاله .

قال ابن واصل[٥] : فى سنة ست وسبعين وأربع مئة سَيَّر السلطانُ جلالُ الدولة السلجوقى سلطان بغداد[٦] فخر الدولة بن جهير إلى ديار بكر

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً »

(٣) كذا ، والصواب « خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً » .

(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وثمانى عشرة إصبعاً »

(٥) انظر مفرج الكروب ١ : ١١ وما بعدها . وقوله : قال ابن واصل . . مضاف بالهامش .

(٦) قوله « سلطان بغداد » لا يوجد فى مفرج الكروب المطبوع

ليتسلَّمها ، وأعطاه الكوسات و [سيَّر معه][١] العساكر [فسار إليها ونزل بنواحى آمد] .

[وفى سنة سبع وسبعين وأربعمائة] أردفه بجيش كثيف من جملتهم الأمير أرتُق بن أكسب — أبو الملوك الأرتقيّة — وكان صاحب ديار بكر[٢] يومئذ ابن مروان الكردى لما بلغه توجه العساكر إليه ، توجّه إلى الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلى صاحب الموصل راغبًا أن ينصره ويساعده فأجابه إلى ذلك .

فلما علم فخر الدولة ذلك مال إلى الصلح ولم ير[٣] بتشتيت العرب مصلحة . فلما علمت التركمان منه ذلك تركوه ، وركبوا ليلاً وأحاطوا بالعرب ، وذلك فى ربيع الأول ، [والتحم القتالُ واشتد] ، فانهزمت العربُ ، ولم يحضر هذه الوقعة فخر الدولة ولا الأمير أرتُق .

وغنم التركمان حلَل العرب ودوابهم ، وانهزم شرف الدولة العقيلى وتحصّن بمدينة آمِد ، ونازله فخر الدولة ابن جهير والأميرُ أرتق بالعساكر . فراسل شرفُ الدولة الأميرَ [أرتق] وبذل له مالاً[٤] كثيراً . وكان أرتق على حفظ الطريق . فمكّنه من الخروج فخرج لتسعٍ بقين من ربيع الأول ، وقصد الرقّة .

(١) الزيادة من مفرج الكروب

(٢) مفرج « وكان صاحبها وهو ابن مروان » .

(٣) فى الأصل « يرا »

(٤) فى الأصل « مال كثير » خطأ . وفى مفرج « يبذل له مالا »

فلما بلغ جلال الدولة السلطان ببغداد [انهزام شرف الدولة وحصره بآمد ، لم يشك فى أسره فـ] خلع على عميد الدولة ابن فخر الدولة [بن جهير] وسيّره إلى أبيه فى جيش كثيف ومعه من الأمراء قسيم الدولة آقسنقر والد الأتابك محمود بن زنكى . وكان الأمير أرتق قد رجع إلى السلطان لمنافسة وقعت بينه وبين فخر الدولة ثم توجهت الجيوش إلى الموصل ونازلوها وفتحوها سلمًا . ثم حضر السلطانُ بنفسه وكانت [بلاده االموصل ، وديار ربيعة أجمع ، ومدينة حلب و] سائر تلك النواحى بالجزيرة والفرات ومنبج وغيرها .

قال ابنُ واصل[1] : ثم إن شرف الدولة طلب الأمان من السلطان وحضر ، وقدّم السلطان تقادم حسنة من جملتها فرسه المشهور المسمى بشّار ، فسبق كلّ فرسٍ كان عند السلطان فأعجبه ، وأقبل على شرف الدولة وأعاده إلى ما كان عليه ، وأعاد إليه الموصل .

وكان صاحب قونية وأقصرا وما يتّصلُ بهما من البلاد الرومية للملك سليمان بن قطلمش ، وهو ابن عم السلطان جلال الدولة ملكشاه . فقصد فى سنة سبع وسبعين وأربع مئة مدينة أنطاكية ، وكانت يومئذ بيد الروم وكانوا ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة .

قلتُ : وسيأتى ذكر ذلك متفصّلاً فى تاريخ ما يأتى ذكره ، لما فتحها السلطان الملك الظاهر البندقدار آخر وقت إن شاء الله .

---

(١) مفرج ص ١٤

وملكها فى هذه السنة فى حديث طويل يأتى فى موضعه ، ولما ملكها كتب إلى السلطان ملكشاه بذلك وعرّفه بما فتح الله على يديه .

ثم إن شرف الدولة العقيلى صاحب الموصل كتب إلى سليمان يطالبه بالحمل إلى السلطان فأبى عليه . وقال : السلطان ابن عمى ، وقد كتبتُ إليه بذلك . فأنت أيش بيننا[١] ؟

فركب شرفُ الدولة ونهب بلاد أنطاكية . فنهب سليمانُ بلادَ حلب ، وحصل بينهما وقعة وانهزم فيها شرفُ الدولة [ثم قتل فى نفس اليوم] .

وسار سليمان إلى حلب وحصرها خامس ربيع الآخر ، فلم يبلغ منها غرضاً[٢] ، فرحل عنها . وكان مع سليمان الأميرُ أُرتُق . فإنه خاف من فخر الدولة لما ينم عليه عند السلطان بما كان ما دار

---

(١) فى مفرج الكروب ص ١٥ « وأرسل الأمير شرف الدولة صاحب حلب والموصل إلى الملك سليمان يطالب منه ما كان الفردوس يحمله من المال ، ويخوفه معصية السلطان . فأجابه : « أما الطاعة للسلطان فهى شعارى ودثارى ، والخطبة له والسكة فى بلادى . وقد كاتبته بما فتح الله على يدى بسعادته من هذا البلد . وأما المال الذى كان يحمله صاحب أنطاكية قبل فهو كان كافرا وكان يحمل جزيته وجزية أصحابه ، وأنا بحمد الله مؤمن ، ولا أحمل شيئاً » ا هـ فانظر كيف تصرف بكلام ابن واصل .

(٢) فى الأصل « غرض » خطأ والتصحيح من مفرج الكروب ص ١٥

من شرف الدولة[١] . ثم انتقل إلى خدمة جلال الدولة ملكشاه ابن السلطان العادل عضد الدولة ألب أرسلان السلجوقى ، وجلال الدولة تتش يومئذ صاحب دمشق . فلما وصل إليه الأمير أرتق أقطعه نابلس . وكان سليمان بن قطلمش قد ظفر بشرف الدولة وقتله وسيَّر جيشه إلى حلب ، وطلب تسليمها ، فلم يجيبوا ، والحاكم عليها يومئذ ابن الحتيتى العبّاسى . فكاتب لجلال الدولة صاحب دمشق وحَسّن له ذلك الأمير أرتق . فركب والتقى سليمان . فانهزم أصحاب سليمان . قال فأخرج سكينًا[٢] وقتل بها نفسه .

واستولى جلال الدولة[٣] تتش على عسكره ، ووصل إلى حلب وطلب تسلّمها فأبوا عليه أيضًا ، نخامر من أهلها أناس واطلعوا من عسكر جلال الدولة جماعة بالحبال ، وشفع الأمير أرتق فى ابن الحتيتى حاكم حلب . وكان بالقلعة سالم بن مالك بن بدران العقيلى وهو ابن عم شرف الدولة

---

(١) فى مفرج الكروب « فرحل عنها . وكان سليمان بن قتلمش قد أرسل إلى ابن الحتيتى العباس مقدم حلب يطلب منه تسليمها إليه . فأنفذ إليه مالا ، واستمهله إلى أن يكاتب السلطان جلال الدولة ملكشاه ، وأرسل ابن الحتيتى إلى الملك تاج الدولة تتش ابن السلطان العادل عضد الدولة ألب أرسلان — أخى السلطان وهو يومئذ صاحب دمشق ، يعده أن يسلم إليه حلب . فسار تاج الدولة تتش طالبا حلب ، وذلك فى سنة تسع وسبعين وأربع مئة . فسار إليه ابن عمه سليمان بن قطلمش ومع تاج الدولة الأمير أرتق بن أكسب ، وكان قد فارق ابن جهير خوفاً أن ينهى إلى السلطان إطلاق شرف الدولة من آمد . وصار إلى خدمة تاج الدولة فأقطعه بيت المقدس » فانظر هذا التبديل . .

(٢) فى الأصل « سكين » صححناها من مفرج الكروب ص ١٦

(٣) كذا ، والصواب « تاج الدولة »

المذكور ، فحوصرت القلعة مدة سبعة عشر يومًا ، ثم بلغه توجُّه أخيه السلطان ملكشاه إلى نحوه ، فنزل حلب وعاد إلى دمشق مملكته وحضر السلطان من إصبهان ، وجعل طريقه على الموصل فوصلها فى رجب ، وسار عنها إلى حَرّان ، وأقطعها إلى محمد بن شرف الدولة المقتول . ثم سار إلى الرّها وملكها من الروم ، وفتح قلعة جَعْبَر ، وأخذ صاحبها جعبر ، وهو شيخٌ ضريرٌ . ثم وصل إلى حلب وتسلّمها وتسلّم قلعتها ، وعوّض سالم[1] عنها قلعة جعبر ، فلم تزل فى أيدى العقيليّين إلى أن أخذها منهم نور الدين الشهيد حسبما يأتى مَن ذكر ذلك إن شاء الله[2] .

وفيها كانت قتلة الصليحى الناجم باليمن[3] ، ولنذكر الآن بدوّ شأنه ونسبه .

---

(١) كذا ، والصواب « سالماً » .

(٢) هنا انتهى مافى حاشيتى ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ وفيهما اختلاف عن نص مفرج الكروب

(٣) فى النجوم ٥ : ١١٢ أنه توفى سنة ٤٧٣ هـ .

ذكر علىٍّ الصليحى الناجم باليمن وما لُخِّصَ من خبره

هو أبو الحسن علىّ بنُ محمد بن علىّ الصُّلَيْحىّ القائم باليمن . وذلك ما رواه القاضى ابن خَلِّكان فى تاريخه عن الفقيه عمارة اليمنى الشاعر الآتى ذكره إن شاء الله تعالى عند ذكر السلطان صلاح الدين ابن أيّوب فى الجزء التالى لهـذا الجزء ، وهو المختصُّ بذكر دولة بنى أيوب .

قال القاضى شمس الدين ابن خلكان[1] : قال الفقيه عمارة اليمنى فى ترجمة الصالح ابن رزّيك : كان الصُّليحى المذكور أبوه قاضيا باليمن سُنى المذهب . وكان أهل بيته وجماعته يطيعونه . وكان الداعى عامر ابن عبد الله الرواحى لم يزل يلاطفه ويركب إليه ، لرئاسته وسؤدده وصلاحه وعلمه . ثم إن عامراً المذكور استمال قلب ولده علىّ المذكور ، وهو يومئذٍ دون بلوغ الحلم ، ولاحت لعامر من الغلام مخايل النجابة . وقيل كانت عند عامر حليةُ علىٍّ الصليحى فى كتاب [الصور] ، ويقال إنّه من الكتب (ص ٢٣٧) العظيمة والذخائر العظيمة . فأوقفه منه على تنقّل حاله وشرف مآله ، وأطلعه على ذلك سرًّا من أبيه وأهل بيته . ثم إنّ عامراً توفى إلى رحمة الله عن قريب وأوصى إلى علىّ

---

(١) انظر وفيات الأعيان ٣ : ٨٨ ، وليس فيه : قال الفقيه عمارة . . . بل تبدأ الترجمة بما يلى : كان والده محمد قاضياً باليمن سنى المذهب . . .

الصُّلَيْحى بكتبه وعلومه ، ورسخ فى ذهن علىّ من كلامه مارسخ ، وعكف على الدرسِ والاشتغال . وكان ذَكيّاً حاذقاً ، فلم يبلغ الحلم حتى تضلّع من معارفه التى بلغ بها وبالجدّ السعيدِ غايةَ الأمل . فكان فقيهاً فى مذهب الدولة الإماميّة مستبصراً فى علمِ التأويلِ ، ثم إنه صار يحجّ بالناس دليلاً على طريق السَّرَاة والطائف ، فأقام كذلك خمس عشرة سنة . وكان الناس يقولون له : بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ، ويكون لك شأنٌ عظيم ، فيكره ذلك وينكره على قائله ، مع أنّه أمر قد شاع وذاع فى الناس وكَثُرَ على أفواه العالم .

ولما كان فى سنة تسع وعشرين وأربع مئة ثار فى رأس مشار وهو أعلى ذروة تلك الجبال(١) . وكان معه ستون رجلاً قد حالفهم بمكّة فى موسمِ سنةِ ثمانٍ وعشرين وأربع مئة على الموت ، والقيام بالدعوة ، وما منهم إلاّ مَنْ هو فى مَنَعَةٍ من قومه وعشائره ، وفى عددٍ جيّدٍ . ولم يكن ثَمّ برأس الجبل المذكور قلعةٌ ولا ما يمنع . فلما ملك الذروة لم ينتصف النهار الذى ملكها فيه حتى أحاط به عشرون ألف ضارب سيف وحصروه وشتموه وسفّهوا عليه وسفهوا رأيه [وقالوا له] : تنزل طوعا وإلاّ قتلناك ومَنْ معك جوعاً وعَطَشا . فقال لهم : لم أفعل ذلك إلاّ خوفاً علينا وعليكم أن يملكه غيرنا . فإنّ تركتمونى أحرسه وإلاّ نزلت . (ص ٢٣٨) فانصرفوا عنه . ولم يمض شهران من ذلك

(١) فى الوفيات « أعلى ذروة فى جبال اليمن »

التاريخ حتى بناه وحَصَّنَه وأتقنه ، واستفحل أمره شيئاً فشيئا . وكان يدعو للمستنصر خليفةَ مصر فى الخفية ، ويخاف من صاحب تهامة المسمّى نجاح . فكان يلاطفُه ويستكين لأمره . وفى الباطن يعمل الحيلة فى قتله . فلم يزل حتى قتله بالسم مع جاريةٍ جميلة كان أهداها له . وذلك فى سنة اثنتين(١) وخمسين وأربع مئة بالكدراء .

وفى سنة ثلاثٍ وخمسين كتب الصُّلَيْحِيُّ إلى المستنصر بمصر يستأذنُه فى إظهارِ الدعوة . فأذن له ، فطوى البلاد طيّاً ، وفتح الحصُونَ والتهائم ، ولم تخرج سنة خمس وخمسين حتى ملك اليمن بأسره سَهْلِهِ ووَعْرِه ، برّه وبحره . وهذا أمرٌ لم يعهد مثله فى جاهليّةٍ ولا إسلام ، حتى قال يوماً وهو يخطب الناس فى جامع الجَنَد : وفى مثل هذا اليوم نخطبُ على منبر عدن إن شاء الله تعالى . ولم يكن مَلَكها بعد . فقال رجلٌ ممن حضر مستهتراً : سَبُّوحٌ قدّوس . فأمر بالحوطة عليه . وساعدت الصليحى المقادير فخطب تلك الجمعة بجامع عدن وهى الجمعة التى ذكرها . فقام ذلك الرجل وتغالى فى القول وأخذ البيعة على نفسه ودخل المذهب

ومن سنة خمس وخمسين استقرّ حاله فى صنعاء . وأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ممالكهم وأسكنهم معه فى صنعاء . وولّى فى الحصون غيرهم ، واختطّ بمدينةِ صنعاء عدّةَ قصورٍ ، فوزنت له زوجتُه أسماء

(١) فى الأصل « اثنين » صححناها من الوفيات .

عن أخيها سعد بن شهاب مئة ألفِ دينار . وكان أخوها من أمّها . فولّاه تهامة . وقال : مولاتنا ﴿أنّى لكِ هذا ؟ قالت : هو من عند الله (ص ٢٣٩) إنّ الله يرزقُ مَنْ يشاء بغير حساب﴾[1] فتبسم وعلم أنّ ذلك من خزائنه . فقبضه وقال : ﴿هذه بضاعتُنا رُدَّتْ إلينا[2]﴾ [فقالت : ﴿ونميرُ أهلنا] ونحفظ أخانا﴾[2] .

ولم يزل مستمر الملك نافذَ الأمر إلى هذه السنة[3] . فعزم على الحجّ . فاستصحب معه الملوك [الذين كان يخاف أن يثوروا عليه] ، وكذلك زوجته ، واستخلف مكانه ولده المكرم أحمد ، وهو ولده أيضاً منها . وتوجّه فى ألفى فارس فيهم من الصليحيين مئة وستون نفراً . حتى إذا كان بالمهجم ونزل بظاهرها بضيعةٍ يُقال لها : الدهيم وبئر أمّ مَعْبَد ، وخيّمت عساكره والملوك الذين معه حوله لم يشعر الناسُ حتى قيل : قد قُتِلَ الصُّلَيْحىّ . فانذعر الناسُ وكشفوا عن الخبر .

فكان سبب ذلك أنّ سعيد الأحول بن نجاح صاحب تهامة الذى قتلته الجاريةُ بالسُّم بتدبيرِ الصُّلَيْحىّ لما توفى أبوه واستولى الصليحىّ على ملك اليمن استتر فى زبيد . وكان أخوه جيّاش فى دهلك . فَسَيَّر إليه وأعلمه أنّ الصُلَيْحىّ متوجهٌ إلى مكة فتحضّرْ حتى تقطع عليه الطريق وتقتله إن شاء الله تعالى . فحضر جيّاش إلى زبيد ، وخرج هو وأخوه سعيد ومعهما سبعون رجلاً بلا مركبٍ ولا سلاح ، بل مع كل

(١) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ٣٧ (٢) سورة يوسف، ١٢ ، الآية ٦٥

(٣) فى الوفيات « ولما كان فى سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة عزم الصليحى على الحج » .

واحدٍ جريدةٌ بآخرها مسمارٌ من حديدٍ ، وتركوا جادة الطريق ، وسلكوا طريقَ الساحل ، وكان بينهم وبين المهجم مسيرة ثلاثة أيام للمُجدّ .

وكان الصُلَيْحىّ قد سمع بخروجهم ، فسيّر خمسة آلاف حربة من الحبشة الذين فى ركابه لقتالهم ، فاختلفوا فى الطريق . فوصل سعيدٌ ومن معه إلى [طرف] المخيم ، وقد أخذ منهم التعب والحَفَاء وقلّة المادة . وظن الناس أنّهم من جملة عبيد العسكر . ولم يشعر (ص ٢٤٠) بهم إلاّ عبد الله أخو [علىّ] الصليحىّ . فقال لأخيه : يا مولانا اركب ، فهذا والله سعيد بن نجاح . وركب عبد الله . فقال الصليحىّ لأخيه : إنى لا أموت إلاّ ببئر أمّ معبد . معتقداً أنها بئر أم معبد التى نزل بها رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، لما هاجر إلى المدينة . فقال له رجل من أصحابه : قاتلْ عن نفسك ، فهذه والله الدهيم و بئر أمّ معبد . فلما سمع ذلك الصليحىّ زمع اليأس من الحياة ، وبال فى مكانه ، ولم يبرح زامعًا بمكانه حتى قُطع رأسه بسيفه ، وقُتل أخوه معه وسائر الصُليحيّين . وذلك فى الثانى عشر من ذى القعدة سنة ثلاثٍ وسبعين وأربع مئة . وهو الصحيحُ ، ليس فى هذه السنة .

ثم جلس سعيدٌ على فراشِ الصُّلَيْحِىّ ، وأرسل إلى الخمسة آلاف التى كان أرسلها الصُّلَيْحِىّ إليه وقال لهم : إنّ الصُّلَيْحِىّ قد قُتل ، وأنا رجلٌ منكم . وقد أخذتُ بثأرِ أبى . فقدموا عليه ودخلوا تحت طاعته ، واستعان بهم على قتالِ من تَبَقّى من الصُلَيْحِيّين وجموعهم ، واستظهر عليهم قَتْلاً وأسْراً ، ثم رفع رأس الصليحى على عود المظلّة ،

وقرأ القارئ ﴿ قُلِ اللهم مالكَ الملكِ ﴾(١) الآية . ورجع إلى مدينة زبيد ، وقد حاز [من] الغنائم ملكاً عظيماً . ودخلها فى سادس عشر ذى القعدة من السنة المذكورة . وملكها وملك بلادها وبلاد تهامة .

ولم يزل كذلك حتى قُتل فى سنة إحدى وثمانين وأربع مئة ، بتدبير الحرّة ، وهى امرأةٌ من الصُليحيّين فى خبرٍ طويل ، لا يمكن استيعابه .

ولما قتل الصليحىّ ورُفِع رأسه على عود المظلة كما تقدم ، عمل فى ذلك القاضى العثمانى شعرًا فمن ذلك :

بكرتْ مظلّته عليه فلم تَرُحْ إلا على الملكِ الأجلّ سعيدها
ما كان أقبح وجهه فى ظلّها ما كان أحسنَ رأسه فى عودها
سُودُ الأراقم قاتلت أُسْد الشرى وارحمةً لأسودها من سودها

قلتُ(٢) : وكان الصُلَيْحِىّ شُجاعاً بطلاً مقداماً عالماً شاعرًا فمن شعره :

أنكحتُ بيضَ الهندِ سُمر رماحهم فرؤوسهم عرض النثـارِ نثارُ
وكذا العلا لا يُستباح نكاحها إلاّ بحيث تُطَلّق الأعمارُ

وذكر العمادُ الإصبهانىّ رحمه الله فى « الخريدة » من شعر الصليحىّ يقول :

---

(١) سورة آل عمران ، ٣ ، الآية ٢٦

(٢) هذا القول إلى « شاعراً » ليس لابن خلكان

وألذّ من قرعِ المثانى عنده في الحرب أُلجِمْ يا غلامُ وأَسْرِجِ
خيلٌ بأقصى حضرموت أشدها[1] وزئيرُها بين العراق ومَنْبِجِ

وذكر[2] صاحب كتاب « دمية القصر » مِمّا اختاره من شعر الصليحيّ :

وسرجي فراشي والحسامُ مُضاجعى وعدة حربى ، لا ذوات الخلاخلِ
ورمحى يُعاطينى البعيد لأننى تناولتُ ما أعيا على المتنــــاولِ
ولى همةٌ تسمو على كلِّ همّةٍ ولى أملٌ أعيا على كل آمل
ولى من بنى قحطان أنصارُ دولةٍ بطاريق من أَمجادِ كلّ القبائل

ومما أجابه الحسين بن يحيى الحكّاك المكى فأحسن :

رويدكَ ليس الحقُّ يُنْفَى بباطل وليس مُجِدٌّ فى الأمورِ كهازلِ
كزعمك أنَّ الدرعَ لبسُكَ فى الوغى وذاك لجُبْنٍ فيك غيرِ مُزَايلِ
وهل ينفعنّ السيفُ يومًا ضجيعَه إذا لم يُضاجِعْه بيقظةِ باسلِ
فهلاّ اتخذتَ الصبرَ دِرْعًا وجُنةً كما الصبرُ درعى فى الخطوبِ النوازلِ
وتفخرُ أنْ أصبحتَ مأمولَ عصبةٍ فأَخْسِسْ بمأمولٍ وأَخْسِس بآملِ
وهل هى إلاّ فى تُراثٍ جمعته فهلاّ عَدَت فى بَذْل معروفٍ ونائل
كما همّنا فأَعْلَمَ إجابة سائلٍ وإسعافُ ملهوفٍ وإغناء عائلِ

وختمها :

ولا تَغْتَرِرْ باللّيْثِ عند خُدوره فكم خادرٍ فاجا بوثبة صائلِ

---

(١) فى الوفيات « مجالها » . (٢) ليس هذا فى الوفيات

ذكر سنة ثمانى وسبعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السَنة :

الماء القديم ستة أذرع وسبعة عشر إصبعًا[1] .

مبلغ الزيادة بسبعة عشر[2] ذراعاً وعشرون إصبعاً

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش بدر الجمالى مدبّرُ الممالك المصرية .

وفيها كان ابتدآء دولة بنى مُنْقِذ بشَيْزَر .

قال العمادُ الإصفهانى رحمه الله فى كتاب « السيل والذيل » : إن فى هذه السنة تسلّم أبو الحسن علىّ بن مقلّد بن نصر بن مُنْقِذ الكِنانى الملقب بسديد الملك قلعة شَيْزَر .

وذلك أنه كان شجاعاً مقداماً قوىَّ النفس . وهو أول من ملك قلعة من بنى مُنْقِذ . وكان نازلاً بجوار القلعة بالقرب من الجسر المعروف

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع وسبع عشرة إصبعا »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً »

اليوم بجسر بنى مُنْقِذ . وكانت القلعةُ يومئذٍ فى يد الروم ، فحدثته نفسُه بأخذها . فنازلها بقومه وعشيرته وتسلّمها بالأمان .

وقيل كان ذلك فى سنة أربع وسبعين وأربع مئة .

ولم تزل فى يد بنيه إلى أن كانت الزلزلةُ العظيمةُ ، فهدمت القلعة ومات أكثرهم تحت الردم ، وشغرت ، فجاءها نورُ الدين محمود ابن الملك زنكى صاحب الشام فى بقية سنة اثنتين[1] وخمسين وخمس مئة .

وكانت هذه الزلزلة يوم الاثنين ثالث رجب من السنة المذكورة . وتسلّم نور الدين القلعة وعمرها بعد ذلك .

وذكر القاضى بهاء ابن شدّاد صاحب « سيرة السلطان صلاح الدين » — رحمهما الله — فى السيرة المذكورة أنه جاءت زلزلة عظيمة بحلب ، وأخربت كثيراً من البلاد . وأرّخ ذلك فى ثانى عشر شوال سنة خمس وستين وخمس مئة (ص ٢٤٣) وهذه زلزلة أخرى غيرها تيك ، وسيأتى ذكرها فى تاريخهما الآتى من الجزء التالى لهذا الجزء إن شاء الله تعالى .

وكان سديد الملك بن منقذ المذكور مقصوداً جواداً شجاعاً ، وخرج من بنيه جماعةٌ نجباء أمراء فضلاء كرماء . ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخيّاط ، والخفاجىّ ، وشرف الدين ابن الحلاوى شاعر الموصل ،

---

(١) فى الأصل « اثنين »

ذكر سنة ثمانى وسبعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السَنة :

الماء القديم ستة أذرع وسبعة عشر إصبعًا(١) .

مبلغ الزيادة سبعة عشر(٢) ذراعاً وعشرون إصبعاً .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ القادرُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والمستنصرُ خليفـةُ مصر ، وأمـيرُ الجيوش بدر الجمالى مدبِّرُ الممالك المصرية .

وفيها كان ابتدآء دولة بنى مُنْقِذ بشَيْزَر .

قال العمادُ الإصفهانى رحمه الله فى كتاب « السيل والذيل » : إن فى هذه السنة تسلّم أبو الحسن علىّ بن مقلّد بن نصر بن مُنْقِذ الـكِنانى الملقب بسديد الملك قلعة شَيْزَر .

وذلك أنّه كان شجاعاً مقداماً قوىّ النفس . وهو أول من ملك قلعة من بنى مُنْقِذ . وكان نازلاً بجوار القلعة بالقرب من الجسر المعروف

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع وسبع عشرة إصبعا »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً »

اليوم بجسر بنى مُنْقِذ . وكانت القلعةُ يومئذٍ فى يد الروم ، فحدثته نفسُه بأخذها . فنازلها بقومه وعشيرته وتسلّمها بالأمان .

وقيل كان ذلك فى سنة أربع وسبعين وأربع مئة .

ولم تزل فى يد بنيه إلى أن كانت الزلزلةُ العظيمةُ ، فهدمت القلعة ومات أكثرهم تحت الردم ، وشغرت ، فجاءها نورُ الدين محمود ابن الملك زنكى صاحب الشام فى بقية سنة اثنتين[1] وخمسين وخمس مئة .

وكانت هذه الزلزلة يوم الاثنين ثالث رجب من السنة المذكورة . وتسلّم نور الدين القلعة وعمرها بعد ذلك .

وذكر القاضى بهاء ابن شـدّاد صاحب « سيرة السلطان صلاح الدين » — رحمهما الله — فى السيرة المذكورة أنه جاءت زلزلة عظيمة بحلب ، وأخربت كثيراً من البلاد . وأرّخ ذلك فى ثانى عشر شوال سنة خمس وستين وخمس مئة (ص ٢٤٣) وهـذه زلزلة أخرى غيرها تيك ، وسيأتى ذكرها فى تاريخهما الآتى من الجزء التالى لهـذا إن شاء الله تعالى .

وكان سديد الملك بن منقذ المذكور مقصوداً جواداً شجاعاً ، وخرج من بنيه جماعةٌ نجباء أمراء فضلاء كرماء . ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخيّاط ، والخفاجىّ ، وشرف الدين ابن الحلاوى شاعر الموصل ،

---

(١) فى الأصل « اثنين »

وعبد المحسن الصُّورى ، وغيرهم . وسيأتى بعد ذكره شيئاً[1] من أشعارهم ، وكان له شعرٌ جيّدٌ . فمنه قوله وقد غضب على مملوكٍ له وضربه ، وكان كثيرَ الشغَفِ به فقال :

أسطو عليه وقلبى لو تمكّنَ من ... كفّيَّ غلَّهما غيظاً إلى العُنُقِ

وأستطير إذا عاقبتُه حَنَقًا ... وأين ذلُّ الهوى من عزّةِ الحنقِ

وكان موصوفاً بقوّة الفطنة . وتُنقَلُ عنه حكاياتٌ عجيبة . فمنْ ذلك ما ذكره الشيخ شمس الدين ابن خلكان رحمه الله فى تاريخه قال[2] : كان يتردّدُ إلى حلب قبل تملّكه شَيْزَر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس ، فجرى له أمرٌ خاف سديد الملك على نفسه منهُ ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام وصاحبُها يومئذٍ جلالُ الملك ابن عمّار ، فأقام عنده . فتقدّم صاحبُ حلب إلى كاتبه أبى نصر محمد بن على بن النحاس أن يكتب إلى سديد الملك كتاباً يتشوّقُه ويستعطفُه ويستدعيه إليه . وفهم الكاتبُ أنّه يقصدُ له شرًّا . وكان صديقاً لسديد الملك فكتب الكتاب كما أمر إلى أنْ بلغ إلى إنْ شاء الله تعالى فشدّد النون وفتحها .

فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمّار صاحب

---

(١) كذا ، والصواب « شيء »

(٢) انظر وفيات الأعيان ٣ : ٨٦ ، والترجمة كلها هنا منقولة عن ابن خلكان .

طرابلس ومَنْ بمجلسه من خواصه ، فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبةِ محمود (ص ٢٤٤) فيه وإيثار لقربه .

فقال سديد الملك : إنى أرى فى الكتاب ما لا ترون . ثم إنّه أجابه عن الكتاب بما اقتضى الحال من جوابه ، وكتب فى جملة الكتاب : أنا الخادم المقرّ بالإنعام وكسر الهمزة من أنا وشدّد النون . فلما وصل الكتاب إلى محمود وقف الكاتب عليه فسُرّ بما فيه . وقال لأصدقائه : قد علمتُ أنّ الذى كتبتُه لا يخفى على سديدِ الملك . وقد أجاب بما طيّب به قلبى .

وكان الكاتبُ قد قصد قوله تعالى ﴿ إنّ الملأَ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾[1] فأجاب سديدُ الملك ﴿ إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ﴾[2] ولنذكر الآن قصيدة ابن الحلاوى الفريدة ، ذى المعانى الجيدة[3] :

حكاه من الغُصْنِ الرطيب وريقه   وما الخمر إلاّ وجنتاه وريقُهُ
هِلالٌ ولكن أفْقَ قلبى محلُّهُ   غزالٌ ولكن سفح عينى عقيقُهُ
وأسمر يحكى الأسمرَ اللّدْنَ قَدُّهُ   غدا راشقًا قلبَ المحب رشيقُهُ
على خده جَمْرٌ من الحسنِ مُضرمٌ   يشبّ ولكن فى فؤادى حريقُهُ

(١) سورة المائدة ، ٥ ، الآية ٢٤

(٢) سورة المائدة ، ٥ ، الآية ٢٤

(٣) لم يذكر العماد هذه القصيدة فى الخريدة . (انظر الخريدة قسم الشام ٢ : ١٦٢)

منها :

من التركِ لا يُصبيه وجدٌ إلى الحمى   ولا ذِكرُ بانات الغوير يشوقُهُ
له مبسمٌ يُنْسى المدامَ بريقه   ويُخْجِلُ نوّارَ الأقاحى بَرِيقُهُ
تداويتُ من حَرِّ الغرامِ ببَرْدِهِ   فأضرم من ذاك الحريق رحيقُهُ

منها :

حكا وجهه بدر السماء فلو بدا   مع البدرِ قال الناس : هذا شقيقُهُ
وأشبه زَهْرَ الروضِ حُسْنًا وقَدْ بدا   على عارضيه آسُـــهُ وشقيقُهُ
على وجنتيه للعذارِ جديدهُ   وفى شفتيه للعقار عتيقُهُ
فما فاز إلاّ مَنْ يَكونُ صبوحَه   شرابُ ثناياه ومنها غَبُـــوقُهُ
على مثله يستحسن الصب هتكه   وفى حبه يجفو الصديقَ صديقُه
أحبةَ قلبى جيرتى نحو أرضكم   يحنّ فؤادى ليس يخفى خفوقهُ
وأشتاقُ هاتيك المنازل والحما   ومن ذا الذى ذِكْرُ الحمى لا يشوقُهُ

ومما يدلُّ على علو طبقة هذا الرجل الفاضل قولُه :

كتبتُ فلولا أنّ ذاك محرّمٌ   وهذا حلالٌ قستُ لفظك بالدرِّ
فوالله ما أدرى أزَهْرُ خميلةٍ   بطرسك أم درٌّ يلوحُ على نحر
فإنْ كان زَهْراً فهو صُنْعُ سحابةٍ   وإنْ كان دُرًّا فهو من لُجّةِ البحرِ

وعلى معنى البيت الذى فى قصيدته القافية وهو :

حكا وجهه بدر السماء فلو بدا   مع البدر قال الناس هـذا شقيقه

قول :

خليليّ ما أحلا صبوحى بدجلةٍ وأطيب منها بالصراة غبُوق
شربتُ من الماءين ماء وكرمة فكانا كدرّ ذائبٍ وعقيقِ
على قمرىْ أُفقٍ وأرضٍ تقابلا فمن شائقٍ حلو الهوى ومَشُوق
فما زلتُ أسقيهِ وأشربُ ريقَهُ وما زال يسقينى ويشربُ ريقى
فقلتُ لبدرِ التمّ : تعرفُ ذا الفتى ؟ فقال : نعم هـذا أخى وشقيق

ومن القصايد البديعة الجارية مجرى السُّلاف فى أعطاف اللطاف قصيدة عبد المحسن الصورى :

عاد الفؤاد إلى قديم ضلاله ورأى الرجوعَ إلى وداد غزاله
وخفى عليـه الرشد حين أراده وتنافرا إذ ليس من أشكاله
مطلَ العذول بصبره متوانياً وأجاب داعى الحب قبل سؤاله
شغفا بمرتجٍّ الروادف أهيفٍ كالغصنِ يثنيه نسيمُ شماله
عَظُمَتْ محاسنُه لحين خبرتُه صغرتْ محاسنُه لحسن فعاله
هجرانُه كالدهر فى إدباره ووصالُه كالسعد فى إقباله
جمع الجمالَ فكلُّ ما أبصرتَهَ من غيره فهو اختصارُ جماله
للحسنِ إلف تابعٌ ومُسايرٌ من خلفه ويمينه وشماله
لو أنّه يوماً تمنّى حسـنه ما كان يخطرُ كلّ ذا فى باله
انظر إلى ما شئت منه فكلُّه لمحبّـه حجج على عُذّاله
يا من يقيس بوجهه البدر اعتذرْ مما جنيتَ فليس من أمثاله

البدرُ يقصر عن حكاية كلّه لم يحكه إلاّ بِبُعْـــدِ مناله
إنّ الشقيقَ رأى محاسن وجهه فأراد أن يحكيه فى أحواله
فأفاد حمرة لونه من خَدّه وأفاد لون سواده من خاله
يا أيّها البدرُ البديعُ جمـاله ارحم فتًى أنت العليمُ بحاله
لَوْ سِيل عن آماله من دهره ما كان غير رضاك من آماله

قلتُ : لا أعلمُ ما يُشاكل رقّةَ الخمرِ فى رقة الزجاج حتى تشاكلا فى الليل الداج ، فهنالك تشاكل الأمر ، أن يفرق بين الزجاج والخمر ، كرقة هذا القصيد ، الذى عاد لاختراع المعانى وصيد ، وليس لها نظير ، إلا قصيدة الوزير ، أبى الوليد ابن زيدون ، التى لولا التغالى لـكانت حقيقه بكلمة الـكاف والنون ، وستأتى أبياتها ، فى مكان يستحق إثباتهـا .

ذكر سنة تسع وسبعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ ستة أذرع وتسعة عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ المقتدى بأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم . (ص ٢٤٧) .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش بدر الجمالى بحاله .

وفيها ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية حسبما يأتى من ذكر ذلك عند فتوحها على يد السلطان الملك الظاهر البندقدارى أحد الملوك التركية ، أدام الله أيّام سلطانها ، وأعزّ نصره ، وأعلا فى عِلِيّين محله وقصره .

وفيها تسلّم سكمان بن أرتق حصن ماردين .

وفيها استولى الشريف حسن على حلب وغلب عليها والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع وتسع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً »

البدرُ يقصر عن حكاية كلّه   لم يحكه إلاّ ببُعْـــدِ مناله
إنّ الشقيقَ رأى محاسن وجهه   فأراد أن يحكيه فى أحواله
فأفاد حمرة لونه من خَدّه   وأفاد لون سواده من خاله
يا أيّها البدرُ البديعُ جمـاله   ارحم فتًى أنت العليمُ بحاله
لَوْ سِيل عن آماله من دهره   ما كان غير رضاك من آماله

قلتُ : لا أعلمُ ما يُشاكل رقّةَ الخمرِ فى رقة الزجاج حتى تشاكلا فى الليل الداج ، فهنالك تشاكل الأمر ، أن يفرق بين الزجاج والخمر ، كرقة هذا القصيد ، الذى عاد لاختراع المعانى وصيد ، وليس لها نظير ، إلا قصيدة الوزير ، أبى الوليد ابن زيدون ، التى لولا التغالى لـكانت حقيقه بكلمة الـكاف والنون ، وستأتى أبياتها ، فى مكان يستحق إثباتهـا .

ذكر سنة تسع وسبعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ ستة أذرع وتسعة عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ المقتدى بأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم . (ص ٢٤٧) .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش بدر الجمالى بحاله .

وفيها ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية حسبما يأتى من ذكر ذلك عند فتوحها على يد السلطان الملك الظاهر البندقدارى أحد الملوك التركية ، أدام الله أيّام سلطانها ، وأعزّ نصره ، وأعلا فى عِلِّيِّين محله وقصره .

وفيها تسلّم سكمان بن أرتق حصن ماردين .

وفيها استولى الشريف حسن على حلب وغلب عليها والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع وتسع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً »

ذكر سنتى ثمانين وإحدى وثمانين وأربع مئة

النيل المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديمُ لسنة ثمانين ستة أذرع وخمسة أصابع[١] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً[٢] .

الماء القديم لسنة إحدى خمسة أذرع وسبعة عشر إصبعاً[٣] .

مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وخمسة أصابع[٤] .

الحـــــوادث

الخليفة فيهما المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق الحكّام .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش بها بدر الجمالى مدبّر الممالك المصرية .

وفى سـنة ثمانين تسلّم شرفُ الدولة خراسان ، وقتل ابن حبلة (؟) بها وملك .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع وخمس أصابع »

(٢) كذا ، والصواب ست عشرة ذراعا واثنتا عشرة إصبعا » وفى النجوم « سبع عشرة ذراعاً وسبع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً »

(٤) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً وخمس أصابع » وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً وأربع أصابع » ٥ : ١٢٨

وفيها سلّم السلطانُ أبو الفتح حلب إلى قسيم الدولة آق سنقر .

وفى سنة إحدى فتح السلطان ملك شاه سمرقند وملكها بالسيف عَنوةً .

وفيها هلك تكفور ملك الروم[١] صديق السلطان ملك شاه .

قال ابن واصل[٢] : فى هذه السنة كان تسليم السلطان جلال الدولة ملكشاه حلب بالسبب المقدم ذكره المكتوب على الحاشية ولما تسلّمها لحاجبه قسيم الدولة آقْسُنْقُر ، فاستولى عليها وعلى أعمالها وعلى مَنْبِجَ واللاذِقيّة وكَفْر طَاب . وأقطع السلطانُ مدينة الرُّها مجاهدَ الدين بُزَان ، وأقطع أنطاكيةَ الأمير ياغى سيان . ثم ظهرتْ كفايةُ الأمير قسيم [الدولة] آقسنقر ، وعَظُمَتْ هيبتُه فى جميع بلاده .

ثم إن السلطان استدعاه بعد ذلك إلى العراق ، فقدم عليه فى تجمّلٍ عظيم . ولم يكن فى عسكر السلطانِ مَنْ يُقاومه . فاستحسن السلطانُ ذلك منه وعظم محلّه عنده . ثم أمره بالعود إلى حلب . فعاد إليها فى سنة ثمانين وأربع مئة ، ورخصت الأسعار فى أيّامه ، وأمنت السُّبُل ، وأقيمت الحدودُ الشرعية ، وقَتَلَ المتطرفين إلى الفساد[٣] .

---

(١) كذا ، وهو نقفور الثالث Nicéphore III Botaneiatès . وقد تولى سنة ١٠٧٨ وبقى إلى سنة ١٠٨١ م (٤٧١ هـ – ٤٧٤) ، انظر Brehier, p. 563 فما ذكره المؤلف إذن خطأ .

(٢) هذه حاشية أضافها المؤلف بخطه على هامش ص ٢٤٧ وامتدت حول ص ٢٤٦ وعادت إلى ص ٢٤٧ . وانظر ابن واصل ١/١٩

(٣) عند ابن واصل « وقتل المفسدون بكل فج »

وفى سنة إحدى وثمانين وأربع مئة جمع قسيم الدولة عسكره وقصد شَيْزَر وحاصرها ، وصاحبها يومئذ نصر بن على بن منقذ وضايقها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد إلى حلب .

وفى سنة اثنتين وثمانين أسّس القاضى أبو الحسن الخشّاب منارة حلب . [وكان بحلب][1] معبد نار قديم [العمارة][1] وصار بعد ذلك أتون حمّام . فأخذ ابن الخشّاب حجارته ، وبنى بها المنارة . فوشى به بعض حُسّاده إلى الأمير قسيم الدولة فغضب على القاضى واستحضره وقال : هَدَمْتَ معبداً هو لى وملكى . فقال : أيُّها الأميرُ ، هذا كان معبداً للنار قديماً ، وقد صار اليوم أتوناً ، فأخذتُ حجارته عمرت بها معبداً للإسلام يُذكرُ فيه اسم الله وحده لا شريك له . وكتبتُ اسمك عليه ، وجعلتُ الثواب لك . فإنْ رسمتَ غَرِمتُ ثمنه لك ، ويكونُ الثوابُ لى ، فعلتُ . قال : فأعجب الأميرَ كلامُه واستصوب رأيه ، وقال : بل الثوابُ لى وافعل ما شئت .

وفى[2] سنة أربع وثمانين تسلم قسيمُ الدولة حصن فامية .

ثم سار وصحبته تاج الدولة إلى طرابلس لحاصرها ، وبها صاحبُها الأميرُ جلال الملك بن عمّار . فرأى جيشاً لا يُدْفَعُ إلاّ بالحيلة والسياسة[3] . فراسل

(١) الزيادات من ابن واصل ١ / ٢٠

(٢) ابن واصل ، ص ٢١

(٣) عند ابن واصل : « لا يدفع بحيلة »

ابنُ عمّار وزيرَ قسيمِ الدولة ، وأوعده بجمله مال[١] . فسعى مع صاحبه فى إصلاح أمره ، وحمل إليه ثلاثين ألف دينار وتحف (كذا) بمثلها ، وأبرز من يده منشوراً من وزير السلطان ملكشاه بالبلد . فأنعم قسيم الدولة بقبول المنشور ، ورحل عن طرابلس على كرهٍ من تاج الدولة . وكان تاجُ الدولة فى ذلك الوقت فى خدمة أخيه السلطان .

فلما[٢] توفى السلطان ملكشاه رحمه الله فى سنة خمس وثمانين حسبما ذكرناه فى الأصل ، وبلغ ذلك تاج الدولة وهو بمملكته بدمشق حشد العساكر وخرج طالباً للسلطنة . فخرج إلى خدمة قسيم الدولة من حلب ودخل فى طاعته . وسيَّر إلى ياغى سيان صاحب أنطاكية ، وإلى بُزان صاحب الرُّها ، وأشار عليهما بالدخول فى طاعة تاج الدولة حتى يروا ما يكون من الأمر . فأجابا إلى ذلك ، واتفقوا على الخطبة له على منابر بلادهم . ثم إنّ تاج الدولة سار فى أبهة السلطنة ونزل الرحبة وملكها .

ودخلت سنة ست وثمانين . ثم وصل إلى نصيبين وبها نوابُ العقيلى صاحبِ الموصل ، فملكها بالسيف عَنوةً ، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وفعل الأفعال القبيحة ، ثم سلّمها لمحمد بن شرف الدولة [بن بدران] العقيلى ، وسار

---

(١) كذا ، وعند ابن واصل « وكان مع الأمير قسيم الدولة آق سنقر وزير ، فراسله ابن عمار ، فرأى فيه ليناً ، فأتحفه وأعطاه ، فسعى مع صاحبه قسيم الدولة فى إصلاح حاله ، ليدفع عنه ، ويحمل إليه ثلاثين ألف دينار وتحفاً بمثلها . وعرض عليه المناشير التى بيده من السلطان بالبلد ... » ص ٢١ – ٢٢

(٢) انظر ابن واصل ص ٢٢ .

إلى الموصل . وانفع[1] (كذا) مع صاحبها يومئذ إبراهيم بن قريش العقيلى ، وكره ونهب العربيات من النساء وقتلن جماعة منهن خوفا من الفضيحة .

وملك الموصل وولاها للأمير سعد الدولة علىّ ابن شرف الدولة . وكان ابن عمته ، ثم إنه سيّر إلى بغداد يطلب أن يُخْطَب له [الخليفة] .

وكان ابن أخيه السلطان ركن الدين بركياروق ابن ملكشاه قد قوى سلطانه [وصارت بيده الرىّ وهمذان وما بينهما . فسار بالعساكر ليمنع عمه من البلاد] ، فترك قسيمُ الدولة ورفقتُه تاجُ الدولة وانحازوا إلى السلطان ركن الدين ، فعاد تاجُ الدولة إلى دمشق خائباً عن قصده ، وحشدَ وقصدَ قسيمَ الدولة . فلما تصافا خامر الحلبيّون على قسيم الدولة ، وأخذ [قسيم الدولة آق سنقر] أسيرًا ، وقُدّم بين يدى [تاج الدولة] فقال له : لو كنت ظفرتَ بى ما كنتَ تصنعُ ؟ قال : كنتُ أقتلك . قال : فأنا أحكم عليك بذلك . فقتله صبراً . وتسلّم حلب وقلعتها .

ولم يخلف ولداً غير زنكى . وكان عمره يومئذٍ عشر سنين .

---

(١) هذه الجملة مضطربة هنا . وعند ابن واصل ص ٢٤ ما يلى : « فامتنع إبراهيم ... فسار إليه تاج الدولة ، ... وكان إبراهيم فى ثلاثين ألفاً ، وتاج الدولة فى عشرة آلاف . وكان قسيم الدولة فى الميمنة ، وبزان فى الميسرة . فتمت الهزيمة على العرب ، وأسر إبراهيم وجماعة من الأمراء العرب ، فقتلوا صبرا ، وأخذت أموالهم ، وسبيت نساؤهم ، وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفاً من الفضيحة » .

ذكر سنتى اثنتى[1] وثلاث وثمانين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة اثنتى[1] خمسة أذرع وثمانية عشر إصبعاً[2] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً[3] .

الماء القديمُ لسنة ثلاثٍ خمسة أذرع وستة وعشرون إصبعاً[4]

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وسبعة أصابع[5] (ص ٢٤٨) .

الحـــوادث

الخليفةُ فيهما المقتدى بأمرِ الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش بدر الجمالى المستنصرى بحاله .

وفى سـنة اثنتين بُنيَتْ منارةُ حَلَب ، وكسرت الأتراكُ لبنى عقيلٍ بالرملة .

---

(١) كذا ، والصواب « اثنتين » .

(٢) كذا ، والصواب « خمس أذرع وثمانى عشرة إصبعا » .

(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً » وفى النجوم « ست عشرة ذراعاً وتسع أصابع » .

(٤) كذا ، والصواب « خمس أذرع وست وعشرون إصبعاً » .

(٥) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وسبع أصابع » وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً سواء » .

وفيها تسلّمت المصريين[١] صيدا من الأتراك .
ومات ابن حمير[٢] والله أعلم .
وفى سنة ثلاث وثمانين ولد أبو القاسم ابن المستنصر .

ذكر سنتى أربع وخمس وثمانين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :
الماء القديم لسنة أربع : أربع أذرع[٣] وعشرون إصبعًا .
مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وأربعة أصابع[٤] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ فيهما المقتدى بأمر الله ، وبنو سلجوق بحالهم .
والمستنصرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش بدر الجمالى مدبر الممالك المصرية .

---

(١) كذا ، والصواب « تسلم المصريون » .

(٢) كذا ، والصواب « ابن جهير » وهو الوزير أبو نصر فخر الدولة . انظر النجوم ٥ : ١٣٠ .

(٣) فى الأصل « أربعة أذرع » .

(٤) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وأربع أصابع » وفى النجوم « ست عشرة ذراعاً واثنتان وعشرون إصبعاً » . هذا ولم يذكر ماء النيل لسنة خمس وثمانين . وهو كما جاء فى النجوم ٥ : ١٣٧ « الماء القديم ست أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وإحدى عشرة إصبعاً » .

وفى سنة أربع قُتل كمشكين المقدم ذكره

وفيها كان الفراغ من عمارة باب زويلة .

وفى سنة خمس فتح تاج الدولة الرحبة .

وفيها قُتِلَ(١) الوزير نظام الملك المقدم ذكره .

وفيها بنى السلطانُ ملك شاه ابن السلطان ألب أرسلان بن السلطان طغريل بك بن سلجوق من وراء النهر منارة من قرون الغزلان ، وبنى أخرى مثلها بظاهر الكوفة . ثم قال : احصوا ما صدتُه أنا بنفسى من الصيد . فحصروه فكان عدة عشرة آلاف صيد ، فتصدّق بعشرة آلاف دينار .

وفيها توفى(٢) رحمه الله . وكان سلطاناً جيداً كثير العدل والإنصاف ، حسن السيرة ، جميل الأوصاف . وأسقط المكوس فى جميع ممالكه فكان مبلغُها ألفى دينار . وكان حسنَ الوجه ، كريمَ الأخلاق . وخُطب له فى بلاد الترك والصين ، إلى أقصى اليمن . وكانت (ص ٢٤٩) تقف له الأمراء والضعيفُ ، فيقف بنفسه الكريمة ويسمع الكلام ، ولا يبرح من مكانه حتى ينصف المظلوم من الظالم ، وكانت له همةٌ لم تكن لأحدٍ من السلاطين قبله ، وله النكتُ العجيبة

---

(١) كان مقتله سنة ٤٨٥ هـ .

(٢) توفى سنة ٤٨٥ أيضاً .

فى العدل . فمن جملة ما يُحكى عنه ما ساقه صاحب كتاب « جنا النحل » ذكر أنه استنسخه من كتاب يُسمى « مطالع الشروق فى محاسن بنى سلجوق » .

قال : إن السلطان ملك شاه افترد فى صيدٍ بنفسه . فلقى سوادى[1] وهو يبكى . فوقف وسأله عن حاله فظنه السوادى أنّه من بعض الأمراء فقال يا حملباشى (؟) كان معى حمل بطّيخ ، وهو بضاعتى ، فدخلتُ به إلى هـذا العسكر لأبيعه فالتقانى ثلاث[2] غلمان فأخذوه منى ، ولم يعطونى له ثمن[3] ، وطالبتهم فضربونى . فقال له السلطان : امضِ إلى العسكر وأى خيمة رأيتها حمراء اجلسْ عندها ولا تبرحْ حتى أعطيك ثمن بطيخك . فمضى ذلك الرجـل وجلس عند الخيمة الحمراء . وعاد السلطان فقال للشرابى : قد اشتهيتُ بطيخ[4] . ففتش خيمَ العسكر . فمضى وعاد وأحضر البطيخ . فقال : أين وجدته ؟ فقال فى مخيّم الحاجب فلان . فأمر بإحضاره . فقال : من أين لك هذا البطيخ ؟ قال : أحضروه[5] غلمانى . قال : أريدهم السّاعة . فتوجّه فوجد الغلمان قد هربوا لمّا تحققوا الأمر . فعاد وخبّر السلطان . فأمر بإحضار السوادى . فقال : هذا بطّيخُك ؟ قال : نعم . قال : خذه وخُذْ هذا

---

(١) كذا ، والصواب « سوادياً » .
(٢) كذا ، والصواب « ثلاثة »
(٣) كذا ، والصواب « ثمناً »
(٤) كذا ، والصواب « بطيخاً »
(٥) كذا ، والصواب « أحضره » .

الحاجب مملوكك ، فقد وهبتُه لك ، والله لئن تركتَه أو خرج من يدك بغير رضاك لأضربن رقبتكما جميعاً . فأخذ السوادى هذا الحاجب وأخرجه يقودُه بين العساكر . فاشترى الحاجبُ نفسه من السوادى بثلاث مئة دينارٍ (ص ٢٥٠) وعاد السوادى إلى السلطان وعَرّفه أنه أباعه نفسه بطيبة من قلبه ، ثم إن السلطان طرد الحاجب ونفاه عنه .

ومنها أنّه سار من جيحون إلى أنطاكية ، ما قدر أحداً[1] من عسكره يتعرّض لعلّيقةٍ بغير ثمنها ، ولا كفٍّ من تِبْنٍ . وتوفى رحمه الله وهو على هذه السُّنّة من العدلِ . وسيأتى من خبره أيضاً وبعض محاسنه ما يليق أن يذكر بموضعه .

وفيها رُكِّبَ بابُ زويلة على بابه .

وفيها نافق منير الدولة بصور ، ووصل فى رجب أسير[2] ، وقُتل وسائر مَنْ نافق معه .

(١) كذا ، والصواب « أحد »

(٢) كذا ، والصواب « أسيراً » .

ذكر سنة ست وثمانين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ستة أذرع وثلاثة أصابع[1] .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً واثنان وعشرون إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ المقتدى بأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والمستنصر خليفةُ مصر .

وفيها توفى أمير الجيوش بدر الجمالى[3] وأخلع على ولده الأفضلِ شاهنشاه ، وكان يقومُ بالأمر فى مدّة ضعفِ أبيه . فلما توفى أبوه خرجت إليه الخلعُ بالوزارة . وجُمع له ما كان لأبيه من السيف والطَّيْلَسانِ ، وقام بالأمر أحسنَ قيامٍ . وأعظم مما قام به أبيه[4]، وزاد عليه ، وسيأتى من خبره طرفٌ عند ذكر وفاته وما خلّفه من الأموالِ ، وما ذُكر عنه من وجود الكنز .

---

(١) كذا والصواب « ست أذرع وثلاث أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً واثنتان وعشرون إصبعاً » وفى النجوم « وثلاث أصابع » .

(٣) فى النجوم ٥ : ١٣٩ أن وفاته كانت سنة ٤٨٧ هـ

(٤) كذا : والصواب « أبوه » .

ذكر سنة سبع وثمانين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السّنة :

الماء القديمُ ستة[1] أذرع وإصبعان .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ المقتدى بالله أميرُ المؤمنين ، إلى أنْ توفى غُرّة المحرّم من هذه [السنة] (ص ٢٥١) وكانت خلافتُه عشرون سنة وأشهر[3] والغالبُ على أيامه بنى[4] سلجوق .

صفته : كان آدمَ اللون ، ربعةً عريضَ المنكبَيْن ، أدعَج ، حسنَ السيرة ، ذكيًّا فاضلاً .

نقشُ خاتمه : المقتدى بالله يقتدى . وقيل : المقتدى بأحكام الله .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعا » . وفى النجوم « . . . وإحدى وعشرون إصبعاً » .

(٣) كذا ، والصواب « عشرين سنة وأشهراً » .

(٤) كذا ، والصواب « بنو سلجوق » .

ذكر خلافة المستظهر بالله بن المقتدى بأمر الله

وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو العباس أحمد بن أبى القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بالله ، وباقى نسبه قد تقدّم .

أمُّه أم ولد أرمنيّة تسمى نور ، ويُقال تركيّة تسمى نوروز .

بويع له بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام فى شهر المحرم من هذه السنة وكان عمره يوم ولى الخلافة ست عشرة سنة [وشهرين][1] .

مولدُه فى ذى الحجة سنة سبعين وأربع مئة .

مدبّر ممالكه عميد الدولة أبو منصور محمد بن محمد بن جَهير ، ثم أخوه زعيم الدولة أبو القاسم علىّ . وبنو سلجوق الحكام فى أقاصى البلاد وأدانيها ، وأمرُ الخلافة من تحت أمرهم .

والمستنصرُ خليفةُ مصر إلى أن توفى أيضا فى هذه السنة سادس عشر ذى الحجة . فكانت مدة خلافته ستون[2] سنة وأربعة أشهر . وقد تقدم ذكر جميع وزرائه وقضاته مما يغنى عن تكرار ذلك .

وكان المستنصر لا يبقى فى وجهه شعرة تلوح للناظر إلاّ يحلق الجميع . وبلغ الأفضل أمير الجيوش أنّ رسول ملك الهند قادمٌ عليهم ، فبعث

---

(١) الزيادة من المنتظم ٩ : ٨١ .

(٢) كذا ، والصواب « ستين » .

إلى المستنصر بقول : إنّه قد توجّه إلينا رسولُ صاحب الهند ، ولا بدّ من مثوله بين يدى مولانا أمير المؤمنين . فلو ترك مولانا هيئته بحالها لكان أهيبَ لنا عند الرسول .

فكتب إليه : قد جعلنا لك الأموالَ والبلادَ والإقطاع والولايات والتصرف فى جميع (ص ٢٥٢) الأمور ، تنظر فيها برأيك ولم نعارضك فى شىء منها ، فلا أقلّ ما تهبنا هيئتنا والسلام .

فلم يعاوده فى أمر بعدها .

ذكر خلافة المستعلى بالله

وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله بن عليٍّ الظاهر بن الحاكم ، وباقى نسبه قد تقدّم .

ولد بالقاهرة المحروسة ليلة يسفر صباحها عن الثامن عشر من ذى الحجّة سنة سبع وستين وأربع مئة .

بويع له يوم الخميس ثامن عشر ذى الحجة من هذه السنة .

وتولّى أمره الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش ، وأجلسه على سرير الخلافة ، وسلّم عليه بأمير المؤمنين ، وجلس بين يديه ، وعمره يومئذ سبع عشرة سنة[1] .

وسيّرت عمته إلى نزار وعبد الله وإسماعيل أعمامه[2] فحضروا وشاهدوا المستعلى على سرير الخلافة ، فلم يُرْضِهم ذلك ، فأمرهم الأفضلُ أن يُسَلِّموا عليه بالخلافة فأبوا ذلك ، وامتنعوا من مبايعته ، وقال نزار : عندى الخطُّ من المستنصر بولاية العهد لى ، وأنا آتيكم به وخرج ليأتيهم بذلك فاستخفى ، وطُلب فلم يُوجد ، إلى أن ظهر أمرُه

(١) فى النجوم ٥ : ١٤٢ « كانت سنه يوم ذاك نيفت على عشرين سنة » .

(٢) كذا ، والصحيح أنهم إخوته . انظر النجوم ٥ : ١٤٢ .

بالإسكندرية وادّعى الخلافة ، ولقّب نفسه الإمام المُصْطَفى لدين الله ، وركب بالمظالة .

فلما بلغ الأفضلُ ذلك أميرُ الجيوش ، وكان بالإسكندرية يومئذ الأفتكين والياً ، وهو غلامُ أمير الجيوش بدر الجمالى ، كان قد ولاّه الإسكندرية أيام حياته . فلما وصل إليه نزار قام معه فى الأمر ووزر له ، وتلقّب ناصر الدولة ، وجمع جمعاً عظيماً من المغاربةِ والعربان والجند والقبائل من العرب ، ووصل إلى شابور (؟) ، فخرج إليه الأفضلُ فى جموعه وكسره على شابور ، وقَتَل جميعَ مَنْ كان معه ، وبنى على رؤوسهم مسجداً وسماه مسجد النصر .

(ص ٢٥٣) وكانت هذه الوقعةُ فى سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة كما يأتى من ذلك . وفى هذه السنة وهى سنة سبع وثمانين دخل مؤيّدُ الدولة بن شرف الدولة الموصل وخطب فيها لتتش

وفى آخرها قتل تتش الملقّب تاج الدولة بإصبهان[١] ، وتسلّم دقاق ابن تتش دمشق بعد أبيه .

وتسلّم أخوه رضوان حلب .

وفيها جاءت الزلزلةُ فى يوم وليلة اثنتى عشرة دفعة ، لم يسمع بمثلها وأخربت البلاد ، وقتلت عالم عظيم[٢] .

---

(١) فى النجوم أنه قتل سنة ٤٨٨ هـ (٥ : ١٥٥) وكذا عند القلانسى ص ١٢٩ .

(٢) كذا ، والصواب « وقتلت عالماً عظيما » .

وفيها كانت الدعوة للإمام المستظهر بالله أمير المؤمنين خليفة بغداد ببلاد الأندلس . قام بذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، ثم قام بها فى جميع المغرب ، ولم تزل قائمةً بالمغرب حتى ظهر ابن تُومَرْت الملقّب بالمهدى فانقطعت .

وفى أيّام المستظهر توفى أبو حامد الغزالى رحمه الله . وكان قد ألّف كتاباً وسماه « المستظهر » وهو المشهور فى أيدى الناس من جملة تصانيف الغزالى .

ذكر سنة ثمان وثمانين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة أذرع وستة أصابع(١) .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً(٢) وأحد عشر إصبعاً :

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ المستظهرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّامُ البلاد والمستعلى خليفةُ مصر .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وست أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً » وفى النجوم « سبع عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً » .

وكانت الوقعة بين الأفضل وأفتكين ونزار على شابور ، وكسرهم الأفضلُ ، وقَتَلَ منهم مقتلةً عظيمة حسبما سقناه ، ثم توجّه إلى الإسكندريّة وحاصرها ، ولم يزل حتى افتتحها ، وأخذ نزاراً والأفتكين أسرى ، ثم قَتَل فى الإسكندريّة جماعةً من وجوه قومها ممن أقاموا بيعة نزار ، ومن جملتهم القاضى ابن عمّار . وكان هذا القاضى (ص ٢٥٤) ابنُ عمّار قاضى الإسكندرية ورئيسَها ، وكان بينه وبين قومٍ عُدولٍ من أهل الإسكندرية يُعرفوا[1] ببنى هريسة منازعةٌ فى الباطن . وكان بين بنى هريسة وبين الأفضلِ أميرِ الجيوش وصلة ، وكانوا يكاتبونه بأخبار البلد عندما كانت فى يد نزار والأفتكين . فلما دخل الأفضلُ إلى الإسكندريّة وَشَوْا[2] بنو هريسة بالقاضى ابن عمّار عند الأفضل ، حتى قتله مع مَنْ قتَلَ ، بعد ما قبض عليه واعتقله . وكان هذا القاضى ابن عمّار حَسَنَ السيرة ، ونادرة الوقت ، ولما أُخذ وسُجن دخل عليه بعضُ العدولِ زائراً ، وكان ذلك العدلُ خصيصًا بالأفضل ، فدفع إليه القاضى ابن عمّار رقعةً فيها بيتيْن[3] من الشعر لنفسه يقول :

هل أنتَ مُنْقِذُ شِلْوى من يدى زَمَنٍ   أضحى يقدّ أديمى قَدَّ مُنْتَهِسِ
دعوتُك الدعوةَ الأولى وبى رَمَقٌ   وهـذه دَعوتى والدهرُ مفترسى

---

(١) كذا والصواب « يعرفون » .   (٢) كذا ، والصواب « وشى » .

(٣) كذا ، والصواب « بيتان »

وقال لذلك العدل : أنا أعلمُ خاصتك بأمير الجيوش فإذا خَلَوْتَ به فادفع هذه الرقعة إليه . فأخذها وتشاغل عنها للأجل المحتوم والأمر المقدّر . فلما قتله وفرط فيه الفرط ذكر ذلك العدل تلك الرقعة فأوصلها للأفضل . فلما قرأها قال له : أفٍّ لك ! والله لو دفعتَها إلىّ قبل قتله ما قتلتُه . ثم طلب ذريّته وأسدى لهم خيراً .

ولم يزل الأفضلُ بالإسكندرية حتى وطّدها واستقرّت أحوالُها وكرّ راجعًا إلى القاهرة وصحبتُه نزار والأفتكين . فأشهر الأفتكين على جملٍ ثم قُتل ، وابتنى على نزارٍ حيطين فهو بينهما والله أعلم .

وفيها وصل أتابك طغتكين من خراسان إلى دمشق .

وفيها توفى أبو يوسف القروى[1] المعتزلى ، وهو مصنف تفسير القرآن فى سبع مئة مجلد (ص ٢٥٥) .

وفيها كسرت الفرنجُ أمير الجيوش الأفضل بالساحل ورجع إلى القاهرة فى نَفَرٍ قليل .

وفيها كانت زلزلة عظيمة عامّة والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « القزوينى » وهو عبد السلام بن محمد شيخ المعتزلة . انظر النجوم ٥ : ١٥٦ والمنتظم ٩ : ٨٩ .

ذكر سنة تسع وثمانين وأربع مئة

النيلُ المباركَ فى هذه السنة :

الماء القديمُ أربعةُ أذرع وسبعة عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة ستةِ عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصبعاً[2]

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ المستظهرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حكام البلاد .

والمستعلى خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى .

وفيها قتل سوتكين[3] والى قلعة دمشق .

وفيها كُسر دُقاق بن تتش على قنّسرين .

وفيها توفى منصور بن قيصر بن مروان صاحب ديار بكر .

وفيها ظهر نجمٌ بذنَبٍ طويلٍ تقدير عشرين رمح[4] .

وقيل إنّ فى هذه السنة كان خروج نزار والأفتكِين من الإسكندرية حسبما سقناه والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وسبع عشرة إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً » ، وفى النجوم « ثلاث عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً » .

(٣) كذا ، وصواب اسمه « ساوتكين » كما ورد عند القلانسى ص ١٣١ . وفيه أنه قتل سنة ٤٨٨ هـ .

(٤) كذا ، والصواب « رمحاً » .

ذكر سنتى تسعين وإحدى وتسعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

المـاء القديمُ أربعة أذرع وأحد عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً واحد وعشرون إصبعاً[2] .

المـاء القديم لسنة إحدى أربعة أذرع وثلاثة وعشرون إصبعاً[3]

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً واثنا عشر أصبعاً[4]

الحـــوادث

الخليفةُ فيهما المستظهرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّام البلاد .

والمستعلى خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش الأفضلُ شاهنشاه مدبّر الممالك المصرية .

وفى سنة تسعين نزلت الإفرنج خذلهم الله على أنطاكية وفتحوا سُمَيْساط .

---

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وإحدى عشرة إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً » وفى النجوم « سبع عشرة ذراعاً وإصبع واحدة » .

(٣) كذا ، والصواب « أربع أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً » وفى النجوم « . . . وثمانى عشرة إصبعاً » .

(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً » ، وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً » .

ورأيت(١) فى مسوّداتى أن فى سنة إحدى وتسعين ظهر بمصر ظُلمة عظيمة غشيت الناس إلى أن ظنّوا أنّ القيامةَ قد قامت ، ولم يَرَ بعضُهم بعضاً ، وأجمع الناسُ أنّهم لم يزوا من عهد آدم عليه السلام إلى ذلك التاريخ مثل هذه الظلمة ، وقوى الريحُ الأسود ، حتى تاهت الناس فى تلك الظلمة عن منازلهم ، وأقامت كذلك سبع ساعات من النهار ، ثم سكن الريحُ وظهر النورُ بعد العصر ، ولم يؤذّن أحداً(٢) فى ذلك اليوم لا ظهر ولا عصر(٣) لدهشة الناس وعدم معرفة الوقت .

وفيها فتح أميرُ الجيوش الأفضلُ دمشق(٤) ، وعادت فى ولايته ، (ص ٢٥٦) وتسلم بيت المقدس بالأمان .

وفيها ملكت الفرنجُ الرُّها ومَرْعَش والحدث وكيسون وأنطاكية مع عدة قلاع بالشرق .

وفى سنة إحدى كان بمصر وباء كثير وموت ، وعدمت ناس كثيرة .

---

(١) قوله « ورأيت . . . الوقت » مضاف فى الهامش بخط المؤلف .

(٢) كذا ، والصواب « أحد » .

(٣) كذا ، والصواب « لا ظهراً ولا عصراً » .

(٤) لم يتسلم الأفضل دمشق ولم يصل إليها ، بل تسلم بيت المقدس . انظر القلانسى ص ١٣٥ .

ذكر سنتى اثنتين وثلاث وتسعين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة اثنتين ستة أذرع واثنا عشر إصبعًا[1] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وعشرة أصابع[2] .

الماء القديم لسنة ثلاثٍ عشرة أذرع وستة عشر إصبعًا[3] .

مبلغ الزيادة خمسة عشرة ذراعًا وخمسة عشر إصبعًا[4] .

الحــــوادث

الخليفة فيهما المستظهر بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّام البلاد .

والمستعلى خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش الأفضل مدبّر الممالك المصرية .

وفيها ، وهى سنة اثنتين ، غلب الفرنج خذلهم الله على أكثر الشام ولم يبق غير دمشق ، واستعادوا بيت المقدس من المسلمين ، وكان

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع واثنتا عشرة إصبعاً » وفى النجوم « واثنتان وعشرون إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وعشر أصابع » وفى النجوم ست عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً » .

(٣) كذا ، والصواب « عشر أذرع وست عشرة إصبعا » .

(٤) كذا ، والصواب « خمس عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً » وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً » .

ذلك فى شهر رمضان . وكان أشدّ ما على المسلمين من أخذهم هذا البيت المقدس بعد استنفاده منهم وكذلك أخذوا المعرة ، ونقلوا[١] المسلمون مصحف عثمان من المعرّة إلى دمشق .

وفى سنة ثلاث أخذوا[٢] الفرنج سروج .

وفيها توفى عميد الدولة ابن جَهِير .

وفيها ركب المستعلى بالله إلى مصلّى العيد ، وناب عن أميرِ الجيوش الأفضلِ أخوه المظفّرُ بسبب ضعف الأفضل .

وفيها توفى رجاء وولى القضاء ذكاء ، والله أعلم .

ذكر سنتى أربع وخمس وتسعين وأربع مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديمُ لسنة أربعٍ سبعة أذرع وثمانية عشر إصبعًا[٣] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة أصابع[٤] (ص ٢٥٧) .

---

(١) كذا ، والصواب « ونقل المسلمون » .

(٢) كذا ، والصواب « أخذ الفرنج » .

(٣) كذا ، والصواب « سبع أذرع وثمانى عشرة إصبعاً » ، وفى النجوم « ست أذرع وثمانى عشرة إصبعاً » .

(٤) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وخمس أصابع » ، وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً وسبع أصابع » .

الماء القديم لسنة خمس سبعة أذرع وثمانية أصابع[١] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة أصابع[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ المستظهر بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والمستعلى خليفةُ مصر إلى أن توفّى سنة خمسٍ وتسعين وأربع مئة حسبما يأتى من ذكره فى تاريخه .

وفى سنة أربعٍ أُحرقت الأجزاء من « كتاب إخوان الصفا » ببغداد ونُهى[٣] الناس عن قراءتها ، وقُتل جماعة من الإسماعيلية .

وتسلّم أتابك جبلة . وملكتْ الفرنْج قيسارية . وقُتِلَ سعدُ الدولة على عسقلان .

وفى سنة خمسٍ توفى المستعلى بالله خليفة مصر ليلة السابع والعشرين[٤] من شهر صفر من هذه السنة ، وله من العمر سبع وعشرون سنة وشهران وأحد عشر يوماً .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وثمانى أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وخمس أصابع » ، وفى النجوم « سبع عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً » .

(٣) ص « نهأ » .

(٤) فى النجوم ٥ : ١٥٣ « توفى يوم الثلاثاء تاسع صفر ، وقيل فى ثالث عشر صفر ، والأول أشهر » .

وقيل : وشهران غير يوم واحد . وهو الصحيح .

وكانت خلافتُه مصرَ وتابعها سبع سنين وشهر واحدٍ وعشرون يومًا(١) .

مدبّرُ دولته طولَ أيّامه الأفضـلُ أميرُ الجيوش شاهنشاه إلى حين وفاته .

قُضاته : ابن الـكحال ، ابن المليحى ، ابن رجا ، ابن دكا ، النابلسى .

قلتُ : قد تقدم الشرطُ من العبد أن يَذكر آخر كلّ خلافةِ خليفةٍ من هؤلاء القوم ما ذُكر من مدائحه ، وها نحن نذكر من المدائح المستنصريّات ما هو مستحسنٌ لائق ، من حُرِّ المديح الرائق ، ونتبعه بالمدائح المستعليات ، الشوائق المستحليات ، جهد الطاقة ، وحدّ الاستطاعة ، وبالله التوفيق .

المستنصريّات

ولى الدين أحمد بن حران متولى الإنشاء :

إنّ الحقائق قد تَبَلّجَ نورُهَا   لَمّا تتوّجَ بالهدى المستنصرُ
هو ثمنُ الأملاكِ قام وثنا   من الأفلاك أعلى فى النفوسِ وأكبرُ
سادت معاليه كواكبَ سبعةً   بضيائها تحيا النفوسُ وتُبْصر
شَرُفَ الزمانُ بهم فصارت أرضُه   فلكًا هُمُ فيها كواكبُ زُهّرُ

(١) كذا ، والصواب « وشهراً واحداً ، وعشرين يوماً » وفى النجوم « سبع سنين وشهرين وأياماً » .

ابن أبى حُصَيْنة[1] :

هو حجةُ اللهِ العلىِّ فلا تكن   متعلّقاً أبداً بغــــيرِ حباله
وعلا سريرَ الملكِ من آلِ الهُدى   مَنْ لا تمرُّ الفاحشاتُ ببالِهِ
أوفى البريةِ كلِّها بعهودِهِ   وأشـــدِّها حنقاً على أمواله
لو رامَ تحويلَ الزمانِ ونَقْلِهِ   عن طبعه لأماله عن حاله

تهنئة ببنتٍ له من كلام الأشروسى

صلواتُ الله العائدة البادية ، الرائحةُ الغادية ، وتحياتُه المستمرة ، الزاهية ، المستقرة ، القاطنة ، وسلامه المتعهّد بالعشىِّ والإبكار ، والمتجدِّدُ آناءَ الليلِ وأطراف النهار ، على مولانا وسيدِنا الإمامِ المستنصر بالله أميرِ المؤمنين ، وعلى آبائه الطاهرين الأبرارِ الراشدين ، ما اخضرّ فى غصنٍ ورقة ، وناحت على شجرٍ مُطَوّقة ، وأسعد اللهُ مولانا بطلوع شمسٍ غدا نورُها كاسفاً للأقمار ، وزاد ضياؤها فى إشراق النهار ، وعَظّمَ عليه يُمْنَ سيدةٍ تقاصرت عن عُلاها الرتب ، وتجملت بذكرها السِّيَرُ والخطب ، وما التأنيث منغصاً للعطيّة الكريمة ، ولا مُنْتقِصًا من العارفة الجسيمة ، لأنّ الله تعالى جعل التأنيث فى أشرفِ ما صنع ، وأعظم

---

(١) انظر ديوان ابن أبى حصينة (المستدرك) ص ٣٤٣ ، نقل المحقق المقطوعة (٨ أبيات) عن ابن الوردى وليس فيها إلا الثانى من مقطوعتنا . والثلاثة الأبيات الأخرى التى هنا لا توجد هناك .

ما اخترع ، فالأرضُ مؤنّثةٌ ومنها خُلقت الأمم ، والدنيا مؤنّثةٌ والعالم لهـا خَدَم ، والسماء مؤنّثة وهى محلُّ الكواكب ، والشمسُ مؤنثة ولها النورُ الثاقب ، والنفسُ مؤنّثة وهى قوام الحيوان ، (ص ٢٥٩) والعينُ مونّثةٌ وهى سراجُ الإنسان ، والتقوى مؤنثة وهى خيرُ زاد ، والآخرةُ مؤنّثةٌ وهى دارُ المعاد ، والنبوّة مؤنثة وهى صراطُ الحقّ ، والأمانةُ مؤنّثة وهى حجّةُ الله على الخلق ، والدولةُ مؤنّثةٌ والبريّة عبيدُها ، والدعوةُ مؤنّثةٌ والهدى عمودُها ، والبركةُ مؤنّثةٌ وهى أيمَنُ طالع ، والنعمة مؤنثةٌ وهى أسعدُ قادم ، فالحمدُ لله على جزيلِ عطيّتِه ، وكريم عارفتِه ، وإليه الرغبةُ فى تبليغ مولانا أبعدَ جدودِ الأمل ، وأعلى درجاتِ الغبطة والجَذَل ، وأن يشفع هـذه الموهبة بعدد من أنجاب نجلِه الطاهرِ ، وفروع أصله الكريم العناصر ، وهو بكرمه وليُّ الفضل ، ومولى الامتنان والتطوّل ، إن شاء الله .

ولعبد الباقى التنوخى ، ويذكر أخذ البَساسيرى للإمام العباسى :

أنتَ الذى نَطَقَ الكتابُ وبَشَّرَتْ ... بقـدومك العلماء والأحْبارُ
تُمْحى برؤياك الذنوبُ كأنّما ... رؤياكَ عندَ المذنبِ استغفارُ
هذا الإمامُ مَعَدٌّ أفضلُ كلِّ مَنْ ... ولَدَتْ مَعَـدٌّ قبله ونزارُ
سَائلْ بنى العبّاسِ عنه فعندهم ... خبرُ الذى هو عندنا استخبارُ
لما طغى أسهم (؟) فلم يلبث إلى ... أنْ حاط منك به قُوًى ودَمَارُ
لم يكفِ أنْ دُكّت أسِرّةُ ملكهِ ... حتى حواه بعد ذلك أسارُ

مَنْ يَعْتَقِدْ فيمن سواكَ إمامةً   فإمامه خِزْىٌ له وشَنَارُ
صغنا لكَ الأشعارَ يا من صيغتِ الـ   آياتُ فيه فضاعت الأشعارُ

المدائحُ المستعليات

عبدُ الباقى فى القصيدة التى رثى بها المستنصر (ص ٢٦٠)
وكان وفاة المستنصر ليلاً ، وجاءت فيه مطر فقال :

وليس ردى المُسْتَنْصِرِ اليومَ كالردىٰ   ولا رزْؤه أمراً يقاس به أمرُ
لقد هاب ملْكُ الموتِ إتيانه ضحىً   ففاجأه ليلاً وما طَلَعَ الفجرُ
وأجرت عليه حين مات دموعَها   السماء وقال الناسُ : لا بَلْ هو القَطْرُ
وقد بكت الخنساء صَخْراً وإنّه   ليبكيه من فرطِ المُصاب به الصَخْرُ
وقُلِّدَها المستعلىُّ الطُّهْرُ حسبما   عليه قديماً نصّ والدُه الطهرُ

وله فى مثل ذلك :

إنْ كانَ قَدْ أودى مَعَدٌّ فانظروا الْـ   مُسْتَعلىَ العالى ابنَه وتبصّروا
تجدوا الإمامَ أبا تميمٍ نَيِّرًا   ما غاب حتى لاح منه نَيِّرُ
وكذا الإمامةُ كالحديقةِ لم تزل   غصنٌ بها يذوىٰ وآخرُ يُثْمرُ

وقال أيضاً :

عاد عودُ العلياء غَضًّا طَرِيّا   واستَجَدّ الزمانُ خُلْقًا رَضِيّا
ورأينا المُسْتَعْلِىَ العالىَ الجدِّ (م) كأنّا به رَأينا النبيّا
وشهدنا معه المعزَّ مع القائمِ يَتْلُوا المنصورَ والمهديّا

وبه أرشـــدَ الإلهُ البرايا   وهَدَاهم به صِراطًا سَـــوِيًّا
وحباهم وغدًا بهم فأتاهم   إنّه كانَ وعْدُه مَأْتِيّا
صلواتُ الإله تَترىٰ عليــه   آخر الدهرِ بكرةً وعَشيّا

وقال أيضًا :

لقد فَضَّلَ الخلاّقُ أحمدَ فى الورىٰ   وفَضّل فى البلدان من أجله مصرا
تحذى رســول الله اسماً وكنيةً   وطهراً فأضحى مثـل آبائه طهرًا
(ص٢٦١) فياربِّ هنينا به وأطِلْ له   كوالده المنصورِ الباعَ والعُمْرا

محمد بن محمد الحسنى يقول :

سليلُ النبىّ وفَرْعُ الوصِىّ   طال فخاراً وطاب اختيارا
وإرث الخـــلافة حقٌّ له   إذا ما سواه ادعىّ واستعارا
فإنْ تميروا فيه بعـد اليقين م   لخاميمُ أكرمُ من أن تُمارَى

يعنى قوله تعالى ﴿ قُلْ لا أسألكم عليــه أجراً إلاّ المودّةَ فى القُربَىٰ ﴾(١) .

حسنُ بن حيدرة يقول :

مَلَكَ الّتى ما أنْ تُنال بحيلةٍ   بل مَوْلِدٌ يقضى بها ونجارُ
سرٌّ تنقّل كابرًا عن كابرٍ   حتى أتتْهُ بمحضِها الأسرارُ

---

(١) سورة الشورى ، ٤٢ ، الآية ٢٣ .

ولمحمد بن محمد الحسنى أيضاً عند مولد الآمر :

أهدى الزمانُ لنا بشائرَ سَعْدِهِ   ووفى لأبناء الرجاء بوعــدِهِ
واستَلَّ من جفن المعالى صارماً   يفرى الخطوبَ القادحاتِ بحدِّهِ
نورُ النبوةِ والإمامةُ أصبحا   يتألّقان على ضــياء فِرَنْدِهِ
بتآمر البناء العظيم تشعبت (؟)   شعب الضلال تحاير عن قصده (؟)

وللحسن بن حيدرة فى ذلك :

ذخر الخلافة أبدتْهُ سعادَتُها   وكان فى عينها من قبلُ مكْتَتِمَا
سِرٌّ من الله تُخفيه إرادتُه   عن الجهولِ وتُبديه لمن علما

وله أيضاً فيه :

ورثَ الخلافةَ كابرًا عن كابرٍ   شهدت بذاك بواطنٌ وظواهرُ
شفع النبوّةَ بالخلافةِ إنّه   فيها بأحكامِ المهيمنِ آمرُ

ولمحمد بن القاضى الموفق : (ص ٢٦٢)

يا عاشرَ الخلفاء والمحيى لهم   ذِكْراً روايتنا له عن طاهَا
أخجلْتَ بالكرم السحائبَ بعدمَا   كانت تُفاخرُ بالندى وتَبَاهَا
وحَسَمْتَ أدواءَ القنوطِ لأنفسٍ   فجعَلْتَها تقوى على تقواهَا
فاسْلَمْ على رَغْمِ الليالى آمراً   فيها فأنْتَ سناؤها وسناهَا

وله أيضاً فيه :

إمامٌ تذلُّ الحــادثاتُ لعزّه   يعيدُ ويُبدى والليالى رواغِمُ
تَدَارَكنَا والمكرماتُ دوائرٌ   يصمُّ صداها والمعــالى مَعَالِمُ

وله أيضًا فيه :

أذْهَبْتَ بالجودِ ما بالناسِ مِنْ حَسَدٍ   فأصبحوا فى دِراكِ الرّحْب إخوانَا
ما زلتَ أسمحَهم نفْسًا وأسمعهم   هَمْسًا إذا سدَّ وَقْرُ البخلِ آذانَا
وما يجودُ زمانٌ أنتَ قاهرُه   ولا يروِّعُنــــا ما دمتَ ترعانَا

قلتُ : وهذا آخر ما وجدتُ من مدائح هؤلآء القوم فى « مسير التاريخ » اختصار الشيخ أبى القاسم علىّ بن منجب بن سُليمان الـكاتب رحمه الله تعالى . والآمرُ هذا هو آخرُ مَنْ ولى الخلافةَ على التلاوة من عنصر المهدى ، وهو يعدّ عشرة جدودٍ خلفاء إلى جدّه عبيد الله المهدى .

وذلك أنه الآمر بن المستعلى ، بن المستنصر ، بن الظاهر ، ابن الحاكم ، بن العزيز ، ابن المعز ، ابن المنصــور ، ابن القائم ، ابن المهدى .

ذكر خلافة الآمر المذكور

وما لُخِّصَ من أخباره وسيرته [1]

هو أبو علىّ منصور بن أبى القاسم أحمد بن المستعلى بالله وباقى نسبه قد ذكرناه .

ولد فى المحرم من سنة تسعين وأربع مئة .

بويع له يوم الثلاثاء الثالث عشر من المحرّم ، وقيل السابع عشر من صفر وهو الصحيح ، من هـذه السنة . وله خمسُ سنين وأشهرٌ وأيامٌ .

قام بأمره أميرُ الجيوش الأفضلُ شاهنشاه بن أمير الجيوش بدرٍ الجمالى المستنصرى ، وكفله ودَبّر (كذا) ، وقام بأمره أحسن قيامٍ ، وساس الأمور أجملَ سياسة . وحَسُنَتْ حالُ الرعية فى أيّامه إلى الغاية . ولم يزل مستبدًّا بالأمور من غير منازع ولا مشارِكٍ ولا معاندٍ حتى كبر الآمرُ وعرف جيّده من رديّه ، وحُسِّنَ له أنْ يعمل على قتل الأفضلِ ليخرج من تحت حجره ، فأتْقن أمره وباطَنَ عليه ، حتى قُتل فى تاريخ ما يأتى من ذكره .

ثم وزر له بعده جماعة تأتى أسماؤهم فى تواريخها إن شاء الله تعالى .

ذكر سنة ست وتسعين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

٣ الماء القديم سبعة أذرع وثمانية أصابع[١] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعًا . وخمسة عشر إصبعًا[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

٦ الخليفةُ المستظهرُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمِرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش الأفضلُ مدبِّرُ الممالك المصرية .

٩ وفيها فتح دقاق بن تتش السلجوقى الرحبة .

ودخل كُمُشْتِكين بعلبَكّ ، وحاصر شرف الدولة دمشق وفتحها عنوة بالسيف[٣] .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وثمانى أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً » وفى النجوم « سبع عشرة ذراعاً وإصبع واحدة » .

(٣) هذا غير صحيح ، ولم يرد فى المصادر . انظر القلانسى ص ١٤٢ .

ذكر سنة سبع وتسعين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع واثنا عشر[1] إصبعاً .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّص من الحوادث (ص ٢٦٤)

الخليفةُ المستظهرُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّام البلاد . والآمرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوشِ الأفضلُ مدبِّرُ الممالك المصرية .

وفيها ملكتِ الفرنجُ خَذَلَهم الله عكّا من المسلمين ، وقتلوا مَنْ كان بها بعد ما أمنوهم .

وفيها توفى الملك دُقاق بن تُتُش السلجوقىّ صاحبُ دمشق فى شهر جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفيها ظهر كوكبٌ عظيمٌ بالشرقِ أبيضُ كأنّه القمر ، له ذؤآبة من شرقيّه ، تقديرُ طولِها مئة وخمسين[3] ذراعاً ، وله شعاعٌ وضوءٌ كالقمر الزاهر ، وأقام يتردّدُ مدّةَ أيّامٍ وليالٍ . وكان إذا كان مع القمر يظنُّ الناسُ أنّهما قمران ، لولا ما فضل القمر بذؤآبته ، وكان من الأعاجيب السمائية (كذا) .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع واثنتا عشرة إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً » ، وفى النجوم « وثلاث عشرة إصبعاً » .

(٣) كذا ، والصواب « وخمسون » .

ذكر سنة ثمان وتسعين وأربع مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماءُ القديمُ سبعة أذرع وخمسة أصابع[1] .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وخمسة أصابع[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ المستظهر بالله أمير المؤمنين . وبنو سلجوق حُكّامُ البلاد . والآمرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش الأفضلُ شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى المستنصرىّ ، والقاضى النابلسى بحاله .

وفيها نزل أتابك طغتكين على دمشق خامس عشر جُمادى الأولى فأقام محاصره إلى المغرب (كذا) من جُمادى الآخرة . فملكها بالأمان ودخل إليها وصلّى تلك الجمعة بجامعها ، فقفز عليه إسماعيل ليقتله فضربه مملوك كان خلفه بلتّ حديدٍ فقتله ، وسلم أتابك[3] .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وخمس أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وخمس أصابع » ، وفى النجوم « ست عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً » .

(٣) لم يذكر مصدر من المصادر هذه الحادثة فى هذه السنة . وقد كان أتابك فى دمشق فكيف ينزل عليها . ولعل المؤلف وهم فى ذكر البلد . انظر القلانسى ص ١٤٨ .

ذكر سنتى تسع وتسعين وخمس مئة

النيل المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديمُ لسنة تسعٍ وتسعين ثمانية أذرع فقط[1] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصْبَعاً[2] .

الماء القديم لسنة خمس مئة ثمانية واثنا عشر إصبعاً[3] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعاً[4] .

الحـــوادث

الخليفةُ فيهما المستظهرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوشِ الأفضلُ شاهنشاه مدبِّرُ الممالك المصرية .

وفى سنة تسعٍ وتسعين استولى الملك رضوان صاحب حلب على فَامِيَة ، وكسر الفرنج على أَرْتاح ، واستولى طغتكين أتابك على بُصْرىٰ وصَرْخَد .

وفيها توفى يوسفُ بن تاشِفين صاحبُ المغرب[5] .

وفى سنة خمس مئة قتل قلج أرسلان لسيف الدولة علىّ بن بسّام صاحب الرقة .

وفيها استعادوا[6] الفرنج فامية من المسلمين .

---

(١) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً » ، وفى النجوم « . . واثنتا عشرة إصبعاً » .

(٣) كذا ، والصواب «ثمانى أذرع واثنتا عشرة إصبعاً » . وفى النجوم «... وتسع أصابع» .

(٤) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً » . وفى النجوم « تسع عشرة ذراعاً وإصبع واحدة » .

(٥) فى النجوم ٥ : ١٩٥ أن وفاته كانت سنة ٥٠٠ هـ .

(٦) كذا ، والصواب « استعاد » .

ذكر سنة إحدى وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ سبعة أذرع وخمسة أصابع[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ المستظهر بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكامُ البلاد . ووزيرُ الخلافة ابنُ جَهير عميد الدولة[3] ، إلى أن توفى فى هذه السنة .

ووزر أخوه أبو القاسم علىّ ولُقِّب زعيم الدولة[4] .

والآمرُ خليفةُ مصر وأميرُ الجيوشِ الأفضلُ شاهنشاه بن بدْرِ الجمالى ،

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وخمس أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً » ، وفى النجوم « . . . وثمانى عشرة إصبعاً » .

(٣) الصحيح أن الوزير على بن جهير عزل فى السنة الفائتة . انظر المنتظم ٩ : ١٤٩ . وهو كان يسمى زعيم الرؤساء لا عميد الدولة . وتوفى سنة ٥٠٨ لا فى سنة ٥٠١ كما ذكر المؤلف . (انظر النجوم ٥ : ٢٠٨ ؛ والمنتظم ٩ : ١٨٢) .

(٤) هذا وهم من المؤلف . قال ابن الجوزى : « فلما عزل (أى على بن جهير سنة ٥٠٠ هـ) استنيب قاضى القضاة أبو الحسن الدامغانى وجعل معه أبو الحسين بن رضوان مشاركا له . . . » المنتظم ٩ : ١٤٩ .

واستكمل دارَ المُلْكِ وجعلها دارَ إقامته ، وهى دارُ الوكالة اليوم بمصر فى هذا التاريخ . ونقل إليهـا من الأموال والتحف والأمتعة ما يعجز عن بعض وصفه اللسان .

قال الشيخُ شمس الدين ابن خَلِّـكان رحمه الله تعالى فى تاريخه[1] : كان بهـذه الدار عشرة مجالس مفروشة (ص ٢٦٦) بأنواع الفرش الديباج والبسطِ الحريرِ . وكان فى كلّ بابٍ من أبواب هذه المجالس العشرة مسمارٌ ذهبٌ بحلقة زِنتُه مئة دينار ، معلّقٌ فيـه منديلٌ زَرْكش يتناول منهم (كذا) ما شاء .

وقيل إنّ الأفضلَ وقع له كنزٌ يُعرف بكنز الحمارة ، ذكر ذلك صاحب كتاب « حلّ الرموز فى علم الـكنوز » .

حكى أنه كان بمصر رجـلٌ أحدبُ إسكافٌ يرقّع العتيق من المداسات ، فاجتمع له ثمانين درهم[2] ، ففـكّر أنّه يشترى بها حماراً يكونُ يركبُه إذا فرغ من شغله . فخرج إلى سوق الدوابّ ، فوجد حمارةً تُباع بسائر عدتها بثمانين درهم[3] . وهى من تركة إنسانٍ توفى فشراها . فلما كان بكرة ذلك اليوم ركبها الأحدبُ وخرج نحو القرافة ،

---

(١) ليس هـذا النص فى ترجمة الأفضل فى وفيات الأعيان . انظر الوفيات ٢ : ١٦٠ .

(٢) كذا ، والصواب « ثمانون درهما » .

(٣) كذا ، والصواب « درهما » .

وهى تُسرِعُ به المشىَ من غير أنْ تكلّفه لضربها . فأعجبه منها ذلك ، واستمر كذلك إلى بساتين الوزيرِ ، فعرّجت طالعةً نحو الجبل وهى تسرعُ أشدّ إسراعٍ ، ولا عاد يقدرُ على منعها . فلم تزل به كذلك إلى أن وصلتْ به فى الجبل إلى مكانٍ فيه مَدْوِد مبنى وبه أثرُ شعيرٍ وتِبْن وقصريةٌ وجرّة ومِقْوَدُ بهيمةٍ مشدود إلى مكتوم . فوقفت على ذلك المدود . فتعجّبَ الأحدبُ ونزلَ مِنْ عليها ، فوجد إلى جنب المدود طابق[(١)] بدرج ، فجعل البهيمة فى ذلك المِقْوَد ونزل فى تلك الدرج ، فأوصلته إلى قاعةٍ حسنَةٍ بأربع أواوين متقابلةٍ ، فيها من الأموال ما لا يحصره لسان . ووجد فى زاوية المكان شعير وتِبْن[(٢)] فأخذ منه كفاية البهيمة وطلع أرماه لها ، ونزل وصار يرقص ويُصَفّق وقد خرج من عقله فرحاً . ثم إنه نظر إلى زنْبيل معلّقٍ لحطّه فوجدَ فيه مأكول مشوى وخبز وحلوى[(٣)] . فأكل ، وفى وسط تلك القاعة بركةُ ماء كأحلى ما يكون وأعذب ، (ص ٢٦٩) فشرب منه ، وسقى البهيمة ، وأخذ من ذلك الذهب فى خرجه شى[(٤)] تطيق البهيمة حمله ، وركب وعاد إلى مصر مع عشى (كذا) . ثم إنه اكترى قاعةً حسنةً فى

(١) كذا ، والصواب « طابقاً » .

(٢) كذا ، والصواب « شعيراً وتبناً » .

(٣) كذا ، والصواب « مأكولا مشوياً وخبزاً وحلوى » .

(٤) كذا ، والصواب « شيئاً » .

مكانٍ لا يُعلم به ، وصرف من الذهب قايل[١] ، وعاد يكسى (كذا) تلك القاعة أوّل فأوّل ، حتى أعادها كأحسن ما يكون من آدر الأمراء الكبار ، وكذلك صنع لنفسه من كلٍّ ملبوسٍ حتى يلبسه إذا خلا بنفسه فى تلك القاعة ، وهو مع ذلك لا يفارق ما كان عليه من خلقانه وهو فى دكّانه على حاله ، ويعاود المكانَ ينقلُ منه أوّلَ بأوّل .

قال : وكن[٢] جوارى الأفضل إذا أردن الجوازَ إلى الحمّام عَبَرْن من عليه ، وكان فيهن جاريةٌ من حضاياه[٣] تعبث بالأحدب إذا مرّت به وتضحكُ عليه ، فيقولُ لها : والله لو زُرْتني لنظرتى (كذا) عندى ما لا نظرته عند الأفضل . فلما تكرّر عليها القولُ قالت : يا أحدبُ تقول هذا الكلام هزل أم جد ؟ فقال : لا والله يا نور عينى ما أقوله إلاّ جد . فقالت : جَهِّزْ أمرك لمثل هذا اليوم أنا عندك . فلما كان ذلك اليوم حضرت إليه متنكّرةً وَحْدَها ، فأخذها وأتى بها القاعةَ ، فنظرتْ إلى زِيٍّ حَسَنٍ ، ثم قدّم لها مأكل عنده ومشروب فى أوانى[٤] عجيبة ، لم تنظر عند الأفضل مثلها . وقدّم لها كيس[٥] فيه ألف دينار . وأقامت عنده إلى آخر النهار ، وخرجت إلى منزلها وقد

(١) كذا ، والصواب « قليلا » .
(٢) كذا ، والصواب « وكانت » .
(٣) هى عامية « حظاياه » .
(٤) الصواب « مأكلا عنده ومشروباً فى أوان » .
(٥) كذا ، والصواب « كيساً » .

تعجّبتْ من أمرِ الأحدب . ثم إنها صارت تعاودُه وكلّما انتهتْ إليه يُعطيها كيس[1] فيه ألف دينار . وامتُحن الأحدبُ بها ، فلما علمتِ الجاريةُ أنّها أخذت بقلبه سألتْه عن أمره ، ولم تزل به حتى اعترف . فقالتْ : أشتهى أتوجّه معك وأتفرّجُ فى هذا المكان . فأنعم لها بذلك . وأردفها خلفه على تلك البهيمة وأتى إلى المكان . فنظرت الجاريةُ إلى ما أبهر عقلها . ثم إنها نظرتْ إلى بَدَنَةٍ لؤلؤٍ كبارٍ مُفَصّلةٍ بقضبانِ الزمرّدِ وقطعِ الياقوتِ البَهْرَمان وقطعِ البَلَخْشِ . فقالت : لابُدّ لى من هذه البَدَنَة . فقال الأحدبُ : وقد غلب عليه هواه لشقاه : هى لك . فأخذتْها وافترقا . ثم إنه كان قد وُلد للأفضلِ مولوداً[2] ، فعمل له مُهِمٌّ كبيرٌ اجتمع فيه سائرُ نساء كبارِ الدولة . فلبستْ تلك الجاريةُ تلك البَدَنَة فوق سائرِ قماشها . فعادت تشتعلُ كالجمرِ . فلما رأوها بقية الحضايا عرّفوا[3] الأفضل ، فأمر بإحضارها ، واستقرّها فاعترفتْ على الأحدب . فأُحضِرَ ، وتوجّهَ الأفضلُ معه وتسلّمَ الكنزَ ، ولم يُرَ بعدها الأحدبُ . فكان هذا سبب سعادة الأفضلِ التى يُحَار العقولَ ذكرُها ، كما يأتى بعضُ شىء من ذكر ذلك مما وجد فى تركته عند وفاته مما أثبتَ ذلك جماعةٌ <من> المؤرخين منهم القاضى ابن خَلّكان رحمهم الله .

---

(١) كذا ، والصواب « كيساً » .

(٢) كذا ، والصواب « مولود » .

(٣) كذا ، والصواب « رآها بقية الحظايا عرفن » .

ذكر سنتي تسع وعشر وخمس مئة

النيلُ المباركُ في هاتين السنتين :

الماء القديمُ لتسعٍ سبعة أذرعٍ وستة عشر إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا فقط[2] .

الماء القديمُ لعشرٍ سبعة أذرعٍ وتسعة عشر إصبعاً[3] .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وستة أصابع[4] .

الحـــوادثُ

الخليفةُ فيهما المستظهرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش الأفضلُ شاهنشاه مدبِّرُ الممالك المصرية (ص ٢٧٤) .

وفي سنة تسعٍ نزل أتابك على فامية وتسلّمها ، ثم توجّه إلى بغداد في آخر هذه السنة .

---

(١) كذا والصواب « سبع أذرع وست عشرة إصبعاً » وفي النجوم « . . . وسبع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « ثماني عشرة ذراعاً »

(٣) كذا ، والصواب « سبع أذرع وتسع عشرة إصبعاً »

(٤) كذا ، والصواب « ثماني عشرة ذراعاً وست أصابع » وفي النجوم « سبع عشرة ذراعاً وست أصابع »

وذُكر أنّ بعضَ حاشيةِ المستنصر اطّلَعَ على أمرِ هـذا الـكنز فـكتب إلى المستنصر رقعة يسأل المثولَ فى خلوةٍ من الأفضل . فبينا هو يُحَدِّثُ المستنصرَ عن الـكنزِ وسببِه ووصولِ الأفضلِ إليه لم يشعر إلاّ وهو[1] قد دخل على المستنصر بغير إذنٍ . وكان الأفضلُ إذا غضب على أحدٍ قطع سائر أعضائه . فنظر إلى ذلك الرجل وهو يُحَدِّثُ المستنصرَ عن الـكنز ، فأشار إليه أن لا بُدّ ما أقطعُ أعضاءك . فلم يزل الرجلُ فى حديثه حتى انتهى . وقال : فإنى كذلك يا أميرَ المؤمنين ، وإذا بحيّةٍ عظيمةٍ خرجت علىّ من ذلك الـكنزِ فصرختُ صرخةً عظيمةً أنبهتنى زوجتى ، فانتبهتُ مرعوباً . فقال المستنصر : ما هذا ويلك ؟ أكان ذلك رأيتَه فى منامك ؟ قال : نعم يا مولانا . فقال قبّحك الله ! اصفعوه . فقال الرجلُ : الحمد لله ! بالتصفيع ولا بالتقطيع . (ص ٢٧١) .

وسيأتى من ذكر الأفضل عند وفاته شيئاً[2] آخر إن شاء الله .

---

(١) أى الأفضل .

(٢) كذا والصواب « شىء » .

ذكر سنة اثنتين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ستة أذرع وثمانية عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوشِ الأفضلُ مدبّرُ الممالك المصرية .

وفيها سُلّمت الموْصِلُ لمدود .

وملكت الفرنج طرابلس ، وخلبا (؟) من العرب ، وهو ابن عمار[3] ، بعد أن حُوصِرَ سبعَ سنين ، كما يأتى من خبره عند ذكر فتح طرابلس إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع وثمانى عشرة إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وخمس أصابع » وفى النجوم « . . . وست عشرة إصبعاً » .

(٣) كذا ، والعبارة غير واضحة . وفى القلانسى بعد ذكر أخذ الفرنج طرابلس ما يلى : « وكان طنكرى . . . نزل على ثغر جبيل وفيه فخر الملك ابن عمار ، والقوت فيه نزر قليل ، فلم يزل مضايقاً له ولأهله إلى يوم الجمعة الثانى والعشرين من ذى الحجة . فراسلهم وبذل لهم الأمان ، فأجابوه إلى ذلك فتسلمه بالأمان وخرج منه فخر الملك ابن عمار سالماً » . القلانسى ص ١٦٤ .

وفيها أهدى الأفضلُ للآمرِ هدايا حسنة فى يوم خميس العدس ، من جملتها قطعةُ مرجانٍ عزيزة الوقوعِ خطرةُ المقدارِ ، فحضر الجوهريّون وقالوا : هذه يُعمل منها دواةٌ قطعةً واحدة ، لم يَرَ الناسُ أحسنَ منها . فجرّدوا العنايةَ فى عملها فى أسرع وقت . فجاءت شىء[1] عظيم القدر . فلم يُحْسِنْ أحداً[2] من الشعراء على أن يأتى بما يُناسب ذلك فى القول ، إلى أنْ حضر أحمد بن منصور فقال :

ألين لداود الحــديدُ تكرّماً   يقدّره فى السَرْدِ وهو شديدُ
ألين لك المرجانُ وهو حجارةٌ   على أنّه صعبُ المراسِ بعيدُ

فأمر له بجائزة سنيّةٍ وملبوسٍ ومركوبٍ ، واستحسن ذلك منه .

ذكر سنتى ثلاث وأربع وخمس مئة

النيل المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة ثلاثٍ ستة أذرع وثلاثة عشر إصبعاً[3] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع[4] . (ص ٢٧٢)

---

(١) كذا ، والصواب « شيئاً » .

(٢) كذا ، والصواب « أحد » .

(٣) كذا ، والصواب « ست أذرع وثلاث عشرة إصبعاً » ، وفى النجوم « . . . وثمانى عشرة إصبعاً » .

(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع » وفى النجوم « . . . وخمس أصابع » .

المـاء القديم لسنة أربع سبعة أذرع وثلاثة أصابع[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع[2] .

الحـــــوادث

الخليفةُ فيها المستظهرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش والأفضـلُ مدبِّرُ الممالك المصريّة بحاله .

وفى سـنة ثلاثٍ تسلّمت الفرنجُ خذلهم الله بيروتَ من المسلمين .

وفى سنة أربع تسلّموا أيضاً صَيْدَا من المسلمين .

وتوفى هبة الله بن الموصلى بحلب .

وفيها هَبّتْ ريحٌ سوداءُ بمصر ، وطلع سحابٌ أسودُ أخذ أنفاسَ العالم ، وأظلمتْ منه الدنيا ، وظنوا أنّ القيامة قد قامتْ ، والريحُ تسفى الرملَ فى أعينِ الناس ، حتى يأست العالم من أرواحهم ، ثم تجلّى ذلك الظلامُ وتقشّع إلى الحمرة ، ثم إلى الصفرة ، وظهر للنـاس الـكواكبُ ، وخرجتِ الناسُ من منازلهم يستغيثون إلى الله عزّ

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وثلاث أصابع » وفى النجوم « ست أذرع وثلاث أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع » .

وجلّ ، ولم تزلْ كذلك من بعدِ العصرِ إلى أذانِ المغربِ ، وهذه أخرى غير الأوّلة التى سُقناها فى سنة إحدى وتسعين وأربع مئة ، فلا يُظَنّ أنها تلك ، والله أعلم .

ذكر سنتى وخمسٍ وستٍّ وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنةِ خمسٍ سبعة أذرعٍ وثلاثة عشر إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة ثمانيةَ عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعًا[2] .

الماء القديم لسنة ستٍّ ثمانية أذرُعٍ وخمسة عشر إصبعًا[3] .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وإصبعان[4] .

الحـــوادث

الخليفةُ فيهما المستظهرُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .
والآمِرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوشِ الأفضلُ مدبِّرُ الممالك المصرية بحاله .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وثلاث عشرة إصبعاً » وفى النجوم « . . . وثلاث أصابع »

(٢) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وإحدى عشرة إصبعاً » وفى النجوم « سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع وخمس عشرة إصبعاً »

(٤) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وإصبعان »

وفى سنة خمسٍ كان بمصر وباءٌ عظيمٌ وموْتٌ ، إلى أن عجزت المواريثُ (٢٧٣) عن إحصاء من مات .

وفى سنة ستٍ تسلّم أتابك صور من المصريّين ،

وفيها تُوفى على كرد صاحب حماة .

وقُتل مودُود صاحب الموصل[١] . قتلوه الإسماعيلية[٢] وهو راكب بالميدان وقُتل قاتله .

وفيها ملك عماد الدين[٣] قلاع الهكارية .

ذكر سنتى سبعٍ وثمانٍ وخمس مئة .

النيلُ المباركُ فى هاتين السنتين :

الماءُ القديمُ لسبعٍ ثمانية أذرعٍ وخمسة عشر إصبعًا[٤] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وإصبعان[٥] .

---

(١) الصحيح أن قطب الدين مودود توفى فى السنة التالية ٥٠٧ بجامع دمشق . انظر القلانسى ص ١٨٧ ، والنجوم ٥ : ٢٠٧

(٢) كذا ، والصواب « قتله الإسماعيلية »

(٣) يعنى زنكى بن آق سنقر

(٤) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع وخمس عشرة إصبعاً » .

(٥) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وإصبعان »

الماء القديم لثمانٍ سبعة أذرعٍ وأربعةِ عشرِ إصبعًا[١] .

مبلغُ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وستة أصابع[٢] .

الحـــوادث

الخليفةُ فيهما المستظهرُ أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوشِ الأفضلُ مدبّرُ الممالك المصرية.

وفى سنة سبعٍ توفى الملكُ رِضْوَان صاحب حلب ، ومَلَكها تاج الدولة[٣] .

وفى سنة ثمانٍ كَسَرَ أتابك الفرنج ، وتَسلّم صور من المصريين ، وعاد طنطاش[٤] إلى قلعة جَعْبَر .

وفيها كانت زلزلةٌ بحلب ، وخَسْفٌ بسُمَيْصَاط ومَرْعش ، وهلك أناسٌ كثيرٌ منهما . والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وأربع عشرة إصبعاً »

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وست أصابع » وفى النجوم « . . . وعشر إصابع »

(٣) الذى ملك بعد رضوان هو ابنه ألب أرسلان ويسمى تاج الدولة . انظر القلانسى ص ١٨٩ ، ١٩١ ، والنجوم ٥ : ٢٠٦

(٤) كذا ، ولعلها « منطاش » .

وفى سنة عشرٍ احترقت المدرسةُ النظامية[1] ، وهى أوّلُ مدرسة بنيتْ فى الإسلام .

وفيها قتل أحمد[2] صاحب أذربيْجَان .

وفيها اجتمع أتابك بالإمام الناصر وأخلع عليـه ، وطُوِّقَ . وعاد وهجم على حمص .

وفيها قتل السلطانُ محمد بن طبر السلجوقى ببغداد وقام بالملك ابن عمه السلطان محمود بن محمد السلجوقى[3] .

ذكر سنتى إحدى عشرة واثنتى عشرة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

المـاء القديم لإحدى عشرة سبعة أذرع واثنا عشر إصبعًا[4] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً[5] .

---

(١) فى المنتظم ٩ : ١٨٤ « واحترقت دار الكتب التى بالنظامية إلا أن الكتب سلمت »

(٢) سماه فى النجوم ٥ : ٢٠٨ « أحديل » وجعل وفاته سنة ٥٠٩ . وسماه فى المنتظم أحمد بك وجعل وفاته سنة ٥١٠ . (المنتظم ٩ : ١٨٥) .

(٣) ليس فى المصادر ما يؤيد قول المؤلف . والذى فى المنتظم أن السلطان محمد شاه ابن ملكشاه توفى فى العام التالى ٥١١ هـ ، وولى السلطنة بعده ولده محمود بن محمد . انظر المنتظم ٩ : ١٩٣ ؛ والنجوم ٥ : ٢١٤ .

(٤) كذا ، والصواب « سبع أذرع واثنتا عشرة إصبعاً »

(٥) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعاً »

الماء القديم لسنة اثنتى عشرة سبعة أذرع فقط[١]

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وعشرة أصابع[٢] .

الحـــوادث

الخليفةُ فيهما المستظهرُ أميرالمؤمنين ، إلى أن توفى فى سنة اثنتى عشرة . والآمرُ خليفةُ مصر ، وأميرُ الجيوش الأفضلُ مدبّر الممالك المصرية .

وفى سنة إحدى عشرة قُتِلَ كامل بن مُنْقذ صاحبُ شَيْزَر .

وفيها سار أتابك إلى عسقلان[٣] ، وسيَّرَ إليه خليفةُ مصر الخلع العظيمة .

وفيها هلك الملك بردويل[٤] الفرنجى . وكان قد قصد الديارَ المصريّة فى جموعٍ عظيمة ، فسار حتى وصل الفَرَما فدخلها وأحرقها ، وأحرق جامعها وسائر مساجدها ، ورحل عنها ، فمرض فى الطريق فمات قبل وصوله إلى العريش بالسبخة ، فشقّوا[٥] أصحابُه جوفَه ، ونكثوا حشوه

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع »

(٢) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وعشرة أصابع » وفى النجوم « . . . وأربع أصابع »

(٣) لم أجد هذا الخبر فى أى مصدر فى هذه السنة .

(٤) هو المسمى Baldwin وتسميه المصادر العربية « بغدوين » انظر القلانسى ص ١٩٩ .

(٥) كذا ، والصواب « فشق أصحابه »

فى السبخة ، وصَبّروه وأتَوْا به قمامة فدفنوه بهـا . ولم يكن بالسبخة المعروفة به تحت ذلك الردم غير حشو جوفه .

وكان بردويل هـذا صاحب البيت المقـدس وعكّا ويافا وعدة (ص ٢٧٥) من بلاد بالساحل ، وكان جبار عنيد وكافر شديد[١] ، هائلَ المنظر ، شديدَ البأسِ . وهو استرجع جميعَ هذه البلاد من المسلمين . وكان موته لطف[٢] من الله عز وجل بأهل الديار المصرية .

قال[٣] ابن واصل : وفى سنة إحدى عشرة[٤] وُلد نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة آقسنقر المقدم ذكره .

وفيها توفى السلطان محمد ، وجلس ولده محمود بن محمد بالموصل[٥] . ثم ولاها لقسيم الدولة آق سنقر البُرْسُقى ، وهو غير آق سنقر والد عماد الدين أتابك زنكى ، وذلك فى سنة خمس عشرة وخمس مئة . وأمره السلطان بحفظ عماد الدين رعاية لخدمة أبيه آق سنقر . فقام بذلك ، وكان لا يقطع بأمر دونه[٦] .

وفيها أخرب السيلُ سنجار .

وفى سنة اثنتىْ عشرة تسلّم نجم الدين ألب غازى حلب .

---

(١) كذا ، والصواب « جباراً عنيداً ، وكافراً شديداً »

(٢) كذا ، والصواب « لطفاً »

(٣) أضيف فى الهامش ص ٢٧٤ بخط المؤلف . انظر ابن واصل ص ٢٩

(٤) فى الأصل « إحدى عشر » والتصحيح من ابن واصل ص ٢٩

(٥) عند ابن واصل : « فأقر ولده السلطان محمود بن محمد أخاه مسعوداً بالموصل ...»

(٦) انتهت الحاشية .

ذكر وفاة الإمام المستظهر بالله

توفى ثانى عشر شهر ربيع الأول[1] سنة اثنتى عشرة وخمس مئة . وله اثنان (كذا) وأربعون سنة[2] .

وكانت خلافته ستا وعشرون (كذا) سنة وأربعة أشهر[3] .

وزر له عميدُ الدولة أبو منصور محمد بن محمد بن جهير ، إلى أن توفى فى تاريخ ما تقدم .

ثم وزر له أخوه[4] زعيم الدولة أبو القاسم .

صفتُه : طويلٌ جسيمٌ ، أبيضُ ، أزرقُ ، أشقرُ ، حسنُ السيرة ، جميلُ الذكر ، الغالبُ على جميع أيّامه بنى[5] سلجوق .

نقشُ خاتمه : المستظهرُ بالله عبدُ الله .

---

(١) فى المنتظم ٩ : ٢٠٠ أنه «توفى ليلة الخميس سادس عشرين ربيع الآخر» .

(٢) فى المنتظم «وكانت مدة عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر وسبعة أيام» .

(٣) فى المصدر السابق «وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً» .

(٤) الصحيح أن زعيم الدولة أو الرؤساء هذا ولى الوزارة بعد سديد الملك أبو المعالى ابن عبد الرزاق . (انظر النجوم ٥ : ١٨٦) .

(٥) كذا ، والصواب «بنو» .

ذكر خلافة المسترشد بالله بن المستظهر بالله

وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو منصور الفضلُ بن أحمد المستظهرُ بالله ، وباقى نسبه قد عُلِم .

أمّه أمُّ ولدٍ تُدْعىٰ حبش .

بُويع له ثالث عشر ربيع الأول من هذه السنة[1] . لم يزل خليفةً سبع عشرة سنة وتسعة أشهرٍ .

ووزر له أبو على الحسين بن على بن صدقة ، وبنى[2] سلجوق الحكّامُ على الأمر .

---

(١) فى المنتظم ٥ : ١٧٧ « وكانت بيعته بكرة الخميس الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمس مئة » .

(٢) كذا ، والصواب « بنو » .

ذكر سنتى ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس مئة

الماءُ القديمُ لسنة ثلاث عشرة : ستة أذرعٍ واحد وعشرين ، إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وسبع أصابع[2] .

الماء القديم لسنة أربع عشرة : سبعة أذرع واثنا عشر إصبعاً[3] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وإصبع[4] .

الحـــوادث

[الخليفةُ المسترشد بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم] .

[والآمرُ خليفة مصر][5] .

وفى سنة ثلاث عشرة كسر سنجر شاه لمحمود ابن أخيه .

وفيها كسر أتابك الإفرنج على جبل السُّمَّاق كسرةً عظيمة ،

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً » ، وفى النجوم « . . . واثنتان وعشرون إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « ثمان عشرة ذراعاً وسبعَ أصابع » .

(٣) كذا ، والصواب « سبع اذرع واثنتا عشرة إصبعاً » ، وفى النجوم « تسع أذرع . . . » .

(٤) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً . . . » .

(٥) لم يذكر المؤلف على عادته الخليفة فى بغداد ومصر . فأضفنا ذكرها .

وكسرهم أيضا أيل[١] غازى على البلاطة من أعمال حلب .

وفيها تسلّم أتابك طغتكين تدمر والشقيف[٢] .

ومضت سنة أربع عشرة لم يتجدد فيها شىء بحكم التلخيص .

ذكر سنة خمس عشرة وخمس مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديم سبعة أذرع وأربعة أصابع[٣] .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثمانية أصابع[٤] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ المسترشد بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمرُ خليفةُ مصر .

وفيها قُتِلَ أميرُ الجيوش الأفضلُ شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى المستنصرى فى سلخ رمضان من هذه السنة .

---

(١) ص « البُ غازى » خطأ . التصحيح من القلانسى .

(٢) لا يذكر القلانسى هذه الحادثة .

(٣) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع وأربع أصابع » .

(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وثمانى أصابع » وفى النجوم « سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع ، وقيل خمس أصابع » .

وثب عليه على جسر مصر أقوامٌ من المشارقة فجرحوه ، ومُسِكَ بعضُهم وهَرَب البعضُ ، وحُمل فى عشارى إلى بيته بدار الملك ، وأُخفى أمرُه . ثم نزل الخليفةُ الآمرُ إلى دار الملك وأمر أن لا يتحدّثَ أحداً(١) بموته . ثم نقل منها أموالاً لا تُحصى وتحف(٢) وأمتعةً ما يُعجزُ عن حصرها .

قال القاضى شمس الدين ابن خَلِّكان رحمه الله فى تاريخه(٣) : إنه لما مات وُجد له من جملة ما وجد ست مئة ألف [ألف] دينار عين مصرية ومئتانِ وسبعون(٤) أردباً دراهم نقد مصر ، [وخمسة وسبعون ألف ثوب ديباج أطلس ، وثلاثون راحلة أحقاق ذهب عراقى ، ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار ، ومئة مسمار من ذهب ، وزن كل مسمار مئة مثقال](٥) وخمس مئة صندوق قماش من دقِّ تِنِّيس [ودمياط] ، وشىء لا يحصيه إلاّ الله تعالى . . .

ومن جملة ما وُجد له صندوقين(٦) مُلئا إبَرَ ذهبٍ برسم الجوارى . وكان ضمان ألبان مواشيه من أغنام وأبقار وجواميس فى السنة ثلاثين

---

(١) كذا ، والصواب « أحد » .

(٢) كذا ، والصواب « تحفاً » .

(٣) انظر وفيات الأعيان ٢ : ١٦١ ، وقد نقل ابن خلكان هذا النص عن صاحب الدول المنقطعة .

(٤) عند ابن خلكان « ومائتين وخمسين أردباً . . . » .

(٥) الزيادة من ابن خلكان .

(٦) كذا ، والصواب « صندوقان » .

ألف دينار ، وأشياء لا يحملها العقل (ص ٢٦٧) كثرةً . وأما الجواهرُ والفصوصُ والأوانى المرصّعة فشىء عظيم . والله لقد أضربتُ عن ما نقله ابن واصل[١] رحمه الله من عظيم ذلك ، لأنّى رأيتُه لا يصدّقه مَنْ وقف عليه . وأمرُه فى ذلك إلى الله عزّ وجلّ .

وكان مدة وزارته وأبوه ثمانية[٢] وعشرين سنة وستة أشهر ، وأحد عشر يوماً .

وعمّر فى مدة حياته عِدّةَ عماير منها : التاجُ والسبع وجوه ، وذُكر أنّ من التاج إلى السبع وجوه عقداً مبنيًّا من تحت الأرض يمشى فيه الفارسُ برمحه ، أزجّ معقوداً ، وقيل إنّ فيه له كنزاً مدفوناً إلى الآن ، وإنّ فيه أكثر ذخائر الكنز الذى وجده .

وعمّر بالروضة عدّة عماير ومناظر ، وكذلك بظاهر مصر ، والسوقَ الذى داخل باب القنطرة المعروف بسُوَيْقة أمير الجيوش ، وبستان البقل مع عدة بساتين أخر ، ومستنزهات عدّة .

وأضربتُ عن كثيرٍ مما نُقل عن أمواله وأحواله طلباً للايجاز وقصداً للاختصار .

واستبد الآمر بالأمور بنفسه .

---

(١) لم أجد فى الجزء الأول المطبوع من ابن واصل شيئاً عن تركة الأفضل .

(٢) كذا ، والصواب « ثمانياً وعشرين » .

ثم وزر الأمير محمد بن فاتك البطايحى وأنعت بالمأمون[١] . وهو أبو عبد الله محمد بن نور الدولة أبى شجاع فاتك ، وطُوّق بطوق ذهب مرصّعٍ بجواهر ، وتُوِّج بتاجٍ مُكَلَّلٍ ، وكُتب له سجلٌ بنعوته وأوصافه .

فمن ذلك :

السّيدُ ، الأجلُّ ، المأمونُ ، تاجُ الخلافة ، وجيهُ الملك ، فخر الصنائع ، أميرُ الجيوش ، ناصرُ الإمام ، وسيفُ الإسلام ، كاملُ قضاةِ الدين ، هادى دُعاةِ المؤمنين ، نظامُ الوجود ، خالصةُ أمير المؤمنين ، أعانه الله على مصالح المسلمين ، ووفّقه لخدمة أمير المؤمنين ، وعضد بسموه ورثته (كذا) الدنيا والدين ، وأدام قدرته وأعلا كلمته .

وفيها كسر أتابك الفرنج على تل حورى .

وفيها هبتْ ريحٌ سوداء بمصر وأقامت ثلاثة أيامٍ ، وهلكت أناسٍ كثيرة وحيوان كثير (كذا) .

وفيها توفى أبو محمد القاسم بن علىّ الحريرى[٢] صاحبُ المقامات البديعة التى ما عُمل مثلها إلى حين تسطير هذا التاريخ رحمه الله تعالى .

---

(١) وزر للآمر بعد الأفضل ابنه شرف المعالى بن الأفضل ، وقتل فى رمضان من السنة نفسها ٥١٥ هـ .

(٢) فى النجوم ٥ : ٢٢٥ أن وفاته سنة ٥١٦ هـ ، وكذلك فى المنتظم ٩ : ٢٤١ .

وقفت[١] على مقامات الشيخ الحافظ ابن الجوزى ، وهى خمسون مقامة ، ولعلهنّ مما يضاهين مقامات الحريرى ، وإنما نفسُ الحريرى رحمه الله نفسُ فاضل أديبٍ ، ونَفَسُ ابن الجوزى رحمه الله نفسُ وَاعظٍ أريب ، وكلٌّ منهما فى معناه مصيب .

وفيها أُقطع أتابك زنكى شحنكية البصرة ، وعَظُمَ شأنُه وكَبُرَ سلطانه وهابه الأميرُ دبيس بن صَدَقَة صاحب الحلّة حسبما ذكرنا من قبـل[٢] .

ذكر سنة ست عشرة وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ ستّة أذرع وستة عشر ذراعاً[٣] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعًا وسبعة أصابع[٤] .

---

(١) هذه حاشية أضيفت بخط المؤلف فى ص ٢٦٨ .

(٢) انتهت الحاشية .

(٣) كذا ، والصواب « ست أذرع وست عشرة إصبعاً » ، وفى النجوم « . . . وست وعشرون إصبعاً » .

(٤) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وسبع أصابع » ، وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً وثلاث أصابع » .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمرُ خليفة مصر .

وأميرُ الجيوش محمد بن فاتك .

وفيها مات ملك الخزر واسمه داود ، وكان فَتَح تفليس ، وكان له نظر عظيم فى الإسلام . وجرى له مناظراتٌ مع القاضى الكنجى فى الكلمة هل هى مخلوقة أو قديمة .

وفيها أكل القطا زَرْعَ الشام .

وفيها كُسر دبيس البرسقى[1] ، وتوفى الحاجبُ فيروز ، وقَبَضَ المصريّون على الأمير سعود والى صُور عن أتابك طغتكين .

وفيها توفى أيل غازى[2] ابن أرتق صاحب ماردين ، ونزلت الفرنجُ خذلهم الله على بالس وحاصرُوها ، وزُلزلت مدينة الحيرة المدعوة كنجة من بلادٍ تجاور الكرجَ ، وانخسف طرفٌ منها ، وانهدم سُورُها . فسار إليها ملك الكرج ودخلها وعادت فى مملكته . والله أعلم .

وفى[3] سنة ست عشرة [وخمس مئة] أقطع عماد الدين شِحْنَكِيّة

---

(١) ص « الرشيق » خطأ .

(٢) ص « الب غازى » خطأ .

(٣) هذه حاشية أضيفت بخط المؤلف فى ذيل ص ٢٧٤ و ٢٧٥ نقلا عن ابن واصل . انظر ابن واصل ص ٣٠ ، والزيادات فى نصنا منه .

البصرة [وواسط] ، وعَظُم شأنُه ، رهابه الأمير دُبَيْس بن صَدَقَة صاحب الحلّة ، وهَمّ دُبَيْس بقصدِ بغداد ،فسار إليه آقسنقر البُرْسُقى بنفسه ، وتبعه الإمام المسترشدُ [بالله] فانهزم عسكر دُبَيْس ، وقُتِلَ وأُسِرَ منهم خلقٌ كثير . وكان لعماد الدين أثرٌ حَسَنٌ فى هـذه الوقعة . وذلك فى أوّلِ المحرّم سـنة سبع عشرة وخمس مئة . ولحق دُبيس بالسلطان طُغْرل ابن السلطان محمد وكان معه عاصياً على السلطان محمود ، [وأمر السلطان لآق سنقر البُرْسُقِى أن يرجع إلى الموصل فعاد] .

ثم إن عماد الدين ابن زنكى قال لأصحابه : قد ضجرنا مما نحن فيه ، كلّ يومٍ فى مكان . وجمع رأيه وسار من البصرة إلى خدمة السلطان محمود . وأقام عنده فى منزله ، وكان يقفُ إلى جانب الملك عن يمينه ، لا يتقدّمُ عليه أحدٌ ، وهو مقام والده قسيم الدولة من قبله ، [وبقى لعقبه من بعده] .

ثم إنّه بلغ السلطان انحلال البصرة ونهبها . فأمر عمادَ الدين زنكى بالمسير إليها ، وأقطعه إيّاها . فقام بأمرها أتمّ قيام ، وعَظُمَ عند السلطان وزاد محله . وجرى بين برتقش شِحنة بغداد وبين الخليفة المسترشد نفرةٌ ، فهدّدَه الخليفةُ ، فسار عن بغـداد شاكياً للسلطان من الخليفة . وقال : إنه قد جمع العساكر ، وعزمُه مَنْعُكَ من السلطنة ببغداد والعراق ، فسار السلطانُ إلى بغداد ، وجرت حروبٌ

كثيرة ثم جُعل عماد الدين زنكى على شحنكية بغداد والعراق مُضافاً إلى ما كان بيده من البلاد والإقطاع . وسار السلطان من بغداد[١] .

ذكر سنة سبع عشرة وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة : (ص ٢٧٧)

الماء القديم ثمانية أذرع وعشرة أصابع[٢] .

مبلغُ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وتسعة أصابع[٣]

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمرُ خليفةُ مصر .

وأميرُ الجيوش محمد بن فاتك إلى أن قُبض عليه < فى > الرابع من شهر رمضان من هذه السنة . وكان قد أساء السيرةَ ، وظَلَمَ وعَسَفَ ، وتعاظم فى نفسه ، وأراق الدماء ، وكسر العظم ، وافترد برأيه .

---

(١) هنا انتهت الحاشية .

(٢) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع وعشر أصابع » .

(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وتسع أصابع » وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً وعشر أصابع » .

ويقال إنّه كان فرّاشاً ، ورأوه(١) الناس وهو يرشّ الماء بين القصريْن ، والله أعلم .

قُبض عليه فى القصر الغربىّ بعد صلاة المغرب .

ثم إنّ الخليفةَ الآمر استبدّ بالأمور ، وقام بتدبير الدولةِ بنفسه ، وأحسنَ عيارَ الذهب ، ولم يسبقه إلى ذلك أحدٌ غير الحجّاجِ بن يوسف الثقفى ، وقد تقدّم ذلك .

وفيها تسلم أتابك حماة وعادتْ فى مملكته والله أعلم .

وفيها(٢) ولى أتابك زنكى شحنكيّةَ العراقِ من قِبل السلطان محمود ابن محمد السلجوقى ، وتزايدتْ هيبةُ أتابك حسبما تقدّم من ذكر ذلك .

ذكر سنة ثمان عشرة(٣) وخمس مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم سبعة أذرع وأربعة وعشرون إصبعاً(٤) .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية أصابع(٥) .

---

(١) كذا ، والصواب « ورآه الناس » .

(٢) هذه حاشية أضيفت بخط المؤلف ص ٢٧٧ .

(٣) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة » .

(٤) كذا ، والصواب « سبع أذرع وأربع وعشرون إصبعاً » .

(٥) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثمانى أصابع » وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً » .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشدُ بالله أمير المؤمنين . وبنو سَلْجوق بحالهم .

والآمرُ خليفة مصر . مدبِّرٌ أمور مملكته بنفسه .

وفيها ملك دُبَيْس البُرْسُقى(١) حلب .

وهبتْ ريحٌ حملتْ من رملِ الرصافة إلى قلعة جَعْبَر ، وفتحت الفرنجُ صور فى هذه السنة ، وتوفى حسن الصبّاحى(٢) ، وكان رئيس الإسماعيلية بعد سنان ، وكان رفيقَ الإمام أبى حامد الغزالى فى قراءة بعض العلوم .

وقُتِلَ القاضى الهروىّ (ص ٢٧٨) وولده ببغداد(٣) .

وفيها نزل دُبَيْس البُرْسُقى (كذا) الملقّب سيف الدولة(٤) وصحبته ملوك الفرنج على حلب فجاءهم كنجاك الرشيقى(٥) صاحب الموصل ورحّلهم عن حلب وتسلّمها . وكانت الفرنج قد أشرفوا على أخذها ، لأنها كانت خَلَتْ من الرجال ، ولم يبق فيها غير مئتَىْ وستين رجلاً .

---

(١) كذا ، والصواب « آق سنقر البرسق » انظر القلانسى ص ٢١٢ ؛ النجوم ٥ : ٢٢٨ .

(٢) كذا ، والصواب « الحسن بن الصباح » .

(٣) فى النجوم ٥ : ٢٢٨ « واستشهد هو وولده بهمذان » .

(٤) الصحيح أن المسمى سيف الدولة هو آق سنقر البرسق ، ولم يكن مع الفرنج . انظر القلانسى ٢١٢ .

(٥) صاحب الموصل كان آق سنقر البرسق ، وهو الذى أنقذ حلب . انظر القلانسى .

وكانوا تخيّلوا بالنساء على الأسوار فى زىّ الرّجال . فأقاموا(١) الفرنج عليها تسعة أيّام . فلما كان اليوم العاشر تشاورزوا(٢) أهل حلب على أنهم يخرجون ويطلبون الأمان من القتل . فلما كان بعد العصر أرسل الله عز وجل سيلاً عظيماً أخذ الفرنج ودوابهم وجميع مالهم ، ووصل كنجاك الرشيقى (كذا) أوّل الليل وأصبح فكسرهم وتسلّم حلب .

وفيها حاصروا(٣) الفرنج خذلهم الله صور وأخذوها .

ذكر سنة تسع عشرة وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم تسعة أذرع وثلاثة أصابع(٤) .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وإصبع واحد(٥) .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

---

(١) كذا ، والصواب « فأقام الفرنج » .

(٢) كذا ، والصواب « تشاور أهل . . . » .

(٣) كذا ، والصواب « حاصر الفرنج » .

(٤) كذا ، والصواب « تسع أذرع وثلاث أصابع » .

(٥) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وإصبع واحدة » وفى النجوم « . . . وأربع عشرة إصبعاً » .

والآمر خليفة مصر مدبِّرٌ أمورِ مملكته بنفسه .

وقيل فى هذه السنة كان قتلُ الوزير فاتك وخمسة نفر من إخوته .

وفيها أخذ ملك الخزر مدينة دون ، وقُتِلَ منها عالمٌ عظيمٌ لا يُحصى عددهم إلا الله عزّ وجلّ .

وفيها مات ناصر الدولة ابن طرخان صاحب بالس .

وفيها انكسرت المسلمين على مرج الصُفّر على ضيعة (ص ٢٧٩) تسمى شرخوب[١] ، وقُتل من أهلِ دمشق خلقٌ كثيرٌ . وكان الرشيق (كذا) صاحب دمشق يومئذ[٢] . وقُتل ذلك اليوم علىّ وصالحٌ أولاد عامر النويرى ، وكذلك قُتل محمود بن قراجا وكان صاحب حماة .

وقتل علىّ بن سلام النميرى ، وكانت نوبةٌ صعبةٌ على المسلمين .

ذكر سنة عشرين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ ثمانية أذرعٍ وثلاثة أصابع[٣] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون إصبعاً[٤] .

---

(١) فى الأصل « سرجون » والتصحيح من القلانسى ص ٢١٢ .
(٢) الصحيح أن صاحب دمشق كان ظهير الدين أتابك . انظر القلانسى ص ٢١٣ .
(٣) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع وثلاث أصابع » .
(٤) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً » وفى النجوم : « ثمانى عشرة ذراعاً وإصبع واحدة » .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشدُ بالله ، وبنو سلجوق بحالهم .

والآمرُ خليفةُ مصر يدبّرُ أمورَ مملكته بنفسه .

وفيها قُتل البرسقى[1] ، قتله < الباطنية ، ونهض > أتابك وتسلم تدمر والسخنة إلى ما معهما .

وقيل فيها دخل محمد بن تومرت بغداد فى طلب العلم ، فحصّل فى المدة القريبة ما لم يحصّله غيرُه فى الزمان الطويل .

وفى سنة[2] عشرين وخمس مئة قتل آقسنقر البرسقى ، قتلوه (كذا) الباطنية .

وكان بيده الموصل وحلب ، ففوّض السلطانُ الأمرَ بعده لولده عزّ الدين مسعود ، فلم تَطُلْ أيامُه ، وتوفى سنة إحدى وعشرين ، وولّى أخٌ له ، وقام بتدبيرِ أمرِه الجاولى .

فكان من ولاية عماد الدين ما ذكرناه فيما يأتى إن شاء الله .

---

(١) فى الأصل « الرشيق » خطأ . وفى النجوم ٥ : ٢٣٠ أن آق سنقر البرسقى قتل سنة ٥١٩ ، قتله الباطنية .

(٢) هذه حاشية فى ص ٢٧٥ بخط المؤلف .

ذكر سنة إحدى وعشرين وخمس مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ثمانية أذرع وسبعة عشر إصبعاً[١] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً[٢] .

ما لُخّص من الحوادث

الإمامُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين بحاله ، وكذلك بنو سلجوق ، والآمرُ خليفةُ مصر مدبّرُ أمورِ مملكته بنفسه .

وفيها توفى القاضى الأندلسى[٣] .

وتولّى القضاء مكانه أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسّر القيسرانى .

وفيها دخل أتابك الموصل ، وتوفى (ص ٢٨٠) مسعود بن البُرْسُقى وتسلم المختص الرحبة .

وفيها كان أوّلُ :

---

(١) كذا ، والصواب « ثمانى أذرع وسبع عشرة إصبعاً » وفى النجوم : « . . . وثلاث أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً » وفى النجوم : « ثمانى عشرة ذراعاً وإصبع واحدة » .

(٣) لم أجد فى المصادر من هو هذا القاضى .

مملكة أتابك زنكى

هو عمادُ الدين أتابك زنكى السلجوقىّ أبو نور الدين محمود ، صاحبُ الشام . وهو أوّلُ مَنْ ملك بيت زنكى الموْصل .

وأتابك زنكى هو ابن قسيم الدولة آقْسُنْقُر الحاجب . [كان] مملوكاً للسلطان العادل عضد الدولة ألب أرسلان ابن داود بن ميكاييل ابن سلجوق .

ثم كان فى خدمة ولده جلال الدولة ملكشاه ، وترقّتْ به الأحوالُ حتى ملك حلب وكثير[١] من الشام والشرق ، إلى أن قُتل فى سنة سبعٍ وأربعين وأربع مئة ، فى معركةِ الحربِ بينه وبين السلطان تاج الدولة السلجوقى ، صاحبِ دمشق يومئذ . وكان قسيم الدولة المذكور قايم[٢] فى ذلك وفاءً بابن أستاذه ركن الدولة بركياروق بن السلطان ملكشاه . ولما قُتل قسيم الدولة آقْسُنْقُر كان زنكى يومئذ دون البلوغ ، اجتمع عليه مماليك أبيه منهم زين الدين على كوجك صاحب إربل . وتنقّلَتْ بزنكى الأحوال حتى صار منه ما يُذْكر .

قال ابن واصل[٣] : إنه لما قتل آقسنقر البُرْسُقى — وهو[٤] غير آقْسُنْقر

---

(١) كذا ، والصواب « كثيراً » .

(٢) كذا ، والصواب « قائماً » .

(٣) انظر ابن واصل ص ٣١ ، والزيادات منه ، وهذه حاشية أضيفت ص ٢٨٠ بخط المؤلف .

(٤) هذه الجملة المعترضة من كلام المؤلف .

أبي زنكي — وكان صاحب الموصل ، فقتلوه[١] الباطنية سنة عشرين وخمس مئة] — [فوّض السلطان الأمر بعده بالموصل إلى ولده عز الدين مسعود بن آق سنقر . فلم تطل أيامه وتوفى سنة إحدى وعشرين وخمس مئة] وولى [بعده] أخٌ له ، وقام بتدبير الملك مملوكٌ لأبيه يقال له جاولى . فأرسل إلى السلطان محمود يطلب تقرير البلاد [على ولد آق سنقر البُرْسقى] ، وبَذَل فى ذلك الأموال الجمة . وكان سيّئ السيرة . وسيّرَ الرسولَ فى ذلك القاضى بهاء الدين على بن القاسم [الشهرزورى][٢] . فلما اجتمع بالديوان السلطانى حَسّن الأمر ، وسعى لزنكى بن آقسنقر قسيم الدولة ، لِمَا كان يعلمُ من شهامته وحُسْنِ سيرته ، وبَذَلَ عنه الأموالَ الكثيرَة ، فأُجيبَ إلى ذلك ، وولى البلاد ، وكُتِبَتْ له المناشيرُ السلطانيّةُ ، وضم إليه ولد السلطان محمود ألب أرسلان — المعروف بالخفاجي — وجعل زنكى أتابكه ، فمن ثَمَّ قيل أتابك زنكى .

فلما وصل إليه المنشورُ قام بالأمر أتمّ قيام . ولما قَرُبَ من الموصل خرج إليه جاولى وتلقّاهُ ، ونزل عن فَرَسِهِ ، وقَبّلَ الأرض ، وعلا فى خِدمته إلى الموصل . فدخلها فى شهر رمضان ، وأقطع جاولى الرحبة وولى نصير الدين دوداريةَ[٣] الموصل ، وجعل صلاح الدين محمداً بن أمير[٤]

---

(١) كذا ، والصواب « قتله الباطنية » .

(٢) يختصر المؤلف الخبر اختصاراً كبيراً فارجع إلى نص ابن واصل .

(٣) كذا ، وفى نص ابن واصل ص ٣٤ : « وولى نصير الدين جقر دزدارية القلعة بالموصل » والدزدار صاحب القلعة (انظر المعرب للجواليقى ص ٢٦٧) .

(٤) فى ابن واصل « وجعل صلاح الدين محمداً أميراً حاجباً » .

حاجبه ، وبهاء الدين قاضى القضاة [فى البلاد جميعها] ، فإنهما كانا السبب فى ولايته .

ثم لما استقرّت قواعده بالموصل توجّه إلى جزيرة ابن عمر وبها يومئذ مماليك آقْسُنْقُر البُرْسُقى . فامتنعوا عليه ، فحصرهم حتى أجابوه ، ثم امتنعوا ، فلم يَزَلْ عليها حتى فتحها عنوةً بالسيف ، ثم تنقّلَتْ أحواله حسبما يأتى من ذكره .

وفيها ملك حلب فى حديثٍ طويل . واستوثق أمرُه وعلا ذكره ،

قال ابن واصل[1] : لما قُتل قسيمُ الدولة لم يكن له ولد غير زنكى ، وخلّفه وعمره يومئذ عشر سنين .

وكان تاج الدولة لما قتل أيضاً فى اعتقاله أميرٌ يُقال له كربوقا ، فخرج من الاعتقال ، وملك الموصل ، وأحضر زنكى إليه ، وأحسن تربيته لأنه كان ابن خشداشه .

وتوفى كربوقا ، وملك الموصل موسى التركمانى . ثم وليها شمس الدين جكرمش أحد مماليك ملكشاه . فقرّب عماد الدين زنكى ، وعاد كالوالد . وتوفى جكرمش فى سنة خمس مئة ، فولى بعده جاولى .

ثم كانت ولاية عماد الدين زنكى حسب ما ذكرناه من أول الكلام .

---

(١) انظر ابن واصل ١/٣٧ والنص هنا مخالف لنص ابن واصل المطبوع تماماً .

ذكر سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم سبعة أذرع وثمانية عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً فقط[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين بحاله ، وبنو سلجوق حكّامُ البلاد بحالهم .

وتوفى أتابك طُغْتكين ، وملك أتابك زنكى جزيرةَ ابن عمر وإربل ، وعدّةَ بلادٍ وقلاعٍ بالشرقِ ، وقوى سلطانُه ، وكثفتْ جيوشُه ، وعلا شأنُه فى سائر تلك البلاد ، وهادنوه[3] الملوكُ أربابُ الممالِكِ والقلاع ، وخافوه على ما بأيديهم من ممالكهم .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وثمانى عشرة إصبعاً » : وفى النجوم : « سبع أذرع وثمانى أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً » وفى النجوم : « . . . وثلاث عشرة إصبعاً » .

(٣) كذا ، والصواب « وهادنه الملوك » .

ذكر سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

المـاء القديم سبعة أذرع وستة وعشرون إصبعًا[١] .

مبلغ الزيادة سـبعة عشر ذراع وإصبعان[٢] .

ما لخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُـكّام البلاد ، والآمرُ خليفةُ مصر ومدبّرُ مملـكته بنفسه .

فيها قتل المزدَقانى[٣] وقُتل معه من الإسماعيلية عشرين ألف[٤] ، ما بين برىء وسقيم (؟) فى حديثٍ طويل .

وفيها وصل سوار وأرسلان دغمش[٥] بالتركمان ، واتفقوا مع الفرنج على دمشق وكسروهم كسرة عظيمة[٦] .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وست وعشرون إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وإصبعان » وفى النجوم : « ثمانى عشرة ذراعاً وخمس أصابع » .

(٣) فى الأصل « الورغانى » خطأ . التصحيح من القلانسى ص ٢٢٠ .

(٤) كذا ، والصواب « عشرون ألفاً » .

(٥) فى الأصل « دغش » خطأ .

(٦) قايس هذا الخبر بما جاء فى القلانسى ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .

وكذلك كسر أيل غازى الفرنج على المعلاّة بأرض حلب ، وكانت سنةً شديدة على اللاعين .

وفى[1] سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة تزوج أتابك زنكى خاتون بنت الملك رضوان بن تاج الدولة تتش السلجوقى كان صاحب دمشق .

ذكر سنة أربع وعشرين وخمس مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماءُ القديمُ سبعة أذرع وأربعة أصابع[2] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع[3] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .
والآمرُ خليفةُ مصر ، حتى قُتِلَ فى هذه السنة .

وذلك أنّه خرج يوم الثلاثآء الثالث من ذى القعدة ونزل مصر ، وطلع الحرّاقةَ ، وعدا إلى الجزيرة ، فكمن له قومٌ اتفقوا على قتله . وكان ذلك بتدبيرِ بنى عِمّه . فغيّبوا[4] تلك الأقوام أنفسهم فى فرنِ

(١) هذه حاشية أضيفت فى الهامش ص ٢٨١ .
(٢) كذا ، والصواب « سبع أذرع وأربع أصابع » .
(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع » .
(٤) كذا ، والصواب « فغيب » .

هناك ، فلما وصل الآمرُ إلى عندهم ومعه عدةٌ يسيرةٌ من حاشيته ، وهو آمِنٌ من نوائب الدهر ، راكنٌ إلى غرّة الليالى وصَفْوِها ، فوثبوا عليه بأسيافهم ضرباً (ص ٣٨٢) فجرحوه جراحاتٍ قاتلةً ، ولم يمتْ فى ساعته الراهنة ، بل حُمِلَ من ذلك المكان وأُعيد إلى قصرِه ، فمات من ليلته ، ولم يُعْقِب . وهو كان العاشرُ من صلبِ عُبيد الله المهدى ، أولِ خلفاء هؤلاء القوم ، وقيل إنّ الذين دبّروا فى قتله بقيةٌ من عَتْرةِ محمد بن فاتك المقدَّم ذكره .

عمره يوم قُتِلَ أغلاق أربعون سنة . وخلّف بعضَ حضاياه[1] حاملٌ[2] فقال قومٌ : نبايعُ للحمْل . وأبىٰ آخرون . ثم اتّفَقَ أمرُهم على مبايعة أبى الميمون عبد المجيد . فبايعه قومٌ وامتنع آخرون . ثم اتفق الحالُ أن تكونَ البيعة بشرطِ أنْ يُرى على الحمل . فإنْ وَضَعَتْ ذكراً كان الأمرُ إليه ، وإلاّ فله . فاستقرّتْ كذلك ، ثمّ لم يظهر للحمل بعدها خبر .

وكانت خلافتُه فى قولٍ ثمان[3] وعشرين سنة . وقيل : أربعة[4] وعشرين سنة ، وثمانية أشهر ، وخمسة عشر يوما .

---

(١) كذا ، وهى عامية « حظاياه » .

(٢) كذا ، والصواب « حاملا »

(٣) كذا ، والصواب « ثمانياً وعشرين » .

(٤) كذا ، والصواب « أربعاً » .

ذِكرُ خلافة الحافظِ أبو[1] الميمون بن أبى القاسم وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم بن المستنصِر بالله ، وباقى نسبه قد تقدّم .

ولد فى سنة ستٍّ وستين وأربع مئة .

بويع له يوم قُتل الآمِرُ ، وفى غدِ ذلك اليوم نُصِب فى النظر لأمور المملكة أبو على أحمد بن الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش ، ثم إنه غلب على الأمر ، واعتقل الحافظَ عبدَ المجيد ، وأقام متغلّباً على الأمر مستولياً مستبدًّا بالأمور إلى النصف من شهر المحرّم سنة ستٍّ وعشرين وخمس مئة . فوثب عليه من صبيانِ الخاصّة مَنْ قتله على باب البستان ظاهر القاهرة . وأُخذت رأسه فدُخل بها[2] إلى القصر ، وأُخرج ولىُّ العهد الحافظ لدين الله من الاعتقال ، وتقررت الوزارةُ ليانس ، ولُقّب بألقاب أميرِ الجيوشِ بدر الجمالى ، وجُدِّدتْ البيعةُ للحافظِ لدين الله ، واستمرّ نظر يانس إلى أن توفى اليومَ الثانى من ذى العقدة سنة ستٍّ (ص ٢٨٣) ثم لم يستوزر بعده الحافظُ أحد[3] .

---

(١) كذا ، والصواب « أبى » .

(٢) كذا ، والصواب « وأخذ رأسه . . فدخل به . . » .

(٣) كذا ، والصواب « أحداً » .

قلتُ : هذا القول الذى ذكرناه على ما سيّره الشيخُ أبو القاسم علىّ بن منجب بن سليمان الكاتب رحمه الله .

وأما نسخةُ الأصل من التاريخ الذى وضعتُه فإنّ الحافظ لما ولى واستوزر أبا علىّ بن الأفضل شاهنشاه أقام فى الوزارة ثمانى سنين ، والحافظُ تحت حجره حتى قُتل حسبما ذكرناه .

ثم وزر أخوه أبو الفتح . أقام سنتان[1] وثمانية أشهر . يُقال إنه سُمّ فى ماء استنجى به فمات .

ثم استوزر الحافظ بهرام الأرمنى . أقام سنةً واحدة وعشرة أيام ، ثم استعفى وترهّب ولبس الصوف ، وبنى له فى القصر مكاناً يتعبّدُ فيه حتى مات .

ثم استوزر رضوان بن الوحشى (كذا) سنتين وخمسة أشهرٍ .

ثم كان نجمُ الدين بن مصال يدبّرُ أمور المملكةِ ، إلى أن توفى الحافظ ، كما يأتى بيان ذلك فى تاريخه إن شاء الله تعالى .

وفى سنة أربع وعشرين أخذ عماد الدين أتابك زنكى حماة من صاحبها ، وهو يومئذ بهاء الدين سِونِج[2] بن تاجِ الملوك بورى ابن طغتكين صاحبِ دمشق .

---

(١) كذا ، والصواب « سنتين » .

(٢) فى الأصل « شويخ » خطأ ، والتصحيح من تاريخ القلانسى ص ٢٢٨ .

ذكر سنة خمس وعشرين وخمس مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديم سبعةُ أذرع[1] وإصبعان .

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثمانية أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم . والحافظُ ولىُّ العهد بالشرط المقدّم ذكره .

والوزيرُ الغالب على الأمر أبو علىّ أحمدُ بن الأفضل شاهنشاه ، ونَعَتَ نفسه بنعوت أبيه وجدّه ، واعتقلَ الحافظَ عبدَ المجيد ، وضرب السكة باسم القايم المنتظَر ، وذَكَرَهُ فى الخطبة ، وردّ على التجار ما كان اغتصبه الراهب بهرام الأرمنىّ منهم من أموالهم ورباعهم ، واستقر الحالُ كذلك .

وفيها توفى السلطانُ محمود بن محمد السلجوقى لأربع عشرة ليلة بقيت من شوّال . وكان عند الملك زنكى ولدان للسلطان : أحدهما ألب

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وثمانى أصابع » . وفى النجوم : « . . وثمانى عشرة إصبعاً » .

أرْسلان الخفاجي ، يُكنى أبا طالب . فأرسل أتابك زنكى إلى الخليفة يسومُه أن يخطب ببغداد لأبى طالب المذكور . فاعتذر الخليفةُ بأنّه صبيّ ، وأن السلطان عهد بالسلطنة لولده داود بن محمود ، وهو بإصبهان ، وقد وردت رسل الأطراف بالخطبة له ، ونحن منتظرون كتابَ السلطان سَنْجَرِ بن ملكشاه فإنّه عَمُّ القوم .

ولما مات السلطانُ محمود خُطب بهمذان وإصفهان وأذرَبِيْجان والجبال لولده داود ، وجرى له حروب كثيرة مع عمه السلطان مسعود ابن محمد إلى سلخ المحرم من السنة الأخرى .

ذكر سنة ست وعشرين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وسبعة(١) أصابع .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعاً(٢) .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم مستمرّون بالحكم .

(١) كذا ، والصواب « أربع أذرع وسبع أصابع » .

(٢) كذا ، والصواب « ست عشرة ذراعاً وإحدى عشرة إصبعاً » وفى النجوم : « سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع » .

والحافظُ ولىُّ العهد بخلافة مصر ، وأميرُ الجيوش أبو على بن الأفضل . وفيها كسر شمس الملوك الفرنج وفتح بانياس عنوةً بالسيف .

وفى سنة ستٍّ وعشرين كانت الوقايعُ العظيمة بين ملوك السلجوقية ، وانتصر أتابك زنكى الخفاجى ، وضرب مع الخليفة مصافين انكسر فيهما جميعاً . وكان قد وصـل إلى الموصل هارباً وبها يومئذ — على ما قال ابن واصل[1] — نجم الدين أيّوب . ثم قال : بل كان بتكريت فى النوبة الأولة . ووصل أتابك زنكى مهزوماً من المسترشد ، فأصلح له[2] الطرقات والمعابر ، ووفىٰ أتمّ وفاء له .

وفيها وصل السلطان سنجر وكانت الوقعةُ بينه وبين أولاد أخيه ، ثم آل الأمر أن اصطلح الأخوان مسعود وسلجوق بناء على أن تكون السلطنة لمسعود ، ويكون سلجوق ولىّ عهده . وكان ذلك فى جمادى الأولى من هذه السنة المذكورة .

ثم لما حضر السلطان سنجر وكان بينهم ما كان من الحروب العظيمة ، أجلس طغريل بن محمد وأمر بالخطبة له فى ساير الممالك .

وفيها وصل الخليفةُ إلى الموصل وحاصرها أشدّ حصار ، وعاد إلى بغداد ولم يحصل له غرض .

---

(١) انظر ابن واصل ص ٤٨ ، والكلام هنا ملخص .

(٢) أى لعماد الدين . انظر مفرج الكروب ص ٤٨ .

ذكر سنة سبع وعشرين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وخمسة عشرون إصبعًا[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وخمسة عشر إصبعًا[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ المسترشدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّام البلاد ، والحافظُ ولىُّ عهدِ الخلافة بمصر ، حتى قُتل أبو على بن الأفضل فى هذه السنة ، فى روايةٍ ، بظاهر القاهرة ، فى غرّة المحرّم . وسببُ ذلك أنه كان لمّا أبطأ عليه أمرُ خبر الحمل طالب به ، فلم يجد لصاحب الحمل خبراً ، فعلم أنّ الحافظ كان سبب ذلك ، فهدّد وتوعّد ، نخيف من شرّه ، فوثب عليه صبيانُ الخاصة فقتلوه ، وقتل منهم عدّة .

وولى الوزارة يانس ، فأقام إلى آخر هـذه السنة ، ثم توفى مسموماً حسب ما ذكرناه .

وفيها صرح الحافظُ بتوليته الخلافة ، وخُطب باسمه ، وانقطع ذكر القايم المنتظر . ولم يكن ولى الخلافة أحدٌ لم يكن أبوه خليفة قبل الحافظ .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً » .

ثم كان العاضد أيضاً كذلك حسب ما (ص ٢٨٥) سقناه من ذلك ، واستقرّ الحافظُ لدين الله خليفةَ مصر ، ولُقِّبَ بأمير المؤمنين ، وولى العهد ولده الأمير حيدرة .

ولما توفى يانس وزر بهرام الأرمنى . فأقام إلى سنة تسع وعشرين ، ثم ترهّب وانقطع بمكانٍ بنى له فى القصر حسب ما يأتى .

وفيها كانت الوقعةُ بين الملك زنكى وبين ولدى أرتق ، وهما داود وأخوه ، وكسرهما كسرةً شنيعة ، وأسر من رجالهم خلقاً كثيراً ، وأباع كلّ واحد منهما بكلبِ صيدٍ ، فى كلام طويل هذا ملخصه .

قال ابنُ واصل(١) : كان سبب وقعة عماد الدين مع ابن أرتق داود بن سُقْمان صاحب حصن كيفا ، أنّ الأمير حسام الدين تِمُرْتاش ابن ايلغازى بن أرْتُق قصد عماد الدين واتفق معه ، وقصدا مدينة آمد وحصراها . فأرسل صاحبها إبراهيم بن كيكدى(٢) إلى الأمير ركن الدين داود المذكور يستنجد به فأنجده ، والتقوا على باب آمد لخاصراها(٣) ، ثم عادا منها من غيرِ بلوغ غَرَضٍ .

ثم قصد عمادُ الدين قلعة الصور من ديار بكر لخاصرها وملكها فى رجب .

---

(١) ذكر ابن واصل هذا فى حوادث سنة ثمان وعشرين وخمس مئة .

(٢) فى مفرج الكروب « أيكلدى بن إبراهيم » .

(٣) الضمير هنا راجع إلى عماد الدين وحسام الدين تمرتاش . انظر المصدر السابق .

ذكر سنة ثمان وعشرين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعاً[١] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً واثنان وعشرون إصبعاً[٢] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المسترشِدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حكام البلاد .

والحافظُ خليفةُ مصر مستقلاً ، والوزير بهرامُ الأرمنى .

وكان قد ولى القضاء بعد النابلسى أبو الفخر بن مبشِّر صالح ابن عبد الله بن رجا ، ثم القاضى سراج الدين أبو الثريّا نجم بن جعفر . فقُتل فى هذه السنة .

وولى مكانه سناء الملك بن مبشّر .

وفى هذه السنة توفى محمد بن تُومَرْت المهدىّ صاحب القيام بأمر المغرب . وقام بالأمر عبد المؤمن بن على الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا ، والصواب « سبع أذرع وخمس عشرة إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً واثنتان وعشرون إصبعاً » وفى النجوم : « . . . وثلاث وعشرون إصبعا » .

وفيها توفى الشيخ أبو على الحسن شيخ ابن عصرون .

وفيها ولد السلطان صلاح يوسف بن أيوب بن شادى بن مروان بمدينة تكريت .

وفيها سألت الأجناد المصريون الحافظَ أن يجعل ولده حيدرة المسمّى بحسن واسطةً بينهم (ص ٢٨٦) وبينه ، وأخرجوا الأمير حسن من القصر الغربى بغير رضى الحافظ وألزموه أن يوليه . فقال لهم : رضيتموه . فقالوا : نعم . وظَلّ يراوغ بهم الأمر تسعة أشهر ، فلما غُلب سَلَّطَ عليهم السودان . وكان لهم زعياً[1] يُعرف بالأحاوى . فقتلوا من الجند خلقًا كثيراً ، وكانت فتنة كبيرة ، وأبدعوا (كذا) السُودان فيهم وأخرجوهم من مواطنهم وبيوتهم ، وحشروهم فى طرف القاهرة بالحارة المعروفة بالبرقية أيّامًا ، واستولى السودان على القاهرة . فخرج بعض الجند إلى المحلّة مُسْتَصْرِخًا بالوالى . وكان واليها يومئذ رجلاً أرمنيًا وهو بهرام الأرمنى المقدّم ذكره . وكان رجلاً سليم الباطن جيداً فى نفسه . وكان نصرانيًا على دينه ، بَاقيًا على ملّته ، فانضوى إليه جماعةٌ من الجند والعساكرِ مع جندِ الأرياف ، وسار طالبًا للقاهرة . فوصل إليها ، فغلِّقَت الأبوابُ فى وجهه ، فأحرقَ باب القنطرة ، وباب الخوخة ، وباب سعادة ، وباب زويلة ، وباب البرقّية ، ودخل ووضع السيف

(١) كذا ، والصواب « زعيم » .

على السودان . فقتل خلقًا كثيراً . وأمّا الأميرُ حسن فإنّه ساعد السُّودان على الأجناد ، وقتلَ من الجندِ جماعةً . فقالوا للحافظ : سلِّمْ لنا ولدك حسن وأنت آمِنٌ . فتمنّع وعَظُمَ عليه تسليمُ ولده ، وعلم أنّه إنْ لم يسلّمه قتلوه معه . فسقاه سُمًّا فمات . ودخل الأجنادُ فوجدوه ميتًا . فقنعوا بذلك . وتولّى الوزارة بهرام الأرمنى .

فهذا كان سبب وزارته والله أعلم .

قال[١] ابن واصل[٢] فى هذه السنة ، أعنى سنة ثمانٍ وعشرين قتل الخليفة المسترشد بالله ومنيتهِ قال : لما أراد الخروج لقتال السلجوقيّة ، والسلطانُ يومئذ مسعودُ بن محمد ، دخل عليه الوزيرُ شرفُ الدين علىّ ابن طراد الزينبى وكمالُ الدين صاحبُ المخزن . قال ابن واصل : وأنا معهما[٣] . فقال له الوزير شرف الدين : يا مولانا ، فى نفس المملوك شىء ، فهل تأذن لى فى المقال . فقال : قل . فقال : إلى أين تمضى ؟ وبمن تعتضد ؟ وإلى مَنْ تلتجىء ؟ وبمن تستنصر ؟ ومقامنا ببغداد [أمكن لنا ، ولا يقصدنا أحد ، والعراق] فيه لنا الكفاية . مع كلام كثير .

---

(١) أضيفت فى الحاشية .

(٢) انظر مفرج الكروب ١ : ٥٨ .

(٣) روى ابن واصل هذا الخبر عن مؤيد الدين سديد الدولة محمد بن عبد الكريم ابن الأنبارى كاتب الإنشاء للخليفة . وهو قال : وأنا معهما . ولم يفهم الدوادارى النص فخلط . انظر مفرج الكروب ١ : ٥٨ — ٥٩ .

فقال لى الخليفة : [ما تقول يا كاتب ؟ . فقلتُ : يا مولانا ، الصواب المقام . وما رآه الوزير فهو الرأى . ولا يقدم علينا أحد ، وليت العراق يبقى لنا .

فقال لصاحب المخزن : يا وكيل ، ما تقول ؟ فقال : فى نفسى ما فى نفس مولانا .

فأنشد الخليفة] قول المتنبي :

وإذا لم يكن الموت بُدٌّ   فمن العجز أن تموت جبانا

ثم إنه [تجهّز وجمع] خدم جماعة من الأمراء الأتراك وغيرهم ، ووقع المصاف بينه وبين السلطان مسعود بمكان يسمى دامرك من أرض همذان . فلما اصطفت العساكر تركه جميع الأتراك ومالوا إلى السلطان مسعود . ثم وقع القتالُ فانهزم الخليفةُ ثم أُسِرَ وقُبض عليه ، وقُتل جُلُّ أصحابه ، وسار مع السلطان تحت الاحتياط إلى بلاد أذربيجان ، فلما وصلوا إلى مراغة هجم عليه ثلاثة نفرٍ من الملاحدة الباطنية فقتلوه وقتلوا معه ابن سكينة ، وكان يصلّى [به] ، وذلك يوم الخميس لأربع بقين من شهر ذى القعدة [سنة تسع وعشرين وخمس مئة] والله أعلم .

ذكر سنة تسع وعشرين وخمس مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وأربعة عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفة الإمامُ المسترشدُ بالله أمير المؤمنين إلى أن قُتل فى هذه السنة ، قتلوه[3] الباطنيّة سابع عشر ذى القعدة .

وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر :

الغالبُ فى أيامه على الأمر بنو سلجوق .

وزيره أبو على الحسين بن على بن صدقة .

صفتُه : أسمرُ ، ربعة ، أسودُ الشعر ، سبطه .

نقش خاتمه ... لقبه ... والله أعلم .

---

(١) كذا ، والصواب « خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً » وفى النجوم : « . . . وأربع وعشرون » .

(٢) كذا ، والصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وثلاث أصابع » .

(٣) كذا ، والصواب « قتله » .

ذكر خلافة الراشد بالله بن المسترشد بالله
وما لُخِّص من سيرته

هو أبو جعفر المنصور بن أبى المنصور الفضل بن أحمد المستظهر بالله ، وباقى نسبه قد عُلِم .

أمّه أمّ ولد يُقال لها صَبَا .

مولده سنة خمس مئة . وُلِّىَ بعهدٍ من أبيه فى حياته له ، وجلس للأمر يوم وفاةِ والده .

والحافظُ خليفةُ مصر ، والوزير تاج الدولة بهرام الأرمنى ، إلى أن استعفى وترهّب ولبس الصوف حسب ما سقناه ، وأقام كذلك إلى أن توفى سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مئة ، وكان لبهرام أخ يسمى باسك ، وبه سُميت منية الباسك فإنها كانت من إقطاعه .

وفيها قتلت ياقوت خاتون[1] ولدها شمس الدولة قدامها وهى قائمة على رأسه حتى مات فجعلته فى ناحيةٍ من المكان ، وأمرت الجندَ فدخلوا فنظروه ميتاً ، ثم أجلست أخاً له صغيراً يسمى محمود ، وأنفذت إلى الحاجب يوسف بن فيروز فأحضرته وسلّمتْ إليه دمشق . وأقام مدّةً يسيرة فاعترضه إنسانٌ يُقال له بزاوش[2] ، وهو فى الميدان ،

---

(١) كذا ، واسمها فى المصادر « الخاتون صفوة الملك » انظر القلانسى ص ٢٤٦ .

(٢) رسم هذا الاسم عند القلانسى « بزواج » وانظر التفصيل عند القلانسى ص ٢٥٤ .

فضربه بخنجر فقتله . وتفرّقت الجندُ . فقوم اجتمعوا على بزاوش ، وقوم توجّهوا إلى منازلهم . وكان أمين الدولة صاحب بُصْرىٰ حاضراً . فأرادت قتله فهرب إلى بصرى .

ثم حضر أتابك زنكى ونزل على دمشق يحاصرُها ، ثم تقرّر بينهم الصلح .

قال ابن واصل[(١)] : وكان سبب قتل أمّ شمس الدولة ، وقيل شمس الملوك — واسمه إسماعيل بن بورى بن طغتكين — ولدَها المذكور أنه كان سىّء السيرة إلى الغاية القصوى [مع بخلٍ زائدٍ ودناءة نفس] فكرهه أصحابه وأهله ورعيته ، [فلما استشعر بغض أصحابه له وخاف منهم راسل] عماد الدين وقال : إن لم تسرع بالحضور سلّمتُ المدينة للفرنج[(٢)] . أعنى دمشق . فلما تحقّقت أمّه من أهل الدولة بكمالهم خافت على زوال الملك من بيتها ، جمعت كبار القوم وقررت معهم أنها تقتله وتقيم أخوه (كذا) ، فكان ماذكرناه .

---

(١) انظر مفرج الكروب ١ : ٥٧ ، وقد بدل المؤلف النص هنا .

(٢) فى الأصل : « فكرهه أصحابه وأهله ورعيته ، فراسلوا عماد الدين وقالوا إن لم تسرع بالحضور سلمناها للفرنج » . والصحيح أن الذى راسل عماد الدين هو شمس الملوك لا أصحابه . قومنا النص حسب ما ورد فى مفرج الكروب .

نكتـــــة

قال ابن واصل[١] : إن الخليفة المسترشد بالله كان قد أعطى لولده
٣ الراشد ، وعمره أقلّ من تسع سنين ، عدة جوارٍ وأمرهن أن يُلاعبنه
ويُمَكّنّه من أنفُسهنّ . وكانت فيهنّ جاريةٌ صفرآء حبشيّة ، فحملت
من الراشد بالله ، فلما ظهر الحملُ وبلغ ذلك المسترشدَ أنكره ، وأحضر
٦ الجارية وتهدّدها . فقالت . والله ما تقدّم إلىّ سواه . وإنّه قد بلغ
الحلم . فسأل عن ذلك بقية الجوارى ، فقُلْنَ مثل ذلك . فأمر أن
تُحَمَّلَ الجاريةُ قطناً ثم وطئها الراشدُ . فنظروا القطنَ والمنىّ عليه .
٩ وهذا من غرايب الأحوال . ولم يُسمع بمثل هذا . إلاّ قيل إنّ نساء
تهامة من الحجاز يحِضْنَ لتسعٍ سنين ويبلغ صبيانها لتسع .

ثم ولدت الجارية غلامًا فسُرّ به المسترشد وسماه أمير الجيوش .

---

(١) انظر مفرج الكروب ١ : ٦٢ .

ذكر سنة ثلاثين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع[1] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الراشد بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّام البلاد . والحافِظُ خليفة مصر .

ووزر أبو الفتح رضوان ولُقِّبَ بالأفضل ، وجرت له أمور يطولُ شرحُها ، ملخصها أنّه هرب من مصر إلى الشام بعد فتنٍ كثيرةٍ ، ثم عاد إلى مصر ، ثم خرج إلى الشام يستجيش على الحافظ ، فلم يزل يرسل إليه ويداهيه ويُطمعه ويرغّبه حتى استقدمه . فسجنه فى قصره ، فأقام مدّةً ، ثم نقب القصر وخرج ، فعلم به فاتّطلبه الحافظُ حتى وقع عليه فقتله . ثم لم يستوزر الحافظُ بعدها أحداً غير ابن مصال نجم الدين ، فإنّه أقامه ناظراً فى الأمور من غير أن يُطلق عليه اسم الوزارة . والله أعلم .

---

(١) الصواب « ست أذرع وثمانى أصابع » .

(٢) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وست أصابع » وفى النجوم « سبع عشرة ذراعاً وسبع أصابع » .

وفيها توفى شهابُ الدين صاحبُ قلعة جَعْبَر ، وتولّى ولده شرف الدولة .

وفيها تسلّم أتابك زنكى الرَّقَّةَ من زعيم الدولة .

وفيها طلع سحابٌ أســودُ أظلمت الدنيا منه ، حتى صار الوقتُ كالليل المظلم ، طلع بعده سحابٌ أحمر ، فاحمرّت الدنيا منه ، حتى عاد الجو كأنّه نار تشتعل ، وكان قد هبّ قبـل ذلك ريحاً عاصفاً[١] وأهلـكت شىء كثير[٢] من الشجر . ولم يزل كذلك إلى الليل ، فمطرت مطرًا عظيماً إلى أن زادت منه الأنهر ، وكادت دمشق تغرقُ ، وكان ذلك فى الرابع والعشرين من أيّار . والله أعلم .

قال[٣] ابن واصل : فى هذه السنة — [أعنى سنة ثلاثين وخمس مئة] — كانت البيعة للمقتفى لأمر الله ببغـداد . وذلك أن المسترشـد قُتل وبويع الراشد ببغداد ، فلم يوافق على ذلك السلطان مسعود وقال : هذا يكون كاينة فى معاندتنا . وأجمع رأيه مع كبار الدولة على المقتفى . وكان الراشد قد أرسل إلى أتابك زنكى يستقدمُه ، وجعل له الشحنكية ببغداد ، والملك والسلطنة لألب أرسـلان الذى عنده . فلما قدم أتابك زنكى واتقع (كذا) مع السلطان مسعود وانكسر ورجع هارباً . فلما كان ذلك خرج الراشد من بغداد هاربًا ولحق بأتابك زنكى بالموصل

---

(١) كذا ، والصواب « ريح عاصف » .

(٢) الصواب « شيئاً كثيراً » .

(٣) أضيف هذا القول فى حاشية ص ٢٨٨ . انظر مفرج الكروب ١ : ٦٦ — ٧٠ . وقد اختصر المؤلف كلام ابن واصل اختصاراً مخلا .

واستقرّ بها إلى سنة اثنتين وثلاثين ، والخطبة له ببلاد الموصل وما والاها . وأما بغداد وساير الأعمال للمقتفى بحكم إجماع الناس على خلعه . ثم سيّر إلى الأتابك زنكى ما أرضاه به من جهة المقتفى من الإقطاعات وغيرها فوافق ، وخطب للمقتفى بالموصل . وفارقه الراشد بالله وتوجّه نحو همذان ، فوثب عليه الباطنيّة فقتلوه . وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس رمضان المعظم سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة .

ذكر خلافة المقتفي لأمر الله ابن المستظهر بالله

وما لُخِّص من سيرته

هو أبو عبد الله محمد بن أبى العبّاس أحمد المستظهر بالله ، وباقى نسبه قد عُلم

أمه أمّ ولد لم أقف على اسمها .

بويع بعد قتلة الراشد بيومين .

هكذا[1] ذكر أبو المظفر عن بيعة المقتفى أنها بعد قتلة الراشد وليس كذلك ، والصحيح ما ذكره القاضى جمال الدين بن واصل من ذلك ، وقد ذكرنا بتلخيصه فى الحاشية التى قبل هذه الحاشية . وكلّ ما حشّيتُه فى جميع هذا التاريخ وفى أجزائه مقابلاً (كذا) على نسخ المؤرّخين يحقق الضبط ، فزاد هذا التاريخ إحسان ، ولم يشنْه بل له زان .

أقام خليفةً أربعاً وعشرين سنة .

وقيل خمس (كذا) وعشرين وثلاثة أشهر ونصف شهر .

وكان شيخاً أبيض الرأس واللحية . وقبض على كثير من أفراد بطانته وأمرائه . وكان يحبّ المال وتحصيله وجمعه ، ولم يزل كذلك إلى أن توفى فى تاريخ ما يأتى ذكره .

---

(١) قوله : هكذا إلى « زان » مضاف فى الحاشية .

قال الفقيه أبو محمد أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عمر صاحب « التاريخ » : كانت دعوة المقتفى لأمر الله < فى > العراق والشام والحجاز وحَرّان .

ذكر سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

(ص ٢٨٩) الماء القديم ستة أذرع فقط .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وستة عشر إصبعًا[١]

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الراشدُ بالله أمير المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّامُ البلاد .

والحافظ خليفةُ مصر ، والوزيرُ رضوان مدبّرُ الممالك المصرية .

وفيها استولى الصُوفىُّ على دمشق وملكها من ياقوت خاتون .

وفيها نزل ملك الروم على أنطاكية وحاصرها وشدّد عليها ذلك .

وفيها نُفِى القاضى سناء الملك إلى تنّيس ، وولى الحكم القاضى ابن أبى عقيل .

وفيها فتح أتابك زنكى المَعَرّة وكَفْرطاب بعد فتح بارين من

(١) الصواب « سبع عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً » .

الفرنج ، وأعاد كلّ مُلْكٍ إلى صاحبه من المسلمين . وهذا ما يُحكى من جملة عدله رحمه الله .

قال ابن واصل[١] : وفى هذه السنة ، أعنى سنة إحدى وثلاثين ، تزوّج أتابك زنكى بصاحبة دمشق وسماها زمرد خاتون . وهى أمّ الذى قتلته شمسِ الملوك ولدِها ، ظنًّا منه أنها تسلّمه دمشق فلم توافق .

وقال ابن واصل أيضا[٢] : وفى هذه السنة ملك ملك الروم بزاعة بالأمان من أهلها ، ثم غدر وقتل جميع أهلها عدّة خمسة آلاف ومات نفر . قال : وتنصّر قاضيها وجماعة من أعيانها نحو أربع مئة نفس ، واختفى جماعة فى مغارة فدُخِّن عليهم فماتوا أجمعهم .

ذكر سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة أذرع وإصبع واحد[٣] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع[٤] .

---

(١) انظر مفرج الكروب ١ : ٧٧ ، وفى العبارة هنا اختلاف عن النص .

(٢) المصدر السابق ، وقد نقل كلام ابن واصل مختصراً .

(٣) الصواب « خمس أذرع وإصبع واحدة » .

(٤) الصواب « سبع عشرة ذراعاً وثلاث أصابع » وفى النجوم : « ثمانى عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً » .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الراشدُ بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّام البلاد بحالهم .

والحافظُ خليفةُ مصر ، والوزير رضوان .

وفيها هرب إلى الشام الهربة الأولى حسبما ذكرناه .

وفيها دخل أتابك زنكى دمشق[1] ، واستقرّ ملكه بها إبعد مَا كسر الفرنج كسرةً عظيمة ، وقتل بزواش الذى كان متغلّبًا على دمشق . ثم إنه انتقل إلى حمص وملكها فى هذه السنة ، وولدُه نور الدين محمود بالشرق فى ممالك أبيه زنكى ، واستقرّ الملك زنكى بدمشق .

وفيها قُتل الإمامُ الراشدُ بالله أميرُ المؤمنين غرّةَ رمضان من هذه السنة .

وكانت خلافته سنتين وعشرة أشهر .

وكان جباراً قوىّ النفس جريئًا على سفك الدماء بحقٍّ وبغير حق .

صفته عفا الله عنه : أشقر ، كبير العينين ، بَيِّنَ الزرقة والشهولة ، ربعة .

نقش خاتمه . . . .[2]

لقبه . . . .[2] والله أعلم .

---

(١) لم يدخل عماد الدين دمشق ، فى هذه السنة ، بل دخل على صفورة الملك بحمص . انظر القلانسى ص ٢٦٧ .

(٢) لم يذكره فى الأصل .

ذكر سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة

النيل المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة أذرع وأربعة عشر إصبعاً[١] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وخمسة أصابع[٢] .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق ملوك البلاد .

واستبدّ الحافظ بالأمور وقام فيها بنفسه .

وفيها توفى القاضى ابن أبى عقيل رحمه الله ، وأقامت القاهرة ومصر بغير قاضٍ ثمانية شهور .

ثم تولّى الحكم القاضى هبة الله بن خير الأنصارى .

وفيها خرج ملك الروم إلى الشام وفتح بزاعة ، وأسر خلق كثير[٣] عدة عشرة آلاف نفر ، وجعلهم فى خندقِ الآثارات يخرجون كل يوم يرعون الفول الأخضر ثم يعودون إلى الخندق ، مع موكّلين بهم ، ثم

---

(١) الصواب « خمس أذرع وأربع عشرة إصبعاً » .

(٢) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وخمس أصابع »

(٣) كذا ، والصواب « خلقاً كثيراً » .

٥٢٩

رحل طالباً شَيْزَر ، ونزل عليها ، فخرج عليه سيف الدين سُوار ابن ألدكز فى خيلٍ من عسكر حلب ، فَخَلَّص الأسرى جميعهم ماخلا ولده وكان فى جملة الأسرى ، وكانوا ثلاث مئة وخمسين نفراً . ثم رحل ونزل بزاعة وتسلّمها من الفرنج .

وفيها زُلزلت الحيرة عشر فراسخ فى مثلها وأهلكت ألف إنسان ، وخسف بها وصار مكانه ماء أسود ، وقدموا الغايبين[1] من أهلها ولازموا البلد يبكون على أهاليهم وأموالهم التى عدمت لهم فى ذلك الخسف .

وذكر أبو العلاء القلانسى[2] أنّها كانت عامة ، وأنها كانت فى حلب أقوى وأعظم ، فإنها تواترت ثمانين مرة فى يوم وليلة ، ورمت أبراج القلعة وأسوار البلد ، وهرب جميع أهلها إلى ظاهرها .

فهذه الزلزلة التى ذكرناها فيما تقدم ونبهنا على أمرها فإنها غير زلزلة شيزر المقدّم ذكرها أيضاً .

وفيها قُتل الأميرُ شهابُ الدين محمود بن بورى بن طغتكين صاحب دمشق ليلة الجمعة لثلاثٍ بقين من شوّال ، قتله غلامُه البقش[3] ويوسف الخادم والفرّاش الخركاوى ، وصبيحة قتله وصل أخوه جمال الدين محمد بن بورى وملك دمشق ، وقام بتدبير دولته الأميرُ معين الدين

---

(١) كذا ، والصواب « قدم الغائبون » .

(٢) انظر تاريخ القلانسى ص ٢٦٨ ، والمعروف أن اسم صاحب التاريخ « أبو يعلى » .

(٣) عند القلانسى « البغش » ص ٢٦٨ .

أنر مملوك جده طغتكين ، ووصل أتابك زنكى إلى دمشق ، وكانت الحربُ بينه وبين الدماشقة ، ولم يزل الحصار عليها إلى شعبان
٣ من هذه السنة . فتوفى جمال الدين صاحبها وهو كان آخر ملوك دمشق .

وملك بعده مجير الدين آبق آخر مَنْ ملك دمشق من بيت الأتابك طغتكين ، وقام بتدبير المُلْكِ معين الدين أنر ، إلى أن ملكها
٦ أتابك زنكى .

قال ابن واصل[1] : وفى هذه السنة تسلم أتابك زنكى دمشق ، وذلك لما قتل شهاب الدين محمود بدمشق حزنت عليه أمّه زمرّد خاتون
٩ فكاتبتْ أتابك على طلب دمشق . وكان بها معين الدين أنر ، وكان قد خرج عن طاعة زمرّد خاتون . فحضر جمال الدين من بعلبك بقصد دمشق ، واستنجد مُعين الدين بالفرنج ، وجَرَتْ حروبٌ كثيرةٌ ، وعاود
١٢ دمشق عدة دفوع حتى دخلها على حين غفلة من أهلها فملكها . ثم قال ابن واصل فى مكان آخر : إنه لم يملكها فى هذه السنة . والله أعلم .

---

(١) انظر مفرج الكروب ١ : ٨٥ .

ذكر سنة أربع وثلاثين وخمس مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديم ستة أذرع وثمانية عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعًا وأربعة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّام البلاد .

والحافظُ خليفة مصر قائمٌ بأمور نفسه وتدبير ممالكه . وعُزل القاضى عبد الله وتولّى الحكم أبو الطاهر إسماعيل بن أبى سلامة الأنصارى .

وفيها كانت وقعة الزيتون مع أتابك زنكى ، وكسرهم أتابك زنكى كسرةً عظيمة ، وقَتَل من الفرنج عشرين ألف نفرٍ على تلّ الثعالب ، وكان قبل ذلك وصلوا (كذا) الملاعين إلى بانياس ، ووصلوا إلى دَارَيّا ظاهر دمشق .

---

(١) كذا ، والصواب « ست أذرع وثمانى عشرة إصبعاً » .

(٢) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً » وفى النجوم : « ست عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً » .

قال ابن واصل رحمه الله[١] : ولما رجع ملك الروم خائباً امتدح عمادَ الدين أتابك زنكى مسلمُ بن خضر بن قسيم الحموى بقصيدة منها يقول :

بِعَزمِكَ أيُّها الملكُ الرحيمُ   تذلُّ لكَ الصِّعابُ وتستقيمُ
ألَمْ تَرَ أنَّ كلبَ الروم لمّا   تَبـيّنَ أنّك الملكُ الرحيمُ
فولّى يطبـق الفلواتِ جُبْنًا   كأنّ الْجَحفَلَ الليـلُ البهيمُ

منها :

كأنّكَ فى العجاج شهابُ نورٍ   توقّدَ وهو شَـيْطانٌ رَجيمُ

ومنها :

أرادَ بقـاءَ بهجتـه فولّى   وليس سوى الحِمام له حميمُ

(ص ٢٩٢) وفيها قتل أتابك زنكى من أهل العريش ألف رجل كانوا اتفقوا مع الفرنج أن يسلّموهم بلاد المسلمين فقتلهم بسبب ذلك .

ذكر سنة خمس وثلاثين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم خمسة[٢] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً واثنا عشر إصبعًا[٣] .

---

(١) أضيف هذا القول فى حاشية ص ٢٩١ . وانظر مفرج الكروب ١ : ٨٢ .

(٢) كذا ، والصواب « خمس » وفى النجوم « ست أذرع » .

(٣) كذا ، والصواب « سبع عشرة ذراعاً واثنتا عشرة إصبعاً » .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المقتفى بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والحافظُ خليفةُ مصر يُدبِّرُ أموره بنفسه .

فيها وصل أتابك زنكى ببرج الزَّبَدَانِي ووصل البقاع ، وخُطب له بدمشق وحمص وغيرها .

وفيها قُتل سنجرشاه صاحب أذربيجان .

وفيها كانت الزلزلة بِشَيْزَر ، وأخربت القلعة ، وتسلّم أتابك الموزر .

وفيها توفى بهرام بن أسد الأرمنى المترهّب المقدّم ذكره فى ذكر وزارة مصر .

ذكرُ سنة ستّ وثلاثين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم أربعة أذرع وخمسة أصابع[١]

مبلغُ الزيادة ستة عشر ذراعًا وأحد عشر إصبعا[٢] .

---

(١) كذا والصواب « أربع أذرع وخمس أصابع » .

(٢) كذا والصواب « ست عشرة ذراعاً وإحدى عشرة إصبعاً » .

ما لُخّص من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المقتفى بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والحافظُ خليفة مصر مدبّرٌ أموره بنفسه .

وفيها توفى كند أسطيل (كذا) ملك الروم .

وفيها كانت وقعة بين سنجر سلطان [الشرق] وكافر ترك [الواصل من ناحية الصين] وسبب ذلك أنه كان مما وراء النهر طائفة من الملوك يقال لهم العمرة ينزلون بنواحى سمرقند فى مروجها ، ولهم أموالٌ كثيرة ومواشى (كذا) كثيرة ، وأهل تلك النواحى ينتفعون بهم ، وهم قوم يعفّون عن مال غيرهم ولا يؤذون أحداً ، فبلغ خبرهم سنجر سلطان فنفذ إليهم العساكر فأوقعوا بهم ، ونهبوا أموالهم ، وهتكوا حريمهم ، وسبوا بناتهم ، وقتلوا منهم خلق كثير[١] . فانزاحوا إلى ناحية أورجيد . ثم نفدوا مشايخهم وكبراءهم بتقادم حسنة من أموالهم إلى سنجر سلطان وقالوا : نحن قوم أهل برارى وصحارى وخراب من الأرض ، ولا لنا أذية إلى مخلوق ، ونحن نسأل السلطان أن يكفّ عنا ، ونجعل له علينا فى كلٍّ سنة خمسة آلاف فرس ، وثلاثين ألف رأس من الغنم ، ومن المال كذا وكذا . فلم يلتفت إليهم ولا أجابهم ولا إلى شىء من ذلك . فلما عادوا[٢] مشايخهم بالخيبة أجمعوا رأيهم

(١) الصواب « خلقاً كثيراً » . (٢) الصواب « عاد مشايخهم » .

وتوجّهوا إلى خاقان ملك الخَطَا مُستصرخين به ومُستجيرين بسلطانه . فحشد خاقانُ جموعَه وجيوشَه فى سبع مئة ألف مُقاتل ، وانضمّ خوارزم شاه إليه لمصاهرةٍ كانت بينهما ومعاداةٍ بين سنجر سلطان وبين خوارزم شاه . وكان عِدّةُ عسكره خمسين ألف مقاتلٍ ، فلما بلغ سنجر سلطان ذلك حَشَدَ وجمع جموعه وقَطَعَ النهر فى ثلاث مئة ألف مقاتل ، والتقوا فى صحراء سمرقند ، وكان يوماً عظيماً لم يُرَ مثله فى جاهلية ولا إسلام ، واقتتلوا ثلاثة أيّام لَيْلَ نهار ، فانكسر سنجر سلطان وانهزم ، وهرب فى ستة نفرٍ ، وأسروا زوجته وأولاده ، وهتكوا حريمه ، وقُتل عامة أمرائه ، وقُتل من أعيان دولته نحو المئة ألف . ودخل خوارزم شاه إلى بلخ ، ونهب وقتل وسار . ومضى سنجر سلطان إلى فرهد (كذا) فلما دخلها لم يجد بها أحد (كذا) فسأل عن ذلك فقالوا : قتلوا جميعاً . (ص ٢٩٤) وأخذت خزائنُه وأمواله وذخائره ، وأقام أيّاماً لا يأكل ولا يشرب . فهذه وقعة سمرقند المشهورة . والله أعلم .

قال ابن واصل[١] : إن فى سنة ست وثلاثين تسلم أتابك زنكى إربل ، وكانت إربل وجميع أعمالها لأبى الهيجاء الكردى الهذبانى[٢] ولورثته من بعده ، ثم تغلّبتْ دولةُ الأتراك السلجوقية عليها وعلى غيرها ، وتنقلت إلى أن صارت للسلطان مسعود بن ملكشاه ، وهو يومئذ

(١) أضيف هذا القول فى حاشية ص ٢٩٢ . انظر مفرج الكروب ١ : ٩٧ .

(٢) فى الأصل « الهمدانى » والتصحيح من ابن واصل .

صاحب بزاعة قبل أن تصير إليه السلطنةُ . وكان < فيها > نائبٌ من قبله ، فسار إليها عمادُ الدين أتابك زنكى ونازلها فى هـذه السنة المذكورة ، أعنى سنة ست وعشرين وخمس مئة ، فسار إليه السلطان محمود من مرَاغة ، فرحل عنها عماد الدين فترَكَ الزاب وتردَدّت الرسلُ بينهم إلى أن استقرّ أن يسير عماد الدين فى خدمة السلطان مسعود ليجلسه فى السلطنة ، ويكلّف الإمامَ المسترشد أن يخطب له ، ويسلّم إليه السلطان إربل . فتَسَلّمها على ذلك الشرط . فسلّمها عمادُ الدين لزين الدين كوجك ، ثم سار عماد الدين إلى بغداد غربىّ الماء ، وسار السلطان مسعود شرقىّ الماء ، وتواعدا أن يلتقيا ببغداد . فوصل من بغداد قراجا الساقى وكُبِسَ عماد الدين ، فكُسِر العسكرُ وأسِر كلّ مَنْ فيه ، ولم ينج سوى عماد الدين فإنه قطع الشطّ فى زَوْرَق وهو مجروح ، فوصل إلى الموصل . واستقرّتْ حلبُ فى يد زين الدين كوجك وولده بعده إلى آخر أيّام الملك المعظّم مظفر الدين كوكبورى حسب ما يأتى من ذكره .

قال ابن واصل[1] : فى هـذه السنة ، أعنى سنة ست وثلاثين وخمس مئة ، ملك عماد الدين أتابك زنكى الحديثة ، ونقل مَنْ كان بها [من آل مهراش] إلى الموصل .

وفيها خُطِبَ لعماد الدين بمدينة آمد ، ودخل صاحبها فى جماعته ،

---

(١) انظر مفرج الكروب ١ : ٩٠

وكان قبل ذلك موافقاً للأمير ركن الدين داود الأرتقى صاحب حصن كيفا . فلما رأى قوّة الملكِ زنكى رجع إلى طاعته .

وفيها أغار عسكرُ حلب من جهة أتابك على الفرنج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً .

ذكر سنتى سبع وثمان وثلاثين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة سبع ثلاثة أذرع وستة عشر إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر[2] ذراعاً فقط .

الماء القديم لسنة ثمان خمسة[3] أذرع فقط .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وأربعة أصابع[4] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ فيهما الإمامُ المقتفى لأمر الله أميرِ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

---

(١) الصواب « ثلاث أذرع وست عشرة إصبعاً »

(٢) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً »

(٣) الصواب « خمس »

(٤) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وأربع أصابع » وفى النجوم « ست عشرة ذراعاً وتسع أصابع » .

والحافظُ خليفةُ مصر مدبّر أمور ممالكه بنفسه .

ومضت سنة سبع بغير حادث بحكم التلخيص .

وفى سنة ثمانٍ ظهر قومٌ يُقال لهم بنو لامٍ ومعهم جماعة من أهل الشرق فتوجهوا إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأحرقوا قبر عثمان بن عفّان رضى الله عنه ، وأحرقوا معه قبور كثيرة[١] . وكان هؤلاء القوم علويون[٢] ثم إنهم عادوا إلى بلادهم .

وفيها غلب سيفُ الدين غازى بن أتابك على مُلْك الموصل من مملكة نور الدين محمود بن أتابك زنكى وأخرجه عنها فى شرحٍ طويل هذا ملخصه :

قلت[٣] : هذا غلط من أبى المظفر ، وإنما الصحيح ما ذكره ابن واصل من ذلك المكتوب على الحاشية فى أمر بنىِ أتابك زنكى .

وفيها فتح أتابك الرُّها عنوة بالسيف وكذلك سروج أيضا .

وفيها ملك نور الدين محمود بن زنكى سنجار وعادت فى ملكه والله أعلم .

وقيل إن هذه الحوادث كانوا[٤] فى سنة تسع وثلاثين والله وأعلم .

---

(١) الصواب « قبوراً كثيراً » .

(٢) الصواب « علويين »

(٣) حاشية أضيفت بخط دقيق ص ٢٩٤ بخط المؤلف

(٤) الصواب « كانت »

قال ابن واصل[١] : وفيها فتحُ الرها . كان الفرنج — لعنهم الله — كثُر شرُّهم بالبلاد الجزرّية ، وكانت لهم الرُّها وسَرُوج وألبيرة وغير ذلك . وكانت جميع هـذه البلاد والأعمال لجوسلين . وكان أتابك زنـكى يعلم أنه متى قصد الرّها اجتمع بها الفرنج ومنعوه منها . فاشتغل بقصد ديار بكر ليوهم الفرنج أنّه غير قاصدٍ نحوهم . ثم إنه نادى على حين غفلة من الفرنج بالركوب . ومُدّ خوانٌ وقال : لا يأكل معى على مائدتى إلاّ مَنْ يطعن غداً معى باب الرها . فلم يتقدم إليه غير أميرٍ واحدٍ وصبى لا يُعرف ، وذلك لما يعرفون من شجاعته وقوة جسارته . .

فقال ذلك الأمير للصبى : ما أنت وهـذا [المقام] فقال له [عماد الدين] : دعه ، فإنى والله أرى منه وجها لا يتخلّفُ عنى . فـكان كذلك حتى فتح الله عليه .

ذكر سنتى تسع وثلاثين وأربعين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة تسع ستة أذرع وأربعة عشر[٢] إصبعاً .

---

(١) أضيفت هذه الحاشية فى ص ٢٩٤ . انظر مفرج الكروب ١ : ٩٣ .

(٢) الصواب « ست أذرع وأربع عشرة ذراعاً » .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع(١) .

الماء القديمُ لسنة أربعين أربعة أذرع وعشرة أصابع(٢) .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع(٣) .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفة فيهما الإمامُ المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والحافظُ خليفةُ مصر مدبّرٌ أمور ممالكه بنفسه ، وابنُ مصّال ناظر فى المصالح .

ومضت سنة تسع ولم يكن بها غير ما تقدم فى ذكر سنة ثمان ،

وفى سنة أربعين فتح عبد المؤمن مدينة مرّاكش .

وفيها نزل أتابك زنكى على قلعة جَعْبَر ، وولدُه نور الدين دخل دمشق فأقام مدة يسيرة ثم عاد .

ذكر سنتى إحدى واثنتين وأربعين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم لسنة إحدى ستة(٤) أذرع وإصبعان .

مبلغ الزيادة ستة عشر(٥) ذراعاً وعشرون إصبعاً .

---

(١) الصواب « سبع عشرة ذراعاً وخمس أصابع » وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً وأربع أصابع » .

(٢) الصواب « أربع أذرع وعشر أصابع » وفى النجوم « ... وأربع عشرة إصبعا »

(٣) الصواب «ثمانى عشرة ذراعاً وست أصابع » وفى النجوم « ثمانى عشرة ذراعاً سواء »

(٤) الصواب « ست » .

(٥) الصواب « ست عشرة » .

الماء القديم لسنة اثنتين خمسة أذرع وثلاثة أصابع(١) .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة أصابع(٢) .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ فيهما الإمامُ المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّام البلاد .

والحافظُ خليفةُ مصر مدبرُ أمورِ ممالكه بنفسه ، ونجم الدين ابن مصّال بحاله .

وفى سنة إحدى بنى حسام الدين أرتق جسر قرمان فى أرض ميّافارقين .

وفى سنة اثنتين قتل عبد المؤمن صاحب المغرب جميع مَنْ كان فى مرّاكش من المقاتلة ، وأحضرَ اليهودَ والنصارى وقال لهم : إنّ الإمام المهدى أمرنى أن لا أقرّ الناس إلاّ على مِلّة الإسلام ، وأنتم تزعمون أنّ بعد الخمس مئة يظهر من يعضد شريعتكم ، وقد انقضت المدة . فإمّا أن تُسلموا وإمّا أنْ تلحقوا بدارِ الحرب . فأسلم منهم خلق كثيرٌ . ثم إنه أخرب الكنائس (ص ٢٩٦) وردها مساجدَ . ثم دخل بيت المال ففرّقه جميعه وكنسه وصلّى فيه ، كما فعل الإمامُ علىّ بن أبى طالب

---

(١) الصواب « خمس أذرع وثلاث أصابع » .

(٢) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وثلاث أصابع » وفى النجوم « ... وثلاث عشرة إصبعاً » .

كرّم الله وجهه ، وأقام معالم الإسلام والحدودِ وَالأحكام على الوجه المرضىّ من الشرع ، مع السياسة الكاملة . وأمر مَنْ ترك الصلاة ثلاثة أيّام أن يُقتل ، وأزال ساير المسكرات ، ونهى عن جميع المنكرات ، وكان يصلِّى بنفسه بالناس الصلوات الخمس ، ويقرأ فى كلّ يومٍ سبعاً من القرآن ، ويصومُ الخميسَ والاثنين ، ويلبس الصوف . وسيأتى ذكر مبتدإ أمره ونسبه وما لُخِّصَ من أخباره فى الجزء الذى يتلو هذا الجزء ، عند ذكر وفاته إن شاء الله تعالى .

ورأيتُ فى بعض مسوداتى أنّ عبد المؤمن هـذا الذى دخلت عليه حَفْصَةُ بنتُ الحاج الشاعرة فقال لها : أنْتِ حفصة الشاعرة ؟ قالت : نعم ، أصلحك الله . قال : أرينا شيئاً من شعرك . فارتجلت تقول[1] :

امنُنْ عَلَيّ بطرْسٍ ‏ ‏ يكونُ للدهرِ عدّه
تخطُّ يُمناك فيهِ ‏ ‏ والحمـدُ لله وحده

وكانت علامته على المناشير والتوقيع : الحمد لله وحده . فحسن ذلك الموقع منها . فكتب لها توقيعاً بضيعتها وأكرمها .

ومن ذلك فى ذكر حَفْصَة الشاعرة المذكورة أنِ اتفق أنّه بات معها فى محاضرةٍ وأدبٍ أبو جعفر بن عبد الملك فى حور مؤمل ، وهو أحسن أماكن النزهة بمدينة غرناطة .

---

(١) انظر أشعار النساء للسيوطى (تحقيقنا) ص ٤٢ والمصادر المذكورة فيه .

فقال أبو جعفر(١) :

رعى الله يوماً لم يَرُحْ بمذمّمٍ   عَشيّةَ وارانا بحور مُؤملِ
وغَرّدَ قمريٌّ على الدوح وانثنى   قضيبٌ من الريحَانِ من فوق جدولِ
ترى الروض مسروراً بما قد بدا له   عناقٌ وضمٌّ وارتشافُ مقبّلِ

فأجابته بما لا يخفى إحسانها فيه على كل حاذق تقول : (ص ٢٩٧)

لعمرُكَ ما سُرّ الرياضُ بوصلنا   ولكنّه أبدى لنا الغِلّ والحَسَدْ
ولا صَفّقَ النهرُ ارتياحاً لقُرْبنا   ولا صَدَح القمريُّ إلاّ لِما وَجَدْ
فلا تُحْسِنِ الظَنَّ الذى أنتَ أهلُه   فما هو فى كلِّ المواطن بالرّشَدْ
فما خِلْتُ هذا الأفقَ أبدى نجومَه   لأمرٍ سوى كيما يكون لنا رَصَدْ

وكانت أيضاً بغرناطه نَزْهون(٢) الشاعرة . فهى ذات يوم تصحّح شيء (كذا) من اللفاظ العربية (كذا) على الشيخ أبو الحسن ابن أصحا الأعمى المخزوميّ ، وكان أوحدَ أهل المئة السادسة فى علم العربية ، وشاعراً مُطْبقا هَجّاءً فاضِحاً . فدخل عليه أبو بكر الكتندىّ(٣) ونزهون بين يديه ، وكانت من الجمال بالموضع الوافر ، فقال أبو بكر مستنطِقاً للأستاذ أبى الحسن :

لو كنتَ تُبْصِرُ مَنْ تُكلِّمُه

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٤٠ — ٤١ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٩٧ .

(٣) فى الأصل « الكندى » وهو خطأ .

فأفحم الأستاذ ولم يقدر أن يُجيزه . فقالت نزهون ارتجالا :

لغــــدوتَ أخْرَسَ من خلاخــــله
البــــدرُ يطلع من أزرّته
والغصــــنُ يَمْرَحُ فى غلائـــــله

ونزهون هـذه التى استأذن عليها ابن قزمان المشهور بالإجادة فى الأزجال ، فقالت له الجارية : مَنْ أنت حتى أستأذن لك : فقال قولى لستّك رَجلٌ من أخصّ أصحابك . فلما أعلمَتْها قالت : ارجعى إليه وقولى له : بالسين أو بالصاد ؟ فأعادت عليه . فقال قولى لهـا : بصادٍ مثلِ كسّك .

وكان فى غرناطة أيضاً فى المئة السادسة حَمْدَةُ[1] بنت زياد القائلة وقد خرجتْ إلى بسيطِ غرناطة مع نساء ، فيهن من تَميلُ إليها . فلعبْنَ وسَبَحْنَ فى تلك الأنهار المتفرّقة . فقالت حَمْدَةُ فى ذلك :

أباح الدمعُ أسرارى بوادٍ له فى الحسن آثارٍ بَوادِى
فمن نَهْرٍ يُطيفُ بكلّ رَوْضٍ ومن رَوْضٍ يرفُّ بكلّ وادِ
ومِن بَيْن الظِباءِ مهاةُ أُنسٍ لها لُبّى وقَدْ سَلَبَتْ فؤادِى
لها لحـــظٌ تُرَقِّدُهُ لأمرٍ وذاك الأمْرُ يمنعُنى رقادى
إذا سَدَلَتْ ذوائبَها عليها رأيتَ البدرَ فى أُفُقِ السوادِ
كأنّ البدرَ ماتَ له شقيقٌ فمن حزنٍ تَسَرْبَلَ بالحدادِ

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٥١ — ٥٢ .

ومن شعرها :

ولما أبى الواشون إلاّ فراقنا　　وما لهم عندى وعندك من ثارِ
وشنّوا على أسماعنا كلّ غارةٍ　　وقلّ حُماتى عند ذاك وأنصارى
لقيناهمُ من ناظريْكَ وأدمعى　　ومن نَفَسِى بالسيفِ والسّيْلِ والنار

قال ابن واصل[1] : ولما كان فى سنة إحدى وأربعين قصد عمادُ الدين قلعة جَعْبَر ، وصاحبُها يومئذ [مالك بن] سالم بن مالك العقيلى ، وحاصرها ، وسَيَّر إلى صاحبها رسولاً يقولُ له فى جملة رسالة : مَنْ يمنعُكَ عنى ؟ وكان الرسولُ الأميرَ حسّان صاحب مَنْبِج لمودّةٍ كانت بينهما . فلما أدّى الرسالة وقال له : يقول لك من يمنعك منى ، فقال يمنعنى منه الذى يمنعك من الأمير بُلَكَ[2] .

قصد بقوله أنه لما نازل بلك[2] بن بَهْرَام بن أُرْتُق منبج ، بعد أن أسر حسّان هذا وهو صاحبها يومئذ ، ولم يبق إلا أخذها ، فجاءه سَهْمٌ فوقع فى نحره فأهلكه وخلص حسّان منه .

فكانت واقعة عماد الدين على قلعة جعبر كذلك ، فإنّه أقبل عليها وخلصت من حصاره حسبما يأتى من ذكر ذلك فى الحاشية الأخرى من الوجه الآخر .

---

(١) هذه حاشية أضيفت ص ٢٩٢ . انظر مفرج الكروب ١ : ٩٨ ، والنص هنا مختصر .

(٢) فى الأصل « مالك » خطأ . التصحيح من ابن واصل ، وابن القلانسى .

قلتُ : وقد ورد عن الله تعالى حكاية يقول : أنا الله ربُّ مكّة ، وعِزّتى لا أقمتُ[1] لمقدِّرٍ أمراً .

وقيل : إنه كان فى أتابك فى أوّل مبدإه ظلمٌ ، فسمع ليلةً وهو نازلٌ بحماة شخصاً يُغنى على شاطئ العاصى :

اعـدلوا ما دام أمركمُ نافــذاً فى النفع والضررِ
واحفظــوا أيّامَ دولتكم إنـكم منهـا على خَـطَرِ

قال : فبكى ، فتبدلت نيته .

قال ابن واصل[2] : وفى سنة إحدى وأربعين قُتل أتابك زنكى وهو محاصر لقلعة جعبر . دخل عليه صبى من غلمانه إفرنجى اسمه برتقش مع جماعة من مماليكه فقتلوه على فراشه وهربوا فى الوقت إلى قلعة جعبر . وكان ذلك ليلة الأحد لستٍّ مَضَيْنَ من ربيع الآخر ، واستولى على الأمر بعد قتله ألب أرسلان السلجوقى الذى كان يدّعى أتابك زنكى أنه أتابكه . فدبّر عليه الوزيرُ جمال الدين [الاصفهانى] مع صلاح الدين الياغسيانى وأحضروا سيف الدين غازى ، وهو أكبر أولاد أتابك زنكى ، وسلّموه الموصل ، وملّكوه عوضاً عن أبيه ، وأعملوا

---

(١) فى ابن واصل « أتممت » .

(٢) أضيف هذا القول حاشية فى ص ٢٩٥ . انظر مفرج الكروب ص ٩٩ — ١٠٠ و ١٠٧ والنص هنا مختصر .

الحيلة على ألب أرسلان حتى دخل الموصل فقبض عليه وكان آخر العهد به .

وملك نور الدين محمود حلب ، وهو نور الدين أبو القاسم محمود الشهيد حسبما يأتى من ذكره .

[ولما قُتل عماد الدين أتابك زنكى رحمه الله قال الأمير مؤيد ابن منقذ : وكأنّ الشاعر المتنبى رثاه بقوله :

وقد قاتل الأتراكَ[1] حتى قَتَلْنَهُ ... بأضعفِ قِرْنٍ فى أذلِّ مكانِ

ومن بعض[2] ما يُحكى عنه من قوة منطوية أنه مما امتحن به بعض علمائه أعطاه يومًا فى تسليمه خُشْكُنانكه وقال له : احفظ هذه . فبقيتْ نحواً من سنةٍ وهى لا تُفارقه سفراً وحضراً ، خوفًا أن يطلبها منه . فلما كان بعد ذلك قال له : أين الخشكنانكه ؟ قال : فأخرجها له من منديل ثم قدّمها بين يَدَيْه . فاستحسن ذلك منه . وقال : مثلك ينبغى أنْ يكون مستحفظًا بحصن . وأمره حينئذ بدزدارية قلعة كواشى . فبقى فيها ذلك الطشتدار إلى أن قُتل عماد الدين .

ومن جملة حزمه أنه تفرّس فى الأمير بهاء الدين ياروق التركمانى الشجاعة فجعل له ولاية حلب . فكان ياروق وأصحابه حصنَ حلب المانع حتى ضُربت بشجاعته الأمثال .

---

(١) عند ابن واصل « الأقران » .

(٢) انظر ابن واصل ١ : ١٠٢ – ١٠٣ .

ذكر سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السّنة :

المـاء القديمُ سبعة أذرع وثمانية أصابع[1] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّصَ من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّامُ البلاد .

والحافظُ خليفةُ مصر ، مستبدٌ بالأمور بنفسه ، وابن مصَال ناظر بحاله

وفى تاسع صفر من هـذه السنة عُزل القاضى أبو طاهر ، وتولّى مكانه يونس بن محمد المقدسى .

وفيها أخذت الفرنج عسقلان ، سَلّمها لهم عبّاس وزيرُ مصر . وهذا غلط من صاحب هـذا التاريخ الذى منه ننقل[3] ذلك . فإنّ

---

(١) الصواب « سبع أذرع وثمانى أصابع » .

(٢) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً » وفى النجوم « ... وثلاث عشرة إصبعاً » .

(٣) فى الأصل « يقول » .

عباس لم يتوزّر للحافظ قطّ ، ولعله غلطٌ فى السنين ، أو من ناسخ الجزء وقع السهو والله أعلم .

ونحن نذكر الواقعة ، ولعلّها كانت فيما يأتى من خلافة الظافر فنقول :

كان سبب تسلم الفرنج عسقلان أنّ رأس الإمام الحُسَيْن بن على ابن أبى طالب عليهما السلام كان قد طيف به البلاد عند قتله ، ودُفن بعسقلان قريبًا من حيط الجامع القبلى بين العمودين . فأقام من ذلك التاريخ إلى (ص ٢٩٩) هذه المدّة . فذُكر لعباس المذكور فى حال وزارته للظافر وصَحّ عنده الخبر وثبت ذلك إثباتًا جيداً ، فكاتب الفرنج واتفق الحال بينهم أن يسلّمهم عسقلان ويتسلّم الرأس الشريفة ، فأُحضرت (كذا) الرأسُ إلى القاهرة المعزية ودُفن بالمشهد الحسينى فى شهر ربيع الأول ، وقيل ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وخمس مئة وهو الصحيح ، وأُحضر صحبة تميم المعروف بالأمين(١) .

وقيل فى هذه السنة كانت وفاة الحافظ خليفة مصر ، وولاية الظافر والصحيح أنّ ذلك فى سنة أربع وأربعين والله أعلم .

وفيها نزل ملك الألمـان(٢) على دمشق وخيّم من جهة باب الجابية ،

---

(١) يؤنث المؤلف الرأس وصفاته فى هذا النص . وقد قومنا ذلك .

(٢) هو كونراد الثالث Conrad III ؛ انظر مفرج الكروب ص ١١٢ الحاشية .

وكان فى خلقٍ عظيم ما مقداره أحد عشر ألف مقاتل[١] ، وكان بدمشق أناس قليلة من الجند وكانوا شجعان .

منهم : الحبق ، وطرعق ، وبلق ، ومجاهد الدين بُزان[٢] ، وعين الخواص المسمى الزّىّ ، وإسرائيل ، والبصّارُو ، والسليمانى ، وغيرهم من الأمراء الشجعان ، فتحالفوا بالطلاقات أنهم لا يرجعوا[٣] عن الملاعين ولا يغلقون لدمشق بابٌ ليلاً ونهاراً ، ولا يحمل أحد منهم إلا ويواصل الضرب . ثم إنّ الفرنج ثانى يوم شربوا وطابوا وصلّوا صلاة الموت وقدّموا قدّامهم الأقسسة بالإنجيل ، والذى حامله راكبٌ حمار (كذا) وفى يده صليب الصّلبُوت . ولم يزالوا كذلك إلى أن وصلوا القنوات قُدّام باب الجابية . فرمى رجلٌ من المسلمين يُقال له كبك القسّيسَ الذى على رأسه الإنجيل بفردة ياشج فى صدره مرقت من ظهره ، فوقع ، وحَمَل آخرُ يُقال له ابن جمّاز ، وضرب صاحبَ العلَمِ الكبير فجدّله ، فولّوا (كذا) الملاعين على أعقابهم مدبرين ، وقتَلَ أهلُ دمشق منهم خلقًا كثيراً ، وقتل (ص ٣٠٠) فى هذه النوبة الفقيه الفندلاوى المالكى ، وكان يحمل على الفرنج ويقول : قد بعتُ نفسى عسى تُشْتَرىٰ .

---

(١) فى الأصل « مقاتلا » .

(٢) فى الأصل « زمران » والتصحيح من القلانسى . ولم أجد أسماء سائر الأمراء فى نص آخر .

(٣) كذا ، والصواب « لا يرجعون » .

قال ابن واصل[١] : فى هذه النوبة قُتل شاهنشاه بن [نجم الدين] أيوب شهيداً ولم يُدْرِكْ ملك إخوته بنى أيوب ، وهو جَدُّ الملوك بحماة والملوك بِبَعْلَبَكّ .

وقيل فى هذه السنة زاد النيل إلى أن بلغ تغليق تسعة عشر[٢] ذراعًا وأربعة أصابع من العشرين ، وغرقت سائر ضواحى مصر والقاهرة ، وخشى الناسُ الغرق .

وهذا لم أجده فى نسخة المسير ، وإنما ذكره ابن واصل فى « تاريخه » فذكرتُه . والله أعلم .

وفى هـذه السنة حاصروا (كذا) الفرنج دمشق حصاراً شديداً ، وسيّر مدبّر الدولة بها[٣] يستنجد بسيف الدين غازى ابن أتابك زنكى صاحب الموصل وحضر فى جيوشه ، ونزل إليه أخوه نور الدين محمود من حلب وتعانقا ، واتّفقا . ولما سمعت الفرنجُ بحضـور سيف الدين غازى خافوا ورحلوا عن دمشق .

وفيها قُتل شاهنشاه بن أيوب جدُّ الملوكِ أصحابِ حماة . قتلوه (كذا) الفرنج على دمشق فى هذه النوبة ، وخَلّف ولدين وهما الملك المظفر تقى الدين عمر والملك المنصور عز الدين فَرُّخْشَاه أبو الملك الأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك ، ودُفن بالشرف ظاهر دمشق .

---

(١) هذه الحاشية أضيفت فى ص ٢٩٩ ، وانظر مفرّج الكروب ص ١١٣

(٢) الصواب « تسع عشرة ذراعاً وأربع أصابع » .

(٣) هو معين أنر . انظر مفرج الكروب ص ١١٢

ذكر سنة أربعٍ وأربعين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديم ستة أذرع وأربعة عشر إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ الإمامُ المقتفى لأمرِ الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق حُكّامُ البلاد .

والحافظُ خليفةُ مصر إلى أن توفى يوم الأحد الخامس من جُمادى الآخرة ، ومدبّر دولته نجم الدين بن سليم بن مَصّال .

ووصَل علىّ بن السّلار من ثغر الإسكندرية طالبا للوزارة فى جموعٍ من المغاربة والقبايل ، فلما سمع به نجم الدين خرج من القاهرة فى جماعة الريحانية والمغاربة المصريّين ، ونزل بأرض دلاص من طرف صعيد مِصر الأسفل . ودخل ابن السلّار القاهرة فى جمع كثيفٍ . وكان خروجُ ابنِ مصّال من القاهرة فى ليلةٍ يُسفر صباحها عن يوم الثلاثاء

---

(١) الصواب « ست أذرع وأربع عشرة ذراعاً » .

(٢) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً » .

الرابع من شهر رمضان ، وقيل شعبان وهو الصحيح ، ودخل ابن السلّار خامس الشهر المذكور . فتولّى تدبيرَ الأمور ، ونُعت بالسيدِ الأجَلِّ الأفضلِ ، ثم نعت نفسه بالعادل بن أسبا سلار ، ثم جمع نجم الدين ابن مصّال جمعًا كثيراً ، فخرج له عباس ، وكان يومئذ والى الأعمال الشرقية ، والتقى مع نجم الدين ، وكسره وقتله ، وقتل مِنْ جمعه تقدير عشرة آلاف نفر ، (ص ٣٠١) وأخذ رأسه ودُخل به على[1] عودٍ عالٍ إلى القاهرة ، وذلك يوم الخميس ثالث عشرين ذى القعدة من هذه السنة .

واستمرّ العادلُ ابن السلار فى تدبير المصالح ، وتزوج بامرأة حسناء مفرطة فى الجمال كان عبّاس متولّى الشرقية قد ملك عليها ، ولم يعبر بها . فبلغ ابن السلار ما هى عليه من الجمال فغلب عباس عليها وتزوّجها . وكان لها ولد يُضاهيها فى الجمال يسمّى نصرًا ، فحصل بين < ابن > السلّار وبين عباس الوحشة والتنافس ، وخرج عباس إلى محل ولايته بالشرقيّة ، وعاد كالعاصى على ابن السلّار ، وكلٌّ منهما يُداهن الآخر ومحترزٌ منه ، وجرى بينهما أحوالٌ كثيرة ، فشرع عباس يُراسل نصرًا ابن زوجة ابن السلّار ويُداهنه ويُوعده ويمنّيه حتى استماله ، وعمل الحيلةَ على زوجِ أمّه ابن السلار حتى قتله ، وذلك يوم الخميس سنة ثمان وأربعين

---

(١) فى الأصل « أخذت رأسه ودخل بها » .

وخمس مئة ، ووصل عباس يوم الجمعة صَبيحة قتله ابنَ السلار ، وخرجت له خلعُ الوزارة ، ولُقِّبَ بالمظفّر عباس أمير الجيوشِ ولم يزل كذلك ، وتزوّج أمَّ نصرٍ ، وعاد لا يقطع أمراً دون ذلك الصبيّ نصر ، إلى أن قتلا الظافرَ وقُتِلاَ بعده حسب ما يأتى :

وفيها كُسر نُور الدين محمود بن الملك زنكى من الفرنج ، كسرُوه على ريحه (؟) ثم جَمَعَ وَحَشَدَ واهتمّ وخرج إليهم ، وكان ملكهم يومئذ صاحب أنطاكية ، فكسرهم كسرة شنيعةً وأسر ملوكهم .

وقتل فى هذه النوبة ملكهم البرنس ، وقام مكانه ولده بيمند . وكان طفلاً ، فتزوّجتْ أمُّه كبيراً من كبرائهم لتدبّر حال الطفل ، فغزاهم أيضاً نور الدين وكسرهم ، واستأسر ذلك الكبير الذى تزوجته الملكة ، فامتدحه محمد بن صغير القَيْسرانى :

هذى العزائمُ لا ما تَدَّعى القُضُبُ　　وذى المكارمُ لا ما قالتِ الكتبُ
وهذه الهممُ اللاّتى إذا خُطِبَتْ　　تَعَثَّرَتْ خَلْفَها الأشعارُ والخُطَبُ
صافَحْتَ يأبن عمادِ الدين ذِرْوَتَها　　براحةٍ للمساعى دونها التعبُ[1]

وهى طويلة وهذا ملخصها .

وفيها نزل مسعود بن قليج أرسلان على مرعش ، وأخذها بالسيف عنوة .

(١) انظر بقيتها فى مفرج الكروب ١ : ١٢٦ .

وفيها استقر (كذا) مملكة نور الدين محمود بن أتابك زنكى بدمشق[١] بعد وفاة أبيه أتابك رحمه الله ، وملك أيضاً حمص وفامية ، واتّسعَ سلطانُه . (ص ٣٠٢) .

وكان الجوسلين صاحب تلّ باشر وإعزاز وعينتاب والراوندان ورعتات وغيرهم من الحصون على المسلمين منه ضررٌ كبيرٌ مما يغار (كذا) عليهم ، وكان شديد البَأس ، شجاعاً فى الحروب ، مقداماً جسوراً ، وكان مولعًا بحبّ النساء الحِسان . فجّهز إليه الملك العادل نور الدين محمود جيشاً كثيفاً فكسره الجوسلين ، ولم يفيد (كذا) فيه شيء . فعَظُم على نور الدين ، فاحتال عليه ودَسّ جماعةً من التركمان وقال لهم : مَنْ أتانى به أو برأسه فله حكمه علىّ . فتجهز عليه طائفةٌ من التركمان فنزلوا عينتاب وفيهم امرأةٌ لم يكن أجمل منها ، فجعلوها فى طريقِ الملعون جوسلين لعلمهم بولعه بالنساء الحِسان ، كأنها تحتطب ، وكمنوا (كذا) له الرجال من التركمان . فلما بلغ جوسلين نزول التركمان بعينتاب خرج بنفسه وقد سكر بالخمر ، ولم يستصحب معه أحداً لظنه بنفسه وشجاعته . فمر بطريقه إلى تلك الامرأة ، فلما رآها ذهل عقله ، فراودها فأنعمت له ، وأَتَتْ به إلى تحت شجرَةٍ بالقرب من كمينِ التركمان . فلما صار عليها ضَمّتْ رجلَيْها عليه ويدَيْها ، وخرجوا عليه

(١) لم يستقر ملك نور الدين بدمشق إلا سنة ٥٤٩ . انظر القلانسى .

فأخذوه أخذاً بالكف ، وأتوا به إلى نور الدين وهو نازلٌ على حمص ، فأعطى التركمان عشرة آلاف دينار والمرأة ألف دينار .

ثم إنّ نور الدين أخذ منه سائر ما كان بيده من القلاع والحصون ، ثم قتله بعد ذلك وأراح الله المسلمين منه ومن شره .

وفيها تسلّم نورُ الدين شَيْزَر لمّا هَدَمَتْها الزلزلة ، وانقطع ملكُ بنى مُنْقِذ ، ووهب لأخيه نصْرة الدولة حَرّان وضياعها .

وفيها مطرت باليمن مطراً كلّه دمٌ عبيط ، وانصبغت الأرض منه وكان آية عظيمة .

وفيها أطلق الفرنجُ ابن أخت ملك الفرس ، وكان أسيراً عند المسلمين ، فحملوا (ص ٣٠٢) للمسلمين أشياء عظيمة القدر من جملتها خمس فروش لؤلؤٍ ، وَأفدوه بألفى وسبع مئة أسير وخمس مئة ثوبٍ أطلس .

ذكر خلافة الظافر ابن الحافظ

وما لُخِّصَ من سيرته

هو أبو المنصور إسماعيل بن أبى الميمون عبد المجيد الحافظ ، وباقى نسبه قد تقدم ذكره .

أمّه أمُّ ولدٍ تُدْعىٰ ست الوفا .

مولدُه فى المحرّم سنة سبع وعشرين وخمس مئة .

بويع له يوم الأحد الخامس من جُمادى الآخرة من هذه السنة ، وله يومئذ سبع عشرة سنة وخمسة أشهر ، وكانت خلافتُه أربع سنين وثمانية أشهر .

ومدبّرُ دولته عبّاسُ المظفر ، وابنُ زوجته نصر ، وكاتبُه الشيخ الموفق . كان شغوفاً بمحبّة نصرٍ ابن امرأة عباس المظفّر ، فلم يكن له عنه صبر ليلاً ولا نهاراً . ودَفَعَ إليه من الأموالِ وخَوّله من النِّعم ما لا يحصى كثرةً . ومن جملة ذلك ما ذكره الشيخ شمس الدين ابن خلكان رحمه الله فى تاريخه : أنّه[1] دخل عليه فى يومِ خميسِ العدسِ فوهبه قليوب بجميع وجوه أموالها وأصنافِ غيطانها وخراجها ، وقال : هذه وهبة الخميس ، وقليلةٌ فى حقِّكَ يا نصر . وزادت المحبة حتى سُمع عنهما

---

(١) لم يذكر هذا النص فى ترجمة الحافظ فى وفيات الأعيان .

أمورٌ قباح . وكان الظافر يقول دائباً في الملأ والخلاَ : عباس ونصر من أهل البيت . وهو يعنى عن التقرّب . فشنع عنه أنه من أهل البيت حقا ، حتى لعب الشيطانُ بعقولهما ، فقتلاه حسب ما يأتى من ذكر ذلك في تاريخه .

وفى(١) سنة أربع وأربعين توفى سيف الدين غازى بن أتابك زنكى صاحب الموصل على فراشه فى جُمادى الآخرة ، وقام بمملكة الموصل أخوه مودود بن أتابك زنكى . وكانت مدة ولاية غازى ثلاث سنين وشهراً وعشرين يوماً . وكان جميل الصورة . وكان عمره نحو أربع وأربعين سنة ، لأنّ مولده فى سنة خمسٍ ، وتزوّج بابنة حسام الدين تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين ، ولم يدخل بها ، فأخذها أخوه مودود لمّا ملك الموصل ، واستولدها ولدين أحدهما سيف الدين غازى ، والآخر عماد الدين مسعود وغيرهما . وكانت هذه الأمراء يحلّ لها أن تظهر بخمسة عشر ملكاً من آبائها وأجدادها وأقاربها . وقام بتدبير ملك الموصل الوزير جمال الدين بن علىّ الإصبهانى والأمير زين الدين على كوجك أحسن قيام . وأقطع زين الدين على كوجك سنجار إلى ما بيده .

وكان نور الدين محمود قد تحرّك لطلب الملك بالموصل لأنه أكبر من أخيه مودود ، فلم يقدر على ذلك من هذين الأميرين مدبرى الدولة جمال الدين وزين الدين المذكورين .

(١) أضيفت حاشية فى ص ٣٠٠ .

ذكر سنة خمس وأربعين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هذه السنة :

الماء القديمُ ستة أذرع وأربعةٌ وعشرون إصبعاً[1] .

مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصبعاً[2] .

ما لُخِّص من الحوادث (ص ٣٠٤)

الخليفةُ الإمامُ المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والظافرُ خليفةُ مصر ، ومدبّرُ دولته المظفّر عباس ، وابن مَرْتِهِ نصر .

وفيها أُحضر إلى نور الدين الشهيد من بلاد صرخد دَابَّة ولدت جرواً صفَتُه صفة الفهْد ، لكنه على صغره يقفز فى الهوا تقدير عشرين ذراعاً . وقيل إنّه السّمَعْمَع ، وهو وَلد الضبع من الديبة ، وهو أخبث الوحوش وأعظمها قوّةً وخفةً . والعربُ تقول إنه لا يموت حتف أنفه وإنما بآفة تعرض له . وقد تقدم ذكر ذلك فى الجزء الثالث من هذا التاريخ عندما ذكرنا بشّار بن بُرد الشاعر والله أعلم .

---

(١) الصواب « ست أذرع وأربع وعشرون . . . » .

(٢) الصواب « ست عشرة ذراعاً وثلاث عشرة . . . » وفى النجوم « . . . سبع عشرة ذراعاً . . . » .

ذكر سنتى ست وسبع وأربعين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديمُ لست ستة[1] أذرع وإصبعان .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر[2] ذراعاً وإصبع واحد .

الماء القديم لسنة سبع ستة أذرع وسبعة[3] أصابع .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وأربعة[4] أصابع .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفةُ فيهما المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم . والظافرُ خليفةُ مصر ، وعبّاس ونصر بحالهما ، ومضت سنة ستٍ لم يكن بها ما يُذكر بحكم التلخيص .

وفى سنة سبع كان ابتداءُ الجرادِ العظيم بالموصل وبلاد الجزيرة ، وأقام متتابعاً سبع سنين حتى قحطت ديار بكر .

وفيها عُزل القاضى يونس وولى الحكم الفقيه مجلى .

---

(١) الصواب « ست » .

(٢) الصواب « ثمانى عشرة » .

(٣) الصواب « ست أذرع وسبع أصابع » .

(٤) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وأربع أصابع » .

قال ابن واصل[١] : وفى سنة سبع وأربعين[٢] كان تملك نور الدين دمشق وأخذها من صاحبها مجير الدين بن جمال الدين محمد بن تاج الملوك بورى بن طغتكين ، وانقطع ملك بيت آل طغتكين . وكان مدبر أموره معين الدين قد توفى قبل ذلك ، فهيّأ لنور الدين الأمر بعد موت معين الدين . والله أعلم .

ذكر سنتى ثمانٍ وتسعٍ وأربعين وخمس مئة

النيل المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديم لسنة ثمان خمسة أذرع وخمسة عشر[٣] إصبعًا

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وستة أصابع[٤] .

الماء القديم لسنة تسعٍ ستة أذرع وسبعة[٥] أصابع .

مبلغ الزيادة سبعة[٦] عشر ذراعًا وعشرون إصبعًا .

(١) أضيف فى الحاشية ص ٣٠٤ .

(٢) هذا خطأ . والصواب تسع وأربعين . (انظر القلانسى) وقد فات على محقق مفرج الكروب تصحيح هذا الوهم .

(٣) الصواب « خمس أذرع وخمس عشرة إصبعاً » .

(٤) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وست أصابع » .

(٥) الصواب « ست أذرع وسبع أصابع » .

(٦) الصواب « سبع عشرة ذراعاً » .

الحوادث (ص ٣٠٥)

الخليفة فيهما الإمامُ المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، و بنو سلجوق بحالهم .

والظافرُ خليفةُ مصر حتى قُتل سنة تسعٍ حسب ما يأتى من ذكر ذلك .

وفى سنة ثمانٍ غيّروا (كذا) الإسماعيلية دين الإسلام ، وشربوا الخمور ، وفجروا ببناتهم وأمهاتهم وخواتهم ، وفعلوا كُلَّ محرّمٍ فى شهر رمضان ليلاً ونهارًا ، وأحرقوا الجامع وجميع المشاهد التى كانت عندهم والمنابر .

وقيل فى هذه السنة ملكت الفرنج عسقلان ، بعد قتالٍ شديد وحربٍ أكيد ، قتل فيه بين الفريقين خلقٌ كثير . وطلبوا (كذا) المسلمين من الفرنج الأمان ، وكان سبب ذلك أنّ المسلمين الذين كانوا بعسقلان عادوا لما عجزوا عن الفرنج وطالعوا إلى مصر عدة مطالعاتٍ يستصرخون ويطلبون النجدة ، وهم فى أشدِّ الأحوال منتظرين النجدة تأتيهم من مصر . وقد صبروا الصبر العظيم . فبينما هم كذلك وإذا بمركبٍ صغير قد أقبل إليهم من قِبَلِ مصر ، فاستبشروا وظنّوا النجدة تكون خلفه . فلما وصل إليهم طلع من المركب راجلٌ واحد وعلى يده كتاب ، فسلمه للنايب بعسقلان ، فإذا فيه مكتوب : ساعة وقوفك عليه وقبل وضعه من يدك تُسَيِّرُ إلينا جرزة قصب فارسى من مقصبة عسقلان

يكونوا غلاظ (كذا) لأجل الشبّابات . فقال النايب : السمع والطاعة . وصبر إلى الليل ، وخرج إلى الفرنج وطلب منهم الأمان لنفسه ولأهل البلد . فأعطوه ذلك . فلما كان من الغد فَتَحَ الباب وسَلّمَ البلد للفرنج ، وقال للقاصد الذى أتى بالكتاب : دَعْهُم يطلبوا الشبّابات من من الفرنج أصحاب البلد .

ثم إن الفرنج أيضاً فى هذه السنة هجموا تِنّيس فى خمسين مركباً وأخذوا جميع ما كان فيها ، واستأسروا الأقوية (كذا) ، وقتلوا الضعفاء ، وغنموا من الأموال ما لا يُحصى كثرةً .

قال ابن واصل : إن فى هذه السنة ، أعنى سنة تسع وأربعين[1] ، كانت الزلزلة التى أخربت شيزر وانقطعت فيها مملكة بنى منقذ ، < وكانوا > قد اجتمعوا جميعهم فى ذلك اليوم فى مكانٍ واحدٍ ، وبين أيديهم قردٌ يرقّصونه . فوقع عليهم البناء أجمع ، فأهلكهم كلّهم ، ولم يسلم سوى القرد ، هرب إلى بستانٍ هناك من بساتين القصر دخل إليه من شباك فسلم (ص ٣٠٦) .

وفى سنه تسعٍ قُتل الظافرُ خليفة مصر .

وذلك لما لعب الشيطانُ بعقلِ عبّاس ونصر المقدَّم ذكرُهما ، وزَيّن لهما ما بَعُدَ شأوُه ، خلا عباس بابن زوجته نصر وقال له : قد علمتَ

---

(١) ذكر ابن واصل هذه الحادثة سنة اثنتين وخمسين . انظر مفرج الكروب ص ١٢٨ .

ما قيل وما قد ثبت فى ذهن الناس من أمرنا ، وأننا نحن من أهل البيت . والرأى أن نحتال على قتلة هذا الخليفة ، فإنّه صبيٌّ العقل والرأى والتدبير ، ونملك نحن الخلافة . وإنما الأشياء هِمَمٌ . فأجابه نصر إلى ذلك . واتفقا عليه . فاهتمّ فى عمل دعوةٍ سَنيّة ، ثم إنّه استأذن الظافر وسأله الحضورَ إلى منزله سرًّا ، ولا يعلم به أحدٌ . فأجابه لتلبيةِ الهوىٰ وحلولِ الأجَل . فلما حضر الظافرُ متنكّراً تحت أذيالِ الدجى ، خرج عليه عباسٌ وبيده سيفٌ مُشْهَرٌ وقال له : ويلك ! خليفه تقبل من أمر الصبيان ! ثم قبض عليه وذبحه ودفنه فى البادنهج بدار المأمونى بالسيوفيّين . ثم ركب عباس من فوره إلى القصر مُسْرِعًا وقال : استأذنوا لى على مولانا الظافر فى أمرٍ مُهِمٍّ . فالتمس الأستاذون والحجّابُ الظافرَ فلم يجدوه . فقال العبّاسُ : علىَّ بأولادِ[1] الحافظ ، وهما أبو الأمانة جبريل وأبو الحجاج يوسف . فلما حضرا قال : أنتما قتلتما مولانا . ثم أمر بهما فقُتلا بالسيف . وقُتِلَ جماعةٌ كبيرة منهم أبو التقى صالح بن حسن ، وزِمامُ القصر ، مع جماعةٍ يخشى شرهم . من أعيان الدولة ورؤساء المملكة ، ثم أحضروا قاضى القضاة وهو يومئذ يونس الأطفيحى والقاضى مجلّى صاحب كتاب « الذخائر » ، وبايع للفائز كما يأتى ذكره بعد ذلك .

---

(١) كذا ، والصحيح أنهما أخوا الحافظ . انظر النجوم ٥ : ٣٠٧ .

وكان قَتْلُ الظافر ليلة الخميس سلخ المحرم من هذه السنة .

وكانت خلافتُه أربع سنين وثمانية أشهرٍ .

قُضاة الظافر بالله : أبو الفضايل يونس الأطفيحى ، الفقيه مجلّى ، ٣
أبو المعالى بن جميع ، ابن نجا المخزومى .

ولى الخلافة وله سبع عشرة سنة وخمسة أشهرٍ

وقتل وله اثنتان وعشرون سنة . والله أعلم . ٦

ذكر خلافة الفائز بنصر الله ابن الظافر بالله

وما لُخِّص من سيرته

هو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر بن عبد المجيد الحافظ ، وباقى نسبه قد تقدّم ذكره .

أمّه أم ولد تُدعى إحسان ، وقيل زين الكمال .

مولده فى شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وخمس مئة .

بويع له فى سلخ المحرم صبيحة قتلة أبيه الظافر ، وله من العمر أربع سنين وعشرة أيام .

مدة خلافته ست سنين وستة أشهر وسبعة عشر يومًا .

كاتبهُ الأجَلُّ الموفّقُ كاتبُ أبيه .

ثم لم يزل أهلُ القصرِ يتتبّعون آثار غيبة الظافر إلى أن شاع أنّه خرج متنكّراً إلى دار نصر بن مَرّةِ (كذا) عبّاس ، ولم يخرج منها . فلما تحقّق أهلُ القصر أنّ عباس وولده نصر (كذا) قاتِلا الظافر نفذوا إلى طلائع بن رُزِّيك الملقب بالصالح الآتى ذكره فى الجزء الذى يليه وهم يستصرخونه ، ونفذوا له بشعور المقتولين ظلماً من أولاد الخلفاء ، واستنجدوا به على عبّاس وولده . فحشد حشداً كثيراً وأتى إلى القاهرة حسب ما يأتى من ذكره فى تاريخه إن شاء الله تعالى .

وفيها صُرف القاضى مجلّى وأعيد القاضى يونس الولاية الثانية .

ذكر سنة خمسين وخمس مئة

النيلُ المباركُ فى هذه السنة :

الماء القديمُ خمسة أذرع وتسعة عشر إصبعاً[1] .

مبلغُ الزيادة سبعة عشر[2] ذراعاً وسبعة عشر[2] إصبعاً .

ما لُخِّص من الحوادث

الخليفة الإمامُ المقتفى لأمر بالله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق الحكام والفايزُ خليفةُ مصر .

وفيها هرب عَبّاس وابنُ زوجته نصر لما تحقّقوا خروج طلايع بن رُزِّيك بحشوده وطلبا الشام . فخرج (ص ٣٠٨) عليهما الفرنج فأخذوهما ، وقُتل عبّاس عند العقبة ، وأُسِرَ نصر . وذلك فى الرابع والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة . ونفذ طلائع خلفهما العساكرَ فأدركوهما ، فوجدوا الفرنج قد قتلوا عبّاساً وأسروا نصراً . كان نصرٌ جميلاً كما ذكرنا ، فاستخلصتْه الملكةُ لنفسها . فأفسد عليها المملكة وأراد المبايعة لنفسه ، وأطاعه جماعةٌ من قومها من الفرنج . فقبضت عليه وأباعته للمسلمين بخمسة وعشرين ألف دينار .

---

(١) الصواب « خمس أذرع وتسع عشرة إصبعاً » .

(٢) الصواب « سبع عشرة » .

ودُخِلَ به إلى القاهرة على بَغْلٍ مكتوفِ اليدين ، وخلفه رجلٌ ماسكه ، يصحبه الخادم جوهر . ثم جُعِلَ فى قفصٍ حديدٍ ، وعُذِّب بالمكاوى حتى اعترف بقتله الظافر ودلّهم على مكانٍ دفنه . ثم ذُبِح من قفاه ، وحُمل[1] رأسه إلى القصر ، وصُلبت جثّته على باب زويلة .

وقيل إنّ الصالح لم يدخل القاهرة إلى يوم خروج تابوت الظافر حسب ما يأتى من ذكر ذلك فى الجزء الذى يتلو هذا الجزء إن شاء الله تعالى .

ذكر سنتى إحدى واثنتين وخمسين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديمُ لسنة إحدى ستة أذرع وتسعة عشر إصبعًا[2] .

مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع[3] .

الماء القديم لسنة اثنتين ستة أذرع واحد وعشرون إصبعاً[4] .

مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وعشر أصابع[5] .

---

(١) فى الأصل « حملت » .

(٢) الصواب « ست أذرع وتسع عشرة إصبعاً » .

(٣) الصواب « سبع عشرة ذراعاً وثمانى أصابع » .

(٤) الصواب « ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً » .

(٥) الصواب « ثمانى عشرة ذراعاً وعشرة أصابع » . وفى النجوم « إحدى عشرة إصبعا » .

الحـــوادث

الخليفة فيهما المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم والفائزُ خليفةُ مصر ، والصالحُ بن رُزِّيك وزيره ومدبِّرُ الممالك المصرية .

وفى سنة إحدى وقع الحريقُ بدارِ الخلافة ببغداد بصاعقة .

وقيل فى هذه السنة كانت الزلزلةُ بشَيْزَر ، وتسلّمها نور الدين الشهيد .

وفيها (ص ٣٠٩) خُطب لسليمان شاه ببغداد ، وكسرت الفرنج لنور الدين الشهيد على ما حوجه (؟)

قال ابن واصل[1] فى هذه السنة : أعنى سنة إحدى وخمسين ، ملك نور الدين مدينتى بُصْرىٰ وصَرْخَد . كانت صَرْخد فى يد الأمير أمين الدولة كمشتِكين فتوفى فى ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ، وكانت بُصرى لغلامه التون طاش فملكهما نور الدين فى هذه السنة .

وفى سنة اثنتين وخمسين مرض نور الدين بحلب وأُرجف بموته ، وكان — على ما ذكر ابن واصل — أسدُ الدين شيركوه بحمص ، وهى يومئذ إقطاعه ، ونجم الدين أيوب بدمشق ازْدَادَاراً . فلما سمع بموت نور الدين حضر شيركوه إلى عند أيوب وقصد الاستبداد بالممالك

---

(١) أضيف هذا حاشية فى ص ٣٠٨ . انظر مفرج الكروب ص ١٢٩ .

المذكورة ، فلم يوافقه نجم الدين أيوب وأشار عليه أن يتوجّه إلى حلب ويستوضح الخبر . فتوجّه شيركوه إلى حلب فوجد نور الدين حيًّا . فأقام فى خدمته .

وفى سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة كانت الزلزلةُ العظيمة بالشام جميعه إلى حدود أنطاكية ، وهلك فيها خلقٌ كثيرٌ ، حتى إنّ معلم كُتّاب كان يعلّم الصبيان بحماة فقام الفقيهُ لقضاء حاجته ثم عاد فوجد المكتب قد تطبق على جميع الصغار ممن كان فيه . فأهلكهم بأسرهم . ومن العجيب أنّه لم يأت أحدٌ من أهاليهم ولا سأل عنهم . ووقعت الأبراجُ بالقلاع ، وانشقّ باللاذقيّةِ موضعٌ وظهر منه صنمٌ قائم فى الماء .

وفيها فتح عبْدُ المؤمن صاحبُ الغرب مهديّة والله أعلم .

ذكر سنتى ثلاث وأربع وخمسين وخمس مئة

النيلُ المبارك فى هاتين السنتين :

الماء القديمُ لسنة ثلاثٍ سبعة[1] أذرع فقط .

مبلغُ الزيادة ثمانية عشر ذراعًا وثمانية أصابع[2] .

---

(١) الصواب « سبع » .

(٢) الصواب « ثمانى عشرة . . . ثمانى أصابع » .

الماء القديم لسنة أربع سبعة أذرع وثمانية عشر إصبعاً(١) .
مبلغُ الزيادة خمسة عشر ذراعًا وإصبع واحد(٢) .

الحـــــوادثُ

الخليفةُ فيهما الإمامُ المقتفى لأمر الله أميرُ المؤمنين ، وبنو سلجوق بحالهم .

والفايزُ خليفةُ مصر ، حتى توفى سنة أربعٍ ، حسب ما يأتى من ذكره فى تاريخه .

والصالحُ طلايع بن رُزِّيك مدبّرُ الممالك المصرية .

وفى سنة ثلاثٍ تسلّم نورُ الدين مدينة حارم ، وخرج ملك الروم إلى الشام .

وفيها خرج الأميرُ تميم المغربىّ على الصالح بن رُزِّيك من مدينة أسيوط فأُنفذ إليه عسكراً فقتلوه وأُحضرت (كذا) رأسه على عود .

وفى سنة أربعٍ وقع بردٌ ببغداد قيل إنّ زِنَةَ كُلِّ حجرٍ تسعة أرطالٍ بالبغدادى . فأهلكت عالماً عظيماً ، وأخربت عدة منازل حتى عادت بلال (؟) والله أعلم .

---

(١) الصواب « سبع أذرع وثمانى عشرة إصبعاً » .
(٢) كذا . والصواب « خمسة عشرة ذراعاً وإصبع واحدة » .

قال ابن واصل : إنّ فى سنة أربع توفى السلطان محمد شاه ابن محمود رحمه الله المعروف بالملك المسعود ، وكان ملكا عادلاً كثير الخير بعيداً من الشرّ . (ص ٣١٠) .

قلت قد انتهى بنا القول فى هذا الجزء المسمى :

بالدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية إلى آخر هذه السنة بحكم التلخيص ، وليكون أول الجزء السادس مبتدئاً من أول سنة خمس وخمسين وخمس مئة .

ولنتلو (كذا) الآن هذا الكلام بذكر الشعراء المختصين بهذا الجزء الكائنين فى جميع سنيه ، وهم شعراء بقيّة المئة الرابعة من أهل المشرق ، وشعراء هذه المئة هذه المئة الرابعة من أهل المغرب ، وكون أنه لم يكن بالمغرب شعراء يدركون بما قصدناه من ذكر أشعارهم فى طبقتى المرقص والمطرب إلا فى هذه المئة الرابعة .

فلذلك لم نتعرض لذكرهم فيما مضى من جميع أجزاء هذا التاريخ إلى حين بلغ بنا القول إلى هذا الجزء الخامس ، وكون هذه المئة الرابعة وما بعدها من السنين منهم من الشعراء ما هو المقصود من ذكرهم وذكر أشعارهم فى هاتين الطبقتين المذكورتين .

وبالله أعتضد فيما أعتمد ، وبه التوسّل وعليه التوكّل .

ذكر شعراء المئة الرابعة من أهل المغرب

والمختار من أشعارهم فى طبقتى المرقص والمطرب

من أول الديار المصرية إلى البحر المحيط من جهة المغرب فى الجاهلية وما بعدها إلى المئة الرابعة عاطلة مما شرطنا فى هذا الباب .

١ — محمد بن عبد ربه :

إمام أنداده ، وراغم حُسّاده ، وقبلةُ أهْلِ الأدب بالأندلس وما يليها ، وفارسُ شعرائها ومصنّفيها ، وهو صاحب كتاب « العقد » ، المشتمل على نوادر الغَزَلِ وفرائدِ الجدّ . فمن شعره فى هذا الباب :

يا ذا الذى خَطَّ العِذَارُ بِخَدِّه ... خَطَّيْنِ هاجا لَوْعةً وبلابلا
ما كنتُ أقْطَعُ أنّ لَحْظَكَ صارمٌ ... حتى رأيت[1] من العذارِ حمائلا

وقوله الذى إذْ سمعه المتنبى حكم <له> أنّه شاعر الأندلس وهو :

يا لؤلؤا يَسْبى العُقولَ أنيقا ... وَرَشًا بتعذيبِ القلوبِ رفيقا[2]
ما إنْ رأيتَ ولا سمعتَ بمثله ... دُرًّا يعودُ من الحياء عقيقا

---

(١) فى عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد « اكتسيت » وهو أصح .

(٢) ابن سعيد « خليقاً » .

وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وَجْهِهِ   أبصرتَ وَجْهَكَ فى سناهُ غريقا
يا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ من رِقّةٍ   ما بالُ قَلْبِكَ لا يكونُ رقيقا

٢ — ابن هُذَيْل الأعمى :

له فى المرقص :

لما وضعتُ على قلبى يدى بيدى   وصِحْتُ فى الليلة الظلماء وا كَبِدِى
ضَجَّتْ كواكبُ ليلى فى مَطَالِعها   وذابتِ الصخرةُ الصّماء من كَمَدِى
وليس لى جَلَدٌ فى الحب ينصُرنى،   فكيف أبقىٰ بلا قلبٍ ولا كبدِ[1]
وكيفَ أشرحُ ما ذابَ الجمادُ له   لمن غدا خائفا إشارتى بيدى
لمّا رآنى مُشيراً بالسلام له[2]   ألقىٰ على خدِّه مُضَاعَفَ الزَّرَدِ

٣ — يوسفُ بن هارون الرّمادى :

له فى المرقص :

ولم أرَ أحلىٰ من تبَسُّمِ أعْيُنٍ   غَدَاةَ النّوىٰ عن لؤلؤٍ كان كامنا

وقوله الذى لم يُقَلْ — فى وصفِ سحابةٍ انسحبت على الرّبا ونقّطت وجوه الغدران — أحسن منه :

هَوَتْ مثلَ ما يهوى العقابُ كأنّما   تخافُ فَوَاتَ المَحْلِ فهى تبادرُ

---

(١) ابن سعيد « جلد » .
(٢) ابن سعيد « بها » .

تَشِمُّ دوانيها الرُّبا فتثيرها كما شمّ أذيالَ العروسِ الضفائرُ
كأنّ انتشارَ القَطْرِ منها ضَوابطٌ تدورُ على الغُدْرَان منها دوائرُ

قلت : اسم البيكار عند أهل الأندلس ضوابط[1] ، فحَسُنَ القولُ في ذلك .

٤ — الشريف المرواني الطّليقُ :

له في المرقص يصف غلاماً أشقرَ :

غُصْنٌ يهــتزُّ في دِعْصِ نَقَا يجتنى منه فُؤادى حُرَقا
سال لامُ الصُّدْغِ في وجنته سَيَلانَ التِّبْرِ وافى الوَرَقا
فتناهى الحسن فيه إنمــا يَحْسُنُ الغصنُ إذا ما أوْرَقا
وكأنّ الـكأس في أنمُـلِه شَفَقٌ أصبح يعـــلو فَلَقا
أصبحتْ شمسًا وفوهُ مَغْرِباً ويدُ الساقى الُمحَيّى مَشْرِقا
فإذا ما غربت في فمــه تركتْ في الخدِّ منه شفقا

قلتُ[2] : ولعلّ من هاهنا أخذ قائل هذين البيتين :

حمراء إذا ما نَديمى باتَ يكرعُها أخشى عليه من الآلآءِ يحترقُ
لو جاء يحلفُ أنّ الشمسَ ما غربتْ في فيه كَذّبه في وجهه الشَفَقُ

وقولُ الشريف < المرواني > :

وعلى الأصائلِ رِقّةٌ من بَعْده فكأنما تلقى الذى ألقــاهُ

---

(١) في ابن سعيد « اسم البيكار عند أهل الأندلس الضابط » .

(٢) هذا ليس في ابن سعيد .

وغـــدا النسيمُ مُبَلِّغًا ما بيننا   فلذاك رَقّ هوًى وطاب شَذَاهُ
الروضُ مَبْسِمُهُ ونـكهته الصَّبَا   والوردُ أَخْضَلَهُ الندى خَدّاهُ
فلذاك أُولَعُ بالرياضِ لأنّهـــا   أبداً تذكّرنى الذى أهـــواهُ

٥ — جعفر بن عثمان المصحفى :

له فى المرقص :

كلّمَتْنى فقلتُ درٌّ سَـــقِيطٌ   وتأملتُ عِقْدَها هَلْ تناثر
فازدَهاها تبسّمٌ فأرتـــــنى   نَظْمَ دُرٍّ من التبسّمِ آخر

وله فى المطرب :

خَفِيَتْ على شُرَّابِها فـكأنما   يجدون رَيًّا من إناء فارِغِ

٦ — ابن فرج [الجيّانى] صاحبُ كتاب « الحدائق » :

له فى المرقص :

بَدَتْ فى الليلِ سافرةً فباتَتْ   دياجى الليـــل سافرةَ القِناعِ
فملّـكتُ النّهىْ حِجَابَ شوق   لأجْرِى فى العفافِ على طِباعى
كذاك الروضُ ما فيه لِمِثْلى   سوى نظرٌ وشمٌّ من مَتَاع
ولستُ من السوائم مهملاتٍ   فأتّخِذَ الرياضَ من المراعى

٧ — ابن هانى :

المقدم ذكره ، وله فى المرقص :

وكأن حُمْرَةَ خَدِّه وعِذارِه   تفاحةٌ رُميتْ لتقتُلَ عَقْرَبَا

٧٧#

٨ — الأمير تميم ابن المعزّ :

له فى المرقص :

أطْلَعَ الحُسْنُ من جبينك شمْسًا فوقَ وَرْدٍ من وجنَتَيْكَ أطلاَّ
فكأن العِذارَ خاف على الور د ذبولاً — فمدّ بالشعرِ عليه ظِلاّ

وقوله :

كأن بقايا الليلِ والصبحُ طالعٌ بقيةُ لَطْخِ الكُحْلِ فى الأعين الزُّرْقِ

٩ — المقداد المصرى[1] :

له فى المر قص .

يقولُ مَنْ لامنى عليه أرىٰ فيه جفـــاءً وذاكَ يغرينى
فى خدِّهِ آيَةُ الرضى أوَمَا أضحىٰ بوردِ الحيــاء يُحْيِينى

١٠ — أبو الحسين العقيلى :

له فى المرقص :

وللأقاحى قصورٌ كلُّها ذَهَبٌ من حولها شُرُفٌ كلّها دُرَرُ

١١ — منصور الفقيه :

له فى المرقص :

قالوا العمى مَنْـــظَرٌ قبيـــحٌ قلتُ بفقدى لكم يهُونُ
تاللهِ ما فى الأنام شىءٌ تأسى على فَقْـــدِهِ العيـــونُ

---

(١) ما سيأتى من شعراء المئة الرابعة ليس عند ابن سعيد .

١٢ – ابن وكيع التّنّيسى :

له فى المرقص :

٣ قُمْ فاْسقنى والخليجُ مضطربٌ والريحُ تثنى ذوائبَ القُضُبِ
كأنّها والرياحُ تعطفُها صفٌّ قنا سندسيّةٍ العذبِ
والجوُّ فى حُلّةٍ ممسّكةٍ قد طَرّزَتْها البروقُ بالذهبِ

ذكر شعراء المئة الخامسة

من أهل المغرب أيضاً

١٣ — أبو عمرو بن الدرّاج القَسْطلى :

له فى المرقص :

ومعاقلٍ من سَوْسَنٍ قد شَيّدتْ   أيدى الربيع بناءها فوق القضب[1]
شُرُفاتُها من فضّةٍ وحماتُهــــا   حول الأميرِ لهم سُيوفٌ من ذَهَبْ

١٤ — إدريس بن اليمانى :

له فى المرقص :

ثَقُلَتْ زُجاجاتٌ أَتَتْنا فُرَّغًا   حتى إذا مُلِئَتْ بِصِرْفِ الرّاح
خفَّتْ فكادتْ تستطير بما حَوَتْ   إنّ الجسُـــومَ تخفُّ بالأرواح

١٥ — أبو عامر بن شُهَيْد :

له فى المرقص :

ولمـــا تملّأ من سُـــكْرِهِ   ونام ، ونامتْ عيونُ العَسَسْ
دَنَوْتُ إليـــه على قُرْبه   دُنوَّ رفيقٍ درىٰ ما التمس
أدبُّ إليـــه دبيبَ الكرى   وأسمُو إليه سُمُوَّ النَفَسْ
فبتُّ به ليـــلتى ناعِماً   إلى — أنْ تبسّم ثغرُ الغَلَسْ

(١) ابن سعيد « العَذْب » وقد وافقت روايتنا رواية « رايات المبرزين » .

١٦ — أبو جعفر بن اللمائى :

له فى المرقص :

عارِضٌ أقْبَلَ فى جُنْحِ الدّجى   يتهادى كتهادى ذى الوَجَا
بَدّدَتْ ريحُ الصَّبا لُؤلُؤَهُ   فانبرى — يوقدُ عنها سُرُجا

١٧ — أبو حفص بن [بُرْد] الأصغر :

له فى المرقص :

وكأنَّ الليلَ حينَ لَوَىٰ   ذاهباً والصبحُ قد لاحَا
كلّةٌ ســوداء أحرقها   عابدٌ(١) أسرج مصباحا

١٨ — الوزير [أبو محمد] ابن حزم :

له فى المرقص :

لا تَلْحُنى فى حُبِّهِ إنْ بدا   شاحبَ لونٍ قد عراهُ النُّحُول
فإنّ غُصْــناً أبداً لم تزل(٢)   عليــه شمسٌ لَحَرِىٌّ بالذّبول

١٩ — ابنُ عبّاد ملك إشبيلية المعروف بالمعتمد :

له فى المرقص :

سَيَبْدَعُ يَهَبُ الآلاف مبتدئاً   وبعد ذلك يُلفىٰ وهو مُعتذرُ

---

(١) ابن سعيد « عامد » والرواية هنا أصح .
(٢) ابن سعيد « فإن غصناً لم يزل دائماً » .

له يَدٌ كلُّ جبّـــارٍ يُقبِّلُها   لولا نداها لقلنا إنّها الحَجَرُ

وقوله :

وليلٍ بعطفِ النهرِ أُنْسًا قطعتُه   بذاتِ سوارٍ مثل مُنْعَطَفِ النهرِ
نَضَتْ بُرْدَهَا عن غصنِ بانٍ مُنَعَّمٍ   فيا حُسْن ما انشقَ الـكِمامُ عن الزهرِ

٢٠ — ابنه الراضى ابن المعتمد :

له فى المرقص :

مَرّوا بنا أُصُلاً من غير ميعادِ   فأوقدوا نارَ قلبى أىَّ إيقَـــاد
لا غَرْوَ إنْ زادَ فى وجدى مرُورُهم   فرؤيةُ المـاءِ تروى غُـلّةَ الصادى

٢١ — أخوه المـأمون بن المعتمد :

له فى المرقص :

قَـــوْمِىَ لَخْمٌ وهُمُ ما هُم   أهْلُ النّدىٰ والبأسِ يومَ الـكِفاحْ
كم كَحّلوه من عيونِ القَنا   وَوَرّدُوه من خـــدودِ الصِّفاحْ

٢٢ — أبو بكر بن عمّار وزير المعتمد :

يمتدحه بهذه القصيدة الجيدة :

أدِرِ الزُّجاجةَ فالنسيمُ قد انْبَرىٰ   والنجمُ قَدْ صَرَفَ العِنانَ عن السُّرَى
والصبحُ قد أهـــدىٰ لنا كافورَهُ   لمـا استردَّ الليلُ منا العَنْبَرا
والروضُ كالحسنا كساهُ زَهْرُه   وَشْيًا وقـــلّده نداهُ جَوهرَا

أو كالغلاءِ زها بوَرْدِ رياضِه   خَجِلاً وتاه بآسهن مُعــــذرَا
روضٌ كأنّ النهرَ فيه مِعْصَمٌ   صافٍ أطَلّ على رِداء أخضرَا
٣ وتهزُّه ريحُ الصـــبا فتخالُه   سيفَ ابنِ عَبّادٍ يُبدِّدُ عَسْكرَا
ملكٌ(١) إذا ازدحمَ الملوكُ لموردٍ   ونحاه (؟) لا يرِدُون حتى يَصْدرَا
أندى على الأكبادِ من قَطْرِ الندى   وألذُّ فى الأجفانِ من سِنَةِ الكرى
٦ مَنْ لا توازيه الجبال إذا احتبى   من لا تُسابقه الرياحُ إذا جرَى
ملكٌ يروقك خَلْقَه أو خُلْقَهُ   كالروضِ يحسنُ مَنْظَراً أو مَخبْرَا
أقسمتُ بإسمِ الفضلِ حتى جئته   فنظرتُه فى بُرْدَتيْه مُصـــوّرَا
٩ وجهلتُ معنى الجُودِ حتى زُرْته   فقرأتُه فى راحَتَيْـــهِ مُفَسّرَا
فاحَ الثرىٰ متعطّراً بثنـــائه   حتى حسبنا كُلَّ تُرْبٍ عَنْبرَا

منها :

١٢ أثمرتَ رمحك من رؤوسِ ملوكهم   لمــا رأيتَ الغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمرَا

ومنها :

من ذا يناخنى وذكرك مَنْدَلٌ   أوْرَدْتُه من نارِ فكرى مجْمَرَا

١٥ آخرها :

فلئن وجدتَ نسيمَ حمدى عاطرًا   فلقد وجدتُ نسيمَ بِرِّكَ أعطرَا

---

(١) كل ما سيأتى من هذه القصيدة ليس فى ابن سعيد المطبوع .

٢٣ — أبو الوليد ابن زيدون وزيره :

له القصيدةُ الفريدةُ النونيّةُ التى لم يعمل فى باب الرثاء مثلها وسبق وَعْدُنا بإثباتها :

بنتُم(١) وبِنّا فما ابتلّتْ جوانحُنا ... شوقاً إليكم ولا جَفّتْ مآقينا
نكادُ حين تُناجيكم ضمائرُنا ... يقضى علينا الأسى لولا تأسّينا
حالتْ لفقدِكُمُ أيامُنا فغَدَتْ ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
إذْ جانبُ العيش طَلْقٌ من تألّفِنا ... وموردُ الأنسِ(٢) صافٍ من تصافينا
وإذْ هَصَرْنا غصُونَ(٣) الوصلِ دانيةً ... قطوفُها(٤) فجنيناها كما شينا
ليُسْقَ عَهْدُكُمُ عَهْدُ السرورِ فما ... كنتم لأرواحِنا إلاّ رياحينا
مَنْ مُبْلِغُ المُلبِسينا بانتزاحِهِمُ ... حُزْناً مع الدّهْرِ لا يبلى ويُبْلينا
إنّ الزمانَ الذى ما زال يُضْحِكنا ... أُنْساً بقُرْبِهِمُ قد عاد يُبْكينا
غِيظَ العِدىٰ مِنْ تساقينا الهوى فدَعَوْا ... بأن نَغَصّ فقال الدهرُ : آمينا
فانْحَلّ ما كان معقوداً بأنفسنا ... وانبَتّ ما كان موصولاً بأيدينا
وقد نكونُ ولا يُخْشىٰ تفرّقُنا ... فاليومَ نحنُ ، ولا يُرجى تلاقينا

---

(١) لم يرد عند ابن سعيد من هذه القصيدة سوى بيتين : كأننا لم نبت — وسران فى خاطر . . .

(٢) فى الديوان ص ١٤٣ « ومربع اللهو » .

(٣) فى الديوان « فنون » .

(٤) فى الديوان « قطافها » .

لم نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إلاّ الوفاءَ لَكُمْ ... رَأْياً ، ولم نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِيناَ

لا تَحْسَبُوا بُعْدَكُمْ عنّا يغيِّرُنا ... إن طال ما غيّر البُعْدُ المحبِّينا

٣ واللهِ ما طَلَبَتْ أهواؤنا بدلاً ... منكم ، ولا انصرفت عنكم أمانيناَ

ولا اعتقدنا خليلاً عَنْكِ يَشْغَلُنا ... ولا اتخذنا بديلاً منكِ يُسْلِيناَ

ياساريَ البرقِ غادِ القصرَ فاْسْقِ به ... مَنْ كان صِرْفَ الهوىٰ والودَّ يَسْقِيناَ

٦ ويا نسيمَ الصَّبا بَلِّغْ تحيّتَنا ... مَنْ لو على البُعْدِ حيّىٰ كان يُحيِيناَ

يا روضةً طالما أجْنَتْ لواحِظَنَا ... وَرْداً جناه الصِّبا غضًّا ونِسْرِينا

ويا نعيماً خَطَرْنا مِنْ غَضَارتِهِ ... فى وَشْيِ نُعمى ، سَحَبْنا ذَيْلَهَا حيناَ

٩ لسنا نسمّيكِ إجلالاً وتكرمةً ... وقَدْرُكِ المُعْتلىٰ عن ذاك يُغنيناَ

يا جَنّةَ الخُلْدِ بُدِّلْنا بسَلْسَلِها ... والكَوْثَرِ العذبِ زَقّوماً وغِسْليناَ

كأنّنا لم نَبِتْ والوصلُ ثالثُنا ... والسَّعْدُ قد غَضّ من أجفان واشيناَ

١٢ سِرّانِ فى خاطر الظلماء يَكْتُمُنا ... حتى يكادَ لسانُ الصبحِ يُفشيناَ

لم نَجْفُ أُفْقَ جمالٍ أنتِ كوكبُه ... سالِينَ عنه ، ولم نَهْجُرْه قالينَاَ

ولا اختياراً تجنّبناكِ عن كَثَبٍ ... لكنْ عَدَتْنَا على كُرْهٍ عوادِيناَ

١٥ نأسىٰ عليكِ إذا حُثّت مُشَعْشِعةً ... فينا الشَّمولُ وغَنّانا مُغنِّيناَ

لا أكؤسُ الرّاحِ تُبْدِى من شمائلنا ... سِيما ارتياحٍ ، ولا الأوتارُ تلهيناَ

دومى على العهدِ ما دمنا محافِظَةً ... فالحُرُّ مَنْ دان إنصافاً كما ديناَ

١٨ فلو صبا نحونا من عُلْوِ مَطْلَعِهِ ... بَدْرُ الدُّجا لم يَكُنْ حاشاكِ يصبيناَ

وفى الجوابِ متاعٌ لو شَفَعْتِ به   بيضَ الأيادى التى ما زِلْتِ تولينَا
عليكِ مِنّا سلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ   صبابةٌ بك نُخْفِيها فتُخْفِينَا

وهـذا الشعر وإن طال فإنه مملوء بكل طائل ، وفى مثله يجب أن يُقال :

إنْ كان طال فإنّه ليلُ الـ   ـوصالِ بأنسـه قصرَا

٢٤ — حبيب الأندلسى وزير ابن عباد أيضًا :

له فى المرقص :

إذا ما أُديرتْ كؤوسُ الهوىٰ   ففى شربها لستُ بالمؤتلى
مُدامٌ تُعتَّقُ بالنـاظِرَيْن   وتلك تُعتَّقُ بالأرجـلِ

٢٥ — ابن حِصْن كاتب ابن عباد :

له فى المرقص :

وما هاجنى إلاّ ابْنُ ورقاءَ هاتفٌ   على فَنَنٍ بين الجزيرةِ والنّهْرِ
مُفسْتَقُ طَوْقٍ لاَزَوَرْدِىُّ كَلْـكَلٍ   مُوَشّى الطّلاَ أحْوىٰ القوادِمِ والظَّهرِ
أدارَ على الياقوتِ أجفانَ لؤلؤ   وصاغ على الأشفار طوقًا من التبرِ
حديدُ شبا المِنْقار داجٍ كأنّه   شَبا قَلَمٍ من فِضَّةٍ مُدّ فى حبرِ
توسَّدَ من فرع الأراك أريكةً   ومال على طىّ الجناحِ مع النحرِ
ولمّا رأى دَمْعى مُراقًا أرابَه   بُكائى فاستوى على الغُصُنِ النّضْرِ

وحَثّ جناحَيْهِ وصَفّق طائراً   وطار بقلبي حيث طار ولم يدرِ[١]

٢٦ — ابن عَبْدوس الوزير :

له في المرقص في فرس أشهب في عرفه لمعة حمراء :

يا حُسْنَ هذا الجواد حين بدا   في شِيَةٍ لم تسكن لذى بَلَقِ
قام عليـــه النهار مُدَّعيا   فاغترفت غرفة يد الشفقِ

٢٧ — ابنُ وَهْبون المُرْسِي :

له في المرقص :

ذنبي إلى الدهر فَلْتُكْرَهْ سجيتُه   ذنبُ الحُسامِ إذا ما أحجم البَطَلُ

وقوله للمعتمد ابن عباد وقد روى بيتاً من شعرِ المتنبي فأعجبه :

تنبّأ مُعْجِبًا بالقريضِ ولو دَرىٰ   بأنّكَ تروى شِـــعرَه لتألّهَا

٢٨ — البَجَليُّ :

له في المرقص :

رَقّتْ ورَقَّ أديمُها من حُسْنِها   فتـكاد تُبْصِرُ باطنًا من ظاهِرِ
يَنْدىٰ بماء الوَرْدِ مُسْبَلُ شعرِها   كالطَّلِّ يسقطُ من جناحِ الطائِر

---

(١) في ابن سعيد « ولا أدرى » .

٢٩ — أبو الفضل بن شرف :

هو صاحب كتاب « أبكار الأفكار »

له فى المرقص :

لم يبق للجَوْرِ فى أيامكم أثَرٌ   إلا الذى فى عيونِ الغيدِ من حَوَرِ

وقوله :

تقلّدتْنى الليالى وهى مُدْبِرَةٌ   كأننى صارمٌ فى كفِّ مُنْهَزِمِ

٣٠ — ابنُ القابلة السَّبْتِى :

له فى المرقص :

ووجهِ هلالٍ[1] رقّ حُسْنًا أديمُه   يرى الصبُّ فيه وجهه حين ينظرُ
تعرّض لى عند اللقاء به رشًا   تكاد الحُمَيّا من مُحَيّاهُ تقطرُ
ولم يتعرّض كى أراهُ وإنّما   أراد يُرِينى أنّ وجهىَ أصْفَرُ

٣١ — ابن رَشيق صاحب العُمدة :

له فى المرقص :

وقد غاب المعز ابن باديس عن حضوره فى العيد وكان العيدُ ماطراً :

تجهّمَ العيدُ وانهلّتْ بوادرُه   وكنتُ أعهدُ منه البِشْرَ والضحِكا
كأنّه جاء يطوى الأرضَ مِنْ بُعُدٍ   شوقاً إليكَ فلما لَمْ يجدْكَ بكى

---

(١) عند ابن سعيد « غزال » .

وقوله :

خطّ العذارُ له لاماً بصفحته　　من أجلها يستغيث الناسُ باللامِ

٣٢ — عبد الله بن محمّد العطّار :

له فى المرقص :

وكأسٍ تُرينا آيةَ الصّبح والدُّجى　　فأوّلُها شمسٌ وآخرُها بَدْرُ

مقطّبة مالم يَزُرْها مِزاجُها　　فإن زارها جاءَ التبسُّمُ والبِشْرُ

فيا عجباً للدهرِ لم يُخْلِ مُهْجَةً　　من العشقِ حتى الماء يعشقه الخَمْرُ

٣٣ — عبد الرحمن بن حبيب :

له فى المرقص :

مُجْرى جفونى دماءً وهو ناظرُها　　ومُتلفُ القلب وَجْداً وهو مَرْبَعُهُ

إذا بدا حالُ دمعى دون رؤيته　　يغارُ منّى عليه فهو يُرْقِعُهُ

٣٤ — أبو عبدِ الله بن شَرَف :

له فى المرقص :

تحت الظلام الذى مثل الظّليم جثا　　والبدرُ بيضتُه والجوُّ أُدْحِيٌّ

وقوله :

أفنىٰ دموعى وجسمى طُولُ هجركمُ　　فانظرْ إلى مُلتقىٰ طَلٍّ على طَلَلِ

٣٥ – عليُّ بن يوسف التونسى :

له فى المرقص :

حين أُعْتِلَتْ أنوارُه وجنتْ كفُّ الغزالةِ وردَةَ الشَّفَقِ

٣٦ – عتيقٌ الورّاق :

له فى المرقص ، يرثى الفقيه ابن خلدون وقد دفنوه بليل :

دفنوا صبحهم بليــل وجاؤوا حين لا صُبْحَ يطلبون الصباحَا

٣٧ – عِمْران بن القاضى المسيلى :

له فى المرقص :

إنْ يخترمْ خَلَقًا حِمامٌ فأُبنُهُ منه لنا خَلَفٌ وحظٌّ أوفرُ
نَوْرٌ تَساقَطَ حين أصبح مُثْمراً والنَّوْرُ يُسقِطُ نفسه إذْ يُثْمِرُ

٣٨ – ثقة الدولة جعفر مَلِكُ صقلية :

فى المرقص ؛ له فى غلامين أحدهما بثوب أحمر والآخر بثوب أسود :

أرى ثوبين قــد صُــبغا صِباغ الخــدِّ والحــدَقِ
فهــذا البدرُ فى شــفقٍ وهذا البــــدرُ فى غَسَقِ[1]

---

(١) إلى هنا ينتهى ما نقله المؤلف من ابن سعيد . وقد كان ثقة الدولة مؤخراً بعد ثلاثة شعراء فوضعناه فى محله حسب ما جاء عند ابن سعيد .

٣٩ – عبد الوهاب المقال (؟):

له فى المرقص .

انظرْ إلى الشامةِ فى خدِّ مَنْ أجفانُه باللحظِ جرّاحَهْ
كأنّها مِنْ حُسْنِها إذْ بَدَتْ نقطةُ مِسْكٍ فَوْقَ تُفّاحَهْ

٤٠ – ابن النطّاس :

يصف الخيار فى المرقص :

جسمٌ لُجيْنٍ يكادُ يجرى لولا تردّيه ثوب سآمِ
ما عارضته العيون إلاّ خالت به مقبض الحسام

٤١ – ابن أبى مغنوج (؟)

له فى المرقص :

لحيةُ ميمونٍ إذا حُصّلت لم تبلغ المعشار من ذرّهْ
تطلّعتْ فاستقبلتْ وَجْهَه فأقسمتْ لا أنْبَتَتْ شعرهْ

٤٢ – القائد ابن شكور :

له فى المرقص فى النيلوفر :

كؤوسٌ من يواقيتٍ تَفَتّحُ عن دنانيرِ
وفى أحشائها زهرٌ كألسنةِ العصافيرِ (ص٣٢١)

٤٣ — علىّ بن الطبرى :

له فى المرقص :

وأحْوَرَ مائل اللحظاتِ عنى   دَسَسْتُ إليه من يشفى وسيطا
فجاء بهِ على مهلٍ وســـــترٍ   كما يستدرجُ اللهبُ السليطا

٤٤ — ابن عتيق الصفّار :

له فى المرقص :

واضطرمتْ فى القلبِ نارُ الجوىٰ   فبادرَ الأدمعَ منها شرر

٤٥ — عبد العزيز بن الحاكم :

له فى المرقص :

كأن البدر والمرّيخ إذ وافى إليه
مَلِكٌ تُوقَدُ لَيْلاً شمعةٌ بين يديهِ

٤٦ — محمد بن الحسن الكاتب :

له فى المرقص :

لا تَصِلْ مَنْ صَدَّ تِيهاً أبداً واسْتَغْنِ عنهُ
كُنْ كمِثْلِ الكرمِ يَعْلَقُ بالذى يقربُ منه

٤٧ – أبو الحسن الودانى :

له فى المرقص :

وأتى الصباحُ فلا أتى فكأنّه   شيبٌ أطلّ على سوادِ شبابِ
وكأنما شَفَقُ السما وخضابَه   يبدو كنعمانٍ بأرضِ سَرَابِ

٤٨ – القاضى الجليس المصرى :

له فى المرقص :

ومِنْ عَجَبٍ أنّ الصوارمَ فى الوغى   تحيضُ دمًا والسيوف ذكورُ
وأعجبُ من ذا أنّها فى أكُفّهم   تُؤجج نارًا والأكفّ بحورُ

٤٩ – صَنّاجة الروح :

له فى المرقص وقد زُلزلت مصرُ فى أيّام الحاكم :

بالحاكمِ العدلِ أضحى الدينُ معتليا   نجل الهدىٰ وسليل السادةِ الصلحا
ما زُلزِلَتْ مصرُ من كَيْدٍ يُرادُ بها   وإنّما رَقَصَتْ من عدله فَرَحا

٥٠ – هاشم بن الياس المصرى :

له فى المرقص : (ص ٣٢٢)

كأنّ بياضَ البدرِ من خَلْفِ نَخْلَةٍ   بياضُ بَنَانٍ فى اخْضِرارِ نقوشِ

وقوله :

وكأنما المرّيخ بين نجومه   ياقوتةٌ فى لؤلؤٍ مُتَبَدِّدِ

٥١ – ابن مكنسة :

له فى المرقص :

والسـكرُ فى وَجْنَتِه وطَرْفِهِ   يَفْتَحُ وردًا ويَفُضُّ نرجِسًا[١]

وقوله :

إبريقُنا عاكفٌ على قَدَحٍ   تخالُه الأمَّ تُرْضِعُ الوَلَدَا

أو عابدًا من بنى المجوس إذا   توهّم الـكأسَ شُعْلَةً سَجَدَا

٥٢ – أبو طاهر [جعفر] بن دوّاس القنا[٢] :

له فى المرقص :

لما رأيتُ البياضَ[٣] فى الشَّعَرِ الأسودِ   قد لاح صِحْتُ وَاحَزَنى

هـــذا وحقِّ الإله أحْسَبُهُ   أوّلَ خَيْطٍ سُدِّى من الـكَفَنِ

٥٣ – يعقوبُ بن كِلِّس الوزير :

له فى المرقص ، وقد سبق طيرُه طيرَ العزيز :

يا أيُّها المولى الذى جدُّه   لـكلّ جدٍّ قاهرٌ غالبُ

طيرُكَ الســابقُ لـكنّه   لم يأتِ إلا وله حاجبُ

---

(١) انظر الخريدة ، قسم مصر ، ٢ : ٢٠٨ .

(٢) انظر الخريدة ، ٢ : ٢١٨ .

(٣) فى الخريدة ٢ : ٢١٩ « المشيب » .

٥٤ — الموفق صاحب ديوان المكاتبات(١) .

له فى المرقص فى شمعةٍ :

وصَعْدَةٍ لَدْنَةٍ كالتِّبرِ تَفْتُقُ فى   جُنْحِ الظلامِ إذا ما أبْرَزَتْ فَلَقَا
تدنو فَيَخْرِقُ بُرْدَ اللّيْلِ لَهْزَمُها   فإنْ نأَتْ رَتَقَ الإظلامُ ما فَتَقَا
وتَسْتَهِلُّ بماء عِنْدَ وَقْدَتِها   كما تألّقَ بَرْقُ الغَيْثِ وانْدَفَقَا
كالصّبِّ لَوْنًا ودَمْعًا والْتِظًا وضَنًى   وطاعةً وسُهاداً دائمًا وشقا
والِحبُّ حُسْناً(٢) وليناً واسْتِواً وشَذاً   وبَهْجَةً وطُروقًا واجتناً وَلِقا

قلتُ : ومن المليح فى وصفِ شمعةٍ أيضًا قولُ قاضى العجم الأرّجانى وهو(٣) :

نمّتْ بأسرارِ ليْلٍ كان يُخفيها   وأطْلَعَتْ رأسَها للناسِ مِنْ فيها
قلبٌ لها لم يَرُعْها وهو مكتمِنٌ   ألا ترىٰ فيه ناراً من تراقيها
سفيهةٌ لم يزل طولُ اللسانِ لها   فى الحىّ يجنى عليها ضربَ هاديها
غريقةٌ فى دموعٍ وهى تحرقُها   أنفاسُها بدوامٍ من تلظّيها
تَنَفّسَتْ نَفَسَ المهجورِ إذْ ذكرتْ   عَهْدَ الخليطِ فباتَ الوجدُ يُبكيها
بدتْ كنجمٍ هوىً فى إثْرِ مُسْتَرِقٍ   للسمعِ فاشتعلَتْ منهُ نواصيها

(١) انظر الخريدة ١ : ٢٣٥ .

(٢) فى الخريدة « أنسا » .

(٣) انظر ديوان الأرجانى ص ٤٢٥ ، وفيه تحريف كثير .

وحيــدةٌ بشـباة الرمح هازمةٌ   عساكرَ الليل إنْ حلّتْ بِواديهاَ
ما طنّبتْ قطُّ فى أرْضٍ مخيّمةٍ   إلا وأقمر للأبصارِ راجيها
لها غرايبُ تبدو من محاسنها   إذا تَفَـكّرْتَ يوماً فى معانيها
فالوجنةُ الوردُ إلاّ فى تناولها   والقامةُ الغصنُ إلاّ فى تثنّيها
قدْ أثمرتْ وردة حمراء طالعةٌ   تجنى على الـكفّ إنْ أهويتَ تجنيها
صُفْرٌ غلائلُها حمر عمائمُها   ســودٌ ذوائبُها بيضٌ لياليهاَ
كصَعْدةٍ فى حشا الظلماء طاعنةٍ   تسقى أسافلَها ريّا أعاليها
وصيفة لستَ منها قاضيًا وطراً   إن أنْتَ لم تكسُها تاجًا يُحلّيها
ما إن تزال بطولِ الليلِ لاهيةً   وما بها غُلّة فى الصدر تظميها
تُحيي الليالى نوراً وهى تقتلها   بئس الجزاء لعمر الله يجزيهاَ
بيضاء غرّاء ما تنفكّ ساهرةً   تُقَصُّ لمّتَها طَوْراً وتُعليهاَ
لولا اختلاف طباعَيْنا بواحدة   وللطباع اختلافٌ فى مبانيهـا
بأنّها فى ســوادِ الليلِ مظهرةٌ   تلك التى فى سواد الليـل أُخفيها
لو أنها علمتْ فى قربِ مَنْ نَصَبَتْ   من الورى لثنتْ أعطافها تيها

وقوله الذى يشهد له لا عليه ، ويميل كلّ ذو (كذا) لبّ إليه :

ولقد شربتُ مع الحبيب مدامةً   عــــــذراء إلاّ أنهـا شمطاء
والروضُ بين تكبّرٍ وتواضعٍ   شَمَخَ القضيبُ به وخرّ الماء

٥٥ – (ص ٣٢٤) أبو علىّ الأنصارى .

له فى المرقص فى خيمة نَصَبَها الأفضلُ :

ما كان يخطر فى الأفكار قبلك أنْ   تسمو عُلُوًّا على أفقِ السماء الخِيَمُ
حتى أتيتَ بها شَمّاء شاهِقةً   فى مارِنِ الدهْرِ من تيهٍ بها شَمَمُ
والطيرُ قَدْ لزمتْ فيها مواضِعهَا   لما تَحَقّقَ منها أنها حَرَمُ
إخالها خَيْلَكَ اللاّتى يغيرُ بها   فليس يُنْزَعُ عنها السرجُ واللّجمُ
كأنها جَنّةٌ والساكنون بها   لا يستطيلُ على أعمارهم هَرَمُ
إن أنبتتْ أرضُها زَهْرًا فلا عجبٌ   وقد هَمَتْ فوقها من كَفّكَ الدِّيَمُ

٥٦ – القاضى ابن قادوس[1] :

له فى المطرب :

وكلّما دَام نُطْقًا فى معاتبتى   سَدَدْتُ فاهُ بنَظْمِ[2] اللثْمِ والقبَلِ
وباتَ بدرُ تمامِ الحسْنِ مُعْتَنِقِى   والشمسُ فى فَلَكِ الكاساتِ لم تَفِلِ
فبتُّ منها أرى النارَ التى سجدتْ   لها المجوسُ من الإبريقِ تسجدُ لى

---

(١) انظر الخريدة ١ : ٢٢٦ وسماه « القاضى أبو الفتح محمود بن إسماعيل الفهرى »

(٢) فى الخريدة ١ : ٢٢٨ « بطيب » .

٥٧ – أحمد بن مفرّج[١] :

له فى المرقص فى صفة العيث :

وَمِن العجائب أنْ أتى مِن نَسْجه ... وخيوطُه بيضٌ ، بساطٌ أخْضَرُ
أرضٌ وأفْقٌ وُكُلا ببلاغةٍ ... فالزهرُ ينظم والسحائبُ تنثرُ

٥٨ – ابن عياد الاسكندرى[٢] :

له فى المرقص فى أقحوانة :

كأنّما شمسُهُ من فِضّةٍ حُرِسَتْ ... خَوْفَ الوقوع بمسمارٍ من الذّهَبِ[٣]

٥٩ – ابن شعيب المصرى :

له فى المرقص :

يا ذا الذى يدخر أمـــوالَه ... عن مِثْلِ هــذا الأسْمَرِ الفائق
ما الذهبُ الصامتُ مُسْتَـكْثَرٌ ... إنفاقُه فى الذهبِ الناطقِ

٦٠ – عبد الله بن الطباخ[٤] :

له فى المرقص : فى أحدب :

قَصُرَتْ أخادِعُهُ وغاض قذالُهُ ... فكأنّه مترقّبٌ أنْ يُصْفَعا (ص ٣٢٥)

---

(١) انظر الخريدة ٢ : ٦٤ .
(٢) انظر الخريدة ٢ : ٤٣ .
(٣) انظر الخريدة ٢ : ٤٥ .
(٤) انظر الخريدة ٢ : ٩٨ .

وكأنّه قد ذَاقَ أوّلَ صفعةٍ وأحسّ ثانيةً بهـــا فتجمّعَا[1]

٦١ – ظافر الحداد الإسكندرى[2] :

له فى المرقص :

وَنَفِّر صُبْحُ الليل لَيْلَ شبيبتى كذا عادتى فى الصبح مع من أُحِبُّهُ

وقوله :

وكأنما[3] الدولابُ يَزْمُرُ كلما غنّتْ ، وأصواتُ الضفادعِ شيزُ
وكأنّما القُمْرِىُّ يُنْشِدُ مَصْرَعاً من كلِّ بيتٍ والحمامُ يُجيزُ

٦٢ – على بن حبيب التميمى المصرى :

له فى المرقص :

أقمتُ بالبركة الغرّاء مدهقة والماء مجتمِـعٌ فيها ومَسْفوحُ
إذا النسيمُ جرى فى مائها اضطربت كأنّما ريحه فى جسمها روحُ

٦٣ – الجليسُ بن الحباب ، وهو آخر من ذكرنا من شعراء المئة الخامسة من المغرب .

له فى المرقص :

والعَودُ أجملُ بالكريمِ وقلّما يُغنى الحيا إلاّ على تكراره

---

(١) المشهور أنهما لابن الرومى ، وقد نسبا لغيره .

(٢) انظر الخريدة ٢ : ١

(٣) انظر الخريدة ١ : ١٣

ذكر شعراء المئة الخامسة من أهل المشرق

لما تقدم القولُ من العبد بذكرِ شعراء المئة الرابعة من أهل المشرق فى الجزء الذى قبل هذا الجزء ، وذكرنا فى هذا ما اختصّ به من ذكر شعرآء المئة الرابعة والمئة الخامسة من أهل المغرب ، أردفناهم أيضاً بذكر شعراء المئة الخامسة من أهل المشرق ليكون كلّ جزء مختصًّا بذكر شعرآء ما اشتمل عليه من مئين (كذا) سنيّه ، و بالله التوفيق .

٦٤ — أبو منصور الثعالبى :

هو من شعراء المئة الرابعة ، وطعن فى الخامسة فحُسِب منها على اصطلاح الكتّاب .

له فى المرقص :

إنسانةٌ تيّاهةٌ بدرُ الدجى منها خَجِل
إذا زنا طَرْفى بها بدمعِ عينى يَغْتَسِلْ

٦٥ — مهيار الديلمى :

له فى المرقص :

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم يتقارعون على قِرى الضِّيفان
ويكادُ موقدُها يجودُ بنفسه حبُّ القِرى حطباً على النيرَان

٦٦ – أبو الحسن التهامى :

له فى المرقص ؛ وهو من المقدّمين لقوله :

والصبحُ قد أخذتْ أنامُل كفِّهِ   فى حلِّ جَيْبٍ بالظلامِ مُزَرّرِ

ولقوله :

علا فما يستقرُّ المالُ فى يده   وكيف يمسك ماء قنّه الجبل

ولقوله :

بيضاء تَسْحَبُ ليلاً حسنُهُ أبداً   فى الطُول منه ، وحُسْنُ اللّيْلِ فى القِصَرِ

٦٧ – أبو العلاء بن سليمان المعرى :

له فى المرقص :

والخِلُّ كالماء يُبدى لى ضمائره   مع الصفاء ويُخفيها مع الكدرِ

وقوله :

وصبح قد فلونا الليل عنهُ   كما يُفلى عن النار الرمادُ

٦٨ – أخوه أبو الهيثم :

له فى المرقص :

مقلهّب الأحشاء يحسبُ ليله   أبداً دُخاناً والنجومُ شرارُ

٦٩ — القاضى عبد الوهاب المعرى :

له فى المرقص :

زرع ورداً ناظراً ناظرى فى وجْنــةٍ كالقمرِ الطـالعِ
فَلِمْ منعتُمْ شــفتى قطفَهُ والحــكمُ أنّ الزّرْعَ للزّارِعِ

٧٠ — أبو محمد الخفاجى :

له فى المرقص :

مَلَاَكَ الزمانَ بأسرِه فنهارُه فى وجهه وظلامُه فى شعره

٧١ — ابن الدويدة المعرى :

له فى المرقص :

جنبوا الجياد إلى المطى فغادروا بالتبر سـطراً من حروف المعجم
فترى به عيناً بوطأةِ حافرٍ وترى به هاءً بوطأة ميسم

قلتُ : والمليح من هذا المعنى قولُ الآخر ، وهو قديم :

كأنّ مواطئَ الخيلِ فيها أهلّة وآثارَ أخفافِ المَطِىّ بدورُ

٧٢ — السابق المعرى :

له فى المرقص :

كأنّ الشــقائقَ والأقحوا نَ خـــدودٌ تقبلهنّ الثغورُ

فهاتيك أخجلهنّ الحيـــــا ٭ وهاتيك أضحكهنّ السرورُ

٧٣ – الواثق المعرّى :

له فى المرقص :

انظرْ إلى منظر يسبيك محضره   بحسنه فى البرايا يُضْرَبُ المثلُ
ناراً تلوح من النارنج فى شجرٍ   لا النارُ تخبو ولا الأغصان تشتعلُ

٧٤ – الأمير أبو الفتح المعرى :

له فى المرقص :

أبا صالح أشكو إليك نوائباً   عَرَتْنى كما يشكو النباتُ إلى القطرِ
لتنظر نحوى نظرةً لو نظرتَهـا   إلى الصخرِ فَجّرْتَ العيونَ من الصخرِ
وفى الدارِ خلفى صِبْيَةٌ قد تركتُهم   يطنّون إطلالَ الفراخِ من الوكرِ
جنيتُ على روحى بروحى جنايةً   فأثقلتُ ظهرى بالذى خفّ من ظهرى

٧٥ – أبو الفتيان بن حَيّوس :

له فى المرقص :

إن ترد خُبر حالهم عن يقين   فأتهم يومَ نائلٍ أو نزال
تلْقَ بيضَ الوجوهِ سود مثار النقــــع خضر الأكناف حمر النصال

وقوله :

فعل المدام ولونها إذ ذاقها   فى مقلتيه ووجنتيـــه تنتقل

٧٦ – الوزير أبو الفرج المنازى :

له فى المرقص ولا يوجد فى معناه مثله :

وقانا لفحةَ الرمضـــاء وادٍ وقاه مضاعَفُ النَّبْتِ العظيم
نزلنا دَوْحَهُ فحنا علينـــــا حُنُوَّ الوالداتِ على الفطيم
وأرْشَفَنـــــا على ماء زلالٍ ألذ من المدامة للنـــديم
يَصُدُّ الشمسَ أنّى واجهتنا فيحجبهـــــا ويأذنُ للنسيمِ
تروع حَصَاهُ حالية العذارىٰ فتامس جانب العقدِ النظيم

٧٧ – ابن الشحنا العسقلانى :

له فى المرقص :

ومهفهفٍ عاق السقام بطرفه وسرى نحيّم فى معاقد خصره
مزّقتْ أثواب الظلامِ بثغره ثم أتيت أحوكها من شعره

٨٧ - الماهر الحلبى :

له فى المرقص فى الرثاء فأجاد :

برغمى أن ألوم عليك دهرًا قليـــــل نـكره بمعنميه
وأنْ أرعى النجومَ ولست فيها وأن أطأَ الترابَ وأنت فيه

٧٩ - ابن السراج الصُّورى :

له فى المرقص وهو آخر مَنْ ذكرنا من هذه الطبقة ؛ وله فى فهد :

وأهرتَ الشدق فى فيهِ وفى يده ... ما فى القواضبِ والعسالةِ الذُّبُلِ
تنافسَ الليلُ فيـــه والنهار معاً ... فَقَمّصاه جلابيباً من الحَلَلِ
والشمسُ مُذْ لقّبوها بالغزالةِ لم ... تطلعْ على وجهه إلاّ على وَجلِ
ونقطته حياء كى نسـالها (؟) ... على المتون نعاج الرمل بالمقـــل

انتهى الـكلام فى ذكر الشعراء المذكورين المختصين بهذا الجزء وبتمامهم نجز ولله الحمد والمنة والطول ، وبه القوة والحول ، بخط يد واضـعه ومصـنفه ، وجامعـه ومؤلفه أضعف خلق الله وأفقرهم إلى رحمتـه ، أبو (كذا) بكر عبـد الله الدوادارى المقدم ذكر نسبته فى أولّه ، غفر الله له ولوالديْه ولمن قرأه وتجاوز عن كلِّ خطأ يراه ولـكافة المسلمين أجمعين .

وكان الفراغُ من نَسْخِهِ آخر يومِ الأحد العشرين من شهر جُمادى الآخرة سنة أربعٍ وثلاثين وسبع مئة الهجرية على صاحبها السلام .

أحسن الله نقصها بخير إنّه ولىٌّ ذلك وقادرٌ عليه ، والأمورُ مبتدؤها منه ومصيرُها إليه .

وهو حسبى ونعم الوكيل .

بلغ نظراً من المصنّف
عفا الله عنه

يتلو ذلك

فى أول الجزء السابع منه .
ما مثاله ذكر أول دولة بنى أيوب .
ملوك الإسلام ، والقادة الأعلام .
ونستقبل التاريخ من أول سنة خمس .
وخمسين وخمس مئة إن شاء الله تعالى .
والحمد لله رب العالمين وصلواته .
على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الفهارس

١ — فهرس الأعـــلام(*)

حرف الهمزة

(*) كلمة : ابن ، أبو — لم تراع فى الترتيب الأبجدى .

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ - فهـــرس الأماكن

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٣ — فهرس الألفاظ الاصطلاحية

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٤ — فهرس الأشعار

* * *

٥ — فهرس أسماء الكتب الواردة فى المتن

l'auteur ne concorde pas avec le texte original ou que son résumé n'est pas fidèle. Lorsque le texte de l'auteur est obscur, nous l'avons complété en y ajoutant des mots empruntés à la source qu'il cite. Parfois enfin, lorsqu'il était difficile de présenter tel quel le texte de l'auteur, nous avons reproduit en note textuellement l'original.

5. Nous avons corrigé en note les noms propres de personnes et de lieux déformés par l'auteur.

6. L'ouvrage cite de nombreux poèmes, célébrant notamment les louanges des Fatimides. Nous n'avons pu retrouver qu'un petit nombre d'entre eux dans les sources qui sont à notre disposition ; c'est d'ailleurs ce qui fait en partie l'intérêt du *Trésor des perles*. Chaque fois qu'une comparaison s'est avérée possible, nous l'avons faite, en indiquant en note les variantes. Malheureusement, l'auteur ne mentionne pas les sources où il a puisé ces poèmes ; ainsi est-ce sans le nommer qu'il utilise abondamment Ibn Sa'īd à la fin du livre. Nous avons donc parcouru les anthologies (le *Morqiṣ*, la *Domya*, la *Kharīda*, la *Yatīma* et son supplément, etc.) comparant les extraits communs à ces ouvrages et au nôtre, ce qui nous a permis d'apporter çà et là, sans les indiquer, certaines corrections.

7. Il nous est arrivé de comparer les textes de l'auteur ayant trait aux événements avec leurs parallèles avec les autres sources historiques, afin de nous assurer de leur exactitude. En cas de divergences, nous les avons signalées en note, nous contentant parfois de renvoyer le lecteur aux autres sources pour qu'il en mesure l'étendue par lui-même.

8. Nous avons adjoint au texte trois index concernant respectivement les noms de personnes (en y incluant les noms de tribus, de peuples, de dynasties et de sectes), les noms de lieux et les termes techniques.

Nous espérons que savants et chercheurs tireront profit de cette sixième partie du *Trésor des perles ;* elle rassemble en effet de nombreux matériaux de valeur. Au cas où l'un d'entre eux trouverait quelque erreur dans notre travail, nous lui serions reconnaissants d'avoir l'obligeance de nous la signaler.

Juillet 1960. AL-MUNAJJED.

étude, car elle n'est aucunement représentative de l'époque. Si l'on en veut des exemples, on pourra se reporter à l'introduction du Professeur Roemer qui en a relevé certaines particularités.

*
* *

Méthode d'établissement du texte.

Une règle bien connue de l'établissement des textes veut que lorsqu'on a affaire à un manuscrit autographe on le publie tel quel, sans en modifier ni en corriger la teneur, car elle reflète la culture et l'esprit de l'auteur. L'éditeur doit se contenter de signaler en note les fautes éventuelles et de suggérer les corrections qu'il conviendrait de leur apporter.

Aussi avons-nous essayé d'appliquer ici la vraie méthode convenant aux manuscrits tels que le nôtre. En conséquence, nous avons suivi les règles que voici :

1. Nous avons maintenu le texte dans l'état où il se présente dans le manuscrit, avec ses nombreuses fautes morphologiques et grammaticales, de manière à permettre au lecte .r d'être en contact immédiat avec l'auteur, son vocabulaire et sa façon de construire les phrases. Nous avons indiqué en note l'état correct de chaque mot, sauf lorsque la faute n'est pas trop évidente ou l'expression privée de sens ; dans ce cas, nous l'avons fait suivre du terme *kadhā, sic,* entre parenthèses.

2. Parfois l'auteur a fait des fautes d'orthographe. La façon d'écrire les mots ayant changé au cours des âges et le maintien d'une orthographe actuellement fautive ne présentant aucun avantage, nous avons corrigé l'orthographe en adoptant l'usage courant à notre époque. Nous nous sommes contentés d'avertir le lecteur lors de la description du manuscrit, afin qu'il ait une idée de la culture de l'auteur en matière d'écriture et d'orthographe.

3. En général, nous avons maintenu la suppression des hamzas, bien que nous les ayons parfois rétablis là où cette modification n'influait en rien sur le sens du mot ou sur sa distance par rapport à la langue vulgaire.

4. L'auteur a cité de nombreux textes empruntés à des ouvrages dont certains sont parvenus jusqu'à nous et certains sont actuellement perdus. Dans le premier cas, après comparaison entre les citations et le texte original, nous avons adopté celui-ci, sauf lorsque notre auteur n'a fait que résumer ou citer de façon partielle. Quand il en est ainsi, nous avons renvoyé à la source en notant que le texte de

L'Institut des Manuscrits arabes en a pris un microfilm, qui figure dans sa filmothèque sous le numéro 413 *tārīkh.*

Le titre est donné en tête du premier folio, inscrit dans un cadre d'or. Il est ainsi libellé :

« Sixième partie de l'Histoire intitulée *Le trésor des perles et le recueil des nouvelles lunes,* œuvre du plus faible des serviteurs de Dieu, ayant le plus besoin de Lui, Abū Bakr ibn ʿAbdallāh ibn Aybak gouverneur de Ṣarkhad, dont le père était connu sous le nom d'al-Dawādārī (que Dieu le prenne en pitié !), pour avoir été au service de feu l'émir Sayf-al-Dīn Balabān al-Rūmī al-Dawādārī al-Ẓāhirī (que Dieu les couvre de sa miséricorde et les fasse habiter son spacieux Jardin avec Moḥammad et sa famille !). C'est *La perle brillante ayant trait aux informations concernant l'empire fatimide*».

En marge du cadre, en haut et à gauche, on peut lire le texte de l'acte constituant en bien *waqf* le manuscrit de l'Histoire en son entier, au bénéfice de la mosquée d'al-Zaynī au Caire. Il est daté du 20 jomādā II 848/4 octobre 1444. L'auteur du *waqf* nous est connu grâce à Sakhāwī (*Ḍaw',* 10/233) et à Ibn Iyās (2/114). Il s'agit de Yaḥyā ibn ʿAbd-al-Razzāq al-Zaynī al-Qibṭī al-Ostādār, connu sous le sobriquet d'al-Ashqar, le Roux. Mort en 874 H./1469, c'est lui qui avait fait construire la mosquée en question l'année même où il la gratifia du manuscrit. Cette mosquée existe encore à l'heure actuelle ; elle a été décrite par Ḥasan ʿAbd-al-Wahhāb dans son *Histoire des mosquées historiques* (p. 234).

Le dernier folio est signé et daté : le texte a été écrit par l'auteur, de sa propre main. La rédaction s'est achevée en fin de journée, le dimanche 20 jomādā II 734 H./6 juin 1334.

Cette sixième partie couvre 329 pages, de 21 lignes chacune. L'écriture est de style naskhī. Les points diacritiques sont parfois manquants. Les titres sont tracés à l'encre rouge, en plus gros caractères. En marge, l'auteur a ajouté de nombreux extraits empruntés à divers livres d'histoire ; ces additions sont faciles à déchiffrer dans la dernière section, où elles citent Ibn Wāṣil.

Il importe enfin d'attirer l'attention sur l'orthographe, dont nous avons signalé plus haut qu'elle était souvent fautive. Pour porter ce jugement, nous nous appuyons sur le fait que l'orthographe d'Ibn al-Dawādārī ne se retrouve chez aucun de ses contemporains. Il est donc sans intérêt d'en faire le fondement d'une

d'Ibn Taghrī-Birdī; il leur arrive cependant de diverger. Sans doute ont-ils puisé à des sources différentes, car il est peu probable qu'Ibn Taghrī-Birdī ait utilisé notre auteur.

Notons à ce propos qu'Abū Bakr omettra de mentionner la hauteur de la crue dans la neuvième partie. En attendant sans doute de trouver quelque ouvrage qui le renseignât, il a laissé la place en blanc dans son manuscrit.

L'auteur passe ensuite aux événements dont il a fait le choix. Commençant par mentionner le calife de Baghdad et les grands de son entourage, il fait de même ensuite pour le calife d'Egypte, puis décrit les événements qui se sont produits au cours de l'année dans les divers pays.

Lorsqu'il vient à parler de quelque état indépendant ou d'un mouvement comme celui des Carmates, il le fait de façon détaillée, indépendamment de l'année dont il est censé décrire les événements. On a ainsi des excursus qui constituent autant de monographies ayant valeur pour elles-mêmes.

A en juger d'après le style de l'ouvrage, Ibn al-Dawādārī était instruit mais peu cultivé. Il insère souvent dans son texte des périodes d'un bel arabe, où il faut voir sans doute des réminiscences de ses lectures. Mais des phrases d'une langue extrêmement faible ne tardent pas à leur succéder, avec des termes et des constructions vulgaires, des fautes de grammaire notamment dans l'accord des verbes, sans compter les fautes d'orthographe qui parsèment le manuscrit écrit de sa propre main.

Si nous le comparons aux autres historiens du VIII^e/XIV^e siècle, tels que Birzālī, Ibn Kathīr, Dhahabī, Ṣafadī, Ibn al-Jazarī, al-Quṭb al-Yūnīnī, Ibn Shākir al-Kotobī, Ḥosaynī ou Sobkī, il apparaît bien inférieur au point de vue du style, de l'expression et de la façon de résumer. A en juger d'après la sixième et la neuvième partie, le style de son Histoire est parfois plus proche de l'arabe dialectal que de la langue littéraire. Mais peut-être cela confère-t-il au *Trésor des perles* un intérêt de surcroît, faisant de l'ouvrage un document pour la connaissance du langage parlé au Caire et à Damas au VIII^e siècle de l'Hégire.

*
* *

DESCRIPTION DU MANUSCRIT.

Comme le reste du *Trésor des Perles*, la partie que nous publions a été écrite de la main même de l'auteur et se trouve conservée à Istamboul, dans la bibliothèque d'Ahmet III, sous le numéro 6/2922.

ou encore à l'état manuscrit (4, 8, 9, 12, 15, 17, 18). Les sources perdues sont d'un grand intérêt et l'on n'en rencontre que de rares extraits cités dans d'autres ouvrages.

A titre d'exemple particulièrement remarquable, nous voudrions attirer l'attention sur l'une d'entre elles, les *Akhbār al-Shām* de Somaysāṭī, utilisée par Ibn al-Dawādārī pour ce qui concerne Damas au temps des Fatimides. Jusqu'ici, seule l'Histoire de Qalānisī nous renseignait à ce sujet. Nous ignorions totalement l'ouvrage de Somaysāṭī, disciple d'al-Khaṭīb al-Baghdādī, mort en 453 H./1061. Les extraits cités dans le *Trésor des perles* viennent désormais confirmer ou parfois rectifier les renseignements donnés par Qalānisī.

C'est l'utilisation de telles sources importantes, actuellement perdues, qui fait la valeur de cette sixième partie, malgré l'emploi de la langue vulgaire qui caractérise son auteur.

*
* *

L'auteur fait délibérément son choix tant parmi les événements rapportés que parmi les renseignements puisés chez les historiens.

Voulant voir dans quelle mesure il a ainsi résumé ses sources, nous avons comparé son texte à celui des ouvrages cités actuellement imprimés. Nous avons abouti aux conclusions suivantes :

1. Ibn al-Dawādārī résume souvent ses sources de façon peu fidèle, n'hésitant pas à prendre des libertés avec la lettre du texte original.

2. Il lui arrive de résumer le texte au point de laisser tomber certains détails des événements rapportés. Nous avons signalé parfois le fait en note, surtout pour les citations du *Mofarriğ al-korūb* et d'Ibn Khallikān.

3. En cours de transcription, il lui arrive souvent d'estropier les noms propres de personnes ou de lieux, ce qui prouve qu'il ne les connaissait pas.

*
* *

Voyons maintenant la méthode utilisée par l'auteur dans la composition du *Trésor des Perles*.

Ibn al-Dawādārī a d'abord soin de noter chaque année la hauteur de la crue du Nil. Les renseignements qu'il donne à ce sujet coïncident généralement avec ceux

Elle est consacrée aux califes fatimides d'Egypte et aux divers états existant sous leur règne. Commençant (p. 120) avec les événements de l'an 359 H./1163 et l'entrée en Egypte du général Jawhar, l'auteur y poursuit son histoire jusqu'à l'année 554 H./1159. Il y parle en détail de la propagande fatimide, des Carmates, des Aghlabides, des Hamdanides, des Seldjoukides, des Bouïdes, des Samanides et des Solaïhides du Yémen.

Ibn al-Dawādārī a puisé sa documentation à des sources dont la plupart sont actuellement perdues. En voici la liste :

1. L'ouvrage du chérif Abū-l-Ḥosayn akhī Moḥsin sur l'origine des Fatimides.
2. *Tārīkh al-Qayrawān* (p. 4 et 299).
3. *Toḥfat al-qaṣr fī ʿajā'ib Miṣr,* d'al-ʿAḍid al-Fāṭimī' (p. 363).
4. *Tārīkh,* du cadi Ibn Khallikān (p. 145).
5. *Tārīkh Miṣr,* d'Ibn Zūlāq (p. 4).
6. *Al-Rawḍa al-bahiyya fī Khiṭaṭ al-Qāhira al-Moʿizziyya,* d'Ibn ʿAbd al-Ẓāhir (p. 135).
7. *Akhbār al-Shām,* de ʿAli ibn Moḥammad ibn Yaḥyā al-Solamī al-Somaysāṭī, Abū-l-Qāsim, jusqu'à l'année 395 H./1004 (p. 272).
8. *Domyat al-qaṣr* (p. 283).
9. *Tārīkh,* d'Ibn Diḥya (p. 298).
10. *Ḥall al-romūz fī ʿilm al-konūz* (p. 301).
11. *Sīrat al-Ḥākim d'un anonyme* (p. 302).
12. *Rasā'il Abī-l-Qāsim al-wazīr al-maghrabī* (p. 312).
13. *Tārīkh Baghdād,* sans mention d'auteur (p. 328 et 336).
14. Un livre copte trouvé au Monastère Blanc, en Haute-Egypte, dont Ibn al-Dawādārī recopia des extraits (p. 353).
15. *Kharīdat al-qaṣr,* d'al-ʿImād (p. 419).
16. *Al-sayl wa-l-dhayl,* d'al-ʿImad (p. 421).
17. *Sīrat al-sulṭān Ṣalāḥ-al-Dīn,* d'Ibn Shaddad (p. 422).
18. *Mofarriğ al-korūb,* d'Ibn Wāṣil.
19. *Kitāb janī al-naḥl,* d'Ibn Saʿīd (p. 437).
20. *Siyar al-Tārīkh,* de ʿAlī ibn Monjib (p. 111).

La plupart de ces sources ne sont pas parvenues jusqu'à nous (1, 2, 3, 5, 6, 7, 10, 11, 13, 14, 16, 19 et 20), les autres existant à l'heure actuelle, imprimées

4. Sphère du Soleil : la perle sublime concernant l'empire des Omeyyades.
5. Sphère de Mars : la perle magnifique concernant l'empire des Abbassides.
6. Sphère de Jupiter : la perle brillante concernant l'empire des Fatimides.
7. Sphère de Saturne : la perle recherchée concernant l'empire des Ayyoubides.
8. Sphère des constellations zodiacales : la perle pure concernant l'empire des rois turcs.
9. Sphère ambiante : la perle précieuse concernant la vie d'al-Malik al-Nāṣir.

L'auteur nous dit avoir commencé à rassembler ses matériaux et à rédiger au brouillon en l'an 709 H./1309, soit avant de partir pour Damas avec son père. Il lui fallut ensuite revoir son œuvre partie par partie et la mettre au propre, tâche qu'il acheva au début de l'année 736 H./1335. L'ensemble du travail lui prit donc trente-sept ans.

La seconde Histoire composée par Ibn al-Dawādārī a pour titre *Les Perles des couronnes et les premières lueurs des annales du Temps*. C'est un abrégé d'histoire générale, en un seul volume. Commençant par l'époque d'Adam, on y parle ensuite des prophètes et de la période anté-islamique; puis on y rapporte les événements, année par année, depuis les débuts de l'islam jusqu'à l'an 710 H./1310. A la description des événements, l'auteur ajoute des notices biographiques concernant les rois, les vizirs, les savants, les écrivains, les poètes et les médecins; c'est ce qui fait l'originalité de l'ouvrage par rapport au *Trésor des perles*.

Si nous avons le texte de ces deux œuvres, la première a l'avantage de nous être parvenue dans un manuscrit autographe de l'auteur.

Chaque partie de la grande Histoire mérite, à notre avis, d'être étudiée pour elle-même de façon critique. Aussi convient-il ici de nous étendre quelque peu sur celle dont nous présentons l'édition, à savoir la sixième partie, ayant trait à l'empire des Fatimides.

*
* *

Le premier titre de cette sixième partie est ainsi libellé : *Ce qui surpasse le* Ṣaḥāḥ *de Jawharī dans le lot de la sphère de Jupiter*. Son second titre est le suivant : *La perle brillante concernant l'empire des Fatimides*.

*
* *

Dans les parties du *Trésor des perles* ayant trait aux époques antérieures à la sienne, Ibn al-Dawādārī fait figure de compilateur. Il explique lui-même, dans la préface de son Histoire, la façon dont il a procédé : commençant par dépouiller les meilleurs ouvrages de ses prédécesseurs, il a soigneusement noté tout ce qui lui semblait particulièrement intéressant; puis il s'est efforcé de replacer chaque fait dans son contexte. C'est, nous dit-il, le souci de plaire au lecteur qui l'a guidé dans le choix des éléments à retenir, d'où la façon de mêler les vers à la prose, le sérieux à la plaisanterie, et de rapporter abondamment louanges, satyres et anecdotes.

Il n'en va pas de même lorsqu'il s'agit de son époque. Il se révèle ici un historien de premier ordre. Excellent observateur, il donne une profusion de détails, surtout lorsqu'il expose ce qu'il a vu ou ce à quoi il a participé. C'est avec chaleur et sincérité qu'il raconte les événements dont il a été témoin et qui l'ont impressionné. Sans aucun doute, il est alors l'une des sources les plus précieuses auxquelles on puisse se référer pour faire l'histoire des Mamelouks.

Le plus souvent, lorsqu'il compose de son propre cru, son style est celui du commun des gens : il emploie la langue de tous les jours, avec ses constructions et son vocabulaire. Il lui arrive cependant d'y mêler un langage littéraire ponctué d'assonances, réminiscence de ses lectures. Le résultat en est assez étrange, le style étant parfois vulgaire, parfois précieux.

Comme nous l'avons dit, Ibn al-Dawādārī nous a laissé deux ouvrages d'histoire : le *Trésor des perles* et les *Perles des couronnes*.

Le premier d'entre eux comprend neuf volumes et s'inscrit dans le cadre des histoires générales partant de la création du monde pour aboutir à l'époque de l'auteur. Chaque partie traite d'un empire et porte deux noms, le premier évoquant l'une des neuf sphères célestes et le second précisant le sujet traité. Le titre général du livre étant le *Trésor des perles,* chaque partie se trouve présentée, dans son second titre, comme une perle de qualité particulière. On a ainsi :

1. Sphère de la Lune : la perle la plus noble concernant le début du monde.
2. Sphère de Mercure : la perle sans pareille concernant les peuples d'antan.
3. Sphère de Vénus : la perle de prix concernant le Seigneur des Envoyés.

suivit son père à Damas où il fut intimement associé à ses fonctions, assistant notamment à ses entretiens avec les hommes d'Etat. Il lui arriva même d'être envoyé en Egypte incognito, afin d'informer le *maḥmandār* sur les complots qui s'y tramaient. Que fit-il après la mort de son père? nous l'ignorons. Resta-t-il à Damas ou revint-il au Caire? Entra-t-il au service du gouvernement ou vécut-il à l'écart? Quoi qu'il en soit, il dut entretenir de bons rapports avec le sultan al-Nāṣir Moḥammad auquel il dédie son ouvrage et dont il célèbre les louanges, notamment au début de la septième partie. S'il faut en croire une indication du texte, il dut également renoncer aux fonctions gouvernementales pour s'adonner à la science et à la littérature.

*
* *

Après ces quelques indications biographiques, il convient d'aborder l'activité intellectuelle d'Ibn al-Dawādārī.

Dans la préface de sa grande Histoire, il nous dit avoir cultivé l'art de la littérature et avoir fréquenté les gens de science et de vertu. De qui s'agit-il? Au cours de son ouvrage, il n'indique guère de noms. Nous le voyons seulement, dans la neuvième partie, fréquenter quelques soufis dont il rapporte les faits et gestes. De même, nous le voyons visiter les monastères de Haute-Egypte, dont il consulte les bibliothèques. Ainsi, parmi les sources utilisées dans la sixième partie, figure un ouvrage copte, lu au Monastère Blanc, dont il aurait recopié des extraits. Connaissait-il le copte ou se le fit-il traduire? Nous l'ignorons. Enfin, nous le voyons tomber comme par hasard sur quantité de livres rares, ce qui dénote chez lui la passion de la science et de la lecture.

C'est cet amour de la science qui l'amena à composer divers ouvrages. Parmi ceux qu'il énumère dans la neuvième partie, deux seulement nous ont été conservés : un abrégé d'histoire intitulé *Les perles des couronnes,* et une Histoire plus développée ayant pour titre *Le trésor des perles*. Aucune de ses œuvres littéraires n'est parvenue jusqu'à nous; sans doute s'agissait-il d'anthologies. A en juger d'après certains passages de la sixième partie, il savait en effet apprécier les vers, en faire un choix judicieux et les accompagner de réflexions pertinentes.

Mais, puisque nous n'avons plus de lui que ses deux livres d'histoire, parlons un peu d'Abū Bakr en tant qu'historien, en nous basant surtout sur les sixième et neuvième parties du plus étendu d'entre eux.

Ṣarkhad, bourgade du Hauran célèbre pour sa citadelle, nous avons découvert un certain Aybak al-Ostādār al-Moʿaẓẓamī, mort en 645 H./1247-1248, qui fit bâtir à Damas la Madrasa ʿIzziyya. Selon les sources consultées, il serait mort à Ṣarkhad, puis aurait été transporté à Damas pour y être inhumé dans son école. Mais s'agit-il vraiment du grand-père d'Abū Bakr, ou simplement d'un homonyme? Notre auteur note en effet que ses grands-parents sont enterrés à Adhraʿāt.

Concernant son père, Abū Bakr nous dit que ses fonctions auprès de l'émir Sayf-al-Dīn Balaban al-Rūmī al-Ẓāhirī lui avaient valu le surnom de Dawadārī. Or Ibn Taghrī-Birdī nous apprend que cet émir fut secrétaire d'Etat (*dawādār*) de Ẓahir Baybars, sultan de 658 à 676 H./1260-1277, et qu'il eut toute la confiance de son maître, étant spécialement chargé par lui des messagers, des espions et de la correspondance. Balabān mourut en l'an 680 H./1281, soit quatre ans après Baybars, mais nous ignorons à quel moment le père de notre auteur était entré à son service.

Abū Bakr passa son enfance au Caire, où son père possédait une maison, dans la Ḥārat al-Bāṭiliyya. En l'an 699 H./1290, ce dernier se vit confier le gouvernorat de la province de Sharqiyya, charge qu'il assuma onze ans durant, jusqu'en 710 H./1310, date à laquelle il en fut relevé sur sa demande. Le sultan lui permit alors de choisir son lieu de résidence, Le Caire ou Damas. Préférant la Syrie, il vendit sa maison, le seul bien qu'il possédât, pour pouvoir subvenir aux frais du voyage. A Damas, il fut nommé *mahmandār,* c'est-à-dire préposé à la réception et au traitement des messagers et des hôtes ; à ces fonctions s'ajoutèrent bientôt des charges administratives qu'il n'accepta qu'à contre-cœur et dont il se défit à la première occasion. Il demeura *mahmandār* jusqu'à sa mort, survenue en service commandé, l'an 713 H./1313 : au cours d'une inspection des citadelles, une chute de cheval lui fut fatale. On transporta son corps à Adhraʿāt, dans le Hauran, où il fut enseveli près de ses parents.

La façon dont notre auteur parle de son père nous le présente comme un grand personnage, mêlé à des affaires politiques importantes concernant notamment al-Nāṣir Moḥammad ibn Qalāʾūn, comme un homme respecté, loyal et pauvre (il laissa en mourant de nombreuses dettes).

De la vie d'Abū Bakr, nous ne savons guère plus que ces renseignements concernant les siens. Nous ignorons la date de sa naissance. Elevé au Caire, il

INTRODUCTION

Le VIII^e siècle de l'Hégire (XIV^e s.) est, dans la littérature arabe, une des époques les plus fécondes en ouvrages historiques. De nombreux historiens y vécurent, qui nous ont laissé des œuvres importantes. Nombre d'entre eux sont des traditionnistes, qui ont mêlé l'histoire, telle que les musulmans l'ont comprise, au *ḥadīth*, au *fiqh* et à la biographie. Ainsi al-Qoṭb al-Yūnīnī (m. en 726 H./1326), Birzālī (m. en 739 H./1339), Ibn al-Jazarī (m. en 739 H./1339), Dhahabī (m. en 748 H./1348), Ḥosaynī (m. en 765 H./1364), Sobkī (m. en 771 H./1370), Ibn Kathīr (m. en 774 H./1373), Ibn Rāfiʿ (m. en 774 H./1372) et Ibn Rajab al-Ḥanbalī (m. en 795 H./1392). Certains ont lié l'histoire à la littérature; c'est le cas d'un Ṣalāḥ al-Ṣafadi (m. en 764 H./1363). D'autres, tels Ibn Shākir al-Kotobī (m. en 764 H./1363), furent des libraires. D'autres enfin eurent des relations avec l'Etat, furent fonctionnaires ou fils de fonctionnaires, comme Baybars al-Dawādārī (m. en 725 H./1325) et Abū Bakr ibn al-Dawādārī (m. après 736 H./1335). Au point de vue historique, les œuvres de chacune de ces catégories d'auteurs ont leur intérêt particulier.

Ceux qui appartiennent à la dernière d'entre elles, comme c'est le cas de notre auteur, ont l'avantage d'avoir été les témoins oculaires de nombreux événements qu'ils rapportent, d'avoir su les dessous de la politique contemporaine et d'avoir souvent exprimé les points de vue gouvernementaux. Leurs ouvrages sont donc d'une valeur inestimable lorsqu'ils parlent de l'époque où ils vécurent ; quand il s'agit de faits antérieurs, tout dépend des sources auxquelles ils ont puisé et de la façon dont ils les ont utilisées.

Nous savons peu de choses de celui qui composa le texte que nous publions ici. N'étaient celles de ces œuvres qui nous sont parvenues, nous ignorerions tout de lui, car les biographes du VIII^e/XIV^e siècle se taisent à son sujet. Les quelques renseignements que l'on y peut glaner ne permettent de retracer sa vie que de manière fort incomplète.

L'auteur nous dit son nom en intitulant son ouvrage : il s'agit d'Abū Bakr ibn ʿAbdallāh ibn Aybak gouverneur de Ṣarkhad. Commençons par tâcher d'identifier son grand-père. Après maintes recherches concernant les gouverneurs de

AVANT-PROPOS

En 1958, j'avais suggéré au Professeur Hans Roemer la publication, par les soins de l'Institut allemand d'Archéologie du Caire, d'une collection de textes historiques concernant l'Egypte musulmane. A ce propos, je lui avais parlé du *Trésor des perles* d'Ibn al-Dawādārī comme d'une source de premier ordre, notamment pour la connaissance des faits contemporains de l'auteur.

Le Professeur Roemer, puis l'Institut, ayant agréé ma suggestion, nous nous étions entendus pour collaborer à l'édition critique de ce texte important : le Professeur Roemer s'occuperait des huitième et neuvième parties ayant trait à l'époque mamelouque, et je me chargerais des sixième et septième parties concernant les Fatimides et les Ayyoubides.

Je suis fort heureux de voir l'Institut allemand du Caire publier ainsi les textes historiques relatifs à l'Egypte. Si nombreux que soient de tels documents, à part quelques ouvrages de Maqrīzī, rares sont ceux qui avaient été édités jusqu'ici. Or, à mon humble avis, l'on ne saurait parfaire la rédaction d'une histoire de l'Egypte musulmane tant que ces textes ne seront pas publiés. C'est dire tout l'intérêt de la tâche entreprise par l'Institut, tant pour les chercheurs que pour l'Egypte elle-même.

Cet avant-propos m'est l'occasion de remercier le Professeur Hanns Stock, Directeur de l'Institut allemand, pour la publication de la collection, pour le fait de m'avoir confié l'édition critique de cette sixième partie. Je remercie également le Professeur Roemer pour avoir entrepris personnellement la réalisation de ma suggestion. Je remercie enfin mes collègues de l'Institut des Manuscrits, Fo'ād Sayyid, Rashād 'Abd-al-Moṭṭalib, Moḥammad Morsī al-Khūlī et Moḥammad 'Abd-al-Qādir, qui ont bien voulu m'aider à corriger les épreuves d'imprimerie et à composer les index, et le R. P. Serge de Beaurecueil O. P. pour sa précieuse collaboration.

S. M.

Druckerei der Lagnat at-ta'lif — Kairo

DIE CHRONIK DES IBN AD-DAWĀDĀRĪ

SECHSTER TEIL

DER BERICHT ÜBER DIE FATIMIDEN

HERAUSGEGEBEN VON

ṢALĀḤ AD-DĪN AL-MUNAĞĞID

KAIRO

IN KOMMISSION BEI HARRASSOWITZ WIESBADEN

1961

Deutsches Archäologisches Institut Kairo

Quellen zur Geschichte des Islamischen Ägyptens

BAND 1f

DIE CHRONIK DES IBN AD-DAWĀDĀRĪ, TEIL 6